1

دين كونتز

DEAN KOONTZ

# الركن الصامت

# The Silent Corner



بيع من رواياته أكثر من خمسمائة مليون نسخة وتُرجمت إلى 38 لغة عالمية

رواية

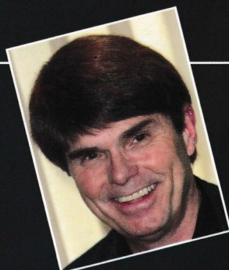


الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

بعد انتحار زوج جين، والذي لم يكن لديه أي سبب للانتحار، قررت المحققة في مكتب التحقيقات الفدرالية، القيام بتحقيقها الخاص، لإماطة اللثام عن الأسباب التي حملت زوجها على الانتحار. فاكتشفت أمراً غريباً، تمثل بارتفاع معدل الانتحار في الولايات المتحدة، لدى أشخاص ما من سبب يدفعهم لذلك، فقادتها تحقيقاتها إلى اكتشاف مؤامرة دنيئة. حيث قرر أحد العلماء وصحبه من الفاسدين أن يؤدوا دوراً لم يخلقهم الله لأدائه.

عبر هذه الرواية سنقرأ عن عظمة خالق ودناءة بعض مخلوقاته، سنقرأ عن علماء حولوا العلم إلى سلاح غاشم، فأطاحوا بالقيم والأخلاقيات، وسنرى ونطلع على عبودية مستترة، وسنُقدّر نعمة الحرية التي خلقنا عليها.

في هذه الرواية سنقرأ عن مكان يدعى أسباسيا، حيث عاث العلماء فساداً في قصر بني على أبهى حُلة ممكنة، ولكن يد المفسدين حوّلت القصر إلى ضريح تدفن فيه الآمال والأحلام. ولكن بالرغم مما تقدم يبقى في قلب الإنسان شيء من الشفقة والرحمة لا يستطيع الأشرار استئصالهما مهما بلغت درجة مهارتهم وشرورهم.



## دين كونتز

هو كاتب أمريكي. توصف رواياته بأنها روايات مثيرة ، ولكنها تتضمن في كثير من الأحيان عناصر من الرعب والخيال والخيال العلمي والغموض والهجاء. ظهرت العديد من كتبه في قائمة New York Times Best Seller ، ووصلت إلى المراكز الأولى. نشر أكثر من 105 روايات، ومجموعات من القصص القصيرة ، وباع أكثر من 450 مليون نسخة من عمله.



ISBN: 978-614-01-3119-4

9 786140 131194





الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com



# دين كونتز
DEAN KOONTZ

# الركن الصامت
The Silent Corner

رواية

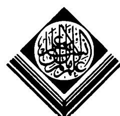


ترجمة

إسماعيل كاظم

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي
**THE SILENT CORNER**
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونيًا من المؤلف عبر وكالة
**c/o INKWELL MANAGEMENT LLC**
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.


**الطبعة الأولى: أيلول/سبتمبر 2020 م - 1442 هـ**

**ردمك 978-614-01-3119-4**





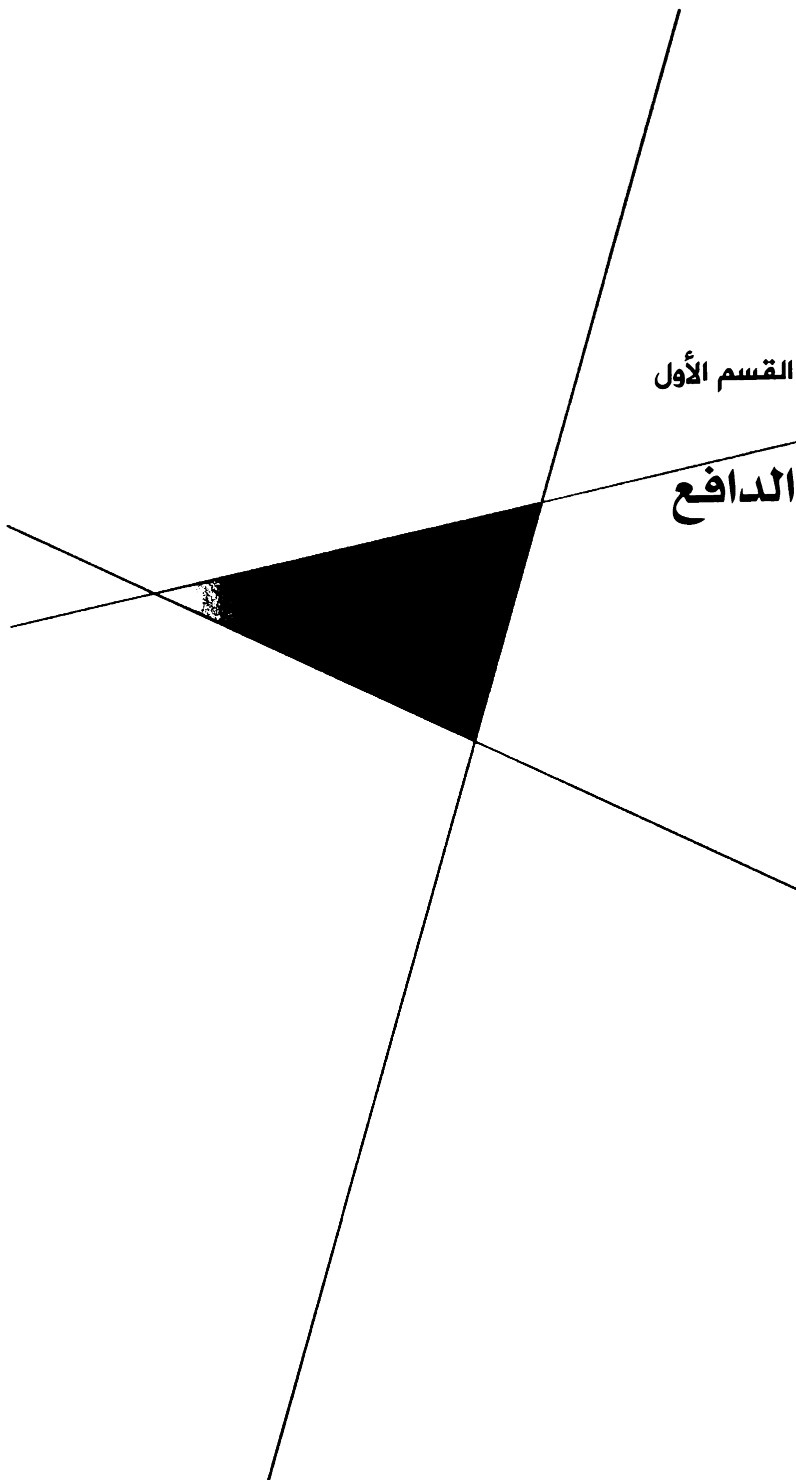
الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL
عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (961-1+)
ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (961-1+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic

**الركن الصامت**: هؤلاء المنفصلين تمامًا عن الشبكة ولا يمكن الوصول إليهم عبر أي تكنولوجيا، ولكنهم يتمتعون بحريّة الحركة واستخدام الإنترنت، يُقال أنهم في الركن الصامت.

## القسم الأول

# الدافع



# 1

استيقظت جين هوك في الظلام البارد، وللحظة لم تستطع أن تتذكر أين هي نائمة، لأنها دائمًا ما كانت تستيقظ وهي في سرير واسع ومسدسها تحت الوسادة، التي يفترض أن تكون لزوجها لو أنها لم تكن تسافر بمفردها. ذكّرها هدير محرك الديزل، وصوت احتكاك ثمانية عشر إطارًا على الإسفلت أنها في فندق بالقرب من الطريق السريع، وكان اليوم... الاثنين.

أشارت الساعة من خلال توهج ناعم أخضر لشاشتها الرقمية إلى الأخبار السيئة، ولكن المألوفة. فالساعة كانت 4:15 فجرًا؛ الوقت باكر جدًا- ويُستبعد أن تكون حصلت على ثماني ساعات من النوم- ومتأخر جدًا لتنام مجددًا.

بعد أن استيقظت، فكّرت للحظة في ما فقدت، لقد وعدت نفسها بالتوقف عن التفكير في الماضي المرير. في الفترة الأخيرة، خفّ تفكيرها بالماضي، وهذا يمكن اعتباره تقدمًا، شرط ألا تبدأ بالتفكير في ما لم تفقده بعد.

حملت مسدسها وملابسها، وتوجهت إلى الحمام. أغلقت الباب، وثبتته بكرسي مستقيم الظهر، سبق لها أن نقلته من غرفة النوم قبل أن تنام.

كانت خدمة الغرف سيئة لدرجة أن شباك العنكبوت امتدت فوق المغسلة، في خطوط دائرية ولولبية بحجم أكبر من راحة يدها. عند الساعة الحادية عشرة من مساء الأمس، وقبل أن تخلد إلى النوم، لم يكن شيء عالقًا في الشباك سوى عثة، وكانت تكافح، ولكن العثة أصبحت الآن مجرد قشرة شفافة وجوفاء، أما أجنحتها الهشة فقد تمزقت، والآن يهتم العنكبوت بزوج من الحشرات رمادية اللون علقتا في شباكه.

في الخارج، شع ضوء ذهبي لمصباح عبر الزجاج البلوري لنافذة الحمام الصغيرة، التي لم تكن تسمح حتى لطفل بعبورها، وبالتالي لم يكن باستطاعة جين الهروب عبرها إن اقتضى الأمر.

وضعت جين مسدسها على غطاء المرحاض المغلق، وتركت ستارة الفينيل مفتوحة أثناء استحمامها. كانت المياه أكثر سخونة مما توقعت في فندق من فئة النجمتين، أذابت المياه الساخنة وجعًا متراكمًا في عضلاتها وعظامها، لكنها لم تستطع البقاء في الحمام طويلًا كما أرادت.

## 2

كان في حزام معداتها مخازن احتياطية؛ تضع جين سلاحها أسفل إبطها الأيسر، وهذه أفضل طريقة لإخفائه خصوصًا عندما ترتدي السترات الرياضية المصممة خصيصًا لهذا الغرض، بالإضافة إلى المخزن الاحتياطي الذي ثبتته على الحزام، احتفظت باثنين آخرين في جيبي سترتها، يقارب مجموع رصاصاتهما الأربعين، بالإضافة إلى تلك الموجودة في المسدس.

قد يأتي يوم لا تكون فيه الرصاصات الأربعون كافية، ولن يكون لديها ذخائر احتياطية، ولن يكون هناك فريق في سيارة فان قريب منها جاهز للتدخل إن حصل أي طارئ. لقد ولّت هذه الأيام، على الأقل في الوقت الحاضر، وربما ولّت إلى الأبد. لم يكن باستطاعتها التسلح لقتال لا متناهٍ. أيًا يكن الأمر، إن لم تكفِ أربعون رصاصة، فلن تكفي ثمانون ولا ثمانمئة. لم تخدع نفسها بمهاراتها أو قدرتها على التحمّل.

حملت حقيبتيها إلى سيارة الفورد إسكيب، ورفعت باب الصندوق، ووضعتهما في الصندوق، وأغلقت الباب.

أطلقت الشمس التي لم تشرق بعد شعاعًا أو شعاعين، وعكس القمر الفضي اللامع الذي يختفي في الغرب كثيرًا من الضوء لدرجة أن ظلال فوهاته كانت واضحة. لم يبدُ مثل جسم صلب، بل بدا مثل ثقب في سماء الليل، ضوء نقي وخطير يشع من كون آخر.

أعادت مفتاح الغرفة إلى مكتب الاستقبال، الذي جلس خلف طاولته الأمامية رجل حليق الرأس طليق اللحية. سألها إن أعجبتها الإقامة في الفندق؛ وخيّل إليها أنه يطرح هذا السؤال لأنه يتوجب عليه طرحه ليس إلا. كادت تقول: *مع كل الحشرات، أتخيل أن الكثير من ضيوفك هم علماء حشرات*. لكنها لم ترد أن تترك انطباعًا لا ينسى

أكثر من الانطباع الذي كوّنه الرجل عندما تخيّلها عارية. قالت: "كان كل شيء جيّدًا". وخرجت.

عندما سجلت دخولها دفعت نقدًا، واستخدمت إحدى رخص القيادة المزورة الخاصة بها بمثابة بطاقة تعريف عن هويتها. وفقًا لرخصة القيادة فإن المرأة التي غادرت الفندق للتو تُدعى لوسي آيمز وهي من ساكرامنتو.

نقرت الخنافس على المخاريط المعدنية للمصابيح المركبة على سقف الممر المغطى، والتي رمت بظلالها الضخمة على الأرض الخرسانية.

بينما كانت تسير إلى غرفة الطعام المجاورة، والتي كانت جزءًا من الفندق، لاحظت الكاميرات الأمنية، ولكنها لم تنظر مباشرة إلى أي منها، فهي خير من يعلم أن المراقبة أصبحت أمرًا لا مفر منه.

مع ذلك، لم تكن مهتمة سوى بتجنب كاميرات المطارات ومحطات القطار، وغيرها من المرافق الرئيسية، التي رُبطت بحواسيب تعمل في الوقت الحقيقي، وزودت بأحدث برامج التعرف إلى الوجوه. لقد انتهت الأيام التي تسافر فيها بالطائرة، فقد أصبحت السيارة وسيلة سفرها الوحيدة.

عندما بدأ الأمر، كانت ذات شعر أشقر طويل وطبيعي، أما الآن فهي ذات شعر داكن قصير. التغييرات من هذا النوع لا يمكنها أن تخدع برامج التعرف إلى الوجه إن كان من يجريها مطلوبًا للعدالة. لكنها لم تسعَ إلى إخفاء شديد لملامح وجهها قد يلفت إليها انتباهًا غير مرغوب به. كانت خياراتها محدودة في ما يتعلق بتغيير ملامح وجهها وتفاصيله بما يتيح لها خداع هذه البرامج.

## 3

طلبت أومليت الجبن ذات البيضات الثلاث، وشريحة مزدوجة من اللحم المقدد، والنقانق، وزبدة إضافية للتوست، من دون بطاطا مقلية، وكانت القهوة بديلًا من عصير البرتقال؛ نمت على البروتين، ولم تكن تكترث بالكربوهيدرات التي تشعرها بالكسل والتبلد والبطء. لم تقلق بشأن الدهون، لأنه عليها أن تعيش عقدين آخرين لكي تُصاب بتصلب الشرايين.

جلبت النادلة مزيدًا من القهوة. كانت في الثلاثين من عمرها، جميلة كالزهور الذابلة، وشاحبة جدًا ورقيقة جدًا، كما لو كانت الحياة قد غسلتها وبيضتها يومًا بعد يوم. "هل سمعتِ عن فيلادلفيا؟".

"ماذا؟".

"حطّم بعض المجانين طائرة نفاثة خاصة فوق أربعة مسارب خلال ازدحام المرور الصباحي. يقول مراسلو التلفاز إن الطائرة مليئة بالوقود. لقد اشتعلت منطقة يبلغ طولها ميلًا من الطريق السريع، وانهار أحد الجسور، وانفجرت بعض السيارات والشاحنات، وتحاصر النيران بعض المساكين الذين كانوا في تلك المركبات. ذلك فظيع. لدينا تلفاز في المطبخ المشاهد فظيعة. يقولون إنهم يقومون بذلك باسم الله، ولكن الحقيقة أن الشيطان هو من يسكن أرواحهم. ماذا سنفعل؟".

قالت جين: "لا أعلم".

"لا أظن أن أحدًا يعلم".

"لا أظن ذلك أيضًا".

عادت النادلة إلى المطبخ، وانتهت جين من تناول وجبة الإفطار. إن تركتَ الأخبار تفسد شهيتك، فلن تتناول الطعام أبدًا.

## 4

تبدو سيارة الفورد إسكيب السوداء وكأنها سيارة عادية، لكن هذه السيارة تخفي تحت غطاء محركها قوة تتيح لها تجاوز أي سيارة دوّنت كلمتي *للخدمة والحماية*[1] على بابيها الأماميين.

قبل أسبوعين، دفعت جين نقدًا لشراء الفورد في نوغاليس، أريزونا، التي تقع مباشرة خلف الحدود مع المكسيك. سُرقت السيارة في الولايات المتحدة، وأُعطيتْ في المكسيك رقم محرك جديد بعد أن رُفعت قوته، وأعيدت *إلى الولايات المتحدة* لتباع. كانت صالات عرض البائع عبارة عن سلسلة من الحظائر في مزرعة خيول سابقة؛ لم يعلن عن بضاعته قط، ولم يصدر أي إيصال أو يدفع أي ضرائب. وكان يُقدم

---

(1) يُقصد بذلك أنها أسرع من سيارات الشرطة. (المترجم)

بناءً على طلب الزبون لوحتي ترخيص كنديتين، وبطاقة تسجيل شرعية من قسم السيارات في بريتش كولومبيا.

عندما انبلج الفجر، وتلاشت عتمة الليل، كانت في أريزونا، تتجه غربًا على الطريق السريع 8. فتحولت السحب العالية من اللون الوردي إلى المرجاني، قبل أن تتلون السماء بلون شديد الزرقة. أحيانًا خلال الرحلات البرّيّة الطويلة، كانت تستمع إلى الموسيقى؛ باخ، بيتهوفن، برامز، موزارت، شوبان. لكنها فضّلت الصمت هذا الصباح، فبالنظر إلى حالتها المزاجية لن تستسيغ أفضل أنواع الموسيقى.

بعد أن عبرت أربعين ميلًا منذ شروق الشمس، عبرت خط الولاية إلى أقصى جنوب كاليفورنيا. خلال الساعة التالية، انخفضت السحب البيضاء الصوفية المرتفعة، واجتمعت في كتلة رمادية. بعد ساعة أخرى، أصبحت السماء أكثر قتامة، وكآبة، وسوداوية.

بالقرب من الجهة الغربية لغابة كليفلاند الوطنية، خرجت من الطريق السريع عند بلدة آلباين، حيث عاش الجنرال غوردون لامبرت مع زوجته. في الليلة السابقة، استعانت جين بأحد أدلتها القديمة، ولكن المفيدة، وهو دليل خرائط لولبي، وكانت جين متأكدة أنها تعرف كيف تجد المنزل.

بالإضافة إلى التعديلات الأخرى التي أدخلت على الفورد إسكيب في المكسيك، أزيل نظام تحديد المواقع العالمي بأكمله، بما في ذلك جهاز الإرسال والاستقبال الذي يتيح استمرار تتبعها عبر الأقمار الصناعية ووسائل أخرى. لم يكن هناك جدوى من أن تكون خارج الشبكة إذا كانت السيارة التي تقودها متصلة بها مع كل دورة للإطارات.

بالرغم من أن المطر كان طبيعيًا مثل أشعة الشمس، وبالرغم من أن الطبيعة تعمل من دون نوايا مسبقة، إلا أن جين رأت خبثًا في العاصفة القادمة. في الآونة الأخيرة، اختبرت حبها للطبيعة من خلال إدراكها غير المنطقي وإنما المحسوس، أن الطبيعة تتواطأ مع الإنسان في مشاريعها الشريرة والمدمرة.

# 5

عاش أربعة عشر ألف نسمة في آلباين، ومن المؤكد أن نسبة منهم تؤمن بالقدر. أقل من ثلاثمئة كانوا من الهنود الكومياي الذين شغّلوا كازينو فيغاس. لم تكن جين مهتمة بألعاب الحظ، لأن كل دقيقة من حياتها كانت عبارة عن رمية نرد مستمرة، ولم يكن بإمكانها التعامل مع قدر أكبر من ألعاب الحظ.

وسط البلدة الحدودية الجذابة كان عبارة عن منطقة مليئة بأشجار الصنوبر والبلوط. في الواقع، يعود بعض المباني إلى طراز الغرب القديم، لكن المباني الأخرى الأكثر حداثة تبتعد عن هذا النمط بدرجات متفاوتة، وقد أشار العدد الكبير لمتاجر التحف، والمعارض، ومحلات الهدايا، والمطاعم في وسط البلدة التجاري إلى أن السياحة الدائمة على مدار السنة سبقت الكازينو.

تبعد سان دييغو؛ وهي ثامن أكبر مدينة في البلاد، ثلاثين ميلًا وتقع على ارتفاع ثمانمئة قدم، حيث يعيش مليون شخص على الأقل بالقرب من بعضهم. على مرّ الزمن كانت الحاجة مُلحّة للهروب من المدن التي تشبه قفران النحل إلى أماكن أقل ضجيجًا.

يقع منزل لامبرت المطلي بالأبيض وذو النوافذ السوداء عند أطراف آلباين، على مساحة نصف فدان من الأرض، ويمتلك فناء أماميًا مسورًا، أما شرفته فقد أُثثت بكراسي الخيزران. رفرف العلم بلونيه الأحمر والأبيض بلطف بفعل النسيم على الصاري في الجهة الشمالية الشرقية من المنزل وبرز بنجومه الخمسين في السماء القاتمة.

أتاحت حدود السرعة البالغة خمسة وعشرين ميلًا في الساعة لجين المرور ببطء من دون أن تبدو وكأنها تتسكع في المكان. لم ترَ شيئًا غير مألوف، ولكن إن شكّوا باحتمال قدومها إلى هنا بسبب المصاب الذي تتشاركه مع جوينيث لامبرت، فما من شك أنهم سيكونون حذرين ومتخفين.

عبرت من أمام أربعة منازل أخرى قبل أن ينتهي الشارع إلى طريق مسدود. هناك استدارت، وركنت الإسكيب عند قارعة الطريق، بحيث كانت مقدمة السيارة إلى الجهة التي أتت منها.

انتصبت هذه المنازل على تل يطل على بحيرة إل كابيتان. اتبعت جين مسارًا ترابيًا عبر غابة مفتوحة، ثم سارت على منحدر خالٍ من الأشجار ذي عشب بكر قصير سيصبح ذهبيًا كالقمح في منتصف الصيف. عندما بلغت الشاطئ انحرفت جنوبًا حيث مسحت البحيرة بنظرها، والتي بدت في حالة من الهدوء والغموض بسبب انعكاس الغيوم على سطحها الهادئ. ولم تغفل مسح المنازل التي تقع إلى يسارها، فحدقت إليها كما لو أنها معجبة بهندسة كل منزل منها.

أشارت الأسوار إلى أن العقارات تشغل فقط الأراضي المسطحة أعلى التل. تكرر ظهور الأسوار البيضاء التي كانت في مقدمة منزل لامبرت على طول الطريق.

مشت خلف منزلين آخرين قبل أن تعود لتصعد المنحدر الذي يؤدي إلى منزل لامبرت. عندما أُغلقت البوابة خلفها، نظرت إلى النوافذ، التي سُحبت ستائرها جانبيًا، ورُفعت الأباجورات لإدخال أكبر قدر ممكن من ضوء النهار الكئيب. لم ترَ أحدًا يحدق إلى البحيرة أو يراقبها.

سارت بجوار السور حول المنزل. إلى جانب الغيوم المنخفضة وحفيف العلم بفعل النسيم، فاحت رائحة إما من المطر القادم أو من مياه البحيرة. صعدت درجات قادتها إلى الشرفة، ورنت الجرس.

بعد برهة، فتحت الباب امرأة نحيلة وجذابة في العقد الخامس من عمرها. كانت ترتدي جينزًا وسترة وفوقهما مئزر يصل إلى حدود ركبتيها مزيّن برسومات الفراولة.

سألتها جين: "هل أنت السيدة لامبرت؟".

"أجل؟".

"يجمعنا شيء سيدتي، أرغب بالتحدث بشأنه".

رفعت جوينيث لامبرت حاجبيها مستغربة وابتسمت ابتسامة مجاملة.

قالت جين: "كلانا متزوجة من أحد مشاة البحرية".

"حسنًا. كيف يمكنني مساعدتك؟".

"نحن أيضًا أرملتان، وأعتقد أن الأشخاص أنفسهم هم المسؤولون عن جعلنا أرملتين".

# 6

فاحت رائحة البرتقال من المطبخ، كانت جوين لامبرت تخبز كمية كبيرة من فطائر الماندرين بالشوكولاتة، وكان من المستحيل عدم افتراض أنها تشغل نفسها لكي تمنع نفسها من الانهيار بسبب حزنها.

على سطح حوض المطبخ كان هناك تسعة أطباق، وُضع في كل واحد منها نصف دزينة من الفطائر المبردة والمغطاة بغلاف بلاستيكي، يبدو أنها كانت سترسل هذه الأطباق إلى جيرانها وأصدقائها، وكان هناك طبق عاشر على طاولة المطبخ لا تزال فطائره ساخنة، وكانت هناك فطائر تُخبز في الفرن.

جوين واحدة من أساتذة المطبخ المذهلين الذين ينتجون عجائب الطهي من دون أي أثر لتلويث المطبخ. لا توجد أواني خلط أو أطباق متسخة في الحوض. لا طحين يملأ بلاط حوض غسيل الأطباق، ولا فتات على الأرض.

بعد أن رفضت الفطائر، قبلت جين كوبًا من القهوة السوداء، وجلست مع مضيفتها إلى الطاولة متقابلتين، تصاعد البخار العطر بشكل هادئ من كوب القهوة.

سألتها جوين: "هل قلت إن نِك كان برتبة ملازم؟".

استخدمت جين اسمها الحقيقي. تطلبت العلاقة بينها وبين جوين أن تظل هذه الزيارة سرية. في ظل هذه الظروف، إن لم تستطع الوثوق بزوجة أحد مشاة البحرية، فلن تثق بأحد.

صححت جين: "كان برتبة عقيد. وكانت شارته نسرًا فضيًا".

"بعمر الاثنين وثلاثين عامًا فقط؟ شاب بمثل هذا النوع من الهمة من السهل عليه الحصول على النجوم في وقت قصير".

كان زوج جوين، غوردن، برتبة ملازم، ثلاث نجوم، رتبة واحد أقل من أعلى الضباط في السلك.

قالت جين: "حصل نِك على وسام صليب البحرية بالإضافة إلى صندوق كامل مليء بالأشياء الأخرى".

وسام صليب البحرية أدنى بمرتبة واحدة من وسام الشرف. كان نِك متواضعًا، لم يتحدث عن ميدالياته والتنويهات التي يحصل عليها، لكن جين شعرت في بعض

الأحيان بالحاجة إلى التباهي به، لإثبات أنه عندما كان حيًا، كان يعمل لتكون البلاد مكانًا أفضل لقاطنيها. "فقدته منذ أربعة أشهر. مضى على زواجنا ستة أعوام".

قالت جوين: "عزيزتي، لا بد أنك كنت عروسًا صغيرة".

"كنت في الحادية والعشرين. كان الزفاف بعد أسبوع من تخرجي من كوانتيكو وقبولي في المكتب".

بدت جوين مندهشة: "هل أنتِ من مكتب التحقيقات الفدرالي؟".

"أنا في إجازة الآن. التقينا عندما كان نِك في مهمة لقيادة تطوير الفيلق في كوانتيكو. لم يتقرب مني، فكان عليّ أن أتقرب منه. لقد كان أجمل شيء رأيته على الإطلاق، وأنا عنيدة في الحصول على ما أريد". تفاجأت عندما انقبض قلبها وارتجف صوتها: "أحيانًا تبدو هذه الأشهر الأربعة وكأنها أربع سنوات... ثم كأنها أربع ساعات فقط". أفزعها طيشها. "اللعنة، أنا آسفة. خسارتك حديثة أكثر من خسارتي".

لوّحت جوين بيديها في إشارة منها أن لا ضرورة للاعتذار، وقد انهمرت الدموع من عينيها: "بعد مرور عام على زواجنا -كان العام 1983 - كان غوردن في بيروت عندما فجّر الإرهابيون ثكنات مشاة البحرية، وقتلوا مئتين وعشرين شخصًا. أمضى أوقاتًا كثيرة في أماكن سيئة، تخيلته ميتًا ألف مرة. اعتقدت أن كل هذا التخيل سيجهزني للتعامل مع موته إذا طرق أحدهم ذو ملابس زرقاء على بابي مع إشعار كيا. لكنني لم أكن مستعدة... للطريقة التي حدث بها ذلك".

وفقًا للمقالات، يوم السبت قبل أسبوعين ونيف، عندما كانت زوجته في السوبر ماركت، خرج غوردن من البوابة الخلفية للسور، وسار على التل إلى شاطئ البحيرة. كان يحمل بندقية قصيرة الماسورة، جلس بالقرب من الماء، وأولى ظهره للأرض العشبية، وبما أن ماسورة البندقية كانت قصيرة، تمكن من الوصول إلى الزناد. شاهده راكبو القوارب في البحيرة وهو يطلق النار على نفسه بعد أن وضع الفوهة في فمه. عندما عادت جوين إلى المنزل، وجدت الشارع مليئًا بسيارات الشرطة، وبابها الأمامي مفتوحًا، ومنذ تلك اللحظة تغيرت حياتها إلى الأبد؟

قالت جين: "أريد أن أسألك ما لم يكن لديك مانع..."

"إنني أتألم بشدة، لكنني لست محطمة. اسألي".

"هل كان برفقته أحد؟".

"لا، كان بمفرده. شاهدته المرأة في المنزل المجاور يتجه إلى البحيرة وحيدًا، وهو يحمل شيئًا بيده، إلا أنها لم تعرف أنه سلاح".

"هل استُجوب راكبو القوارب الذين شاهدوا ما حصل؟".

بدت جوين في حيرة: "استجوبوا؟".

"ربما كان زوجك سيقابل شخصًا ما، ربما أخذ البندقية ليحمي نفسه منه".

"أتعنين أنها ربما كانت جريمة قتل؟ لا يمكن أن تكون كذلك. كان هناك أربعة قوارب في المنطقة. شاهده ما لا يقل عن ستة أشخاص".

لم ترغب جين في طرح السؤال التالي لأنه قد يبدو اتهامًا بأن زواجهما كان يواجه المشاكل. "هل كان زوجك... هل عانى غوردن من الاكتئاب؟".

"أبدًا. بعض الناس يلقون الأمل بعيدًا. لكن غوردن كان متفائلًا على الدوام".

قالت جين: "يبدو مثل نِك، رأى في كل مشكلة اعترضت طريقه تحديًا، وكان يحب التحديات".

"كيف حدث ذلك يا عزيزتي؟ كيف فقدته؟".

كنت أُعد العشاء. ذهب إلى الغرفة. عندما لم يعد، وجدته يجلس في حوض الاستحمام، مرتديًا كامل ملابسه، لقد استخدم سكينًا خاصًا، لجز رقبته بعمق لدرجة أنه قطع شريانه السباتي الأيسر".

# 7

كان شتاء رطبًا، وهو الثاني من هذا النوع في غضون خمس سنوات. في السنوات الفاصلة بين شتاءات النينيو تكون الأمطار عادية، إلا أن النينيو هو شذوذ في نمط المناخ السائد في الولاية، ويضع حدًا لفترة من الجفاف. بدا الضوء الذي يعبر النوافذ خافتًا، كما لو أن الغسق بدأ يلقي بسدوله، وكانت البحيرة في الأسفل منقطة باللون الأبيض، وتحرك النسيم على سطحها، الذي بدا كالزجاج، كما لو أنه ثعبان كبير في ظل العاصفة المنتظرة.

في الوقت الذي أخرجت جوين الفطائر الجاهزة من الفرن، ووضعت الصينية على لوح التبريد، بدا أن صوت ساعة الحائط يعلو أكثر. خلال الشهر الماضي، كانت

الساعات من جميع الأنواع تعذّب جين بشكل دوري. بين الحين والآخر، اعتقدت أنه يمكنها سماع ساعة يدها تدق بصوت خافت، وأصبح الأمر مزعجًا لدرجة أنها خلعتها ووضعتها بعيدًا في صندوق السيارة الأمامي، وعندما تكون في فندق، كانت تحملها وتضعها تحت وسادة الكرسي حتى تحتاج إليها. إن كان الوقت ينفد بالنسبة إليها، فهي لا تريد أن تُذَكّر بذلك على الدوام.

في الوقت الذي سكبت فيه جوين القهوة الطازجة لهما، سألتها جين: "هل ترك غوردن ملاحظة؟".

"لم يترك ملاحظة، ولا رسالة نصية، ولا بريدًا صوتيًا. لا أعلم أيجدر بي أن أكون سعيدة أم لا لأنه لم يفعل". أعادت الإناء إلى آلة صنع القهوة، وجلست مجددًا على كرسيها.

حاولت جين تجاهل الساعة، ما من شك أنها كانت تتخيل ارتفاع صوتها. "احتفظ نِك بمفكرة وقلم في درج غرفة النوم، استخدمهما لكتابة وداع أخير، إن يمكننا وصف الأمر على هذا النحو". جمّدت غرابة تلك الجمل الأربع حجرات قلبها في كل مرة فكرت فيها. اقتبست: "هناك خطب ما فيّ. أنا بحاجة، أنا بحاجة ماسة، أنا بحاجة ماسة إلى الموت".

رفعت جوين فنجان القهوة، ثم أعادته من دون أن تشرب منه: "يبدو الأمر غريبًا أليس كذلك؟".

"اعتقدت ذلك. يبدو أن الشرطة والأدلة الجنائية يعتقدان ذلك أيضًا. كانت الجملة الأولى بخطه الصغير والدقيق، ولكن نوعية خط الجمل الأخرى تدهورت بشكل واضح، كما لو أنه كان يكافح من أجل السيطرة على يده".

حدقتا إلى خارج النافذة، وتشاركتا الصمت، ثم قالت جوين: "كم هو فظيع أن تكوني الشخص الذي وجده".

تلك الملاحظة لم تحتج إلى ردّ.

قالت جين وهي تنظر إلى فنجان القهوة كما لو أن مستقبلها قد يُقرأ في نقوش الضوء المنعكس الناتج عن تركيبات السقف: "انخفض معدل الانتحار في الولايات المتحدة إلى حوالى عشرة ونصف لكل مئة ألف شخص في أواخر القرن الماضي. لكن

في العقدين الماضيين، عاد المعدل ليبلغ اثني عشر ونصفًا. في نيسان الماضي، بدأ المعدل بالصعود. وبحلول نهاية العام، كان المعدل السنوي أربعة عشر لكل مئة ألف".

عندما سمعت جوين الأرقام، أسقط بيدها، لكنها لا تزال تجهل ارتباط هذه الأرقام بمصرع نِك، عندما نظرت إلى الأعلى، رأت جين تنظر إليها بحماسة أكثر من ذي قبل.

"عزيزتي، هل تخبرينني أنك تقومين ببحث؟ أنت تقومين بذلك بالفعل، وهناك أشياء تودين الاستفسار عنها، أليس كذلك؟".

هناك الكثير لتقوله، لكن جين لم ترد قول الكثير وتعريض الأرملة لامبرت للخطر.

ضغطت جوين عليها: "لا تقولي لي إننا عدنا إلى حرب باردة من نوع ما بكل أساليبها القذرة. هل هناك الكثير من العسكريين بين المنتحرين؟".

"عدد غير قليل، ولكنه ليس حصة غير متناسبة. فالمنتحرون يتوزعون على الأطباء، والمحامين، والمعلمين، والشرطة، والصحفيين... لكنها حالات انتحار غير عادية. أشخاص ناجحون ليس لديهم تاريخ بالاكتئاب أو المشاكل العاطفية أو الأزمات المالية. إنهم لا يشبهون أبدًا أولئك الذين لديهم ميول انتحارية".

هبّت الرياح على المنزل، فحركت الباب الخلفي كما لو أن شخصًا يحاول فتحه ليتأكد إن كان مقفلًا أم لا.

لوّن الأمل وجه المرأة، وجلب حيوية إلى عينيها. لم يسبق لجين أن رأتها على هذا النحو: "هل تقولين باحتمال أن غوردن كان مخدرًا أو شيئًا من هذا القبيل؟ وأنه لم يكن يعرف ما يُقدم عليه عندما أخذ البندقية؟ هل هناك احتمال..."

"لا أعلم يا جوين. لديّ أجزاء صغيرة أحاول أن أجمعها، ولكنني حتى الآن لا أستطيع معرفة ما الذي تعنيه، هذا إن كانت تعني شيئًا أصلًا". جرّبت القهوة، لكنها شربت ما يكفي منها. "هل مرّت فترات في العام الماضي لم يكن فيها غوردن بخير؟".

"أُصيب مرة بنزلة برد، وعانى من بعض المشاكل في أسنانه".

"دوار؟ اختلاط ذهني؟ صداع؟".

"لم يكن غوردن يُصاب بالصداع، ولم يكن يعاني من أي شيء".

"شيء يلفت الانتباه مثل داء الشقيقة الحاد، حساسية تجاه الأضواء الوامضة".

رأت أن ذلك لفت انتباه الأرملة لامبرت.

"متى كان ذلك يا جوين؟".

"في مؤتمر WIC، مؤتمر (ماذا لو)، أيلول الماضي في فيغاس".

"(ماذا لو؟)".

"يجمع معهد غيرنسباك مجموعة من علماء المستقبل، وكتّاب الخيال العلمي لمدة أربعة أيام، في جلسات من العصف الذهني ليفكروا بطريقة مبتكرة في قضايا تتعلق بأمور الدفاع الوطني، والتهديدات التي لا نركّز عليها والتي قد تكون أكبر مما نعتقد بعد سنة، عشر سنوات، عشرين سنة؟".

وضعت يدها على فمها، وقطّبت حاجبيها.

سألتها جين: "ما الأمر؟".

هزّت جوين كتفيها. "لا شيء، فكّرت إن كان يجدر بي التحدث عن المؤتمر، ولكنني تذكرت أنه لم يكن مؤتمرًا سريًا، فقد حظي بتغطية إعلامية كبيرة على مرّ السنوات، فالمؤتمر يدعو أربعمئة شخص من رواد التفكير والمستنيرين - ضباط من شتى القطاعات، وعلماء بارزين، ومهندسين من كبار مقاولي الدفاع - للاستماع إلى اللجان وطرح الأسئلة. إنه شيء جيد. والزوجات مرحّب بهن. نحن النساء نحضر العشاءات والمناسبات الاجتماعية، ولكننا لا نشارك في جلسات العصف الذهني. بالمناسبة، إنها ليست رشوة من أي نوع".

"لم أفكر أنها كانت كذلك".

"المعهد مؤسسة غير ربحية وغير سياسية، لا علاقة له بمقاولي الدفاع. عندما تتلقين دعوة، يتعين عليك دفع تكاليف السفر والإقامة. رافقت غوردن إلى ثلاثة مؤتمرات، وقد أحبها كثيرًا".

"ولكن في العام الماضي، أصابته نوبة شقيقة في المؤتمر؟".

"نوبة الشقيقة الأولى في حياته. في صباح اليوم الثالث، بقي مستلقيًا في السرير لست ساعات. أصررت على الاتصال بمكتب الاستقبال والعثور على طبيب. لكن غوردن كان يعتقد أنه يستطيع التعامل بنفسه مع أي طارئ صحي أقل خطورة من جرح

تتسبب به رصاصة، أنت تعرفين كيف يحب الرجال أن يثبتوا لأنفسهم أنهم أقوياء ومسيطرون".

استرجعت جين ذكرى: "كان نِك يعمل في النجارة، وجرح يده عندما انزلق إزميله. ربما احتاج إلى أربع أو خمس غرزات. لكنه نظّف الجرح بنفسه، وعقّمه، ولفّه بإحكام بشريط لاصق. اعتقدت أنه سيموت بسبب تسمم الدم أو أنه سيفقد يده، واعتقد أن قلقي كان لطيفًا جدًا. لطيف! كنت أرغب في صفعه. في الحقيقة، لقد صفعته".

ابتسمت جوين: "هذا جيّد. على أي حال، اختفت نوبة داء الشقيقة بحلول وقت الغداء، ولم يتغيب غوردن إلا عن جلسة واحدة فقط. عندما لم أتمكن من إقناعه برؤية طبيب، ذهبت إلى المنتجع الصحي، وحصلت له على جلسة تدليك ممتازة. ولكن كيف عرفت عن الشقيقة؟".

"أحد الأشخاص الآخرين الذين قابلتهم، وهو أرمل من شيكاغو، أصيبت زوجته بنوبة داء الشقيقة الأولى والأخيرة قبل شهرين من انتحارها شنقًا في مرأبهما".

"هل كانت في مؤتمر (ماذا لو)؟".

"لا. أتمنى لو كان الأمر بهذه البساطة. لا يمكنني العثور على روابط مثل هذه بين عدد كبير منهم. مجرد خيوط واهنة، اتصالات ضعيفة. كانت تلك المرأة رئيسة لمنظمة غير ربحية تخدم الأشخاص ذوي الإعاقة، كانت سعيدة ومنتجة ومحبوبة من قبل الجميع".

"هل أصيب نِك بنوبة داء شقيقة أيضًا؟".

"لم يذكر أمرًا كذلك. الانتحار المريب الذي يثير اهتمامي... في الأشهر التي سبقت انتحارهم، اشتكى البعض من الدوار الخفيف، أو أحلام غريبة وانفعالية، أو رعاش في الفم واليد اليسرى. ولكن هذه الأعراض كانت تزول في غضون أسبوع أو أسبوعين. عانى البعض من مذاق مر غير دائم، أشياء مختلفة ومعظمها ثانوي. لكن نِك لم يكن لديه أي أعراض غير عادية. أبدًا".

"هل قابلتِ أحباء هؤلاء الناس؟".

"نعم".

"كم عددهم؟".

"اثنان وعشرون حتى الآن، بمن فيهم أنت". قالت جين وهي تقرأ تعبير جوين: "نعم، أعلم، إنه هوس. ربما تكون مهمة حمقاء فاشلة".

"إنها ليست كذلك يا عزيزتي. أحيانًا يصعب تخطي الأمر. إلى أين ستتوجهين بعد أن تنتهي من مقابلتي؟".

"هناك شخص بالقرب من سان دييغو أود التحدث إليه". أسندت ظهرها إلى الكرسي. "ولكن مؤتمر (ماذا لو) هذا في فيغاس لا يزال يثير اهتمامي. هل لديك أي شيء من المؤتمر، كتيب، أو ربما برنامج لتلك الأيام الأربعة؟".

"ربما يكون هناك شيء في غرفة غوردن في الطابق العلوي. سأصعد وأرى، هل تريدين المزيد من القهوة؟".

"لا، شكرًا. تناولت الكثير على الفطور. ما أحتاج إليه هو حمام".

"يوجد حمام صغير خارج المطبخ. رافقيني، سأريك".

بعد دقيقتين، في الحمام الصغير النظيف الخالي من العناكب، بينما كانت جين تغسل يديها، نظرت إلى انعكاس وجهها في المرآة، ولم تكن المرة الأولى التي تتساءل فيها إن كانت هذه الرحلة التي شرعت فيها منذ شهرين هي إحدى أسوأ المغامرات التي يمكن للمرء أن يقدم عليها. فلديها الكثير لتخسره، وكانت خسارتها لحياتها أقل ما تفكر فيه.

عندما خرجت من الحمام، سمعت صوت إطلاق رصاصة في الطابق العلوي.

# 8

سحبت جين مسدسها، أمسكته بكلتا يديها، فوهته موجهة إلى اليمين نحو الأرض. لم يكن سلاح مكتب التحقيقات الفدرالي، ولم يُسمح لها بحمل ذلك السلاح أثناء إجازتها. لقد أحبّت هذا السلاح كثيرًا، وربما كان أفضل سلاح من نوع هيكلر أند كوش.

ما من شك أن الصوت الذي سمعته هو صوت رصاصة، لم يسبقه أو يتبعه صراخ ولا وقع خطوات، إنها واثقة أن أحدًا لم يتبعها من أريزونا. وإن كان هناك من شخص

ينتظرها كان ليقضي عليها عندما كانت تجلس على طاولة المطبخ، وعندما لم تكن مستعدة للدفاع عن نفسها.

ربما كان هناك من يحتجز جوين، وأطلق رصاصة ليحمل جين على الصعود إلى الطابق الثاني. لم يكن هذا منطقيًا، ولكن معظم الأشرار كانوا مدفوعين بالعاطفة، ولا يهتمون كثيرًا بالمنطق والعقل. فكّرت في احتمال آخر، لكنها لم ترغب في الذهاب إلى هناك بعد.

إن كان للمنزل أدراج خفية، فمن المحتمل أن تكون في المطبخ. لكنها لم تلحظ أي منها، هناك بابان مغلقان. أحدهما بالطبع باب المخزن وعلى الأرجح أن يكون الثاني باب المرأب أو غرفة الغسيل، وبناء على استنتاجاتها، ما من درج سوى الدرج الأمامي.

لم تحب جين الأدراج، لأنها لا تحتوي على أي أماكن لتفادي إطلاق النار، وعندما يكون المرء على الدرج لا يعود بإمكانه التراجع، لأنه بذلك سيولي ظهره لمطلق النار، فبمجرد أن يصعد المرء درجًا، لا يعود أمامه من خيار سوى التقدم، فسياجا الدرج هما بمثابة مساحة للتصويب الحر لا ملجأ خلفهما.

أحنت جسدها، وصعدت الدرج، قلبها يطرق مثل طبلٍ في مهرجان. إنها خائفة، ولكنها تعلم ما الذي يجدر بها القيام به، فقد سبق لها أن قامتً به؛ سبق لأحد مدربيها أن قال لها إنها بمثابة راقصة بالية من دون ملابس راقصة، عليها معرفة الحركات، وأين تنفذها بالضبط، وعندما ينتهي العرض، ستُرمى الأزهار مجازيًا على قدميها.

الاستراحة الأخيرة في الدرج، هي المكان المناسب لمحترف كي يقضي عليها. إذا صوبت نحو الأسفل، سيكون مسدسه تحت مستوى العين تمامًا. وإذا صوبت نحو الأعلى، ستكون في مرمى نيرانه، وهذا سيمنحه فرصة أكبر.

وصلت أعلى الدرج، ولم يصبها مكروه.

لا تزال تتقدم وهي محنية الجسد، وبجوار الحائط، تمسك المسدس بكلتا يديها، وتمد ذراعيها. توقفت وأصغت السمع، لم تشعر بوجود أحد في الطابق العلوي.

حان الآن وقت اكتشاف ما يوجد خلف الأبواب، وهذا أمر سيئ بسوء صعود الدرج. عبرت العتبة، ولسوء حظها، كانت جوين لامبرت تجلس على كرسي بذراعين

في غرفة النوم الرئيسية، ورأسها يتدلى إلى اليسار، وكانت ذراعها اليمنى في حضنها، ولا تزال تمسك بالمسدس بيد مرتخية. دخلت الرصاصة عبر صدغها الأيمن، واخترقت دماغها، وعبرت الصدغ الأيسر، وهذا أدى إلى تناثر العظام والشعر وأمور أسوأ على السجادة.

## 9

لم يبدُ المشهد تمثيليًا، بل كان انتحارًا حقيقيًا. لا صراخ قبل إطلاق النار، ولا خطوات أو صوت آخر بعد ذلك. فقط الحركة والفعل، والرعب أو الراحة أو الندم في اللحظة التي فصلت بينهما. فُتح درج المنضدة بجانب السرير، حيث تم الاحتفاظ بسلاح الدفاع عن المنزل.

بالرغم من أن جين لم تعرف جوينيث لفترة طويلة بما يكفي لتحزن عليها، ولكنها شعرت بحزن عميق وغضب حاد، فموتها لم يكن انتحارًا عاديًا، ولا نتيجة للقلق أو الاكتئاب، فبالنسبة إلى امرأة فقدت زوجها منذ أسبوعين، كانت جوين متأقلمة مع ظروفها بشكل جيد، تخبز الفطائر، لتأخذها إلى الأصدقاء الذين دعموها في محنتها الحالية، وكانت تتطلع إلى المستقبل. بالإضافة إلى ذلك، من القليل الذي عرفته عنها، كانت متأكدة أن جوين ما كانت لتعذب أرملة حزينة مرة أخرى من خلال وضعها في موقف تكون فيه أول من يكتشف جريمة انتحار أخرى.

عندما سمعت صافرة، أبعدت عينيها عن المرأة المنتحرة، وسحبت مسدسها، إلا أنها لم ترَ أحدًا. لقد أتى الصوت من الغرفة المجاورة، وعندما اقتربت بحذر من الباب المفتوح، تبيّن لها أن الصافرة أتت من الهاتف إشارة إلى أن السماعة لم تكن في مكانها.

عبرت العتبة إلى غرفة غوردن لامبرت. عُلقت على جدران الغرفة صورة له عندما كان شابًا يرتدي بذلة المارينز مع أحد رفاقه في مكان غريب. بدا غوردن طويلًا ووسيمًا، ورأت صورة أخرى تجمعه مع ضابط آخر وإلى جانبهما علم يرفرف في أحد ميادين المعارك.

تتبعت السلك الملفوف، كانت سماعة الهاتف على السجادة. أخرجت من جيب سترتها، منديلًا قطنيًا حملته من دون أي غرض سوى تجنب بصمات الأصابع،

وحملت سماعة الهاتف، تساءلت مع من تحدثت جوين قبل اتخاذ قرارها. رفعت الهاتف، وضغطت زر إعادة الاتصال التلقائي، لكنها لم تحصل على شيء.

لقد صعدت جوين إلى الأعلى متظاهرة بالبحث عن كتيب أو برنامج من مؤتمر (ماذا لو). ذهبت جين إلى المكتب، وفتحت درجًا. رنّ الهاتف، لم تكن متفاجئة، ولم يكن هناك كاشف لهوية المتصل. التقطت السماعة، لكنها لم تقل شيئًا. قابل صمتها صمت من المتصل، ربما كانت مكالمة خاطئة بسبب خلل في النظام أو أن أحدهم اتصل برقم خاطئ. سمعت موسيقى في الخلفية، وهي أغنية قديمة لفرقة أميركا، مسجلة قبل ولادتها: *حصان بلا اسم*.

أول ما قامت به هو إنهاء المكالمة.

بالنظر إلى العقارات الكبيرة في هذا الحي، من غير المحتمل أن يسمع أحد صوت الرصاصة، بالرغم من ذلك توجب عليها العمل بسرعة.

# 10

ربما كان هناك شخص قادم، وربما لم يكن هناك شرطي في الجوار، ولكن المنطق يفترض بها توقع زوار معادين. لم يكن لديها وقت للبحث في مكتب المرحوم.

في الطابق الأرضي، مسحت كل شيء تذكرت أنها لمسته. غسلت فنجاني القهوة والملاعق بسرعة. بالرغم من أنه لا يمكن لأحد أن يسمع، إلا أنها أدت كل مهمة بهدوء.

أسبوعًا بعد أسبوع، أصبحت أكثر هدوءًا في كل شيء، كما لو أنها كانت تستعد قريبًا لتكون شبحًا صامتًا إلى الأبد.

عندما غادرت المنزل من الباب الأمامي، شعرت كأنها ملاك الموت. جاءت، ماتت امرأة، غادرت. قال البعض إنه في يوم من الأيام لن يكون هناك موت. إذا كانوا محقين، فهذا يعني أن الموت يمكن أن يموت أيضًا.

بينما كانت تسير بالقرب من منازل الجيران، لم ترَ أحدًا يقف خلف نافذة، ولا أحدًا على شرفة، ولا طفلًا يلعب، ربما لأن الجميع كانوا يخشون خطر العاصفة القادمة. كانت الأصوات الوحيدة هي تلك التي تسببت بها الرياح القوية التي تحرك الأشياء.

قادت سيارتها إلى نهاية الحي، حيث يمكنها أن تتجه يسارًا أو أن تواصل السير بشكل مستقيم. سارت نصف ميل، وانعطفت يمينًا ثم يسارًا، من دون أن تفكر في وجهة محددة، وبين الفينة والأخرى ألقت نظرة على مرآة الرؤية الخلفية، لتتأكد أنه ما من أحد يتبعها، وجدت الطريق السريع، وسلكته غربًا نحو سان دييغو.

قد يأتي اليوم الذي ستسقط فيه الأرض تحت مراقبة دقيقة ومستمرة، لدرجة أن المركبات التي لا تحتوي على أجهزة إرسال واستقبال لن تكون أقل قابلية للتتبع من تلك المجهزة بها. في مثل عالم مراقب إلى هذا الحدّ، ما كانت لتصل إلى منزل لامبرت في المقام الأول.

# 11

في إحدى ليالي تشرين الثاني الماضي، قبل ستة أيام من وفاة نِك، بينما كانت تنتظره في الفراش وهو ينظف أسنانه، شاهدت تقريرًا في أخبار التلفاز أثار اهتمامها، وفي الآونة الأخيرة تذكرته مرارًا وتكرارًا، كما لو أنه ذا صلة بما تعاني منه حاليًا.

كان التقرير عن العلماء الذين يطورون مزروعات الدماغ باستخدام البروتينات الحساسة للضوء والألياف الضوئية. قالوا إن لدينا محادثة لا تنتهي مع أدمغتنا: حواسنا "تدوّن" المعلومات، أدمغتنا تفسرها و"تقرأ" التعليمات. تم إجراء التجارب التي يمكن فيها للغرسات الدماغية أن تأخذ تعليمات الدماغ وتنقلها إلى نقاط انهيار الاتصال، مثل السكتة الدماغية وتلف الأعصاب الشوكية، الأمر الذي يتيح لمن يعانون من شلل نصفي تشغيل الأطراف الاصطناعية بمجرد التفكير في تحريكها. مع هذه الغرسات قد يتمكن الأشخاص المصابون ببعض أمراض الخلايا العصبية الحركية التي تحول دون تحريكهم لأجسادهم، أو حتى تمنعهم من القدرة على الكلام، من التفكير بما يريدون قوله، وستعالج برمجيات أفكارهم، وتترجمها إلى نبضات مضيئة بواسطة بروتينات حساسة للضوء، وتحولها إلى كلام بواسطة الحاسوب.

في ذلك الوقت، تعجبت جين من السرعة الكبيرة التي تتغير بها الأشياء، حيث بدا المستقبل وكأنه يأتي بسرعة بعالم من المعجزات والعجائب.

الآن، وفي ظل العالم المرعب والعنيف الذي تجد جين نفسها عالقة فيه، والذي يفترض أن لا يكون لهذا التقرير الإخباري القديم أي صلة به، إلا أنها تتفاجأ أنها لا تزال تتذكره، كما لو أنه أمر في غاية الأهمية.

ربما لم تتذكر التقرير لمحتواه، ولكن بسبب ما قاله نِك بعد ذلك بوقت قصير. لقد جاء إلى الفراش منهكًا من يوم صعب، مثلها. لم يكن لديهما الطاقة لممارسة الحميمية، لكنهما استمتعا بالاستلقاء جنبًا إلى جنب، ممسكين بيدي بعضهما وتحدثا. قبل أن تغفو ببرهة، رفعت يدها على شفتيه، قبّلها وقال: "أنت تجعلينني أفضل". تبعتها كلماته في أحلام جميلة، حيث تم التحدث بها في مجموعة متنوعة من المواقف الغريبة، ولكن دائمًا بحنان كبير.

# 12

في مطعم بيني الذي يطل على الشاطئ، عُرِضت أخبار الهجوم في فيلادلفيا بناء على طلب الزبائن. في العادة كانت المحطات تركز على التغطية الرياضية على مدار الساعة، حيث تبث مباريات كأس ستانلي بشكل مباشر بالإضافة إلى إعادات لها، لإرضاء محبي الرياضة. ولكن في ساعة الغداء هذه، ضُبطت شاشتا البار على الأخبار، لقد خُصِصَ الشريط الإخباري أسفل الشاشة لذكر عدد القتلى وبيانات الاستنكار التي يدلي بها السياسيون. في السابق كان هذا الشريط مخصصًا لعرض نتائج المباريات وإحصاءات اللاعبين.

بحسب ما دوّن على لافتة مطعم بيني، الذي يبعد شارعين عن الشاطئ، كان المطعم من أفضل المطاعم في سان دييغو على مدى خمسين سنة. ولكن جين رجحت أنه لم يعد ملكًا لبيني، هذا إن كان بيني أصلًا هو اسم مالكه. بدا زبائن المطعم من أفراد الطبقة الوسطى التي تقلصت بشكل واضح خلال العقد الماضي. في هذه الساعة، لم يشرب أي شخص بما يكفي ليرغي ويزبد عن العنف الذي تظهر صوره على شاشة التلفاز، بالرغم من أن جين قرأت في وجوه الزبائن الغضب، والخوف، والحاجة الماسة إلى الدعم المجتمعي، وهذا ما أبقى الزبائن في مقاعدهم المرتفعة وكراسيهم.

أكلت في المقصورة الأخيرة، التي كانت أصغر المقصورات، وتتسع لشخصين بدلًا من أربعة. من المؤكد أن سطح الطاولة المغطى بالغرانيت كان من الفورميكا عندما

امتلك بيني المطعم. أما الطاولات ونسيج وسائد الأرائك والمقاعد المرتفعة، وكذلك الأرضيات الرخامية الملونة، فهي دليل على الازدهار الذي ينشده هذا المطعم بالرغم من أنه لم يبلغه، ولكن جين الأميركية وجدت في ما رأته عيناها شيئًا مؤثرًا ومدهشًا.

من بين الزبائن، تناول كاتب عمود في الصحيفة المحلية الغداء، وشرب قنينة أو قنينتين من البيرة، وعندما لم يستطع كبح غريزته الإخبارية، رأته جين يتحرك عبر الصالة الطويلة حاملًا دفترًا وقلمًا وقنينة هاينكين، وبعد أن يعرض بطاقته المهنية يدخل في حوارات مع رواد المطعم عن العمل الإرهابي.

إنه في الأربعين من عمره، وبدا أنه ينفق على تصفيف شعره مبلغًا محترمًا، وبدا فخورًا بمؤخرته حيث كان يرتدي بنطالَ جينز ضيق للغاية، ويبدو أنه فخور أيضًا بساعديه اللذين ظهرا مفتولي العضلات، وهذا ما جعله يلف كمي قميصه في يوم لم يكن دافئًا بالقدر الذي يحمله على لفهما.

تقدم إلى طاولتها عارضًا نفسه كصحفي ورجل يرغب بالتودد في الوقت نفسه. كانت بعض النساء لتستاء من نظراته إلا أن جين لم تفعل ذلك. لم يكن بائسًا، ولم يكن لديه أي طريقة لمعرفة أنها خارج نطاق التودد، كانت تدرك جيدًا أن الرجال دائمًا ما يبدون اهتمامًا بها، وعرفت أنها إذا رفضت مقابلة مدتها ثلاث دقائق، سواء بلباقة أو بفظاظة، فستبقى في ذاكرته لوقت طويل.

عرّف عن نفسه بأنه كيلسي، وعرفت عن نفسها على أنها ماري، لبى دعوتها للجلوس إلى طاولتها، وقال: "إنه يوم فظيع".

"يوم فظيع من أيام فظيعة كثيرة".

"هل لديك أصدقاء أو أسرة في فيلادلفيا؟".

"بعض الزملاء".

"إنه أمر مؤلم أليس كذلك؟".

"يجب أن يكون كذلك".

"برأيك كيف يجب أن نتعامل مع الأمر؟".

"أنا وأنت؟".

"كلنا".

"بإدراك أنه جزء من مشكلة أكبر".

"ألا وهي؟".

"الأفكار يجب أن لا تكون أكثر أهمية من الناس".

رفع حاجبيه: "ما تقولينه مثير للاهتمام، أيمكنك أن تشرحيه لي بعض الشيء".

على سبيل الشرح، عكست ترتيب الكلام: "يجب أن يكون الناس أكثر أهمية من الأفكار".

انتظر أن تستمر. ولكنها بدلًا من ذلك قضمت لقمة من شطيرتها، فقال: "عمودي الصحفي ليس سياسيًا، إنه يتعلق بما يهم الناس. ولكن إن كان عليكِ أن تصنفي الوضع من الناحية السياسية ماذا ستقولين؟".

"مشمئزة".

ضحك وهو يكتب الملاحظات: "قد يشكّل المشمئزون الحزب الأكبر في البلاد. من أين أنتِ؟".

كذبت: "ميامي، أتريد موضوعًا يمكن أن تكتب فيه وتحظى باهتمام القراء".

"ما هو؟".

"تزايد معدل الانتحار".

"هل يتزايد؟".

"ابحث في الأمر".

راقبها حتى وهو يرفع قنينة البيرة ويشرب: "لماذا تهتم فتاة مثلك بهذا الموضوع؟".

كذبت: "أنا عالمة اجتماع. هل شككت يومًا أن أمرًا سيئًا مثل هجوم فيلادلفيا قد يكون بقصد التعمية والتمويه؟".

بالرغم من أنه كتب عمودًا عما يهم الناس، إلا أنه كان لديه عينا مراسل الشرطة والتي كانت لا تنظر فقط إلى الأشياء، بل كانت تقشرها طبقة تلو الأخرى. "كيف يكون بقصد التعمية والتمويه؟".

أشارت نحو التلفاز الأقرب: "الموضوع الذي يخصصون له دقيقة في كل ساعة من التغطية الإخبارية، بين فترات تغطية أخبار فيلادلفيا".

أطلق حاكم سابق لجورجيا النار على زوجته وقتلها، هي ومساهم ثري في حملاته، ثم انتحر.

قال كيلسي: "تقصدين فظائع أتلانتا"، والذي كتبت عنها الصحف على أنها شيء بغيض.

"لو حصل الأمر بالأمس كان ليسرق الأضواء، وتنصبّ عليه التغطية الإخبارية. لكنه حدث في اليوم نفسه الذي حدث فيه هجوم فيلادلفيا، ولن يتذكره أحد في الأسبوع المقبل".

لم يبدُ أنه فهم ما ترمي إليه: "يقولون إن علاقة جمعت بين الزوجة والمساهم الثري".

بعد أن أنهت شطيرة البرغر، مسحت يديها بمنديل: "هنا لديك أحد أعظم الألغاز في عصرنا".

"ألا وهو؟".

"من هم بحق الجحيم الذين يقولون والذين نسمع عنهم دائمًا؟".

ابتسم، وأشار إلى قنينتها الفارغة: "هل اشتري لك دوس ايكيس؟".

"شكرًا، لقد شبعت. هل تعلم أن معدل القتل كان يرتفع أيضًا؟".

"بالتأكيد فقد كتبت مقالات بهذا الشأن".

ظهرت النادلة، وطلبت جين الفاتورة. اتكأت على الطاولة، وأدنت رأسها من كيلسي، وهمست: "إنه رهان جيد ما ستكون عليه الأرقام القادمة".

كان يميل نحوها، ويأخذ حميمتها كأنها دعوة ما، قال: "أخبريني".

"جرائم القتل الانتحارية. قد يكون الحاكم مؤشرًا على الأشياء القادمة. المرحلة التالية، إذا جاز التعبير".

"المرحلة التالية من ماذا؟".

بعد أن كانت صادقة حتى هذه اللحظة، لعبت دورها عندما دخلت في خيال سيرسله في طريقه. "مما بدأ في روزويل".

لقد كان صحافيًا متمرسًا عندما فهم ما تعنيه. ابتسم ولمعت عيناه: "روزويل، نيو مكسيكو؟".

"إنه المكان الذي هبطوا فيه للمرة الأولى. أنت لا تنكر وجود الكائنات الفضائية؟".

قال: "على الإطلاق، الكون واسع جدًا ولا نهائي، ما من عاقل يعتقد أنه حكر علينا".

ولكن عندما أحضرت النادلة الفاتورة، رفض كيلسي أخذ الطعم عندما سألته إن كان يؤمن باختطاف الفضائيين، شكر جين - أو ماري من ميامي - على المشاركة، وانتقل إلى مقابلة أخرى.

بعد أن دفعت نقدًا، وذهبت من خلال ازدحام فترة الغداء، نظرت إلى الوراء، ربما بشكل فطري، فرأت كاتب العمود يحدق إليها. وبينما كان ينظر بعيدًا، وضع هاتفه الخلوي على أذنه.

لقد كان مجرد رجل جاء إليها، رجل رفضته بذكاء إلى حدّ ما، مجرد رجل لا يزال محبًا لما رآه. كان الهاتف صدفة، لا علاقة لها به.

ومع ذلك، بمجرد خروجها، تحركت بسرعة.

## 13

طارت الطيور البيضاء عكس الضباب الداكن الذي يمهد للعاصفة التي تلوح في الأفق، وانقضت النوارس على البحر، وتمايلت في السماء بعد أن التقطت الطعام الذي ستحتفظ به في أفاريز المباني وبين سعف النخيل.

كان لجين أن تركن سيارتها في مرأب المطعم، لكنها لم تفعل ذلك. تركت الفورد عند ناصية الشارع على بعد شارعين. اقتربت من السيارة وهي تسير على الرصيف المقابل، كأنها لا تهتم بها، وتفحّصت الجوار في أثناء تقدمها لترى إن كانت الفورد مراقبة.

لم تكن المرة الأولى التي تقول فيها لنفسها إنها الطريقة التي يتعايش فيها مرضى القلق مع مرضهم، ولكن بالرغم من ذلك لا تزال واثقة من أنها سليمة النفس والعقل.

بالرغم من أنها لم ترَ أية مراقبة، إلا أنها مشت بالقرب من سيارة الإسكيب قبل أن تجتاز الشارع خلف السيارة.

شكرها كاتب العمود على مشاركتها، في الواقع كانت دائمًا شخصًا مشاركًا بمعنى أنها كانت منفتحة على الآخرين بمشاعرها، وآمالها، ونواياها، ومعتقداتها. لذلك، أثبتت عزلتها الحالية أن تحملها أصعب بكثير. لأن الصداقة تتطلب المشاركة، كان عليها أن تتخلى عن رؤية الأصدقاء القدامى، وتكوين صداقات جديدة طوال الوقت. إذا شاركت الآن فستكون النتيجة موتها أو موت من تشاركت معه.

عندما باعت منزلها، وحوّلت كل ما تملكه إلى نقود وخبأتها حيث لا يمكن العثور عليها بسهولة، كانت تعتقد أنها ستنهي المهمة في غضون ستة أشهر. الآن، بعد شهرين من هذه الرحلة وحوالى ثلاثة آلاف ميل على الطرقات، لم تعد لديها الثقة لتحدد موعد انتهاء مهمتها.

تحركت عن الرصيف، وأقحمت الفورد في نهر من السيارات. دائمًا ما كانت كل سيارة خاصة وسيارة رياضية وشاحنة وحافلة تشير باستمرار إلى موقعها لصالح هواة جمع البيانات الضخمة ووكالات الشرطة وأي شخص يطمح إلى السيطرة.

## 14

مكتبة سان دييغو المركزية الجديدة - وهي إما انتصار لعمارة ما بعد الحداثة وإما خليط معماري خلص إلى نتيجة مؤسفة، والأمر يعتمد على ذوقك - تشغل قرابة نصف مليون قدم مربع موزعة على تسعة طوابق، وهذا ما يجعل منها كبيرة جدًا ولا توفّر لجين التخفي الذي تسعى إليه. كانت مراقبة بشدة، ومن الصعب الخروج منها بخفة ورشاقة في حالة طوارئ. لذلك ذهبت للبحث عن مكتبة أقدم.

قبل أسابيع تخلصت من حاسوبها النقال. في هذه الأيام، تعمل الحواسيب على تحديد الموقع مثلما يفعل نظام تحديد المواقع في السيارات. أينما تكن تسعى جين إلى الاتصال بالإنترنت من خلال المكتبات العامة، وكلما سعت وراء معلومات على الإنترنت كانت تراجعها بسرعة، ولا تبقى في المكتبة لفترة طويلة.

وجدت إحدى المكتبات الفرعية التي يعود تصميمها المعماري إلى حقبة حركة الإحياء الإسبانية. كانت أشجار الموز تشمخ بأوراقها الكبيرة الشبيهة بالمجاذيف، كما لو كانت تعود بالمبنى إلى عصر سابق أكثر هدوءًا.

يقع مرأب السيارات الخاص بالمكتبة بالقرب من حديقة متعرجة المسارات، فيها منطقة للمشي وملاعب. كعادتها، مرّت جين أمام وجهتها، وركنت السيارة في شارع جانبي على بعد مجمع سكني، بعد إخراج دفتر ملاحظات صغير، وقلم، ومحفظة. وضعت حقيبتها تحت المقعد قبل أن تترجل من السيارة وتُقفل الأبواب.

داخل المكتبة الفرعية، كانت الممرات بين رفوف الكتب أكثر من أجهزة الحاسوب.

اختارت طاولة عمل لشخصين، جلس إليها شخص بدا أنه مشرد، وأكد وجوده أن رواد المكتبة سيتجنبون كل هذا الحيز من طاولات الحواسيب.

شعرٌ داكن وأشعث كمكنسة الساحرات، ولحية طويلة مجعدة ذات شعر أسود تتخلله بضع شعيرات بيضاء، بدا بياض الشعيرات بين المد الأسود الذي يحيط بها كما تبدو خيوط البرق البيضاء في السماء السوداء الشاسعة، ينتعل حذاءً بأربطة ويرتدي بنطالًا مموهًا وقميصًا تحتيًا أخضر وسترة سوداء مبطنة بالنايلون، بدا أن الرجل الضخم تمكن من تجاوز حظر المكتبة على مواقع الإنترنت الإباحية، وكان يشاهد ما يعرض كاتمًا الصوت.

لم يلقِ نظرة على جين، ولم يداعب نفسه. جلس واضعًا يديه على سطح الطاولة، ونظر إلى الشاشة بشيء من الملل والحيرة. هناك أدوية، مثل الإكستاسي، إذا تناولها الشخص بكميات كبيرة ولفترة طويلة ستسبب توقف دماغه عن إنتاج الإندورفين الطبيعي، بحيث لا يعود قادرًا على الإحساس بالنشوة أو الفرح أو الشعور بالرفاهية من دون مساعدة كيميائية. ربما كان هذا الرجل أحد متعاطي الإكستاسي، لأن وجهه الذي أحرقته أشعة الشمس ظل من دون تعبير بينما كان يحدق بسكون وعدم فهم واضح.

على الإنترنت، بحثت جين عن معهد غيرنسباك، الذي نظّم مؤتمر (ماذا لو) السنوي، من بين أحداث أخرى. كان هدف المؤتمر المعلن "إلهام خيال القادة في مجال الأعمال، والعلوم، والإدارة، والفنون، بغرض تشجيع التفكير المتعمق في البحث عن حلول بطريقة مبتكرة للمشكلات الكبيرة التي تواجه الإنسانية".

إنهم المصلحون في الأرض. بالنسبة إلى الأشخاص ذوي النوايا الخبيثة، لا يوجد غطاء أفضل من منظمة غير ربحية مكرسة لتحسين أحوال البشر. قد تكون نوايا معظم

الأشخاص في المؤسسة صالحة، لكن هذا لا يعني أنهم فهموا النوايا الخفية لمؤسسيها أو مهامها الأساسية.

على دفتر الملاحظات، سُجلت البيانات التي بدت أكثر صلة بتحقيقها، واستُخدمت الرموز العددية والأبجدية التي ابتكرتها لعملها الخاص، بحيث لم يكن باستطاعة أحد سواها قراءة ما كتبته. الآن أدخلت بطريقتها المشفرة أسماء ضباط وتسعة أعضاء من مجلس المؤسسة، تذكرت اسمًا واحدًا منها فقط وهو ديفيد جيمس مايكل.

ديفيد جيمس مايكل. الرجل الذي يتألف اسمه من ثلاثة أسماء يصلح كل واحد منها ليكون اسمًا أولًا لأي شخص. ورد اسمه في أكثر من مكان، وكانت ستكرس وقتًا آخر له.

بعد أن خرج من الموقع الإباحي، بدا أن الرجل المشرد يشاهد الآن مقاطع فيديو عن الكلاب في يوتيوب، لا يزال يكتم صوت الحاسوب، ويداه تستريحان على جانبي لوحة المفاتيح، ووجهه الذي أنهكته السنوات بدا عديم التعابير.

بعد أن أنهت بحثها، ووضعت دفتر ملاحظاتها وقلمها في جيبها، نهضت، واقتربت من الرجل، ووضعت ورقتين من النقود من فئة عشرين دولارًا على الطاولة بجانب حاسوبه. وقالت: "شكرًا لخدمتكم البلاد".

نظر إليها كأنها تحدثت لغة لا يفهمها، لم تكن عيناه حمراوين، ولم تكونا مرهقتين من الخمر، بل كانتا رماديتين وصافيتين ومتنبهتين بشدّة.

عندما لم يقل شيئًا، أشارت إلى الوشم على ظهر يده اليمنى: رأس رمح أزرق كخلفية، وفيه سيف ذهبي اللون مسلول تخترقه ثلاث صواعق ذهبية، إنه شعار القوات الجوية، وتحته حروف أولية باللغة الإنكليزية DDT والتي تعني ترجمة كلماتها إلى العربية. "لا يمكن أن تكون خدمة سهلة".

قال وهو يومئ برأسه باتجاه الأربعين دولارًا: "هناك من يحتاج إليها أكثر مني". كان لديه صوت دب مصاب بالتهاب الحلق.

فردت عليه: "لكنني لا أعرفهم، سأكون ممتنة إن أعطيتها لهم بالنيابة عني".

"يمكنني أن أفعل ذلك". لم يلتقط المال، لكنه عاود النظر إلى مقاطع اليوتيوب التي كان يشاهدها عن الكلاب: "هناك مطبخ مجاني بالقرب من هنا يمكنه دائمًا قبول التبرعات".

لم تكن جين تعرف إن فعلت الشيء الصحيح، لكنه كان الشيء الوحيد الذي يمكنها فعله. عندما اجتازت الفراغ حيث تم ترتيب أجهزة الحاسوب، نظرت إلى الوراء، لكنه لم يكن ينظر إليها.

# 15

لم تبدأ العاصفة بعد. كانت السماء فوق سان دييغو داكنة بالرغم من أنها كانت ساعة الزوال، كما لو أن كل المياه والغيوم المخزنة فوق جبال الألب البعيدة قد انزلقت في الساعات القليلة الماضية نحو المدينة، للزيادة من حجم الطوفان القادم إلى هذه المنطقة الساحلية. في بعض الأحيان، كان الطقس والتاريخ يتغيران ببطء شديد جدًا بالنسبة إلى أولئك الذين نفد صبرهم.

في الحديقة المجاورة للمكتبة، اتبعت جين مسارًا متعرجًا، وشاهدت أمامها بركة تتوسطها نافورة، سارت إليها، وجلست على أحد المقاعد المواجهة للمياه التي تناثرت من نوافير عديدة رقيقة، والتي بدت كما لو أنها قطرات من فضة.

في ذلك الوقت لم تكن الحديقة مزدحمة، فلم ترَ سوى ستة أشخاص، مشى اثنان منهما مع كلبيهما بسرعة أبطأ مما يمشيان لو كانت السماء صافية.

أخذت جين دفترها من الجيب الداخلي لسترتها الرياضية، وفتحته على صفحة قائمة الأسماء المتزايدة، ووجدت إدخالًا سابقًا لديفيد جيمس مايكل. لقد كان الرجل الذي- كما دونت اسمه في جلستها الأخيرة في المكتبة- يتربع على عرش مؤسسة غيرنسباك التي نظّمت مؤتمر (ماذا لو) ذي الدعوات الخاصة فقط، والذي حضره غوردن وجوين لامبرت، اللذان انتحرا.

أشار الإدخال الثاني بعد مايكل إلى ت. كوين يوبانكس من مدينة ترافيرس، ميشيغان. يوبانكس هو الآخر انتحر، وهو رجل ورث ثروة، ولديه سجل ضخم من الإنجازات، وهو عضو في مجلس إدارة ثلاث مؤسسات خيرية، بما في ذلك صندوق سيدلنغ، وكان فيه زميلًا لديفيد جيمس مايكل.

بدت لها خطة تحقيقها الآن واضحة. أولًا، عليها إجراء مكالمة مع شيكاغو.

حملت على الدوام هاتفًا مؤقتًا مع وحدات اتصال مسبقة الدفع. فبحسب معلوماتها لا يستطيع أحد تعقب الهواتف مسبقة الدفع. إن كان هناك أي إمكانية لتعقبها فقد تفادت هذه الإمكانية من خلال شرائها نقدًا، فلم تضطر لربطها ببطاقة تشير إليها من أجل تفعيلها.

أسرعت مجموعة من تلميذات المدارس ذوات البذلات استجابة لطلب راهبة بدت ملابسها عصرية، قالت لهن إنها تعتقد أن العاصفة على وشك أن تبدأ.

لا يزال الهواء ساكنًا. مثل الصفائح التكتونية، سترتطم كتلة من الهواء البارد بكتلة أكثر دفئًا، وعندها سيكون هناك اندفاع مفاجئ للرياح، وبعد دقيقة أو دقيقتين ستهطل الأمطار.

واثقة من حدسها الجوي - مع عدم رغبتها في استخدام الهاتف أثناء وجودها في السيارة، وخشية أن تكون مخدوعة بشأن مسألة أمان الهواتف المؤقتة مسبقة الدفع - استخرجت جين هاتفها من جيب سترتها الداخلي، وأدخلت الرقم الخاص بالخط المباشر لسيدني روت.

كانت زوجة سيدني، إيلين، من شيكاغو وداعمة لحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة الذين أخبرت جوينيث لامبرت عنهم. عانت إيلين روت من نوبة الشقيقة الأولى والأخيرة أثناء وجودها في المؤتمر، وبعد ذلك بثلاثة أسابيع شنقت نفسها في مرأب منزل الأسرة.

مثل زوج جين، تركت زوجة سيدني ملاحظة قبل أن تنتحر، وهي رسالة غامضة أكثر إزعاجًا من رسالة نِك: *يقول سويت سايسو إنه وحيد طوال هذه السنوات، لماذا لم تعد ليني بحاجة إليّ، كان دائمًا هناك من أجل ليني، والآن أحتاج إلى أن أكون هناك من أجله.*

لم يسمع سيدني ولا أولاده الثلاثة، الذين كانوا جميعًا في العشرينات من العمر، عن رجل يدعى سايسو.

في وقت مبكر من تحقيقها غير الرسمي، سافرت جين إلى شيكاغو، والتقت بسيدني روت بعد وقت قصير من حصولها على الإجازة، قبل أن تكتشف أنه بسبب

مثل هذه الاستفسارات، ستستهدف بمؤامرة غامضة مربكة. كانت وقتها تستخدم اسمها الحقيقي، وللضرورة استخدمته الآن عندما أجاب بعد الرنة الثالثة.

قال: "نعم، لقد حاولت الاتصال بك قبل عدة أيام، ولكن الرقم الذي أعطيتني إياه كان خارج الخدمة".

قالت: "لقد تحركت، وخضعت للعديد من التغييرات"، لم تستطع أن تعطيه مزيدًا من التفسيرات. "ولكنني لا أزال مصممة على الأمر، أنت تعلم، لا أزال أبحث عن تفسير، وآمل أن تمنحني دقائق من وقتك لنتحدث".

"بالتأكيد. دعيني أغلق باب مكتبي فقط". كان مهندسًا أسس شركة كبيرة مع أربعة من الشركاء. وضعها في الانتظار، وعاد بعد بضع ثوان: "حسنًا. كيف يمكنني مساعدتك؟".

"أعلم أن عالم المنظمات غير الربحية هائل، وكانت زوجتك هي التي تتعامل معها، وليس أنت، ولكن هل تتذكر أن إيلين تحدثت عن شيء يدعى معهد غيرنسباك؟".

فكّر قليلًا ثم قال: "لا يعني الاسم لي شيئًا".

"ماذا عن صندوق سيدلنغ؟".

"ولا حتى هذا".

"والآن بضع أسماء. ديفيد جيمس مايكل؟".

"ممممم... آسف، لا".

"كوين يوبانكس؟".

"أنا لست جيدًا مع الأسماء".

"المؤتمر الذي عُقد في بوسطن حيث أصيبت إيلين بنوبة داء الشقيقة - قلتم إن هذا الحدث كان عرضًا من جامعة هارفارد".

"نعم، بإمكانك البحث في الأمر".

"فعلت ذلك، لكنني أتساءل إن كانت قد حضرت أي مؤتمر قبل أو بعد ذلك بفترة قصيرة".

"كانت إيلين شغوفة في ما يتعلق بعملها، وكان جدول أعمالها مزدحمًا، لا أذكر، ولكن يمكنني معرفة ذلك".

"سأكون ممتنة يا سيدني. سأتصل بك غدًا في مثل هذا الوقت؟".

"لا تزالين مصرّة على الموضوع".

"لا تنسَ إحصاءات الانتحار التي أعطيتك إياها".

"أتذكر. ولكن كما قلت لك وقتها، انظري حولك إلى كل الجنون في العالم، وكل العنف والكراهية هذه الأيام، والأزمات الاقتصادية، وعندها لن تحتاجي إلى أي تفسير آخر لتزايد اكتئاب الناس أكثر من أي وقت مضى".

"ولكن إيلين لم تكن مكتئبة".

"حسنًا... هذا صحيح. لكن..."

"ولم يكن نِك كذلك".

قال سيدني: "لم تكن مكتئبة، لكن هذا ما كنت سأحدثك بشأنه عندما حاولت الاتصال بك ذلك اليوم. هل تتذكرين الملاحظة التي تركتها؟".

قالت جين ما تتذكره من افتتاحية الملاحظة: "يقول سويت سايسو إنه وحيد طوال هذه السنوات...".

قال سيدني: "لم نشارك المحتويات على نطاق واسع في البداية، لأنها... حسنًا، لأنها كانت غريبة جدًا، ولا تشبه إيلين. لم نرد أن يتذكرها الناس على أنها... مريضة عقليًا، على ما أعتقد. في الآونة الأخيرة، اكتشفت عمتها فاي، الوحيدة التي لا تزال على قيد الحياة، الملاحظة وحلّت اللغز، إلى حدّ ما. لفترة من الوقت عندما كانت إيلين في الرابعة أو الخامسة، كان لديها صديق وهمي يدعى سايسو. تحدثت إليه، اختلقت قصصًا عنه. هذا النوع من الأشياء يحدث دائمًا، ولا أحد يعرف لماذا آلت الأمور إلى ما آلت إليه؟".

ارتجفت جين من فكرة أن صديقًا خياليًا منسيًا منذ فترة طويلة ينادي امرأة تبلغ من العمر خمسين عامًا للانضمام إليه في الموت.

سألها سيدني: "كيف حالك؟".

"لا بأس. أنا لا أنام جيدًا".

"أنا أيضًا. في بعض الأحيان أستيقظ على صوت غطيطي، فأعتذر لها عن الضوضاء التي أسببها، أعني أعتذر بصوت عالٍ، عندما أنسى أنها ليست هناك".

قالت: "كنا نسافر كثيرًا، ونُقيم في النُزل، ولم نكن ننام في أسرة صغيرة، لأن نِك كان رجلًا ضخمًا. لذا يجب أن يكون السرير الذي أنام فيه كبيرًا".

"أما زلتِ في إجازة من المكتب؟".

"أجل".

"خذي بنصيحتي، عودي إلى العمل. إلى عمل حقيقي، بدلًا من ملاحقة تفسير شيء لا يمكن تفسيره بالكامل".

كذبت: "ربما سأفعل".

"لا أقصد أن أزعجك، لكن العمل ساعدني".

كذبت مرّة أخرى: "ربما سأفعل".

"أعطني رقم هاتفك الجديد حتى أتمكن من الاتصال بك عندما أعرف إذا حضرت إيلين مؤتمرًا آخر في ذلك الوقت تقريبًا".

قالت: "سأتصل بك غدًا. شكرًا، يا سيدني. إنك لطيف حقًّا".

عندما أنهت المكالمة، بدا أن ما من شخص سواها في الحديقة. الملاعب والمسارات على مد نظرها كانت مهجورة. ولم تجد حمامة تتبختر أو سنجابًا يقفز.

في الوقت الخطأ، في المكان الخطأ، يمكن أن تكون المدينة معزولة كالقطب الشمالي.

في الشوارع المحيطة شمالًا وجنوبًا، بدت حركة المرور عبارة عن هدير محركات، وصوت إطارات، وهسهسة مكابح، وصوت أبواق، وصوت صلصلة غطاء فتحة مصرف مرخية. حتى عندما ابتعدت عن صوت خرير مياه النافورة، بدا ضجيج المرور مكتومًا بشكل غريب، كما لو كانت الحديقة مغلقة بزجاج عزل مزدوج.

ظل الهواء هادئًا، بالرغم من أن السماء مليئة بجبال الغيوم السوداء التي ستنهار قريبًا محدثة طوفانًا متوقعًا في المدينة، ولم تعد نوافذ المباني تلمع في مثل هذه الساعة بفعل أشعة الشمس، وأنار السائقون مصابيح سياراتهم، وانسابت السيارات في ضوء الغسق كما لو أنها غواصات تسلك دروبًا تحت سطح البحر.

بينما كانت جين تخطو مبتعدة عن النافورة، سمعت طنينًا مثل طنين الدبابير. في البدء، بدا مصدر الطنين من الأعلى، ثم من الخلف، ولكن عندما استدارت وواجهت

مرة أخرى بستان النخيل الذي كانت تتحرك فيه، رأت المصدر يحوم على ارتفاع عشرين قدمًا: إنها طائرة من دون طيار.

## 16

هذه الطائرة المدنية ذات الخلفية المرتفعة، لم تكن سوى نسخة مصغرة من طائرة حربية. إنها تشبه مركبة هبوط فضائية صغيرة غير مأهولة مُجمعة على شكل حشرة. بدت مشابهة لدي جي أي إنسباير ون برو، بالرغم من أنها أكبر قليلًا. هذه الأداة يبلغ ثمنها سبعة آلاف دولار، وتستخدمها الشركات العقارية لتصوير العقارات المعروضة للبيع، وشيئًا فشيئًا يزداد استخدامها من قبل سائر الشركات التجارية، وهي تلقى شعبية متزايدة لدى محبي الطائرات من دون طيار ذوي الخبرة، بالإضافة إلى أولئك الذي يستخدمونها لأهداف غير مشروعة.

كانت الطائرة تحلق على علو منخفض يتراوح بين ثماني إلى عشر أقدام، مستظلة سعف النخيل، إنها أداة خفيفة، ولكنها ذات فعالية كبيرة، وتبعث في النفس رهبة، لقد انتهكت هذه الطائرة بالطريقة التي حلقت فيها كل أنظمة الطيران المتعلقة بالطائرات من دون طيار المدنية، أو على الأقل الأنظمة التي تعرفها جين.

لم تتخيل أن وجودها هنا يمكن أن يكون مجرد صدفة. ظلت كاميرتها ثلاثية المحاور موجهة نحوها، بطريقة أعطتهم موقعها. لم تكن مهتمة بالخطأ الذي ارتكبته، فيمكنها التحقق منه في وقت لاحق لتتفادى تكراره.

إذا كانت البطارية الاحتياطية توفر للطائرة ضعف وقت رحلة طائرة إنسباير ون برو، فقد تظل هذه الطائرة في الهواء لفترة تتراوح بين ثلاثين إلى أربعين دقيقة، وهذا يعني أنها أطلقت من مكان قريب، ورَجحت أنها أطلقت من عربة مراقبة.

كانت كاميرات الطائرة تراقبها ريثما يصل عدد كافٍ من رجال الشرطة لإلقاء القبض عليها، ولكن إن لم تكن الطائرة تعود لإحدى وكالات تطبيق القانون الشرعية، فسيأتي الجبابرة الغامضون الذين لا تزال تجهل من يكونون، بدلًا من رجال الشرطة. ولكن أيًا يكن الأمر، فهم قريبون منها.

لن تبقى وحيدة في الحديقة لوقت طويل بالرغم من أنها لا تزال مهجورة.

لم تحاول الركض مباشرة، ولكنها بدلًا من ذلك انتقلت نحو الطائرة من دون طيار عندما رأت شيئًا بها يتطلب إلقاء نظرة أفضل. سمحت لها جرأتها بأن تكتشف، لم تكن هذه الطائرة مدنية، وإن كانت كذلك وقت شرائها فقد عُدّلت بعد ذلك بشكل جذري. ربما ضللها ضوء العاصفة والظلال، بالرغم من أنها كانت تعرف أنهما لم يضللاها، وربما بسبب قلقها المرضي، فسّرت أشكالًا بريئة على أنها كاتم صوت موضوع عند فوهة سلاح الطائرة، لكنها علمت أنها لم تكن تعاني من القلق الوسواسي، وكانت الطائرة مزودة بسلاح وكاتم للصوت.

عندما انحرفت الطائرة نحوها، ناورت على أحد جانبيها، خلف جذع النخلة العريض، فلو استدارت وركضت في الحال، لكانت أصيبت برصاصة في الظهر. في تلك اللحظة اليائسة من الاختباء، سحبت مسدسها من قرابه، وفكّرت بسرعة، محاولة الإحاطة الكاملة بطبيعة التهديد.

إن تحويل طائرة مدنية من دون طيار إلى نسخة حربية سيزيد وزنها بشكل كبير، كان وزن الطائرة – مع الكاميرا والبطارية – حوالى ثماني أونصات. سيؤثر وزن السلاح والذخيرة على استقرارها، ويخفف من مدة طيرانها بشكل كبير. لذلك يجب أن يكون سلاحًا منخفض العيار مزودًا بالقليل من الذخيرة، وهذا ما جعل جين تشك في أن السلاح على الطائرة لم يكن دقيقًا في التصويب. بالطبع لم يكن الأمر يحتاج أن تكون في مرمى التصويب سوى مرة واحدة.

توقعت أن تظهر آلة القتل ذات التحكم عن بعد من اليسار. لكنها سمعت صوتها وهي تحلق من اليمين حول جذع النخلة. قبل أن تتمكن الكاميرا من العثور عليها، ابتعدت عنها، وقد أولت ظهرها إلى جذع النخلة الذي يبلغ قطره ثلاث أقدام، تبعت الطائرة وهي تدور حولها.

لن يشبه سلاح الطائرة مسدسًا مكتمل الأجزاء؛ لا قبضة، ولا مخزن قياسي، فهو لن يحتوي سوى الأساسيات. سلاح عيار22-A شيء مثل حزام مصغر مجهز بحوالي أربعة مخازن.

تفوقت جين على الطائرة بامتلاكها حاسة السمع، فالطائرة مزودة بعين (كاميرا) لكنها لا تمتلك أذنًا، لقد كانت صماء.

لكن الطلقات النحاسية ذات الرأس المقعر، حتى من عيار 22. يمكن أن تقتل من مسافة قريبة، توقفت عن محاولة الاختباء. ابتعدت عن الشجرة، ودارت حولها، واقتربت بجرأة خلف الطائرة.

ربما كان لدى المشغل مجال رؤية بزاوية سبعين درجة. لا بد أنه شعر بتهديد في منطقته العمياء. مع ضجيج الدبور الغاضب، بدأت الطائرة من دون طيار تدور فجأة في وضع تحويم.

بما أنها كانت قريبة من الطائرة، أطلقت جين ثلاث أو أربع أو خمس رصاصات من مسدسها، بدا صوت الرصاصات وهي ترتطم بجذع النخلة كما لو أنها طابات بلياردو. لقد كانت الطائرة اللعينة ذات كتلة جسم ضئيلة، مؤلفة من أرجل للهبوط ومراوح، وتدلت الكاميرا من حلقة ثنائية المحور، وبالتالي لم تكن بشكل من الأشكال هدفًا كبيرًا وسهلًا. في تلك اللحظة تمنت جين لو أنها تحمل بندقية بدلًا من المسدس. من ناحية أخرى، لم تكن الطائرة مدرعة أو مصممة إلى حدّ ما يتيح لها تحمّل الهجوم الناري. لم تعرف إن كانت رصاصة واحدة أو أكثر قد أصابتها، عندما تناثرت قطع منها على الأرض، قبل أن تستدير الطائرة في الهواء، وترتطم بإحدى النخلات، وتتبعثر على العشب. لم تعد الطائرة التي كلفت عدة آلاف من الدولات تساوي سوى بضعة بنسات الآن.

لم تدرك جين أن هناك طائرة ثانية حتى رأتها قادمة بسرعة من منطقة النافورة.

## 17

طائرتان من دون طيار، أطلقتا من عربة مراقبة، بالتأكيد ستظهر قريبًا مجموعة من أربعة رجال وربما أكثر من مكان قريب: كان لديهم موارد، وكانوا يسعون للقبض عليها بعزيمة وإصرار لم تكن تتخيلهما.

عندما استدارت لتهرب من الآلة الثانية، وجدت النخلة العملاقة تعترض طريقها، قبل أن تتمكن من الالتفاف حول الشجرة، انطلقت رشقة من الإبر الفولاذية الرفيعة في خط عمودي، وسقطت على بضع بوصات منها.

كان عليها أن تعلم. طائرة بوزن ثماني أو عشر أونصات لا يمكنها أن تطلق النار، وتحافظ على الدقة حتى من سلاح عيار 22. كان هذا سلاحًا يستخدم الهواء المضغوط

منخفض الارتداد، يطلق السهام. لم تكن سهامًا بالمعنى الدقيق للكلمة، هذه كانت بدون زعانف، لذلك عمليًا كانت نسخًا مصغرة من الأسهم التي تستخدمها الأقواس. أهي ملوثة بسم؟ مهدئ؟ على الأرجح مهدئ. قد يرغبون في استجوابها، لذا فضلّت أن تكون الأسهم سامة حتى لا يتمكنون من استجوابها.

بعيدًا عن الأنظار من الشارع، ركضت جين بين أشجار النخيل، ظلت الآلة تلاحقها مصدرة طنينًا، أما الطيور، فأحدثت جلبة وهي تحاول الاختباء بين السعف العليا للنخلات، وهي تزعق بصوت عالٍ خائفة من العاصفة القادمة. إن كبر أشجار النخيل عنى أن تيجان سعفها بعيدة عن بعضها، وهذا ترك جين لوقت طويل نسبيًا من دون أي غطاء من سعف النخيل. ركضت، وانحنت، معتمدة على أن الطائرة لن تتمكن من تحديدها كهدف واضح، ولكن بينما كانت تسعى للحصول على حماية عاجلة، أدركت أنه ما من خيار أمامها سوى الاستمرار بالهروب السريع.

يمكن أن تطير الآلة بسرعة عشرين مترًا في الثانية في هواء هادئ، وهذا أسرع بكثير مما يمكنها أن تركض، لن تستطع الهروب منها لفترة طويلة، ولن تفلت مرة أخرى بخدعة الدوران حول الشجرة التي نجحت من قبل، صحيح أن الطائرة لا تملك دماغًا تعقل به، ولكن من المؤكد أن مشغلها يمتلك دماغًا.

سيجذب إطلاق النار الشرطة، لكن هذا لم يكن بالضرورة شيئًا جيّدًا. قبل شهرين، عندما بدأ كل هذا، علمت أن ليس كل رجال الشرطة صالحين، في هذا الوقت الخطير عندما تلقي الظلال ظلالها الخاصة، عندما يمر الظلام غالبًا في الضوء، يرتدي العدل والظلم الوجه نفسه.

في ركضها الماراثوني المليء بالعقبات من شجرة إلى شجرة يمكنها أن تخسر وقتًا، في مواجهة غريبة كالحلم بين طيور العنقاء التي لن تستطيع النهوض مثلها إذا ماتت، شعرت جين بشدٍ في كمها الأيمن. أثناء مراوغتها حول شجرة أخرى، رأت ثلاث إبر رفيعة منغرسة في كم سترتها الرياضية، ولم يكن يفصلها عن لحمها سوى ملمترات.

في التوهج الكئيب للساعات الأولى من بعد الظهر، ومض بريق مفاجئ كأنه نهاية العالم، بدا أنه سيحرق الحديقة وكل ما سيلمسه محولًا العالم إلى رماد، بحيث تقفز كل الظلال مرة أخرى إلى الأشياء التي تلقيها أو ترتجف عبر المروج وتمشي مثل

الأرواح المطرودة التي تبحث عن مرسى جديد. لم تدرك أن السماء قد ألقت برقًا ضرب في مكان قريب إلا بعد مضي ثانية على التوهج، عندما هزّ الرعد السماء بشدة لدرجة شعرت معها أن الأرض ترتجف تحت قدميها.

إن دروس البقاء على قيد الحياة في الظروف غير الطبيعية التي حصلت عليها خلال تدريبها في كوانتيكو، تقتضي قيامها بما ثبتت فعاليته من خلال تجارب آلاف رجال إنفاذ القانون، ولكن في الوقت نفسه تقتضي تجنب تطبيق الأمور بحذافيرها إن كان تطبيقها سيؤدي إلى الموت، وذلك عندما يشير إلى ذلك الحدس السليم الذي هو في مثل هذه الأحوال اصدق إنباءً من الدروس والتدريبات. في أعقاب الضوء الشديد، اندفع تيار الظلال ردًا على نداء الرعد. وعندما خيمّ الظلام الذي تلى البرق والرعد، تدحرجت أرضًا على ظهرها، ضعيفة كما لو أنها أحد القرابين التي تقدم على مذبح الأزتيك، لوّح الجلاد في الهواء كما لو أنه ينادي بالدم القرباني. وعندما شاهدت الطائرة تعدّل توجيه سلاحها، رفعت مسدسها نحوها، وأطلقت الرصاصات الخمس المتبقية في المسدس.

ومض الفولاذ فوق وجهها، قبل أن ينفجر جناح الطائرة وينشر شظاياه بشكل عشوائي على الأرض. تمايلت الطائرة ذهابًا وإيابًا، كما لو أنها تعلو وتنخفض. بعد أن فقدت أحد جناحيها، تراجعت وتمايلت، وانخفضت وهي تنعطف، وانحدرت بسرعة نحو فجوة بين الأشجار، واصطدمت بجذع نخلة ربما بسرعة عشرة أمتار في الثانية، فتهشمت كما تتهشم بيضة قذف بها إلى جدار.

كانت جين واقفة لكنها، لم تعرف كيف وقفت، أخرجت مخزن الرصاص الفارغ من مسدسها ووضعته في جيبها، ووضعت مكانه مخزنًا ممتلئًا بعشر رصاصات، ووضعت السلاح في قرابه، وركضت.

# 18

أخيرًا، عندما أصبحت خارج بستان النخيل، في العراء بالقرب من النافورة، رأت رجلين يأتيان من جهة المكتبة، التي كانت تقع غربها، ودخل ثلاثة آخرون من الشارع من الجهة الشمالية للحديقة، لم يكن أي منهم يرتدي زيًّا رسميًا، بالرغم من أنهم بالتأكيد ليسوا مواطنين خارجين للتريض.

كانت الفورد إسكيب مركونة إلى الجنوب من الحديقة، لكنها لم ترغب في أن تقودهم إلى السيارة، فربما لا تزال السيارة مجهولة بالنسبة إليهم.

هربت شرقًا، إلى أطول ممشى في هذه المنطقة الخضراء، سعيدة أنها عاشت على حمية خالية من الكربوهيدرات، وتقوم بتمارين التمدد كل مساء، وتركض بانتظام.

حتى من مسافة بعيدة، أمكنها ملاحظة أن الخمسة الذين يتبعونها كانوا ضخامًا بما يكفي ليكونوا مؤهلين للعب مدافعين في دوري كرة القدم: رجالًا ضخامًا، مفتولي العضلات، ويتمتعون بقدرة تحمل شديدة. وبما أنها تزن مئة وخمسة عشر رطلًا، فهذا يعني أن كل واحد من ملاحقيها يبلغ ضعفي حجمها. الوزن الزائد يتطلب طاقة إضافية لتحريكه. كانت نحيفة وسريعة، ودافعها أعطاها دفعًا أقوى من أي شيء كان يدفعهم للركض خلفها.

لم تنظر إلى الوراء، لأن ذلك سيبطئ من حركتها. إما سيمسكون بها وإما سيفشلون، ففي معظم الأحيان يفوز بالسباق من يثق بقدرته على التحمل.

في اللحظة التي أضاء فيها البرق السماء، وكان أشد من المرة السابقة، وشق أطول شجرة في الأفق، وهي شجرة بلوط مجاورة، اندفعت منها زخات من الشظايا النارية، ورقائق من اللحاء المتوهج. انحنى لوح من الجذع الرئيسي، حاملًا طرفًا من الفروع المعقدة مثل سارية هوائي رائعة تستقبل إشارات من عوالم لا تحصى.

بالرغم من أن الكتلة المقلوبة تحطمت بعيدًا عنها، إلا أن جين رفعت ذراعها إلى وجهها لتحمي عينيها من شظايا الفروع الممزقة والأغصان والأوراق البيضاوية البنية الهشة المشتعلة.

عندما سقط آخر الحطام خلفها، وتلاشى صوت الرعد عبر المدينة، كانت قد وصلت إلى الطرف الشرقي من الحديقة. شحب لون السماء التي كانت مظلمة، وفجأة لمعت بشدّة، وسقطت الأمطار بغزارة، قطرات ريانة هسهست من خلال الأشجار والعشب، وسقطت على الرصيف، وضربت أخرى الأغطية المعدنية لصناديق القمامة، حاملة معها رائحة الأوزون الباهتة الخافتة، وهو ناتج كيميائي عن تفاعل الأكسيجين مع طاقة البرق.

فجأة تحوّلت سيول الأمطار الفضية إلى اللون الأحمر، حيث كشفت أضواء الفرامل عن تفاعل السائقين مع الانخفاض المفاجئ في الرؤية. دون تردد، قفزت من الرصيف، إلى الشارع، والطريق يلمع أسفل قدميها، وانغمست في حركة المرور في منتصف الطريق، فاستقبلها السائقون بإطلاق العنان لأبواق سياراتهم، وصرت عجلات سياراتهم عندما ضغطوا بشدة على فراملهم، لمحت لفترة وجيزة بعض الدهشة وبعض الوجوه الغاضبة عبر زجاج السيارات الأمامي قبل أن تتغبش خلف المطر المنهمر الذي ينساب على الزجاج.

عند وصولها إلى الرصيف الأبعد سالمة، انعطفت جنوبًا، وركضت بأسرع ما أمكنها، متجنبة المشاة الآخرين الذين قد يكونون منزعجين لكنهم لم يفاجأوا برؤية امرأة شابة، من دون مظلة، في عجلة من أمرها تبحث على مأوى. عند الناصية، ركضت نصف شارع قبل أن تستبدل الشارع بزقاق، ثم الزقاق بممر خدمة ضيقًا بين المباني، وهو مناسب فقط لسير المشاة.

أخيرًا، في منتصف ذلك الممر الضيق، خاطرت بإلقاء نظرة إلى الوراء. لم ترَ أيًا من الثيران الخمسة الذين طاردوها في الحديقة، لكنها تعلم أنها لا تستطيع التخلص منهم جميعًا. كانوا في الجوار، ومن المرجح أن يعترضوا طريقها فجأة.

توقفت لإلقاء هاتفها المؤقت من خلال قضبان شبكة الصرف الصحي. بالرغم من ضجيج المطر الصاخب، أمكنها سماع سقوطه في الماء الداكن بالأسفل، ثم ركضت مرة أخرى.

## 19

من الممر الضيق، خرجت إلى وسط شارع جديد. كانت على وشك عبوره عندما لاحظت، على بعد خمسين أو ستين ياردة إلى يسارها، في الجانب الآخر من الشارع، رجلًا ضخمًا يرتدي ملابس داكنة، يقف غافلًا عن المشاة الصاخبين من حوله. ربما كان شخصًا عاديًا، يبحث عن شخص آخر، لكن حدسها حملها على التراجع نحو الممر الذي غادرته للتو.

قبل أن تنحرف عن الأنظار، لاحظت أنه رآها. رفع رأسه وتجمّد، مثلما يتجمد الكلب المهاجم للحظة عندما يشتم رائحة فريسته.

تراجعت إلى الممر الذي يبلغ عرضه ثلاث أقدام وركضت، مبعدة المطر عن عينيها، محبطة من صوت تنفسها المجهد. شعرت بسخونة حنجرتها وجفافها، كانت دقات قلبها تتسارع، وشعرت بارتداد شيء من الحمض إلى حلقها.

هذا جنون، مطاردة هذه المرأة في وضح النهار، في مدينة مزدحمة. جنون ولا يصدق، ولكن ليس أكثر من أن ينتحر نِك بسكينه، أو من أن تشنق إيلين روت نفسها في المرأب، أو من تُحطم طائرة جهادية فوق مئات السيارات والشاحنات والحافلات على طريق سريع مزدحم.

عندما دخلت الزقاق الذي سبق لها أن عبرته، أدركت أنه لم يكن لديها وقت للوصول إلى نهاية الشارع قبل وصول مطاردها، رأت شاحنة متوقفة في الجهة الخلفية من مطعم، وقد طبع شعار مخبز على جانبها؛ إنها توصل الخبز أو المعجنات أو كليهما. ارتدى السائق مشمعًا مطريًا أصفر، وعندما أنهى تكديس أربع علب بلاستيكية كبيرة مقاومة للمطر فوق عربة تُدفع يدويًا، أدخلها إلى غرفة الاستلام أو إلى مطبخ زبونه.

انطلقت إلى باب السائق، نظرت إلى الداخل من خلال الزجاج المغبّش بسبب التكاثف الداخلي، وعندما رأت أن لا أحدًا داخلها، أسرعت إلى الجزء الخلفي منها. وقفت أمام منطقة التحميل، حيث ترك السائق أحد البابين مفتوحًا، على الأرجح لأنه كان لديه مزيد من البضائع لتفريغها. لكنها غيّرت رأيها وركبت مقصورة السائق من الجانب الأيمن، وأغلقت باب الركاب خلفها، وانزلقت تحت مستوى النافذة، إلى أقصى مسافة يمكن أن تنزل إليها.

سال المطر على الزجاج الأمامي، وبسبب التكاثف بدت نافذتا البابين مغبشتين، كان مصباح مقصورة السائق مطفأ، ولوحة القيادة مظلمة. طالما بقيت منخفضة، لن تُرى، إلا إذا سعى مطاردها إلى فتح باب. ولكن كان من المرجح أكثر أن يعتقد أنها وجدت مدخلًا غير مقفل لأحد المتاجر التي لها أبواب جهة الزقاق، وكان المطعم هو الأكثر احتمالًا.

عندما حاولت تهدئة تنفسها، سمعت أصواتًا في الخارج. لم تستطع فهم الكثير بسبب صوت المطر. ثم جاء الصخب المميز لصوت جهاز اتصال لاسلكي، سمعت كلمات لم تكن واضحة.

كان الرجل الذي يحمل جهاز اتصال لاسلكي قريبًا جدًا. لا بد أنه كان يقف بجانب شاحنة المخبز. كان صوته عميقًا ومكتومًا، لكنه واضح بما فيه الكفاية. "وسط الشارع إلى الشرق من موقعك، الجهة الخلفية من مطعم يسمى مطعم دوناتينا".

سمعت خشخشة صادرة من الجهاز، ومرة أخرى لم تستطع جين فهم ما يُقال.

قال الرجل الأقرب: "حسنًا، وأنتما في الأمام. فتشا المطعم، والاستراحات، وكل شيء، واجلباها لي".

تلاشى صوته عندما ابتعد عن الشاحنة باتجاه المدخل الخلفي لمطعم دوناتينا.

فكّرت جين في سحب مسدسها. لكنها محجوزة في مقدمة السيارة، ظهرها بين المقعد وباب الراكب، وتواجه المقود، لن تكون قادرة على الحصول على أي هدف ذكي لأي شخص إن تطلب الأمر ذلك.

على أي حال، لن يعطوها سببًا للإطلاق أولًا. سواء كانوا ذوي سلطة شرعية من أي نوع أو مجموعة شريرة تمامًا، فإنهم يريدون استجوابها.

هم.

بالرغم من أنها قد لا تتمكن من تسميتهم الآن، إلا أنها ستعرف هويتهم يومًا ما. هذا ما وعدت به نِك، وبالرغم من أنه كان وعدًا تلى دفن نِك بأسابيع، فإنها ستفي بوعدها كما لو أنها وعدت رجلًا حيًا، هذا الوعد ارتقى ليكون مقدسًا بالنسبة إليها كما هي حال نذور الزواج.

مرّتْ دقيقتان قبل أن يفتح السائق باب صندوق الشاحنة الذي غادره عندما كان ينقل القسم الأول من طلبيته إلى المطعم.

تُرك مزلاج المرور بين الكابينة والجزء الخلفي من الشاحنة مفتوحًا. سمعت الرجل الذي يحمل اللاسلكي، فلم يعد صوته مكتومًا، وكان يستفسر من السائق. "هل رأيت امرأة، ذات شعر داكن، طولها حوالى خمسة أو ستة أقدام، حسنة اللباس لكنها نصف مبللة مثلي؟".

"أين يفترض بي أن أكون قد رأيتها؟".

"هنا، في الزقاق، وربما داخل المطعم؟".

"متى كان هذا؟".

"منذ أن وصلت إلى هنا".

"كنت أقوم بالتوصيل".

"هذا يعني أنك لم ترها".

"في هذا الطقس، وعندما أرتدي معطفًا مع قلنسوة، أبقي رأسي منخفضًا".

دخل صوت ذكر مختلف في المحادثة: "لقد هربت العاهرة يا فرانك. إنها في مكان آخر".

قال فرانك: "إنني أكره تلك الخنزيرة حقًا".

"أنا أيضًا. من هذه الموزة البلاستيكية؟".

قال السائق الذي يرتدي مشمعًا أصفر: "أنني أوصل الطلبيات إلى هنا منذ خمس سنوات، ولم أرَ أبدًا ما يمكنك تسميته بشخص حسن اللباس".

قال فرانك لصديقه الذي وصل حديثًا: "إنه رجل المخبز. ليس لديه أي شيء".

"ما لديّ هو عمل يجب القيام به في هذا المطر الغزير. من أنتما أيها الرفيقان على أي حال - رجلا شرطة أو شيء من هذا القبيل؟".

قال فرانك: "من الأفضل ألا تعرف".

كرر السائق: "من الأفضل ألا أعرف". وانصرف إلى تفريغ المزيد من صناديق المخبوزات البلاستيكية المقاومة للماء.

انتظرت جين، واستمعت، وتوقعت وجهًا عند النافذة، مغبشًا بفعل البخار ومهددًا كوجه يظهر في كابوس.

هطلت أمطار غزيرة على الشاحنة. لا مزيد من البرق أو الرعد. نادرًا ما يترافق المطر في كاليفورنيا مع البرق والرعد لفترة طويلة.

سرعان ما عاد السائق. سمعته يدفع الصناديق الفارغة في الشاحنة. أغلق الباب الخلفي من دون التحدث إلى أي شخص.

كادت جين تقفز لتندفع خارج الشاحنة، لكنها سمعت بعد ذلك صوت شخص على جهاز الاتصال اللاسلكي، والذي رفع صوته للتعويض عن سوء الاستقبال.

فُتح باب السائق، ودخل عامل التوصيل ليجلس خلف المقود قبل أن يُذهل عند رؤيتها.

همست: "لا، من فضلك".

# 20

كان السائق بعمر جين تقريبًا. وتبيّن أن له وجه لطيف يغطيه النمش، أما حاجباه فكانا أصهبين كما شعره الذي تخفيه القلنسوة الصفراء.

أغلق بابه، وشغّل المحرك، وبعدها ماسحتي الزجاج، وتحرك مبتعدًا عن المطعم، وقبل أن يصلا إلى نهاية الشارع قال: "إنهم خلفنا، يمكنك النهوض الآن".

"أُفضّل أن أبقى في الأسفل قليلًا. هل يمكنك إنزالي في محطتك التالية".

"طبعًا".

"شكرا لك".

ركن في نهاية الشارع، وقال: "إن كنت تريدين الوصول إلى أي مكان محدد يمكنني إيصالك".

نظرت إليه وهو ينعطف يمينًا: "ما اسمك؟".

"أيمكنك أن تصدقي أنني أدعى إيثان هانت".

"لماذا قد لا أصدق؟".

"حسنًا، إيثان هانت - إنه اسم الشخص الذي أدى دوره توم كروز في سلسلة أفلام المهمة المستحيلة".

"آه. إن الناس يمازحونك بشأن هذا الموضوع، أليس كذلك؟".

"ليس الأشخاص الذين يعرفون طبيعة عملي. أنا أقوم بفك القنابل النووية وأنقذ العالم مرة كل شهر".

"مرة كلّ شهر، هاه؟".

"حسنًا، كل ستة أسابيع".

أحبت ابتسامته. لم يكن هناك خبث ولا جنون عظمة فيها، كما هي حال كثير من الابتسامات هذه الأيام.

"أريد الوصول إلى سيارتي". أخبرته أين ركنتها. "ولكن إذا رأيت أيًا من هؤلاء الحمقى، فاستمر في القيادة".

نهضت من مكانها، وجلست إلى جانبه في مقعد الراكب.

غطت الأمطار الشوارع، وطافت البالوعات. وجعلت الأضواء الأمامية للمركبات المقتربة المطر المتساقط يبدو وكأنه طبقة جليدية تغلف السطح الأسود للشارع.

قال إيثان هانت: "من الأفضل ألا أسأل عن اسمك".

"قد يكون هذا أكثر أمانًا لك".

"ألا تؤمنين بالمظلات؟".

قالت: "مظهر الجرذ الغارق جذاب جدًا".

"سأتزوج أي جرذ غارق إن بدا جذابًا مثلك".

"شكرًا لك، على ما أعتقد".

"سأستدير حول الطريق لأتأكد من أنه آمن".

"اكتشفت أن هذا ما تفعله".

"بالإضافة إلى ذلك، أريد الاستمرار في هذا لفترة قصيرة".

"لقد مر وقت طويل جدًا منذ أن فككت قنبلة نووية، هاه؟".

"يبدو الأمر وكأنه منذ الأزل، كان أولئك بعض الرجال السيئين".

"نعم، أدرك الوضع".

"هل أنتِ متأكدة أنك تستطيعين التعامل معهم بنفسك؟".

"هل تتطوع لمساعدتي؟".

"هذا مستحيل. سيسحقونني مثل حشرة. أنا أسأل فقط".

"سأكون بخير".

"عندما أفكّر أنك لن تكوني بذلك أشعر بالغثيان". توقف بجانب سيارة الفورد إسكيب. "إنني لا أرى أحدًا من أولئك الحمقى".

"أنت رجل لطيف، إيثان هانت. شكرًا لك".

"أعتقد أنه ما من طريقة ليقود لقاؤنا هذا إلى موعد".

"ثق بي، إيثان، سيكون موعد معي موعدًا من الجحيم".

خرجت إلى المطر، وعندما أغلقت الباب، سمعته يقول: "لكنك لن تكوني مملة".

# 21

أولئك الذين بدا أنهم فهموا ما الذي يكمن وراء الزيادة في حالات الانتحار، والذين ربما كانوا قد صمموا الأمر ليكون كذلك، كانوا مرتبطين بشكل جذري وفرعي مع وكالات حكومية لم تُحدد بعد. يمكن أن تفترض جين أنهم سيؤثرون أيضًا في سلطات من مستوى الولاية، بما في ذلك دوريات شرطة طرقات كاليفورنيا السريعة.

غادرت المدينة متجنبة الطرق السريعة لأنها ستكون المكان التي تكثر فيه دوريات شرطة الطرقات السريعة، كان هناك نقاط ازدحام حيث يمكن بسهولة إيقاف حركة المرور أو إبطاؤها للتفتيش الدقيق. ولا شك أن الطائرات من دون طيار أرسلت فيديو لها، ورأى الرجال الذين هربت منهم أثناء الجري خلفها أن شعرها الأشقر الطويل أصبح الآن قصيرًا وبنيًا، وهذا وصف جيد سيوضع بين يديّ من يبحثون عنها.

كانت تنوي التوجه إلى الساحل على بعد بضعة أميال فقط إلى لاجولا، لرؤية رجل في ذلك المساء وطرح سؤال عليه، ووفقًا لإجابته، ستقرر مستقبلها. بدلًا من ذلك، سلكت سلسلة من الشوارع التي غطّت سطوحها الأمطار الغزيرة نحو الساحل، ودارت حول مدينة لاجولا، ووجدت طريقها إلى محمية توري بينس.

هناك وصلت إلى الطريق السريع أس 12. يخدم هذا الطريق الساحلي عددًا من المدن الشاطئية الخلابة من ديل مار وشاطئ سولانو شمالًا إلى أوشن سايد. على شاطئ توري بينس، قادت سيارتها إلى ساحة الانتظار، والتي كانت مهجورة في هذا الطقس. من أسفل مقعد الراكب، التقطت علبة أدوات صغيرة، وأخرجت منها مفكًا.

خرجت إلى العاصفة، وبدت لها أشجار النخيل الباسقة وكأنها تتنهد. وعلى الأرصفة، رقصت مياه الأمطار المتدفقة مولدة هسيسًا كما لو أنه صادر عن ألف أفعى غاضبة.

انزلقت أصابعها الرطبة على المفك، لكنها تمكنت من إزالة لوحتي السيارة الأمامية والخلفية، كل شيء مخفي، بقدر ما يمكنها.

إن كان هناك كاميرات مرور بالقرب من المكان الذي غادرت فيه السيارة قبل السير إلى المكتبة، حيث توجد في كل مكان تقريبًا في المناطق الحضرية هذه الأيام، فسيراجع العملاء قريبًا فيديو مسجّل من جميع الشوارع التي تحيط بالحديقة حيث كادت أن تقع في قبضة مطارديها. حتى مع تضاؤل الرؤية بسبب المطر، فإنهم يأملون في العثور على فيديو لمغادرتها السيارة وعودتها إليها. افترضت أنهم يعلمون أنها تقود سيارة فورد إسكيب سوداء تحمل لوحتي ترخيص كنديتين.

في كاليفورنيا، في معظم الأحيان، لا تثير سيارة لا تحمل لوحات ترخيص اهتمام الشرطة، لأن وكلاء بيع السيارات، لم يكونوا يوفرون لوحات مؤقتة للسيارات الجديدة. من الأفضل أن تمضي من دون لوحتي ترخيص بدلًا من المضي مع زوج قد يكون على قائمة كل شرطي في غضون ساعة أو ساعتين.

وضعت اللوحتين أسفل مقعد السائق، وجلست مجددًا خلف المقود، وشغّلت المحرك. بعد أن تبللت للمرة الثانية، زادت درجة حرارة المدفأة بضع درجات، وزادت من عزم مروحة الهواء.

عندما مسحت المساحتان المطر عن الزجاج الأمامي، شاهدت المحيط الهادئ القريب، بدا عاصفًا ومضطربًا، حيث تندفع أمواجه نحو الشاطئ كبحر من دخان رمادي متولّد عن حرائق نووية كبيرة أكثر من أن يكون بحرًا من المياه.

## 22

بعد أن توقفت في كارديف للتزود بالوقود، غادرت الطريق السريع الساحلي إلى الطريق السريع 5. كانت على بعد أكثر من عشرين ميلًا من حدود مدينة سان دييغو، وكان الطريق السريع يستحق أن تخاطر وتسير عليه وفقًا لأعلى سرعة يسمح بالقيادة عليه.

خرجت من العاصفة في شمالي أوشن سايد، حيث كان السهل الساحلي مسطحًا ومغطىً بنباتات قصيرة. خلال الرحلة، وبعد أن فكرت، قررت أن خطأها الأول كان الإجابة عن سؤال جوين لامبرت، *إلى أين ستذهب من هنا؟* قالت إنها سترى شخصًا بالقرب من سان دييغو.

كانت العلاقة بين جين وجوين تستحق ثقتها. كانتا زوجتي رجلي بحرية أو بالأحرى أرملتي رجلي البحرية. تجمعهما الرابطة الثلاثية المكونة من الخدمة والواجب والحزن. لقد أحبت المرأة. لم يكن لديها سبب للشك في أن جوين ليست موضع ثقة وأنها على شفير انهيار عاطفي.

إلى من تحدثت جوين على الهاتف قبل أن تنتحر؟ ولماذا تحدثت إلى أحدهم؟ هل تحدثت إليه لتخبره أن جين كانت متجهة إلى سان دييغو؟ ما لم يكن لدى أشباه الأخطبوط عميل قريب بما يكفي ما كان ليستطيع القبض عليها في آلباين، مع العلم أن وجهتها التالية ضيّقت نطاق بحثهم.

لكن *بالقرب من سان دييغو* هي مساحة تصل إلى مئة ميل، ويقطنها مليون ونصف مليون شخص. ربما أدى ذلك إلى تضييق نطاق البحث، لكنه بالتأكيد لم يحدد مكانها.

في الأسابيع الأخيرة، كان على ملاحقيها أن يعرفوا أنها كانت تستخدم حواسيب المكتبات العامة لإجراء عمليات بحث على الإنترنت. ومع ذلك، كان هناك العديد من المكتبات في منطقة سان دييغو الكبرى، بما في ذلك العديد من الكليات والجامعات. قد يتوقعون أنها تريد معرفة المزيد عن مؤتمر (ماذا لو) ومعهد غرينسباك، بعد أن عرفت بشأنهما من جوين. ولكن للعثور عليها، عليهم مراقبة تلك المواقع، مع القدرة على تحديد كل عملية بحث تجري في كل مكتبة في سان دييغو في الوقت الحقيقي؛ بعد ذلك يجب أن يكونوا قادرين على تتبع المصدر على الفور وتحديد التوقيع الفريد لمحطة العمل. كان الباحثون يقتربون منها عندما أنهت مهمتها في المكتبة الفرعية، في الوقت الذي أعطت فيه أربعين دولارًا للمخضرم المشرد.

كان خطأها الثاني هو التواجد في الحديقة المجاورة وإجراء مكالمة هاتفية مع سيدني روت في شيكاغو. إن كانوا يعرفون الاثنين وعشرين شخصًا الذين جمعت عنهم أدلة حتى الآن، فهم يتوقعون أن تعاود الاتصال بأحدهم أو أكثر من واحد منهم. إن مراقبة مكالمات الهاتف في الوقت الحقيقي لهذا العدد الكبير من الأشخاص، على منصات اتصالات متعددة، ستكون مهمة ضخمة، وهي مهمة لم تكن متأكدة إن كانت التكنولوجيا الحالية توفرها.

لنفترض أن كل ذلك ممكن، سيكون عليهم أيضًا تتبع مكالماتها، والبحث في متاهة الموجات الدقيقة لملايين المكالمات الحالية للإرسالات المحددة من الهواتف المؤقتة، ثم استخدام هذه الإشارة بطريقة أو بأخرى لتحديد موقعها في الحديقة من خلال جهاز تحديد المواقع العالمي. وكل ذلك في غضون دقائق.

بعد بضع ساعات من الاتصال الذي أجرته جوين، كانوا بحاجة إلى وضع فرق من العملاء في نقاط استراتيجية في جميع أنحاء المدينة، فحين يتم تحديد موقع جين، سيكون أحد هذه الفرق قادرًا على الاستجابة والوصول إلى جين في غضون دقائق.

ربما كانوا محظوظين. ولكن في جميع الأحوال، سواء كانوا محظوظين أم لا، فإن الكيان الذي يلحقها بدا فجأة في كل مكان، وبسلطة وقدرة أكبر من أي وكالة لتنفيذ القانون، وأكثر كفاءة من أي وكالة حكومية كانت على دراية بها، وكلها موجودة في كل مكان وكل شيء.

حتى لو تعرفوا إلى سيارتها، تعتقد أنه بإمكانها استخدامها لفترة من الوقت قبل أن يتمكنوا من العثور عليها، كانت مواردها المالية محدودة، وكانت هذه مركبتها الثانية منذ أن بدأت هذه الرحلة.

في سان خوان كابيسترانو، غادرت الطريق السريع 5 إلى الطريق السريع 74. بينما كانت الإسكيب تتسلق التلال الوعرة ذات الأحراش في غابة كليفلاند الوطنية، أصبح مزاجها أكثر سوداوية من النهار الذي يتلاشى ببطء، وبدت الأحراش أكثر خضرة في هذا الموسم مما ستكون عليه في وقت لاحق من العام. إن المناظر الطبيعية الصحراوية الحدودية تحظى بتقدير المتنزهين وعشاق الطبيعة، التي يعتقد بعضهم أنها جميلة، ولكنها بدت بالنسبة إليها موحشة وكئيبة، إلى حدّ خُيّل إليها أن كوكبًا منكوبًا يكافح تحت أشعة الشمس يقبع خارج نوافذ الفورد إسكيب.

ما إن وصلت إلى بحيرة إلسينوري وما بعدها، بدا لها المشهد ريفيًا معزولًا عما رأته قبلًا؛ مروج خضراء ووادٍ ذو أشجار قزمة، تخللته ممرات حصوية خاصة تؤدي إلى عقارات على جانبي الطريق السريع. بساتين صغيرة ومنفصلة من الحور القطني وصنوبريات تشهد على طبقة مياه جوفية تحت الأرض لولاها كانت الأرض قاحلة.

كان البعد وهمًا، لأن ازدحام جنوب كاليفورنيا بقي نفسه في الغرب، وحتى في هذه الإمبراطورية الداخلية الأقل ازدحامًا. تفاخرت المدن "الصغيرة" مثل بيريس وهيميت بأن كل واحدة منها تأوي سبعين أو ثمانين ألف قاطن.

وصلت إلى ممر خاص تحيط به أشجار البلوط، وانعطفت يمينًا، وتوقفت عند بوابة خشبية مطلية باللون الأبيض وموصولة بالأسلاك. أنزلت نافذتها، واقتربت من صندوق الاتصال. لم تكن بحاجة للإعلان عن نفسها. كان لديها رمز شخصي مكون من خمسة أرقام أدخلته على لوحة المفاتيح، وفُتحت البوابة.

بالنسبة إليها يقبع خلف البوابة المكان الأكثر أهمية في العالم.

# 23

كان المنزل ذو الألواح الخشبية مسكنًا متواضعًا، ولكنه كان يحتوي على شرفة كبيرة تحيط به بالكامل.

استلقى دوك وكويني على كرسيي خيزران وُضِعا على هذه الشرفة. نهضا واقفين عندما وصلت الفورد إلى نهاية الممر الطويل. إنهما كلبان ألمانيان، نوع ممتاز من الكلاب يمتاز بصدور عريضة وأضلاع بارزة بشكل جيد وظهور مستقيمة، كانا بمثابة حيواني الأسرة الأليفين، وكذلك كلبي حراسة مدربين في الوقت نفسه.

توقفت جين خلف سيارة البيك آب فورد 48 الخضراء التي تعود ملكيتها لغافين والذي عدّلها بنفسه، مضيفًا مصدات من نوع لاسال وقسم أمامي مخصص من نوع لاسال مع الفولاذ المقاوم للصدأ، وهذا ما جعل منها سيارة لا يمكن للمرء أن يشاهد شبيهًا لها على الطرقات.

عرفها الكلبان لأنها تركت نافذتها مفتوحة للتأكد من أنهما التقطا رائحتها قبل أن تخرج من الفورد. نزلا درجات الشرفة وركضا نحوها، وقد حركا ذيليهما في الهواء فرحين. لو كانت غريبة، كانا ليتصرفان بطريق مختلفة تمامًا.

ركعت على إحدى ركبتيها، أعطت كل كلب نصيبه من المودة. فلعقا يدها بلسانيهما، وهي تحية ودية ربما ما كانت لتعجب بعض الأشخاص، لكنها استقبلتها بسعادة. كانا حارسي كنزها، ما كانت لتنام قريرة العين لو لم يكونا موجودين هنا.

بقدر ما أحبت الكلبين، وأعجبت بالانضباط الذي غرسه غافين فيهما، فهي لم تأتِ إلى هنا لرؤيتهما. بعد دقيقة، نهضت على قدميها، وتحركت نحو المنزل، وسار الكلبان إلى جانبها.

مع الخطوة النابضة الرشيقة من شخص مبتور الأطراف انتهت أطرافه الصناعية السفلية بقدمين تشبهان النصل سمحت لها بأن تكون منافسة في سباق 10 كم، جاءت جيسيكا عبر الباب الأمامي، وأطلت على الشرفة. شعر أسود. بشرة شيروكية. تنعم بجمال جاء من منابع مسبح جيناتها، كانت دائمًا شخصية ملفتة للنظر.

لقد فقدت ساقيها في أفغانستان قبل تسع سنوات، عندما كانت في الثالثة والعشرين. كانت تؤدي مهمة مدنية في الجيش، لكن العبوات الناسفة على جانب الطريق لم تميز بين القوات المسلحة وخدمات الدعم. بالرغم من أنها فقدت ساقيها في هذا البلد الكئيب، إلا أنها وجدت غافين هناك؛ إنه مقاتل شارك في كثير من المعارك، لكنه عاد إلى البلاد من دون أن يمسسه ضرر. إنهما متزوجان منذ ثماني سنوات.

صعدت جين الدرجات بسرعة قبل أن تتمكن جيس من الوصول إليها، تعانقتا على الشرفة، فتلفت الكلبان حولهما، وضربا الكراسي بذيليهما، وأصدرا صوتًا ينم عن سرورهما بهذا اللقاء غير المتوقع.

سألت جيس: "لماذا لم تتصلي؟".

"سأخبرك عن ذلك لاحقًا".

كان لديها ثلاثة هواتف مؤقتة احتياطية، وجميعها مُفعّلة. اشترت كل واحد منها من بائع مختلف، ومن ثلاث مدن تفصل بينها مسافة شاسعة. لم تكن قد استخدمت أيًا منها بعد، ولم يكن هناك أي طريقة يمكن للذين يلاحقونها أن يتتبعوها من خلالها. لكن الأحداث في سان دييغو أفزعتها لدرجة أنها لم ترغب في المخاطرة بالاتصال بهذا المكان الخاص، هذا الملاذ في عالم يصبح بشكل متزايد غابة من الخطر والفوضى.

قالت جيس: "تبدين جيدة".

"أنت تكذبين دائمًا يا صديقتي".

"إنه يسأل عنك طوال الوقت".

"إنني أفكر فيه طوال الوقت".

"يا إلهي، أنا سعيدة برؤيتك".

خرج الصبي من الباب الأمامي. تألقت عيناه الزرقاوان بإثارة، لكنه كان خجولًا، وقف في ظل الشرفة، لم يولِ اهتمامًا بالكلبين اللذين كان يلعب معهما عادة. لقد رأته مرة واحدة فقط في الشهرين الماضيين، وفي تلك المناسبة - كما يبدو الأمر الآن - كان نصف خائف من التحدث أو الركض إليها، خوفًا من أن تتبخر كما فعلت في أحلامه.

يبلغ ترافيس من العمر خمسة أعوام، وهو صورة مصغرة عن والده، بشعره الأشعث، وأنفه الجميل، وذقنه الحادة. كانت شدة حضوره وهالة الذكاء التي تشع من عينيه، تذكرها بشكل غريب بنِك.

همس: "هذه أنتِ حقًا".

جثت جين على ركبتيها، ليس لتصبح بطوله فقط، بل لأن ساقيها أصبحتا فجأة واهنتين، ولم تعودا قادرتين على حملها. تغلغل بين ذراعيها، فعانقته كما لو أن شخصًا ما يحاول في أي لحظة انتزاعه منها. لم تستطع التوقف عن لمسه، وتقبيل وجهه. كانت رائحة شعره مسكرة، ونعومة بشرته الشابة حلوة.

عندما بدأت بحثها عن الحقيقة، لم تتخيل أبدًا أنها ستجد نفسها في صراع مع أشخاص أقوياء وعديمي الرحمة لدرجة أن التهديد الأول الذي وجهوه إليها هو قتل طفلها الوحيد، وهو الوحيد الذي قد يكون لديها على الإطلاق، هذا الصبي الذي كان الوصية الحية للحب الاستثنائي الذي عرفته مع والده المميز.

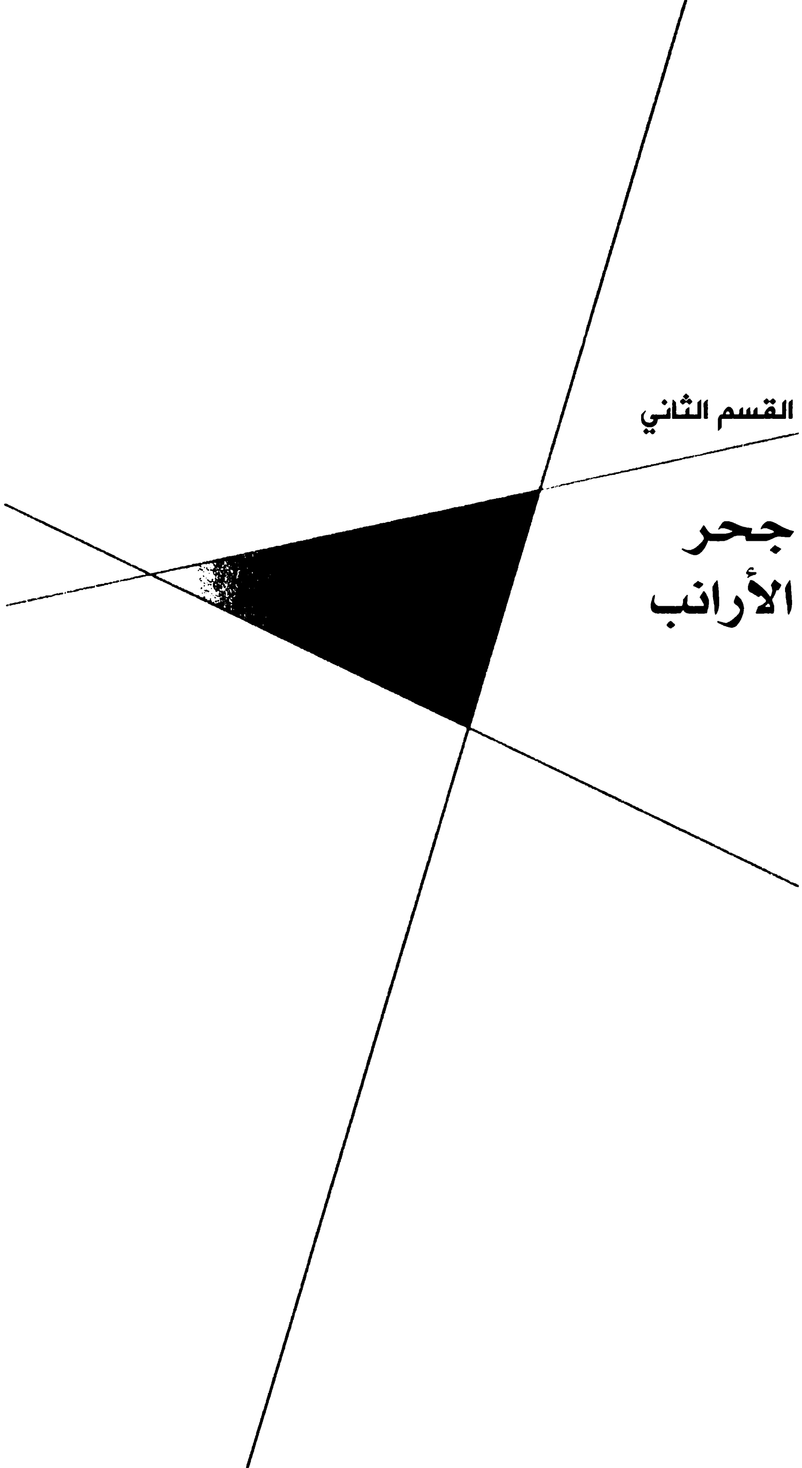
لم تكن تعرف أي مكان آخر يمكنها أن تخبئه فيه بنفس الأمل وراحة البال اللذين شعرت بهما عندما أحضرته إلى هنا. كانت جيسيكا وغافين غريبين عنه قبل شهرين، لكنهما الآن عائلته.

شغوفة بتنظيف سمعة نِك، وإثبات أنه لم ينتحر، سلكت من دون أن تدري دربًا تبين أنه ذو مسار واحد لا مجال للتراجع فيه. أولئك الذين سعت إلى فضحهم لن يسمحوا لها بالابتعاد والعيش حتى في الإذلال العميق للهزيمة. لقد جلبوا شيئًا جديدًا ورهيبًا إلى العالم، لسبب لم تفهمه حتى الآن، وكانوا عازمين على تحقيق غايتهم مهما

يكن الثمن. وفي سبيل تحقيق غايتهم لن يتوانوا عن القتل، ولن تشكل أم وابنها إضافة تذكر إلى لائحة القتل الطويلة. كانت تعرف القليل، لكنها كانت تعرف أكثر من اللازم، وشكّت بأمور أكثير بكثير من الأمور التي تعرفها، ولن يكون هناك أحد يمكن أن تخاطر بطلب المساعدة منه حتى تعرف كل شيء.

تمسك الصبي بها: "أنا أحبك يا أمي".

قالت: "وأنا أيضًا أحبك جدًا يا فتى، أنت سبب وجودي وسرّ سعادتي".



القسم الثاني

# جحر الأرانب

# 1

في الضوء الذهبي لما بعد الظهر، وفي ظل غيوم بيضاء متناثرة ذات حواف مذهبة، أخذ ترافيس والدته لزيارة الخيول. ظللت أشجار البلوط الكبيرة الإسطبل بالرغم من أنها تتخلص على مدار العام من أوراقها البيضوية الصغيرة.

تُنظف الأرض المحيطة من الأوراق عدة مرات في الأسبوع. مثلّت دوامات الخطوط المتوازية التي تركتها شوكة الحفر في التربة الناعمة أنماطًا معينة شبيهة بالتي نحتها بعض الشامانيين القدماء على الحجارة لتمثيل التحولات الغامضة في القدر، والدورات اللانهائية لكون غامض بالرغم من بساطته الظاهرة.

وُضع بيلا وسامبسون، الفرس والفحل، جنبًا إلى جنب، في مواجهة مكانين فارغين، جُهز أحدهما بباب سفلي لاستيعاب المهر الذي لم يولد بعد.

رفع الحصانان رقبتيهما فوق بابي الركنين المخصصين لهما لمشاهدة اقتراب زائريهما، وهزا رأسيهما ترحيبًا.

في كوب ورقي، حمل ترافيس تفاحة مقطعة إلى أرباع لكل حصان. كانت شفاههما ناعمة، التقط الحصانان الطعام من أصابع الفتى الصغيرة.

قال: "لم يجد غافين المهر المناسب بعد".

قبل شهر، وافقت جين على رغبة ابنها في تعلم امتطاء الخيل، ورأى غافين أنه من الأفضل أن يبدأ الطفل بامتطاء مهر صغير.

"لم أستطع امتطاء سامبسون بعد، ولكنني واثق أنني أستطيع امتطاء بيلا إذا سمحتم لي. إنها لطيفة حقًا".

"إن حجمها يفوق حجمه بخمسة عشر ضعفًا. على أي حال، قد ينزعج سامبسون إن امتطاها أحد غير جيس. إنه الذكر الوحيد لبيلا".

"هل تغار الأحصنة؟".

"نعـم، كمـا يغـار دوك وكـويني إذا داعبـت أحـدهما أكثـر مـن الآخـر. شـاركت الأحصنة والكلاب حياتها مع النـاس لفـترة طويلـة، وأصبحت مشاعرها مثل مشـاعر الناس".

أخفضت بيلا رأسها فوق نصف الباب حتى تمكـن تـرافيس مـن مداعبـة خـديها، وهو شيء لديها ولع خاص به.

"لكنني أراهن أنني أستطيع امتطاء بيلا إن لم يمانع سامبسون".

"ربمـا يمكنـك، يـا راعـي البقـر. لكـن أحـدًا لا يصـبح فارسًـا محترفًـا إذا لـم يكـن صبورًا ومستعدًا لتعلم خطوة واحدة في كل مرة".

"فارس محترف. سيكون ذلك جميلًا".

"ترعرع والدك في مزرعة، وشارك في مسابقات رعاة البقر في الوقت الذي كـان فيـه في السـابعة عشـرة مـن عمـره. إن الأمـر يسـري في دمـك، ولكـن عليـك أن تتحلـى أيضًـا بالفطرة السليمة، لذا كن فتىً جيدًا، واستمع إلى حسك".

"سأفعل".

"أعرف أنك ستفعل".

ربتت بإحدى يديها على طول عنق سامبسون العضـلي، علـى طـول تلـك الفجـوة التي تسمى الأخدود الوداجي، وشعرت بقوة نبضه على كفها.

سألها الفتى: "أمازلتِ تبحثين عن... القاتل؟".

"نعم. كل يوم".

لـم تخبره أن والده انتحـر، ولـن تفعـل ذلـك أبـدًا. أي شـخص يقـول تلـك الكذبـة لترافيس ستعتبره عدوًا لها إلى الأبد.

سألها: "هل الأمر مخيف؟".

كذبت: "لا ليس مخيفًا". ثم قالت شيئًا من الحقيقة: "خطير بعض الشيء في بعض الأحيان، لكنك تعلم أنه سبق لي أن قمت بهذا الأمر طوال الوقـت ولـم أصـب بخـدش واحد".

عندما كانت تعمل، كانت تقدّم دعمًا للتحقيق في وحدتي التحليل السـلوكي 3 و4، وكانت تتعامل بشكل خاص مع القتلة الخطرين والمتسلسلين.

"لأنك تتمتعين بفطرة سليمة؟".

"هذا صحيح".

نظر إليها سامبسون بعينيه الصافيتين. لم تكن هذه المرة الأولى التي تشعر فيها جين أن الأحصنة والكلاب تتمتع بخمس حواس، وربما بحاسة سادسة تتيح لها قراءة الناس بشكل أفضل مما يفعل الناس. من خلال نظرة الحصان الثابتة، بدا أنه مدرك لخوفها الذي حاولت إخفاءه والحزن المزدوج من فقدان الزوج والانفصال القسري عن هذا الطفل.

## 2

بعد العشاء، وبعد فترة من اللعب بالقرص الدوار مع الكلبين، وبعد أن قرأت جين لترافيس من القصة التي بدأتها جيسيكا قبل ثلاثة أيام، جلست إلى جانبه لبعض الوقت بعد أن نام، مسحورة بوجهه، الذي رأت فيه نِك ونفسها، ثم ذهبت إلى غرفة الجلوس خارج المطبخ.

جلس غافين وجيس على كرسيين، وغفا الكلبان بجانب الموقد، الذي كان مصدر الضوء الوحيد في الغرفة، حيث تتشقق جذوع الأشجار وتشتعل لفترة وجيزة في كل مرة تفتح فيها النيران وريدًا جديدًا من النسغ.

كان هناك كرسي لها، وضعا لها على الطاولة الصغيرة بجانبه كأسًا من الكبرنيت. كانت ممتنة جدًا لهما.

كان التلفاز مطفأً، وفاجأت الموسيقى جين بطريقة ما. لم يبدُ لها أن جيس وغافين يفضلان ويندهام هيل. كان هذا ألبوم مختارات يضم عزف بيانو منفردًا لليز ستوري وجورج ونستون، وعزف غيتار منفرد لويل أكرمان.

أضفت البساطة الأنيقة للموسيقى سلامًا على الغرفة كما فعل الموقد. أول ما فكرت في قوله بعد احتساء نبيذها هو: "ما هي آخر أخبار فيلادلفيا؟".

قال غافين: "تأكد وجود ثلاثمئة وأربعين قتيلًا".

قالت جين: "سيرتفع العدد مئة أخرى وربما أكثر، بالإضافة إلى أعداد من الجرحى والمشوهين بفعل الحريق".

جلس غافين ويده على ذراع كرسيه، وأمسك بالأخرى بكأس النبيذ. "كل قنوات التلفاز تعرض المشاهد، إذا حاولت مشاهدة أي شيء آخر، ستشعرين... وكأنك فقدت إنسانيتك".

## 3

التقت جين ونِك بغافين وجيسيكا واشنطن قبل أربعة عشر شهرًا، في حملة لجمع التبرعات استمرت طيلة إجازة نهاية أسبوع في ووندد واريورز، فيرجينيا. تنافسوا في سباق للجري، ليس في قسم الأشخاص ذوي الإعاقة ولكن بين الرياضيين الأصحاء، تأخرت جيس دقيقة عن الوقت الذي وصلت فيه جين إلى خط النهاية.

أحس الأربعة بالألفة الشديدة حتّى من دون نقاشات طويلة حول حالة العالم، فقط من خلال الفروق الدقيقة في الكلام والإيماءات وتعابير الوجه، عن الأشياء التي لم تذكر بشأن المواضيع التي كانوا يتحدثون عنها.

بعد أربعة أشهر أمضوا بعض الوقت معًا في حدث ثانٍ، وبدوا كما لو أنهم أصدقاء منذ أيام الطفولة، وبدا من السهولة التي يتعاملون فيها كما لو أنهم إخوة مقربون.

كتب غافين رواية واقعية تدور أحداثها في الحياة العسكرية، ومؤخرًا أصدر سلسلة من الروايات تتحدث عن إحدى مجموعات العمليات الخاصة. حتى الآن لم تحقق أعماله مبيعات كبيرة، لأنه لم يكن يتعامل مع ناشر كبير، ولكن اسم غافين كان يحقق شهرة مفاجئة، وهو المغرم بالكتابة أكثر من غرامه بالشهرة.

من خلال انشغالها بالعمل التطوعي في قضايا المحاربين القدامى، أظهرت جيس مهارة تنظيمية كبيرة وموهبة فذة في حمل الآخرين على التبرع بالوقت والمال من دون أن يتذمروا.

لقد أحبت جين في غافين إخلاصه لجيس من بين أمور كثيرة. كانت جيس محط إعجاب عدد كبير من الرجل حتى خسرت ساقيها أسفل ركبتيها، فاختفى رهط المعجبين كما لو كانوا مجرد أشباح لرجال غير موجودين، لم يكن غافين على معرفة بجيس قبل أن تضع طرفيها الاصطناعيين، ولم يعتبرهما أمرًا معيقًا أكثر مما اعتبر نظارة القراءة معيقة.

بعد إصابتها رأت جيس في نظرات الرجال رغبات لم يستطيعوا تحقيقها، إلا أنهم لم يستطيعوا إخفاءها. لكن عندما نظر إليها غافين، كان كراهب أو أخ، لم يكن ينظر إليها كأكثر من صديقة، فهو لم يسعَ إلى شيء أكثر من الصداقة.

خططت جين ونِك لمقابلة آل واشنطن في عطلة نهاية أسبوع لمدة ثلاثة أيام في فيغاس في أوائل كانون الأول، لكن نِك لم يعش ليحقق ذلك.

بحلول منتصف كانون الأول، بعد إصرار جين على عدم اعتبار موت زوجها انتحارًا، بالإضافة إلى استفساراتها عن حالات الانتحار الأخرى، لفتت إليها انتباه الأشخاص مجهولي الاسم والكيان والذين ينظرون إليها باحتقار. وجهوا تهديدًا لابنها، وكان التهديد جديًا، لدرجة أنها أيقنت أنها إن استجابت لهم وتوقفت عن تحقيقها ستظل وابنها في خطر. لكن لم تكن لديها نية بالخضوع لهم لا الآن ولا في أي وقت آخر.

لم ترَ جين أن هناك مكانًا آمنًا لترفيس مع العائلة ودائرة الأصدقاء القريبة، لأن المجرمين إذا بحثوا عنه فسيعثرون عليه خلال فترة وجيزة.

عاش غافين وجيس وحيدين في الطبيعة، ولم يكونا مهتمين بوسائل التواصل الاجتماعي، وشأنهما شأن جين ونِك لم يمتلك أي منهما صفحة فيسبوك أو حسابًا في تويتر، لأن المحارب المتمرس داخل كل واحد منهم أدرك خطر التخلص من التمويه والخفاء الذي يتمتع به والتبختر مسلطًا عليه نور الشمس وغيرها من الأنوار. لن يؤدي البحث عنهم عبر الإنترنت إلى ربط أسمائهم. كانت صداقتهم تقوم على لقاءات شخصية في العالم الواقعي الحقيقي وليس في عالم التواصل الاجتماعي الافتراضي، حتى لو سعى أحدهم للبحث عن سجل مكالماتهم ما كان ليجد ما يثير ريبته بوجود علاقة متينة تجمع بينهم قد تحمل جين على إخفاء ولدها لديهما.

بمجرد أن أدركت أن أيام حياتها الطبيعية ولّت، حصلت على سيارتها الأولى الخالية من نظام تحديد المواقع العالمي، وهي سيارة تشيفي قديمة اشترتها من باحة للسيارات المستعملة. لم تكن مركبة مسروقة، ولكنها عُدلت في المكسيك. قادت عبر البلاد برفقة ترافيس، من فيرجينيا إلى كاليفورنيا، موظفة تدريبها للتأكد من أن أحدًا لا يتعقبهما، وحرصت على أن تدفع نقدًا لتحافظ على هويتها مخفية.

لم تُعلم آل واشنطن بقدومها، لا من هاتف عمومي ولا من هاتف مؤقت يمكن التخلص منه، لاعتقادها أن مثل هذا التصرف الصغير، يمكن أن تترتب عليه مخاطر كبيرة، بالرغم من أنها خافت أن يرفض غافين وجيس تحمل مسؤولية ترافيس. في هذه الحالة، ستكون على حافة الهاوية ومن دون أي خيارات أخرى متاحة.

في الحقيقة، لم يرفضا بل وافقا من دون تردد.

كانت تعرف في صميمها، أنها لطالما قرأتهما جيدًا، وأدركت أنها تستطيع الاعتماد عليهما، ولكن بالرغم من كل ذلك بكت عندما أخبراها أنهما مستعدان لمساعدتها، بالرغم من أنها عاهدت نفسها بعد جنازة نِك ألا تبكي مجددًا، وحرّمت على نفسها جميع تعابير الشك والضعف حتى تفرغ من العمل الذي بدأته.

عندما تركت الصبي في كاليفورنيا، شعرت أنها تفتقد لقطعة أساسية من جسدها.

عندما عادت مجددًا إلى فرجينيا، باعت المنزل، وصفت الاستثمارات، وحفظت المال في مكان آمن. وبدا أن أعداءها فسّروا أخذها استراحة من التحقيق على أنه استسلام، ولكن عندما تبيّن لهم خطأ تفسيرهم، عاودوا البحث عنها بلا هوادة.

# 4

على وقع موسيقى ويندهام هيل وغطيط الكلبين المستريحين بالقرب من النار، مرت ساعتان وهم يشربون النبيذ ويتبادلون الأحاديث، إلا أنهم لم يعاودوا الحديث عما جرى في فيلادلفيا، قبل أن تعود إلى غرفة ترافيس ليلًا. أرادت جيسيكا أن تجهّز السرير في الغرفة الاحتياطية، لكن جين لم تستطع الابتعاد كل هذه المسافة عن الصبي، لأنها ستتركه مجددًا عما قريب، وتصبح وحيدة مجددًا.

لم ترغب في إيقاظه بالانضمام إليه في السرير. فجلست في كرسي بذراعين، وأسندت ساقيها على مسند للقدمين، وتدثرت ببطانية، ونظرت إليه على ضوء المصباح المنخفض الإنارة.

لقد كرست حياتها لأمرين؛ الانتقام لزوجها وحفظ ولدها العزيز. كانت تستمتع بالانتقام، ولكنها اعتبرت أنه إذا كان هناك من أمر جيد في الموت فهو الموت من أجله.

لفترة من الوقت لم تستطع النوم، لأنها تذكرت...

# 5

إنها في المنزل في ذلك اليوم من شهر كانون الأول، تعمل على حاسوبها، تجمع مزيدًا من المقالات عن حالات انتحار غريبة من الصحف المحلية من الساحل إلى الساحل، لأن العديد من أغرب الوفيات لم ترد في وسائل الإعلام الوطنية.

ترافيس في غرفته، يلعب بأحجار الليغو. لم يكن مهتمًا كثيرًا باللعب منذ وفاة نِك، وكان هوسه الأخير بناء حصون من الليغو، ربما كانت خطوة أولى نحو العودة إلى طفولة طبيعية، وربما كانت تعبيرًا هادئًا عن خوفه وإحساسه بأنه معزول في عالم سلبه والده.

ظهر عند باب غرفتها، بعينيه المشرقتين وسألها: "ما الذي يعنيه هذا؟".

أبعدت نظرها عن حاسوبها وكررت: "ما الذي يعنيه هذا؟".

"ما الذي يعنيه نات سات؟".

"حسنًا، يعني أن شخصًا يدعى نات جلس على شيء ما".

ابتعد ضاحكًا، عابرًا الردهة إلى غرفته.

شعرت جين بالاستغراب، ولكنها بدت مفعمة بالأمل، لأنها المرة الأولى التي تراه يضحك فيها منذ أسابيع.

بعد دقيقة، عاد: "لا، أنتِ مخطئة. ناتسات كلمة واحدة. هل يمكنني الحصول على بعض الحليب الزائد؟".

"حليب زائد ماذا، يا صغيري؟".

"لا أعلم. لحظة. سأكتشف الأمر". ضحك كما فعل من قبل، وركض إلى غرفته مرة أخرى.

ناتسات، حليب زائد... انشغل عقل جين بتفاصيل الانتحارات الغريبة، محتارة من الملاحظات المزعجة والمشفرة التي تركها بعض أولئك الذين أنهوا حياتهم بأيديهم، ولكن ببطء عادت بذاكرتها إلى وقت بعيد كما لو أنه من أيام قيصر روما، عادت بذاكرتها إلى سنوات دراستها في الكلية.

نهضت من كرسيها عندما ظهر الصبي مرة أخرى، بدا في غاية الحماسة. "السيد. دروغ يقول إنك تعرفين ما هو الحليب الزائد".

نعم، تذكرت الآن. في عامها التاسع عشر وفي سنتها الأخيرة من الكلية، أعجبت برواية أنتوني برجس (أكلوكوورك آورانج). القصة عن مجتمع مستقبلي ينحدر بسرعة إلى الفوضى والعنف الوحشي، وأثر ذلك عليها باختيارها مهنة تنفيذ القانون.

في الكتاب، ناتسات هي اللهجة التي تتحدث بها البلطجية البريطانية الشابة، مأخوذة من اللغة الرومانية والروسية وكلام رضيع، ويتم التحدث بها بإيقاعات غجرية. تقدم بارات الحليب حليبًا مع مجموعة متنوعة من الأدوية. يطلق البلطجية متعاطي المخدرات على أنفسهم اسم دروغز.

في الوقت الذي نهضت فيه عن الكرسي في غرفة عملها، شعرت بالقلق.

عند المدخل، وقف ترافيس في حالة من البهجة والبراءة، غير مدرك أن كلماته التالية ستبث في قلبها الخوف والقلق.

" يقول السيد دروغ إنه وأنا سنحصل على بعض الحليب الزائد، ثم نلعب لعبة ممتعة جدًا تسمى الاغتصاب" .

" عزيزي، متى تحدثت إلى السيد دروغ هذا؟" .

"إنه في غرفتي، إنه مضحك حقًا" . أثناء كلامه، استدار الصبي وابتعد عنها.

"ترافيس، لا! عُد إلى هنا!"

لم يصغِ إليها. ذهب نحو الردهة واختفى. سمعت صوت خطواته وهي تبتعد.

كمعدل وسطي كانت الشرطة في منطقتها تستجيب لمكالمات الطوارئ في غضون ثلاث دقائق. في هذه الحالة، لا يوجد فرق بين ثلاث دقائق والأبد.

فتحت درج المكتب، واستلت المسدس الذي وضعته هناك عندما جلست للعمل.

ناتسات، حليب زائد، دروغ...

هذا ليس اعتداءً منزليًا عاديًا. شخص ما قام بعمل تحرٍّ عنها. إنه يعرف أشياء عنها منذ أيام الدراسة.

في تلك اللحظة، أدركت أنها كانت تتوقع رد فعل من نوع ما، استجابة لبحثها المستمر في الطاعون الوطني المتمثل بالانتحار. رد فعل سلبي، ولكن ليس جريئًا وشريرًا مثل هذا.

نسيت جميع قواعد البحث والمسح، حيث كانت مذعورة مثل أي شخص لم يتخرج أبدًا من كوانتيكو، لن تتذكر كيف وصلت إلى ابنها، تتذكر فقط أنها كانت هناك، ووجدته يقف محتارًا، سألته: "أين ذهب؟" .

باب الخزانة مغلق. وقفت جانبًا، فتحته بيدها اليسرى، والمسدس في يدها اليمنى، مدّت ذراعها اليسرى، لترديه، لقتله، إن اندفع. لكنه ليس في الخزانة.

همست: "ابقَ خلفي، قريبًا مني، هادئًا وقريبًا" .

"لن تطلقي عليه النار، أليس كذلك؟" .

كررت: "ابقى هادئًا وقريبًا مني!" ، شعر عندما تحدثت أن صوتها يخفي قسوة لم يألفها فيها.

آخر شيء قد ترغب فيه هو أن تفتش منزلًا برفقة ولدها. هناك ألف طريقة يمكن أن تسير فيها الأمور بشكل خاطئ. لكنها لا تستطيع تركه هنا، لا تجرؤ على ذلك، لعله لن يكون هناك عند عودتها، لن يكون في أي مكان قد تجده فيه.

بقي قريبًا، وهادئًا، بدا الفتى المطيع الذي هو عليه. إنه خائف، لقد أرعبته، لكن هذا جيد، هذا يعني أن لديه فكرة صغيرة، على الأقل، أن الوضع خطير.

شعرت بالغثيان من شدة الخوف، لكنها كبحت خوفها وسيطرت عليه.

في المطبخ، على الطاولة، هناك نسخة من فيلم برجس (أ كلوكوورك آورانج) بمثابة هدية وتحذير.

رأت الباب الخلفي مفتوحًا، سبق لها أن أقفلته. كثير من الناس يبدون حمقى عندما يتعلق الأمر بالأقفال. لكنها تعلم قيمتها، وتبقيها على النوافذ والأبواب الخارجية طوال ساعات النهار والليل.

همست: " هل سمحت له بالدخول؟" .

"لا ، أبدا، لا" . أكد لها الصبي، وصدقته.

رن الهاتف المعلق إلى الحائط بالقرب من المغسلة. حدقت إليه، لا تريد أي إلهاء. كانت تتلقى المكالمات، لكن المجيب الآلي لا يعمل.

رن الهاتف، رن، ورن. لن ينتظر أي متصل كل هذا الوقت إلا إن كان يعلم أنها في المنزل.

أخيرًا، رفعت السمّاعة ولكنها لم تقل شيئًا.

قال المتصل: "إنه طفل ساذج بشكل رائع، وحسّاسٌ جدًا".

ما من ردّ يمكنها أن تقوله ويحدث فرقًا. لكن أي شيء قد يقوله هذا الرجل قد يعطيها دليلًا من دون أن يعلم.

"من أجل المتعة البحتة، يمكننا أن نضع البغيض الصغير في حفرة ثعبان في دولة ما من دول العالم الثالث، ونحيله إلى مجموعة مثل داعش أو بوكو حرام، حيث لا يوجد لديهم أي مانع بشأن اقتناء عبيد الجنس".

هناك صفتان تجعلان صوته لا يُنسى. أولًا، تقليده السيئ للهجة البريطانية، الذي بدا أنه يقوم به منذ فترة طويلة حتى أمسى الأمر طبيعيًا بالنسبة إليه. لقد سمعتُ آخرين يفعلون ذلك، غالبًا كانوا بعضًا من خريجي جامعات النخبة الذين يخبرونك من دون أن تسألهم حتى عن جامعتهم الأم، وعن أجيال عائلاتهم الذين ارتادوها، فهم يرغبون بإخبارك أنهم تلقوا تعليمًا ممتازًا وأنهم نخبة المثقفين. ثانيًا، صوته متوسط النبرة، فهو عندما يشدد كثيرًا على كلمة يتجه نحو أعلى طبقة صوت عنده، بثقة ومرح.

عندما لم تقل شيئًا، أصرّ عليها المتصل: "أتسمعينني؟ أريد أن أعرف أنك تسمعينني يا جين".

"نعم، أسمعك جيدًا".

"بعض الحمقى هناك مولعون بشكل رهيب بالأولاد الصغار بقدر ما هم مولعون بالفتيات الصغيرات. قد يتم تناقلهُ حتى يبلغ العاشرة أو الحادية عشرة من عمره قبل أن يسأم بربريٌ ما منه ويقطع رأسه الصغير في النهاية".

شدد على كلمتي رهيب وبربري أكثر من باقي الكلمات.

أمسكتْ بإحكام شديد بسماعة الهاتف لدرجة أن يدها آلمتها وأخذ البلاستيك ينزلق من راحة يدها المتعرقة.

"هل تفهمين لم كان ذلك ضروريًا يا جين؟".

"نعم".

"هذا جيد. كنا نعرف أنك ستفهمين. أنتِ فتاة ذكية. وأقرب لذوقي من ابنك، لكنني لن أتردد في إرسالك معه والسماح لأولاد بوكو الذين يمارسون الرذيلة مع أيٍ

*كان، وبذلكُ أقدّم لهم عرضًا مميزًا (الأم وابنها). اهتمي بأمورك الخاصة بدلًا من أمورنا، وسيكون كل شيء على ما يرام".*

*أنهى المكالمة.*

*وبينما كانت تعلّق السماعة، تشبث ترافيس بها: "أنا آسف يا أمي. لكنه كان لطيفًا".*

*جثت على إحدى ركبتيها وأمسكت به من دون أن تفلت المسدس: "لا يا عزيزي، لم يكن لطيفًا".*

*"بدا لطيفًا ومضحكًا".*

*"يمكن للأشخاص السيئين التظاهر بأنهم لطفاء، ومن الصعب معرفة متى يتظاهرون".*

*أبقته إلى جانبها وهي تتجه إلى الباب الخلفي، لتغلقه وتحكم إقفاله.*

*في ذلك اليوم اشترت سيارة شيفي قديمة من تاجر السيارات المستعملة. وفي تلك الليلة انطلقت مع ترافيس إلى مقر إقامة غافين وجيس واشنطن في كاليفورنيا.*

# 6

أصدر أنينًا، فنهضت عن الكرسي، ووقفت إلى جانبه. تحركت عيناه بسرعة تحت جفونه المغلقة والمظللة، وكان متجهمًا، إنه يحلم.

مدت يدها إلى جبهته، لتتأكد من أنه لا يعاني من الحمى، وبالطبع لم يكن كذلك. أبعدت شعره عن عينيه، فبدت وكأنها تبعد الحلم السيئ عنه أيضًا. لم يستيقظ، لكن وجهه استرخى وتوقف عن الأنين.

في اليوم الذي زار فيه السيد دروغ منزلها، أدركت جين أن من أرادها أن تنسى وباء الانتحار لا بد أن يكون لديه صلات في الحكومة. لم يكونوا بالضرورة عملاء فدراليين، لكن كان لديهم صلات.

لقد وضعت على بابها الخلفي قفلي شلايج، وهما من أفضل الأقفال المتاحة. لا يمكن لأي فاتح أقفال على الإطلاق أن يفتحهما باستخدام مجموعة قياسية من الأدوات. لفك القفلين بقليل من الضوضاء وبسرعة، يجب أن يمتلك السيد دروغ

مسدس فك الأقفال لوك آيدز، وهو ملقط آلي يباع فقط لوكالات تطبيق القانون. ولأسباب واضحة، كان يحتفظ بملقط الأقفال لوك آيدز في حد ذاته بمكان مقفول، وسيطلب من أي ضابط لديه استخدام شرعي لأحد هذه الملاقط تسجيل أخذها من مخزون المعدات بعد تقديم أمر تفتيش صادر عن المحكمة يقصر استخدامه على عنوان في شارع معين.

ربما لم يكونوا هم المسؤولين عن تطبيق القانون بأنفسهم، وربما لم يكونوا حتى موظفين حكوميين من أي نوع - وعلى الأرجح أنهم ليسوا كذلك - ولكن لديهم مصادر جدية في العالمين الرسميين.

استنتجت ذلك من أمرين.

كان بإمكانهم افتعال سرقة سيارة أو عملية سطو وإطلاق النار على رأسها، وكان بإمكانهم افتعال حادث أو حريق منزلي أو انفجار في خط الغاز، والتخلص منها ومن ترافيس، فقتلهما لن يسلّط أصابع الاتهام إليهم، وبالأحرى لن يشعرهم بالندم. وبدلًا من قتلها ببساطة، حذّروها، ولا يمكنها التفكير في أي تفسير لتلقي الرحمة من أناس لا يرحمون عدا عن كونه اعترافًا بمرتبتها كعميل لدى مكتب التحقيقات الفدرالي، فقد كانوا يقدمون لها المجاملة المهنية، إما على مسؤوليتهم الخاصة أو لأن أحدهم في المكتب أو في مكان آخر من الحكومة طلب منهم ذلك.

لكن أيًا يكن السبب، كان تحذيرهم قاسيًا، وسُلِم بثقة تؤكد قدرتهم على تنفيذ تهديدهم ونقل الصبي إلى أحضان القتلة الأكثر وحشية وأسوأ المتحرشين بالأطفال على هذا الكوكب، في النصف الآخر من الكرة الأرضية. لم يكن باستطاعة مصرفي خبيث أو رجل أعمال شرير، تنفيذ مثل هذا التهديد. لقد أراد السيد دروغ أن يخبرها بأن لديه صلات، ربما بأشخاص فاسدين في أجهزة المخابرات أو في وزارة الخارجية، والذين يمكنهم نقل ترافيس إلى حياة جديدة بعيدة عن المنزل، حيث سيتعرض إلى اغتصاب وحشي، وإذلال لا ينتهي. كل ذلك كي تصمت، وإذا لم تصمت فها هي قد أصبحت تعرف العواقب.

المشكلة في مثل هذا التهديد الدنيء أنه أقنعها بأن شرهم لا حدود له. لا يمكنك عقد صفقة مع الشيطان، لأن الشيطان عديم الشرف، ولن يلتزم أبدًا بشروط الصفقة.

إذا ما أوقفها التحذير عن البحث عن الحقيقة، وإذا حولها إلى شخص في غاية الجبن، كانوا ليكافئوها في النهاية بقتلها وترافيس على أي حال، وذلك عندما تشعر بالأمان وتتخلى عن كل وسائل دفاعها.

عادت الآن إلى الكرسي ذي الذراعين، ووضعت ساقيها على مسند القدمين. وغطت نفسها بالبطانية.

استطاعت أن ترى الساعة بجانب السرير تشير إلى 11:36.

في النهاية، ظهر على خلفية أجفان عينيها المتعبين عرض لكوكبة باهتة من النجوم، التي بدورانها جعلتها تشعر بالدوار ودفعتها إلى النوم.

# 7

في وقت ما من الليل، استيقظت على غطيط أحد الكلبين النائم عند عتبة باب غرفة النوم المغلق.

زعم غافن أنه عندما يذهب هو وجيس إلى الفراش، نادرًا ما ينام الكلبان في الوقت نفسه، كانا يتناوبان على حراسة المنزل. لم يُدربا على القيام بذلك، ولكنها كانت غريزة تولي مهمة الحراسة في جينات هذه الفصيلة.

سواء كان هذا دوك أو كويني، بدا الكلب مقتنعًا أن ترافيس بأمان بوجود أمه إلى جانبه. نقر أظافره بشكل خافت على أرضية خشب الماهوجني وتابع جولته.

عندما نامت جين، عادت إلى الماضي حين كانت طفلة، تتدثر بدفء البطانيات، عندما تتساقط الثلوج خلف النوافذ، وكانت الكلاب بالقرب منها تحافظ على سلامتها. لم تكن هذه حقيقة طفولتها، بل نسخة متخيلة، لأنها لم تشعر في طفولتها بالأمان، ولم يكن لديها كلاب.

# 8

أعدت جين القهوة، وحمّصت الخبز، ودهنته بالزبدة. وكسر غافين البيض وخفقه، وقلى البطاطا، بدورها حضّرت جيس شرائح اللحم المقلية مع شرائح من الفليفلة الصفراء والبصل، ووضعتها ساخنة في طبق.

بالرغم من إطعامهما أولًا، بقي الكلبان متيقظان ومفعمان بالأمل، إلا أنهما لم يعيقا الحركة.

شغلوا أنفسهم بالطبخ، ليشتتوا انتباههم عن رحيل جين الوشيك، لذلك تناولوا كثيرًا من الطعام، كما لو كانوا جميعًا يتضورون جوعًا، وكان الحديث صاخبًا جدًا وسريعًا جدًا، وترافق مع بعض الضحك.

تحدث ترافيس عما يمكن أن يفعلاه اليوم، كما لو أن والدته ستبقى طوال اليوم. اقترح أسماءً للمهر، وتحدث عن امتطائها للمرة الأولى، كما لو أن جين ستراه في رحلته الأولى على صهوة المهر. سمحت له بالتحدث، وشاركته في اختيار اسم للمهر، كان يعلم أنها ستغادر، ولكنه بكلامه وتخطيطه هذا عبّر عن رغباته، بينما كان هناك وقت لتمني ما يجب أن يكون عليه اليوم، مع الأمل بمواجهة اليوم الذي سيكونه.

عندما حان الوقت، وبعد أن ودعت جيس وغافين، رافقها ترافيس بمفرده إلى الفورد إسكيب. بدت له السيارة جميلة، فجلس فيها مع والدته لبعض الوقت، واسترجعا الرحلة التي قاما بها في أنحاء البلاد في شهر كانون الأول، في سيارة لم تكن بمتانة هذه.

عندما شعر أن وقت رحيلها قد أوشك، نظر بعيدًا عنها، نحو النافذة الجانبية، ووضع يديه على عينيه. ثم وضع يدًا في فمه ليعضها. رأته يعض بقوة، رأته يكافح لكبح دموعه. لم تطلب منه ألا يبكي، لأنها ستشعر بطمأنينة أكثر إن تمكن من ضبط نفسه بمفرده. فإذا تمكن من ضبط نفسه بمفرده، فهذه إشارة إلى أنه يحسن التحكم بمشاعره.

في النهاية، لم تكن جازمة بقولها إن الأمور ستكون على خير ما يرام، لأنها لم ترد ولم تستطع أن تكذب عليه، فهو سيكتشف الكذبة بسرعة، وسيشعر بالخوف لأنها تشعر بالحاجة للتظاهر بأن الأمور أفضل مما هي عليه.

قالت: "أنت بأمان هنا".

"أعلم".

"هل تشعر بالأمان؟"

"أجل".

"لطالما رغبت بالكلاب".

"إنهما كلبان جيدان".

"نعم، إنها مميزان".

"متى ستقبضين على من تسعين خلفهم؟".

"إنني أحرز تقدمًا".

"أنتِ من مكتب التحقيقات الفدرالي. يمكنك اعتقالهم".

قالت متسائلة عما إذا كانت ستكشف ما يكفي من الأمر: "في البدء أجمع الأدلة، أنت تعرف ما هو الدليل؟".

قال: "إثبات".

"هذا صحيح. أنت ابن أحد أفراد مكتب التحقيقات الفدرالي، وتعرف عن هذه الأمور التي تتعلق بإنفاذ القانون".

نظر إليها مرة أخرى. كانت عيناه حمراوين، لكن دموعًا جديدة لم تزين عينيه.

من جيب سرواله، سحب نصف قلادة؛ حجرًا أملس نحت على جانب منه وجه امرأة، ووضع في إطار فضي بيضاوي الشكل.

"في المرة الأخيرة التي أتيت فيها إلى هنا، أعني بعد مغادرتك، وجدت هذه القلادة في الجدول، كانت عالقة بين الأحجار. إنها تشبهك.

لم يكن هناك تشابه ملحوظ، لكن جين قالت: "إنها تشبهني نوعًا ما، أليس كذلك؟".

"علمت على الفور أنها تجلب الحظ الجيّد".

"مثل قطعة من النقود اللامعة".

"بل أكثر، فها قد عدتِ وهذا قمة الحظ الجيد". لقد بدا جادًا وهو يقدم لها القلادة. "لذا فهي لكِ".

أدركت أهمية أن تقابل جديته بالمثل، قبلت القلادة الصغيرة: "سأبقيها دائمًا في جيبي".

"يجب أن تنامي وهي معك أيضًا".

"سأفعل".

"كل ليلة".

وافقت: "كل ليلة".

فكرة القبلة الأخيرة واللمسة الأخيرة، بدت أكثر مما يمكن أن يتحمله. فتح الباب، وخرج من السيارة، وأغلق الباب، ولوّح مودعًا.

رفعت إبهامها له قبل أن تنطلق. بينما كانت تتبع الممر المغطى بالحصى الطويل إلى طريق الولاية، رأته بوضوح عبر مرآة الرؤية الخلفية، ينظر إليها، وشيئًا فشيئًا بدا انعكاس صورته على المرآة أصغر، حتى انعطف الطريق، وفصلت بينهما أشجار البلوط.

## 9

في الليلة الماضية، بدا الوادي بعيدًا عنها، كما تمنته أن يكون، ملجأً وراء أفق العالم الحديث، حيث لم تصل الحضارة الآلية، وحيث يمكن لكل فرد أن يعيش لنفسه، آمنًا.

بينما كانت تقود سيارتها غربًا مرة أخرى، صعدت على شريط متموج من طريق أسفلتي، وعبرت التلال التي تغطيها الأدغال العذراء والتي بقيت كما هي منذ عشرة آلاف سنة. في ضوء الصباح الواضح، لم يبدُ المشهد الصحراوي الحدودي طبيعيًا، بل بدا مدّمرًا، كما لو أن الحرب الأخيرة على حافة العالم قد اشتعلت في هذه التضاريس منذ فترة طويلة. حيث ظهرت نتائج هذه الحرب في المدن الساحلية المزدحمة التي لا حصر لها، وعندما أصبحت على مرأى منها، لم تستطع إنكار حقيقة قرب الوادي - وطفلها - من جميع مخاطر هذا العصر المضطرب.

تمنت أن يبقى ترافيس بأمان حتى تتمكن من فهم طبيعة المؤامرة والهدف الكامن خلف عمليات الانتحار المتصاعدة في البلاد والحصول على أدلة كافية لنشر القصة للعامة. حتى في أحلك الظلمات، كان الأمل حبل نجاة، حتى لو كان أحيانًا رفيعًا برفع الخيط.

# 10

من شاطئ كابيسترانو، اتبعت جين طريق الساحل السريع شمالًا إلى شاطئ نيوبورت، ثم اتجهت نحو الداخل إلى مدينة سانتا آنا.

بالرغم من أن احتمال أن تلفت سيارة فورد إسكيب نظر شرطي عابر كان قليلًا الآن بعد أن نزعت لوحتي الترخيص الكنديتين، إلا أنها ستكون أقل لفتًا للانتباه إذا وضعت عليها لوحتين تعودان إلى كاليفورنيا.

لم تكن سرقة اللوحات خيارًا. فإذا قدّمت الضحية تقريرًا للشرطة، فسيكون رقم اللوحة على لوائح التتبع في البلاد كلها في غضون ساعة.

احتفظت قاعدة بيانات المركز الوطني لمعلومات الجرائم بقوائم محدثة باستمرار لأشخاص مطلوبين صدرت بحقهم أوامر اعتقال في جميع الولايات الخمسين، وأشخاص مفقودين، وممتلكات مسروقة بما فيها السيارات، والشاحنات، والقوارب، والطائرات، والأوراق المالية، والبنادق، ولوحات الترخيص. كان لرجال إنفاذ القانون المحليين والفدراليين وصول منتظم إلى المركز الوطني للمعلومات والاتصالات.

نوت شراء لوحتين بدلًا من سرقتهما. ومن المرجح أن تعثر على بائع في سانتا آنا أكثر من أي مكان آخر في مقاطعة أورانج. عانت هذه المدينة من تدهور لفترة طويلة بعد مرحلة من الازدهار وتُبذل الآن جهود لإعادتها إلى سابق عهدها. بالرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها أولئك الذين سيعيدون سانتا آنا إلى أيام مجدها، كان هناك العديد من الأحياء المتدهورة، وكان بعضها شديد الخطورة.

كلما قلت الأموال المخصصة للخدمات العامة، حلّ الفقر والانحلال، وبالتالي قلّت الأموال المخصصة للشرطة- ولم تحظَ بالتمويل الذي يفترض بها أن تحظى به - فنمت العصابات كما ينمو الفطر في أي مكان رطب ومظلم، وفي مثل هذه الأماكن من الأسهل على جين الحصول على أي شيء تريده.

جالت في الأنحاء حتى وجدت منطقة صناعية متهالكة بسبب المنافسة الأجنبية، والسياسة الاقتصادية السيئة، ومنظمي الأعمال الذين يعملون بحسن نية، ولكن نتيجة أعمالهم تبدو سيئة، والذين لو ساروا في شوارع هذه المدينة لتبين لهم مقدار الضرر الذي ألحقته أعمالهم بها، فالنباتات نمت على جدران المصانع المهجورة، التي

اهترأت أسطحها المعدنية وتحطمت نوافذها.

كانت مرائب السيارات، التي امتلأت يومًا بسيارات الموظفين، فارغة، واحتشدت الحفر في الطرقات التي كانت ذات يوم جيدة التعبيد، والتي أصبحت تذكر بمواقع القبور التي انخفضت عندما تلاشت النعوش ومحتوياتها.

قُسِم أحد المباني المشيدة من الحجر الجيري والحديد الصلب المموج إلى اثني عشر مرأبًا مزدوجًا، وعرضت لافتة مثبتة على سطحه مساحات آمنة للعمل والإيجار. رأت جين أبواب خمسة مرائب مفتوحة، وكان الرجال يعملون على السيارات إما داخل المرائب أو خارجها.

بدوا في مقتبل العمر، معظمهم في العشرينات، وافترضت جين أن بعضهم كان يدير محلات صغيرة لإصلاح السيارات من دون تراخيص تجارية. ربما كان الآخرون يعملون على سياراتهم الخاصة: سيارات قديمة مجهزة على أعلى مستوى، منخفضة الهيكل مع محركات معدّلة بالإضافة إلى عجلات لامعة.

توقفت بعيدًا عن الطريق، واختارت شابًا من أصل إسباني كان راكعًا على واقية للركبتين، يُطبق عازلًا للحرارة على سيارة كاديلاك 60 مكشوفة رمادية اللون، رممت بالكامل، وعُدلت بشكل جزئي. عندما اقتربت منه توقف عن العمل.

انصرف الرجال في الوحدات الأخرى عن عملهم لينظروا إليها. ربما لأنها جميلة، ولكنها رجحت أنهم نظروا إليها لأنها لا تنتمي إلى المكان، ولأن الأشخاص الذين يأتون إلى هنا ولا ينتمون إلى المكان غالبًا ما يمثلون مشكلة.

انتعل صاحب سيارة الكاديلاك جذمة عالية الساقين، وبلوزة عديمة الكمين، وبدت تعابير وجهه جامدة كما لو أنه قُدّ من جلمود. وكان ساعداه مفتولي العضلات مليئين بالوشوم، ولكن نمط الوشوم أو صورها لم يوحِ أنها صُنعت في السجن. على ذراعه اليمنى، بدت الملائكة وكأنها تُحلق من ظهر يده إلى عضلة الذراع ثنائية الرأس، واجتمعت حول رسم للأم المقدسة مع طفل. وتسلق نمر مرسوم بشكل رائع ذراعه اليسرى، حيث بدا أنه يدير رأسه أعلى الذراع لينظر إلى الخلف. لم تكن أنيابهُ بارزة، لكن عينيه الذهبيتين كانتا توحيان بالحذر.

قالت: "سيارة جميلة" مشيرة إلى الكاديلاك.

لم يرد عليها.

"هذه عجلات دايتون السلكية، هاه؟ والإطارات الشعاعية تلائمها جيدًا".

بدت عيناه البنيتان اللتان تخللتهما خيوط صفراء اللون وكأن الشرر على وشك أن يتطاير منهما.

قال مصححًا: "إطارات كوكر اكسيلسيور الرياضية".

"هذه سيارتك؟".

"أنا لا أسرق".

"لم أقل ذلك".

"من الغباء الاعتقاد أنه يمكنك الحصول على أي شيء في هذا المكان".

"أنا لا أتعاطى المُخدرات. ولا أعتقد أن كل شخص يشير اسم عائلته إلى أنه مكسيكي يتعامل مع تجار المخدرات".

بعد أن حدق إلى عينيها بصمت، قال عن السيارة: "نعم، إنها لي".

"عملٌ جيد".

عندما لم يرد، نظرت إلى الرجال الآخرين حولها، الذين كانوا يتظاهرون بالعودة إلى العمل، ثم إلى صاحب الكاديلاك مرة أخرى. "أنا في ورطة. يمكنني الدفع للخروج منها. ولكنّني بحاجة إلى مساعدة".

ظل محدّقًا إليها: "ما الذي أشمّ رائحته؟".

"أنت تشم رائحة شرطة".

"هل أنت عالمة نفس؟".

شعرت أن كذبة كاملة ستجعله ينفر، وأنها بحاجة إلى مزج بعض الحقيقة فيها. "أنا من مكتب التحقيقات الفدرالي، ولكنني متوقفة عن العمل الآن".

"لماذا أوقفوك عن العمل؟".

"لسحب حصانتي في الوقت الذي يحضّرون لاتهامي بجريمة لم أرتكبها".

"ربما أنا الشخص الذي يتم الإيقاع به".

"لماذا أنت من بين كل الناس؟ لا حاجة لخداع الرجال لإبقاء السجون ممتلئة عندما يتطوع مليون نذل للحصول على زنزانة".

بعد صمت آخر حافظا خلاله على تواصلهما البصري، قال: "عليّ تفتيشك".

"أتفهم طلبك".

قادها إلى الجهة الخلفية المظلمة من المرأب. ربت على كاحليها صعودًا إلى أعلى ساقيها بحثًا عن سلاح، ثم باطن الفخذين، والردفين، والخصر، وأعلى الصدر، ومحيط الثديين. كانت يداه القويتان تستكشفان بفظاظة وكان وجهه جامدًا.

عندما وجد المسدس، سحب السترة الرياضية، لفحص الحزام والسلاح، لكنه لم يسحب المسدس من قرابه.

قال وهو يبتعد عنها: "ماذا تريدين؟".

"سأعطيك خمسمئة دولار مقابل لوحتي الكاديلاك، شرط أن لا تبلغ عن سرقتهما قبل مضي أسبوع".

فكّر في الأمر: "ألف".

سبق لها أن وضعت في كل جيب من جيبيها الأماميين خمسمئة دولار.

"ستمئة".

"ألف".

"سبعمئة".

"ألف".

"أنت تجعلني عاجزة هكذا".

"لم آتِ إليك محتاجًا. بل أنتِ من أتت إليّ".

"أتيت إليك لأنك لم تبدُ لي قرصانًا. ثمانمئة".

نظر ثم قال: "حسنًا، أعطني النقود".

وضعت ثمانية أوراق نقدية في راحة يده المفتوحة.

"سأحضر سيارتي إلى المشغل الأول. يمكنك قيادة سيارتك الفورد إلى المشغل الثاني. وهناك سنتبادل اللوحات".

قالت: "يبدو الرجال هنا مهتمين وعيونهم تراقبنا، وعندما أغادر، سيرون لوحتيك على سيارتي".

"لا تقلقي بشأنهم، إنهم محل ثقة. لكننا لا نعرف من يمر بالشارع".

بعد أن وضعا السيارتين في المرأب، أغلق الباب الكبير الذي يفصل بين المشغلين، ما أدى إلى إبعاد الهواء النقي، وبالتالي تكثفت رائحة المطاط، والزيت، والشحوم.

شعرت جين بالعزلة، بدت حذرة، ولكنها لم تبدُ قلقة.

عندما بدّل صاحب الكاديلاك اللوحات ورفع الباب، جاء إليها. "سأبقيها هنا، وأستخدم سيارتي العادي بدلًا منها. تريدين أسبوعًا واحدًا، سأمنحك أسبوعين قبل أن أبلغ عن سرقة لوحتي سيارتي".

"فجأة أصبحت كريمًا، لكنني أتساءل..."

"أنا لا أكذب بشأن أشياء بهذه الخطورة".

"لم أُلمّح إلى ذلك. ما قصدته هو، أعلم أنه يمكنك العد إلى سبعة، لكنني لست متأكدة من أربعة عشر".

بدا مندهشًا عندما ضحك. "*أيتها الفتاة الجميلة*، لو كنت أعرف أين يجعلونهن مثلك، لكنت انتقلت إلى هناك غدًا".

## 11

اعتقدت البائعات في متجر الشعر المستعار في شارع سانتا مونيكا العصري إلى الغرب من هوليوود أن اللون الأرجواني الداكن كان مكملًا مثاليًا لبشرة جين.

"أي لون سيناسب لون بشرتك الرائعة".

في قسم المكياج طبقوا على شفتيها ملمع شفاه أرجوانيًا قاتمًا وظل عيون لامعًا. بدت البائعة متحمسة لأن جين تحولت من فتاة باهتة إلى فتاة مثيرة وبراقة.

"مظهرك السابق لم يكن يتناسب مع جمال جسمك ووجهك، عليكِ التباهي بهما قبل أن يفوت الأوان ويتقدم بك العمر. ماذا سيقولون في العمل؟".

قالت جين: "حصلت على بعض المال. ولم أعد بحاجة إلى العمل بعد الآن، سأستقيل غدًا".

"إذًا تذهبين إلى هناك مرة أخيرة، وتظهرين بشكلك الجديد المثير، وتخبرينهم أن يذهبوا إلى الجحيم؟".

"بالضبط".

"هذا مثير".

"أليس كذلك؟".

"اسحقيهم".

قالت جين: "سأفعل". بالرغم من أنها لم تكن متأكدة مما يعنيه ذلك.

عبر الشارع وعلى بعد نصف مجمع سكني، وفي بوتيك بدت فيه البائعات مثل سايبورغز غاية في الجمال أتين من المستقبل، اشترت جين بنطالي جينز بافالو إنكا عالي الخصر وهذا ما أعطاها مظهرًا قديمًا، وسترة من جلد الخراف والتي- وفقًا للفتيات-كانت نسخة مقلدة مثالية من أحد تصاميم كومبتوار ديس كوتونيرس، أيا كان ذلك. كما اختارت حذاء عالي الكعب من جلد الثعبان مع رباط عند الكاحل، وقيل لها إنه نسخة جيدة التقليد لتصميم سالفاتور فيراغامو، الذي لم تعتقد أنه سبق لها أن سمعت باسمه، بالرغم من أن اسمه يوحي بأنه نجم هوكي أو كرة قدم وليس مصمم أزياء.

أخيرًا، اشترت قفازًا حريريًا أسود اللون يغطي كامل اليد حتى المعصم مطرز بخيوط فضية. من دون هذا القفاز، ستعطي أظافر الشرطية فكرة خاطئة عن صورة الفتاة المتباهية. إلى جانب ذلك، كانت ذاهبة إلى مكان لا تريد ترك بصمات أصابع فيه.

لم تكن في مزاج للتسوق، سيما وأنها اضطرت لترك مسدسها وحزامها تحت مقعد السائق في سيارة الفورد عندما كانت تجرّب الملابس، والشعر المستعار، والقفاز وهذا ما أشعرها أنها عارية.

خارج غرب هوليوود، قادت سيارتها في مناطق أقل سحرًا.

لعقود، ازدهرت ضواحي لوس أنجلوس الشمالية الغربية، وتوسعت على الجانب الآخر من جبال سانتا مونيكا. لكن أجزاء كثيرة جدًا من فان نويس وريسيدا وكانوغا بارك وغيرها من المجتمعات كانت تظهر علامات على تراجع الولاية. ظلت المجتمعات الساحلية المتلألئة فاخرة، ولكن هنا في النصف الغربي من وادي سان فرناندو، كانت القذارة تزحف في كل مكان.

مرت جين ببعض الموتيلات التي امتلأت بالصراصير والجرذان، والتي بدت وكأنها مساكن للمدمنين. في حي أفضل، بدت سلسلة الموتيلات مناسبة للعائلات. حجزت في أحدها، ودفعت نقدًا، وأبرزت بطاقة هوية مزورة، واثقة من أنها لن تضطر إلى الاستيقاظ في منتصف الليل لفض عراك بين مدمني المخدرات.

فقد بدأت تتحول من فتاة باهتة إلى فتاة براقة ومثيرة.

# 12

كانت هناك وظائف متوفرة في المنطقة، بعضها ذات أجر مرتفع، وحاولت المنطقة التجارية المركزية جاهدة أن تبدو عصرية، وموجهة نحو الشباب، لقد كان المكان مناسبًا لأولئك الذين يعتقدون أن هناك شيئًا يُدعى بالمكان المناسب. دحضت بعض واجهات المحلات الفارغة فكرة الازدهار الكامل، لكن الشواغر لم تكن مستحيلة الإيجاد.

مقابل كل ثلاثة متاجر أو مطاعم من التي بدت كما لو أنها ستضع ملصقًا لتشي جيفارا في مقدمتها، كان هناك بائع عنيد يبيع بدلات منسوجة للنساء الأكبر سنًا أو مطعم إيطالي يقدم عرضًا لتناول قدر ما تستطيع تناوله من الخبز بالثوم ولم يسمِ نفسه تراتوريا.

بدت جين مهتمة بمتجر كتب على لافتة بابه فينيل، كلمة واحدة فقط، لم يكن هناك ما يشير إلى المنتج أو الخدمة التي قد يعرضها. كانت النوافذ الكبيرة مطلية باللون الأخضر، ولا تعرض البضائع ولا تقدم لمحة عن الداخل.

أثناء القيادة خلف المتجر، لم ترَ مؤشرات على مراقبة نشطة من المباني على الجانب الآخر من الزقاق.

بعد أن ركنت سيارتها عند الناصية على بُعد شارع من فينيل، سارت على الجانب الجنوبي من الشارع، بدت طويلة بحذائها عالي الكعب، شعرت بالغرابة، لكنها لم تشعر أنها في المكان الخطأ. لم تشعر بالراحة وهي تعمل متنكرة.

توقفت عند مطعم للطلبات الخارجية مدروس بشكل سيئ في محاولة منه ليكون بارًا للعصائر، ومزودًا رائعًا للشاي والمشروبات المماثلة، ومتجر جيلاتو يبيع النكهات الغريبة. اشترت قنينة من ماء جوز الهند، والذي كان مذاقه مثل بول النخيل، إن كان

للنخيل بول. أيًا يكن الأمر شربت ماء جوز الهند وهي تتجول في ذلك الشارع والذي يليه، متظاهرة بالتسوق.

بعد أن عبرت إلى الجهة الشمالية من الشارع، شقت طريقها ببطء إلى فينيل. لم يبدُ أن أيًا من السيارات المتوقفة في المنطقة تراقب المكان.

عندما دخلت عبر الباب الزجاجي المطلي، أعلن جرس الباب المعلق عن دخولها. كانت القاعة مليئة بألبومات الفونوغراف وحتى أسطوانات ذات 78 دورة في الدقيقة من عصر ما قبل الأقراص المضغوطة والموسيقى الرقمية.

عُلّقت على الجدران مقالات مؤطرة من الصحف، وملصقات حفلات موسيقية، وبوسترات لكثير من الفنانين الذين اشتهروا في الحقبة الفاصلة بين بينغ كروسبي حتى البيتلز. لبى الفينيل رغبات عشاق الموسيقى، أولئك المهووسين بالأسطوانات السوداء الذين فضلوا التسجيلات الأصلية القديمة التي لم تكن أفضل من الحديثة، هذا ما بدا أن المتجر يبيعه لكن الظاهر أنه كان يخفي شيئًا آخر.

جلست فتاة طويلة الوجه كبيرة العينيين ذات شعر أسود مجعد يصل إلى كتفيها على كرسي خلف المنضدة. كان هناك وشم صغير لجمجمة في التجويف أسفل تفاحة أدم، ولا بد أنها أمضت ألف ساعة أمام المرآة لتتقن مظهرها المستاء.

بث ألبوم كانساس الذي كان يدور على طاولة بالقرب منها أكثر أغنية مشهورة لهذه الفرقة "داست ان ذا ويند"، وكان من السهل افتراض أن هذه الفتاة لم تستمع لأي شيء آخر طوال اليوم.

وضعت جين بطاقة فهرسة على الطاولة. سبق لها أن كتبت عليها بقلم حبر: مكتب التحقيقات الفدرالي لديه أمر من المحكمة يسمح له بتسجيل كل كلمة تقال في هذا المكان.

قالت البائعة بدلًا من قراءة البطاقة: "ماذا؟ هل أنتِ صماء أو شيء من هذا القبيل؟ نحن لا نقدم المساهمات".

رفعت جين إصبعها الوسطى الذي يغطيه القفاز الأسود، وأشارت إلى بطاقة الفهرسة، فتكرّمت الفتاة بقراءة الرسالة، وإن كانت قد فهمتها، فقد احتفظت بتعبير جامد مثير للإعجاب.

على بطاقة الفهرسة الثانية كُتب التالي: إذا كان جيمي رادبورن لا يريد قضاء عشرين عامًا في السجن، عليه التحدث إليَّ الآن.

بدا وشم الجمجمة في التجويف أسفل تفاحة آدم لدى البائعة وكأنه يوسع ابتسامته عديمة الشفاه عندما ازدردت لعابها بقوة.

أبعدت البطاقتين عن المنضدة، ونزلت عن الكرسي، وتوجهت إلى باب إلى جانب مكتب المبيعات، ودخلت إلى غرفة خلفية.

استحق جيمي رادبورن قضاء بقية حياته في ليف نورث أو ما يشابهه لأنه رئيس عصابة. لكن جين كانت بحاجة إليه. أثارت فكرة لجوئها إليه اشمئزازها. في هذه الأيام، كثيرة هي الأشياء التي تثير اشمئزازها، ومع ذلك لم تقضِ أي وقت في التقيؤ.

انتهت فرقة كانساس من نقد كآبة الحالة الإنسانية، وانتقلت إلى قطعة موسيقية أخرى.

## 13

بعد عدة دقائق، عادت البائعة مع رجل في العقد الثاني من العمر، طويل وممشوق القامة، خفيف اللحية، شعره بني قصير على الجانبين، وأطول قليلًا عند قمة رأسه. كُتب على قميصه كلمة واحدة بأحرف سوداء: مالويير. كان يرتدي بنطالًا رياضيًا، وينتعل حذاء نايك من دون جورب.

أمعن النظر إلى جين في طريقه من البوابة نحو المنضدة، لكنه لم ينبس ببنت شفة، اتجه نحو الباب الأمامي وأغلقه. بعد أن استقرت على كرسيها، أزالت البائعة أسطوانة كانساس عن الفونوغراف. ووضعت ألبومًا آخر على المغزل.

عاد الرجل إلى جين، ونظر إليها كما لو كان ينتظرها لإثبات شيء ما.

سألته بهدوء: "جيمي رادبورن؟".

محترمًا ادعاءها أن كل كلمة تقال هنا تُسجل، ضغط على صدره بإصبعه، مشيرًا إلى اسمه.

في الواقع، لم يكن جيمي رادبورن، فلم يكن يشبهه أبدًا، لو كان غبيًا بما فيه الكفاية ليظن أنها لا تعرف صورة الشخص الذي ذكرتْ اسمه، فما من شك أنه كان ليرتكب خطأً غبيًا.

أشار إليها لترافقه، وشقَّ الطريق إلى البوابة خلف المنضدة.

مبرزةً مجددًا تعابير السأم، وضعت الفتاة الجالسة على الكرسي الإبرة ليس على بداية الأغنية، ولكن بدلًا من ذلك على بداية مقطع. لقد كانت أغنية "فيونيرال فور أي فريند" لإلتون جون، من المستحيل معرفة سبب اختيارها لهذه الأغنية.

تبعت جين مالويير إلى الغرفة الخلفية للمتجر حيث توضعت على رفوف عريضة وتحت الطاولات صناديق من الورق المقوى غير المصنفة وصناديق بلاستيكية مستطيلة مليئة بأسطوانات الفونوغراف، ولم يبدُ أن لها ترتيبًا واضحًا.

تثاءب كما لو أن إرهاق فتيات المبيعات العالمي أصبح معديًا، أغلق مالويير الباب الذي يؤدي إلى الغرفة الأمامية، ثم استدار فجأة ممسكًا بجين من بين ساقيها، ومن حلقها، دافعًا إياها إلى الجدار القابع خلف الباب.

كان يجب أن يضربها ويثبتها بقوة، وفي اللحظة نفسها كان عليه أن يصل إلى تحت سترتها المفتوحة ليستشعر ما إذا كانت تحمل سلاحًا؛ لكنه لم يأخذها بجدية كافية حتى الآن. أراد أن يمسكها من بين ساقيها، أراد ذلك بشدة، لأن أصابعه كانت تضغط وتتحرك عبر الدنيم بينما أخفض رأسه وبدا عليه أنه يُفكر في شيء أحمق.

عندما رفعت ساقها اليمنى، اعتقد أنها تسعى لضربه في منطقته الحساسة، ولكن كان من السهل عليه منع هذه الحركة، لذلك لم يكن هذا ما فكرت فيه. ضربت الحافة الصلبة لكعبها العالي المقلد من ماركة فيراجامو بمقدمة ساقه اليسرى، فمزقت الجلد، وحفرت اللحم، وألحقت الضرر بعظم الساق في المنطقة التي فصلت بين حافة حذاء النايك الذي ينتعله وحافة ساق بنطاله، وهذا ما جعله يفكر مرتين بشأن عدم ارتداء الجوارب في المستقبل.

كانت مقدمة الساق جزءًا غنيًا بالأعصاب حيث تتشابك مع الأوردة التي تعيد الدم غير المؤكسج إلى الوريد الصافن الصغير. كان الألم فوريًا وشديدًا، ما من شك أنه شعر بانسياب الدم الدافئ على ساقه، وهو إحساس مخيف إذا لم تكن مدربًا على تجاهله. بالنسبة إلى رجل، صرخ مالويير صرخة ذات طبقة عالية رائعة. وأرخى قبضتيه عن جين. تراجع خطوة إلى الوراء، وانحنى ليمسك ساقه، فضربت بركبتها أسفل ذقنه، وسمعت أسنانه تصطدم ببعضها، فانحنى جانبًا، وانهار أرضًا.

انفتح الباب بقوة، وبدا أن الفتاة المستاءة انخرطت بشكل حيوي مع العالم للمرة الأولى. مع ذلك، تجمدت على العتبة، لأن جين سحبت مسدسها، وصوبته نحو الفتاة ذات العينين الكبيرتين.

قالت جين: "عودي إلى كرسيك، وضعي بعض الموسيقى السعيدة. فإلتون سجّل الكثير منها".

## 14

خلف الباب، كان الدرج يؤدي إلى الطابق الثاني، حيث يُنجز العمل الحقيقي في فينيل، أرادت جين أن يصعد مالويير أمامها. لم يكن أفراد هذه العصابة خطرين، وبالتأكيد لم يكونوا متعطشين للدماء أو خبيثين مثل المعتوهين الاجتماعيين الذين أمضت الفترة الماضية في تعقبهم. ولكن إذا كانوا جميعًا يفتقرون إلى الفطرة السليمة مثل مالويير، فيمكن للدماء أن تراق من دون داعٍ. أرادت استخدام هذا المعتدي بمثابة درع، دفعته ليسير أمامها، وحثته بمسدسها مستعدة لتفريغ رصاصاتها في عموده الفقري، وهذا ما منح الناس في الطابق الثاني وقتًا لكبح جماحهم.

وجد مالويير أنه من المؤلم الوقوف بشكل مستقيم، لكن لم يناسبها أن يصعد منحنيًا ليبدو مثل قزم، فبث المسدس المصوب إلى ظهره بعض العزيمة فيه، استند إلى السياج، وعرج في كل خطوة خطاها، لكنه صعد منتصب القامة. شتمها في البداية، لأنه بصق الدم.

عندما أدرك الهدف من رغبتها في الحصول على درع، صاح: "أنا في المقدمة، جيمي، أنا أمامها، أنا في المقدمة، جيمي!"

كان هناك منطقة استراحة واحدة في الدرج الطويل، عندما اقتربا من قمة الدرج، ضغطت فوهة المسدس في عموده الفقري، كي لا يحاول استعادة رجولته عندما يرى أصدقاءه.

خلال صعودها خلف مالويير إلى الطابق الثاني، رأت جين قاعة كبيرة بطول المبنى، نوافذها مغطاة، وإضاءتها خافتة، وأرضيتها خرسانية ملطخة. ربما هناك عشر محطات عمل، حيث كان لكل حاسوب طابعة خاصة، وماسحة ضوئية، وصناديق سوداء. وفّر مكتب مركزي دائري مرتفع منصة يمكن من خلالها مراقبة القاعة بأكملها.

توزع سبعة رجال في نقاط مختلفة، ينظرون نحو الدرج، جميعهم في العقد الثاني أول بداية العقد الثالث من العمر. تنوعوا بين نحيف وسمين وبين ملتحٍ وحليق. لكن القاسم المشترك بينهم كان شحوبهم ليس بسبب الخوف، بل لأنهم لم يكونوا مهتمين بممارسة نشاطات في ضوء الشمس. مثّل كل واحد من هؤلاء السبعة طيفًا من أطياف مهووسي الحاسوب.

من بين السبعة كان جيمي الوحيد المسلح، بالرغم من مسدسه لم يبدُ أخطر من قط صغير. كانت وقفته خاطئة، حيث كانت قدمه اليسرى خلفه، وارتكز وزنه عليها أكثر من اللازم بدلًا من توزيعه بالتساوي. لعل معياره الأساسي عندما اشترى السلاح أن يكون مظهره رهيبًا. ربما كان كولت مع سبطانة قياسها ثماني بوصات رهيبة. أمسك جيمي بالمسدس بيد واحدة، ومدّ ذراعه، ربما لأن كلينت إيستوود فعل ذلك في فيلم ديرتي هاري. إذا ضغط على الزناد في أي وقت، فإن الارتداد سيدفعه إلى الوراء، وسيفجر ضوء علويًا ما باهظ الثمن، ومن المحتمل أن يحتار ويتوتر للغاية، فيسقط السلاح من يده.

عندما يتعلق الأمر بالأسلحة النارية، فضلت جين مواجهة مسلحين متمرسين، لأنه إذا متّ في المواجهة، فعلى الأقل لن يكون موتك كاريكاتوريًا.

أمسك جيمي بيده الحرة بطاقتي الفهرسة التي كتبت عليهما جين رسالتيها له.

دفعت جين مالويير مبعدة إياه عنها، ولكن ليس صوب جيمي رادبورن. وقالت له: "اجلس على أحد الكراسي". فجلس على كرسي مكتب مدولب وشتمها مجددًا.

ربما خاف جيمي بسهولة، لكنه لم يكن رجلًا غبيًا. لقد قرأ بطاقتي الفهرسة. أعطته معلومات يمكن أن تبقيه خارج السجن إذا تصرف بشكل صحيح. حتى لو تبّين أن ما أخبرته زائف - وهو ليس كذلك - لا يمكن تفسيره على أنه عمل عدائي.

اعتمدت جين أن يكون جيمي ذا فطرة سليمة أكثر من مالويير، فوضعت مسدسها في قرابه، بالرغم من أنه ظل يصوب سلاحه نحوها، وأخرجت بطاقة فهرسة جديدة وأشارت بها إليه.

للحظة، لم يستطع أن يقرر ماذا عليه أن يفعل، بينما وقف أفراد فريق عمله الستة متوترين ومترقبين، كما لو كانت هذه لحظة من فيلم سباغيتي ويسترن لو كان هناك مثل هذه اللحظة. أخفض جيمي مسدسه.

بيده اليسرى، أشار إليها كي تقترب، وأخذ البطاقة الثالثة التي عرضتها. والتي كتب عليها: بعض خطوط الهاتف لديك مجهزة بأجهزة إرسال لا نهائية.

لا يمكن اعتبار جهاز الإرسال اللانهائي تقنية حديثة. لقد ظهر جهاز الإرسال اللانهائي ربما قبل مولد جيمي، الذي كان في الثلاثين من العمر، وربما ظهر الجهاز قبل مولد والدته، لكنه كان يعمل بشكل جيد مثل أي شيء آخر. ربما لم يكن هذا هو أول تهديد فكر فيه صبي السيدة رادبورن عندما فكّر في قضاء جزء كبير من حياته في تناول طعام السجن، لكن جين اعتمدت على أن يكون قد سمع به.

وضع بطاقات الفهرسة والسلاح على المنضدة المرتفعة المستديرة وقال لطاقمه: "سجلوا خروجكم واغلقوا حواسيبكم". فعادوا فورًا إلى محطات عملهم للقيام بما أُمروا به.

بمجرد توصيل جهاز إرسال لانهائي إلى هاتف، يصبح في حالة سُبات ولا يُنشط إلا باتصال من هاتف خارجي. عندما يُدخل المتصل الرقم الأخير من الرقم الذي يتصل به، يُشغل على الفور جهاز الإرسال اللانهائي، الذي يمنع الهاتف المستهدف من الرنين، ولكنه ينشط ميكروفونه. لن يدرك الأشخاص الموجودون في الغرفة، أن كل محادثة بينهم تُحال إلى وكالة لتنفيذ القانون، التي تسجلها. عندما حصل مكتب التحقيقات الفدرالي لأسباب تتعلق بالأمن القومي، على إذن مفتوح، أصبح يتنصت بشكل متقطع على عمليات رادبورن، بالرغم من عدم وجود سبب يمنعه من التنصت على مدار الساعة إذا رغب بذلك.

عندما توقفت الحواسيب عن العمل، ذهب جيمي إلى خزانة معدنية مرتفعة في الزاوية الشمالية الشرقية من القاعة الكبيرة. احتوت على نظام تحويل لعشرات خطوط الهاتف. عبث هناك لمدة دقيقة، وعندما أغلق باب الخزانة، افترضت جين أنه أوقف حزمة الاتصالات بالكامل.

عندما عاد إليها، قال: "لماذا تضعين شعرًا مستعارًا؟".

أشارت إلى النوافذ ذات الألواح في الطرف الجنوبي للقاعة. "هناك الكثير من كاميرات المرور، توقف الناس عن ملاحظتها. لديك واحدة في منتصف الحي أمام متجرك، لكنها ليست كاميرا مرور".

"هذا سيئ".

"تبدو وكأنها تصوّر من الغرب إلى الشرق، ولكنها موجّهة على باب متجرك".

"الأوغاد الأوريليون".

فكرّت جين، بأنه واحد منهم لكنه لا يدرك ذلك.

قالت: "إنها تنقر كل ثانيتين، وتنقل صورًا عالية الدقة لكل من يدخل أو يخرج من فينيل. لهذا السبب أضع شعرًا مستعارًا، وظل عيون. على الأقل، آخر ما عرفته، أن الكاميرا ليست مجهزة ببرنامج التعرف إلى الوجوه".

"ما هو اسمك؟".

من باب الدعابة قالت: "إيثان هانت". استعارت الاسم من رجل توصيل المخبوزات في سان دييغو.

"اسم مضحك لفتاة".

"أنا لست فتاة كفتاتك المعتادة".

# 15

أرسل جيمي رادبورن مالويير - الذي كان اسمه فيليكس - إلى الطابق السفلي ليتلقى الإسعافات الأولية على يد الفتاة المستاءة، والمعروفة أيضًا باسم بريتا، وأرسل الرجال الستة الآخرين في طاقمه للانتظار في المتجر ريثما يبلغهم بتعليماته. أصدروا ضجيجًا وهم ينزلون.

صاح جيمي: "أغلق الباب خلفك". وهذا ما فعله أحدهم.

قاد جين إلى طاولة مغطاة بصناديق من البسكويت، وعلب حلوى، وأكياس من رقائق البطاطس، والمعجنات، ورقائق الذرة، وعلب من المكسرات؛ وجبات خفيفة تكفي لإشباع فيلق من المدمنين خلال اجتماع يستمر على مدار الساعة للتدخين.

لفّ فريق العمل سجائر الحشيش قبل العمل وأثنائه وبعده، ولكن بدا جليًا أن الطاقة التي توفرها الكربوهيدرات الحلوة أو المالحة كانت تساهم في رفع الإنتاجية أيضًا.

أخرجا كرسيين، وجلسا متقابلين.

بدا جيمي رادبورن وكأنه دمية كيوبي بالغة؛ منتفخًا، ولكنه لم يكن سمينًا بالفعل، وكان ممتلئ الوجه، ولا يمكن وصفه بالملتحي.

قال: "من أين حصلتِ على كل المعلومات المدونة على بطاقات الفهرسة، ألا يمكن أن تكون كلها هراء".

"لا يهم كيف حصلت عليها. وهي ليست هراء".

ما كانت لتخبره أنها عميلة لمكتب التحقيقات الفدرالي في إجازة.

قالت: "لقد أتوا إليك بتكنولوجيا قديمة جدًا، وقد فاتك ذلك أثناء عمليات المسح لأنك تجري دائمًا تحليلًا مستقيمًا، وتبحث عن الخروقات حيث تتوقعها. عندما تطوّر المنتجات - التطبيقات، أيا كانت - أو تحاول اختراق شبكة ما، تسعى وراء تحقيق تقدم، ولكن يجب أن تعلم أنك بحاجة إلى استعمال أساليب ملتوية".

أكد على كلامها: "إنني احترم العشوائية، والأساليب الملتوية، والحركة البراونية، والتقدم العشوائي غير الموجه".

"حسنًا، كان يفترض بك أن تطبق ذلك على عمليات المسح الأمنية أيضًا".

"أنا عبقري ولكنني أبله". قال ذلك وابتسم، بدا وكأنه يؤنب نفسه، ولكن ابتسامته التي بدت وكأنها استعارة من ابتسامة أفعى مجلجلة أظهرت العكس، وأردف "ما مدى الاختراق الذي تعرضت إليه؟ أيجدر بي إخلاء هذا المكان فورًا؟".

"إنك تجني أمولًا كثيرة، لا مشكلة لديهم معك في الوقت الحالي، طالما أنك تبني ملفات عن الأسماك الأخرى التي تسبح معها، وهذا يعني أن لديك وقتًا، أشهرًا وربما سنة. ولكن لو كنت مكانك، كنت لأهرب في غضون يومين عبر الباب الخلفي، وأُفرغ هذه القاعة بحلول الأسبوع القادم".

"إذا فالأمر في غاية السوء".

وافقت: "نعم تمامًا. لن أخبرك كيف أعرف كل هذا، ولكن إذا أردت، يمكنني أن أخبرك كيف عثروا عليك".

أثناء حديثها، أخرج قطعة أوريو من كيس بسكويت، ووضعها دفعة واحدة في فمه، كما لو كانت بحجم تشيز إت، ومضغها بتوتر. بعد أن ابتلعها قال: "أعتقد أنني بحاجة إلى أن أعرف. لذا أخبريني".

"هل تتذكر عميلًا يدعى كارل بيسمر؟".

"إنني لا أتذكر العملاء".

"يتيح أحد تطبيقاتك حتى لأغبياء التكنولوجيا انتحال الشخصية على أي هاتف ذكي، وذلك من خلال إعادة توجيه المكالمات والرسائل النصية من خلال تبادل كندي قبل أن ترتد إلى الولايات المتحدة، حيث ترتد مجددًا قبل الذهاب إلى المستلم بمعرف متصل/ مرسل مزيف".

"أنا فخور بذلك. ازدادت ثروتي كثيرًا بفعل هذا التطبيق".

أثار تعجرفه غضب جين. فقالت: "بالإضافة إلى ذلك، تهرب المكالمة من نظام فوترة شركة الهاتف، ولا يبقى من دليل عليها".

"اصفعيني الآن. أنا فتى شقي". أخرج قطعة أوريو أخرى. "عندما يتوجب عليّ أن أدافع عن نفسي، يجب أن أقول إننا نحاول بذل جهد لتحديد الإرهابيين المحتملين وأنني لا أسعى وراء بيع التطبيق لهم".

"كيف يعمل هذا؟".

قال وهو يطحن الأوريو بأسنانه: "ليس كما أريد".

"لقد بِعتَ بيسمر أيضًا تطبيقًا يتيح تغيير الصوت عبر الهواتف الذكية. أضف إلى التطبيق عينة من صوت أي شخص مدتها دقيقة واحدة، والتي يمكن تسجيلها من خلال اتصال مع الشخص المراد استخدام صوته، وعندها يصبح بمقدور ذلك التطبيق اللعين استبدال صوته بصوتك لدرجة أن زوجة الشخص لن تستطيع أن تعرف أن من تتكلم معه ليس زوجها".

"منتج آخر ناجح جدًا لرادبورن". بينما كان يتحدث، احتفل بنفسه من خلال ضرب قبضتيه ببعضهما.

كانت يداه مكتنزتي الأصابع ووورديتين وخاليتين تمامًا من الشعر، كما كان معصماه حتى أطراف قميصه، ناعمين مثل المطاط، وبدوا عديمي العظم، مثل أيدي بعض الروبوتات.

"السيئ في الأمر أن كارل بيسمر لم يكن مخترقًا عاديًا لأنظمة الهاتف يحاول أن يصل إلى نظام الهواتف والتلغراف الأميركي. في الحقيقة، لم يكن مجرمًا عاديًا".

قال جيمي: "من خلال تجربتي، لا يوجد شيء يدعى مجرمًا عاديًا، فمجتمع الإجرام فريد من نوعه".

"انتحل بيسمر من خلال تطبيقك شخصية غير شخصيته، واجتذب شابات إلى أماكن خالية، حيث اغتصبهن قبل أن يقتلهن".

"لا يمكنكِ إلقاء اللوم على شركة جنرال موتورز لبيعها السيارات للرجال الذين يثملون ويقودون سياراتهم".

احتقرته جين، لكنها كانت بحاجة إليه: "افهم، أنا لا أدينك، فقط أخبرك كيف عثر عليك الفدراليون".

"لا تقلقي رأسكِ الأرجواني الجميل. لديّ أنف يشتمّ الشخصيات بشكل جيّد. يمكنني شمها. شخصيتك لها نفس رائحة شخصيتي. أنت لست من النوع الذي يلقي الأحكام".

"بيسمر لم يكن اسمه الحقيقي".

"العديد من أسماء عملائنا ليست حقيقية، ولا يشذ اسم إيثان هانت عن القاعدة. إخفاء الهوية أمر أساسي للخصوصية، والخصوصية حق".

"اسمه الحقيقي كان فلويد سوتر".

عندما توضحت له الصورة الكاملة قال: "آه، سوتر القاطع. نجم صحف التابلويد وأخبار التلفزيون. كم؟ خمس عشرة، ست عشرة عملية قتل؟".

"تسع عشرة". لقد كانت جين هي من أطلقت الرصاصة على ساق سوتر، وشلت حركة، قبل أن تقيده بالقيود التي قيد بها النساء قبل اغتصابهن وقتلهن.

"من سوء حظك أنه لم يُقتل أثناء عملية القبض عليه. فلويد شخص ثرثار. لم يكن يعرف عنوانك".

"لا أحد من عملائنا يعرف العنوان. نحن شركة وب مظلم".

"ولكن بما صرّح به عن تطبيقاتك، أتاح لمكتب التحقيقات الفدرالي أن يعثر عليك".

"لقد وجدوا جيمي رادبورن ولم يجدوني". أخذ قطعة أوريو أخرى، لكنه حملها بين إبهامه وسبابته بدلًا من تناولها. "جيمي ليس اسمي الحقيقي تمامًا كما لم يكن اسم

بيسر حقيقيًا، ما أن أغادر هذا المكان لن يعود هناك من أثر لجيمي". حدّق إليها لنصف دقيقة، وسمحت له أن يحدق، فقال: "لا يبدو عليك أنك قلقة من أنني سأطاردك لأجعلك تصمتين؟".

"لا أرى فيك قاتلًا".

ابتسم وأومأ. "أنا عاشق ولست قاتلًا". انحنى إلى الأمام في كرسيه. "هل يثيرك ثرائي وذكائي الممتاز؟".

"لا".

"بعض الفتيات يثيرهن ذلك".

"أنا هنا فقط للحصول على ما أحتاج إليه. لقد أعطيتك فرصة لتخطي الاعتقال، والمحكمة، والسجن. أنت مدين لي".

"أنا أدفع ديوني دائمًا. إنه عمل جيد فقط". توقف عن تقليب الأوريو بين إبهامه وسبابته، ووضعها في فمه، مضغها وتلمظ، وقال: "يمكنني أن آكلك مثل كيس من أوريو. والآن ماذا تريدين؟".

# 16

كان لدى الرجل الذي يعرف الآن بجيمي رادبورن فائض من الثقة بالنفس، بدل أن يكون لديه ازدراء للنفس، فهو يعرف دائمًا ما يريد وكيف يحصل عليه، ولم يعجز عن إيجاد حل لكل مشكلة تعترض طريقه. إذا كان لديه شكوك حول مهنته المختارة، فيبدو أنه تخلص منها منذ فترة طويلة. وإن سبق لأي شيء أن حيره من قبل، فقد بدا أنه قد محا التجربة من الذاكرة، وتعامل مع طلبات جين الملغزة كما لو أنه طفل صغير يصادفها للمرة الأولى.

قال وهو يتصفح القائمة التي أعطته إياها: "اثنان وثلاثون طبيبًا شرعيًا؟".

"هذا صحيح".

"في المقاطعات، والمدن، والبلدات الصغيرة؟".

"نعم".

"لمَ الكثير منهم؟".

"لا شأن لك بذلك، كان بإمكاني أن أعطيك عددًا أكبر منهم".

"إنه أمر غريب، هذا كل شيء.. أمر مُخيف. عليك أن تعترفي أنه مُخيف وغريب".

"لقد أعطيتك أسماءهم ومواقعهم الإلكترونية. يمكنك الانطلاق منها، أو تحرك وفق الطريقة التي تعمل بها عادة".

"مجرد حالات انتحار. لماذا انتحارات فقط؟"

نظرت إليه ولم تجب.

"حسنًا، حسنًا. مجرد فضول".

"جيد".

وضع الصفحات على طاولة الوجبات الخفيفة، وكتب بالقلم ملاحظات. "جميع حالات الانتحار خلال العام الماضي في هذه الولايات القضائية. تقرير الطبيب الشرعي الكامل عن كل منهم. تريدين تفاصيل فحوصات المخ إن كانت قد أُجريت. كل هذه الأشياء هي سجل عام، أليس كذلك؟".

"نعم، ولكن هناك مشكلات تتعلق بالخصوصية. وقد يستغرق استخدام قانون حرية المعلومات أشهرًا وربما سنوات. إلى جانب ذلك، هناك بعض الأشخاص لا يرغبون في أن ينظر أحد إلى هذه السجلات. لا أريد أن ألفت انتباههم".

رفع حاجبيه: "أتقصدين أشخاصًا سيئين؟".

"لا تقلق بشأن ذلك".

"إذا كنتِ قلقة بشأن ذلك، فربما يجب أن أقلق أيضًا".

"أنا لستُ متسللة بخلافك".

"كلمة مخترق أكثر دقة. مشتقة من مخترق الخزنة. لكنها لم تصبح رائجة بعد".

"متسلل، مخترق، أيا يكن. إذا بحثت بنفسي، فسيعرفون ذلك. بينما يمكنك الدخول، والخروج بما أريد، ولن يعرفوا بأمرك".

"هذا يتطلب كثيرًا من العمل".

"فليعمل كل فريقك على الموضوع، أريد كل شيء ظهيرة الغد".

"أنت وضيعة متطلبة، ولكنني أحب الوضيعات".

كانت عيناه الرماديتان نقيتين وتنظران إليها بشكل مباشر كما ينظر طفل بريء. لو عمل في النصب على المسنات، كان لينجح، لأن نظراته كانت ستسحرهن بالرغم من أن جين رأت فيهما عيني شخص مفترس.

قالت: "لا تغازل. أنت لستَ بارعًا في ذلك. أنا حقًا أعني الظهيرة كحد أقصى".

"لقد سمعت. حسنًا، أنت صاحبة القرار الآن. سنبحث حتى نجد كل شيء. ما هذا الاسم في الصفحة الأخيرة؟"

"ديفيد جيمس مايكل. إنه عضو في مجلس إدارة مؤسستين لا تبغيان الربح. أريد أن أعرف كل شيء عنه من أرقام حساباته المصرفية، إلى مقاس الحذاء، إلى حالته الصحية حتى وإن كان يعاني من الإمساك".

"إذا كنت تريدين عينة براز، فسيتعين عليك الحصول عليها بنفسك. سأحصل على البقية قبل الظهيرة، لكننا سنحتاج للعمل كل الليل".

نهضت من كرسيها، وظل جيمي جالسًا.

قالت: "لا تسلمها لي على محرك أقراص محمول. لقد أصبحت قديمة، أريدها مطبوعة".

"وبهذا نفقد غابة جديدة، نحن لا نقوم هنا بطبع كميات من الأوراق، لأننا لا نملك طابعات".

"هل تعتقد أنني مغفلة؟".

"كان الأمر يستحق المحاولة. حسنًا، لا محرك أقراص محمول. عند الظهيرة، سيكون لدينا ما تريدينه".

"ستسلمها لي في سانتا مونيكا، يجب أن تكون بمفردك".

"يبدو أنك معتادة على الخدمات الشخصية، وأنا الأفضل فيها".

"لكنك فاشل بالتلميحات الثنائية. سانتا مونيكا. حديقة باليساديس. في مكان ما بين برودواي وشارع كاليفورنيا. اشترِ أحد البالونات الرمادية المليئة بالهيليوم. أسهل مكان للعثور عليها هو بائع الأزهار. اربطه إلى معصمك حتى أراك تأتي من مسافة بعيدة. لن تضطر للعثور عليّ، فأنا من سيجدك".

ذهبت جين إلى المكتب الدائري على المنصة، وحملت مسدسه.

"ماذا تفعلين؟". نهض جيمي من كرسيه، مذعورًا.

"استرخ. سأضعه عند الباب الأمامي قبل أن أغادر".

ذكرها جيمي: "أنت من قال إنه لا يوجد قاتل في داخلي".

"لقد أخطأت، لقد مرّ وقت طويل على المرة الأخيرة التي أخطأت فيها".

مشت نحو الدرج والتفتت إليه. كان يقف أمام الكرسي، لكنها رأت مدى رغبته باللحاق بها، والنيل منها.

كذبت: "إذا حاولت الهروب من هنا الليلة بدلًا من القيام بما طلبته منك، فلديّ شخص يراقب المكان، عندها سأتصل بمكتب التحقيقات الفدرالي المحلي، وأقوم بواجبي المدني. لن تستطيع تهريب عشرة بالمئة من أغراضك في شاحنة قبل أن تداهمك وحدة التدخل السريع".

أكد لها: "ستحصلين على ما تريدين".

"جيد. ولا تنسَ البالون".

أمسكت المسدس بكلتا يديها، نزلت الدرج مستندة إلى الجدار، ركّزت انتباهها على الباب في الأسفل، لكنها لم تُغفل النظر بين الفينة والأخرى إلى الأعلى، ربما لم يكن مسدس الكولت الذي أخذته منه المسدس الوحيد الذي يحتفظ به جيمي هنا.

في الطابق الأرضي، فتحت الباب ولم ترَ أي شخص في الغرفة الخلفية، فقط الصناديق المليئة بأسطوانات الفونوغراف القديمة. كان الباب مفتوحًا أمام الغرفة الأمامية. ما من موسيقى، وسمعت أعضاء فريق جيمي يتحدثون وهم يتحركون، وهذا ما لن يفعلوه إن كانوا ينتظرونها. لم تتكبد عناء مسح المدخل بعينيها، بالرغم من أنها عبرته بحذر.

كانوا مجتمعين عند الطرف الآخر، جلس فيليكس على كرسي بريتا. ركعت الفتاة بينما كانت تضمد جرح ساقه بلفة من الشاش، وإلى جانبها وقف شخص آخر من فريق العمل. الخمسة الباقون كانوا في مكان أبعد.

أثناء مرور جين عبر البوابة، راقبوها بصمت، مثل مجموعة من الأطفال غير المنضبطين والمشاكسين الذين كانوا يتآمرون على رجل بالغ وُضعوا مؤقتًا في مكانهم.

فتحت الباب الأمامي، ووضعت مسدس الكولت على الأرض، وخَطت إلى الخارج، تفاجأت عندما تبيّن لها أن الوقت لا يزال نهارًا، فالضوء لم يكن يعبر إلى داخل فينيل الذي كانت نوافذه مغطاة أو مطلية.

# 17

توقفت جين بسيارتها عند إشارة مرور على بعد عدة شوارع من فينيل. اقتربت من اليسار امرأة شابة، عبرت الشارع يدًا بيد مع صبي صغير. كان الطفل في السادسة أو السابعة من عمره، ولم يكن يشبه ترافيس بشيء، لكن جين لم تستطع التوقف عن النظر إليه.

عندما مرت المرأة والطفل أمام الفورد، وضع الصبي يده على فمه، وكأنه يكتم كحة، وبحلول الوقت الذي وصلا فيه إلى الرصيف، بدا لاهثًا. أجلسته والدته القلقة على مقعد انتظار الحافلات، وبحثت في حقيبتها، وأخرجت جهاز الاستنشاق من النوع الذي يستخدمه المصابون بالربو، فتلقفه الصبي بلهفة.

تغيرت إشارة المرور إلى اللون الأخضر من دون أن تدرك جين ذلك. أطلق سائق سيارة شيفروليه بيك آب خلفها بوق سيارته لتنبيهها.

أنزلت زجاج النافذة، ولوّحت بيدها لسائق الشاحنة كي يتجاوزها. واصلت التحديق إلى الصبي المنقطع الأنفاس، وأرادت التأكد أنه بخير. لكن من الواضح أن الرجل في سيارة البيك آب كان في عجلة من أمره، وبعد ثانيتين فقط، أطلق عنان البوق كما لو توجب عليها اعتباره صفارة إنذار فتفسح له الطريق.

وضعت الأم ذراعًا حول كتف الصبي، وعندما أخرج جهاز الاستنشاق من فمه، لم يمتلك المظهر المحبط ذاته الذي كان على وجهه عندما جلس على المقعد.

في غضون ثلاث ثوانٍ، كانت جين ستنقل قدمها من الفرامل إلى دواسة البنزين، لكن الرجل في الشاحنة، وضع يده على البوق، وتحرك بسيارته إلى الأمام حتى ارتطمت برفق بمؤخرة سيارة الفورد إسكيب. اصطدام خفيف، لم يتسبب بأدنى ضرر. لكن الشاحنة كانت مرفوعة بإطارات كبيرة، وتركز شعار شيفي في الثلث السفلي من نافذتها الخلفية، ولم يكن هناك أي سبب لكي يتنمر بشاحنته الوحشية. ركنت سيارتها، ورفعت فرامل الطوارئ، وفتحت بابها، وترجلت من السيارة.

كان هناك رجلان في الشاحنة، وكلاهما في المقعد الأمامي. توقف السائق عن إطلاق العنان لبوق سيارته عندما خرجت من السيارة، ثم ضغط عليه عدة مرات. وقفت وهي تحدق إليه ليس لأنها غاضبة بل لأنها مشمئزة منه.

تساءلت كيف يمكن للوغد أن يكون عديم الصبر وضيق الأفق بعد يوم واحد فقط من الكارثة المروعة التي حصلت على طريق فيلادلفيا السريع، بعد يوم واحد من تمزق المئات من الأميركيين بسبب الطائرة النفاثة واحتراقهم أحياء أثناء تنقلاتهم الصباحية. سارت نحو الشاحنة الصغيرة.

تراجع السائق إلى الوراء، انتقل إلى وضع القيادة، وقاد الشاحنة إلى المسار المجاور، وابتعد عنها بسرعة، بينما نعتها الرجل الذي يجلس إلى جانبه بالحمقاء، وصاح بالكلمة التي تبدأ بـ *عا* ورفع إصبعه الوسطى.

مشت جين خلف الفورد نحو الأم والطفل على مقاعد الباصات. وسألتها: "هل هو بخير؟".

فقالت المرأة وقد جحظت عيناها: "ماذا؟ أتقصدين بيني؟ أجل، إنّه على مايرام. بيني بخير. سيكون على ما يرام".

أدركت جين أن قلق الأم لم يكن مرتبطًا بحالة ابنها بقدر ارتباطه بالمشاجرة التي حدثت أمامها. في هذه الأيام، لا يمكن لأحد أن يعرف إذا كان مثل هذا الحادث الصغير قد يتحول إلى عنف حقيقي ورهيب، مع أضرار جانبية، شعرت جين بتأنيب الضمير لأنها تسببت بخوف المرآة.

قالت: "أنا آسفة. لم يكن يفترض بهذا أن يحدث أنا آسفة. إن الأمر فقط أنه..." لكنها لم تجد طريقة لتفسير معاناتها من ضعف ترافيس والمسافة التي فصلتها عنه. "أنا آسفة"، كررت وعادت إلى السيارة.

بعد مجمعين سكنيين، خرجت من الشارع، وركنت سيارتها في موقف سيارات لمركز تسوق صغير يحوي عشرة أو اثني عشر متجرًا.

انزعجت لأنها فقدت السيطرة على أعصابها لبرهة، لا يمكن لوم شخص يتعرض لضغوط طويلة الأمد وتهديد بالقتل لارتكابه خطأً من فترة لأخرى، لكنها توقعت أن تكون أفضل من ذلك.

كان جزء من مشكلتها الحرمان من النوم. فطوال الأسبوع الماضي لم تحظَ بأكثر من ست ساعات من النوم في الليلة، وفي ليالٍ أخرى لم تنم أربع ساعات.

كان أكثر المشاريع ازدحامًا في وسط مركز التسوق هو متجر الخمور. لم تكن ممن يشرب الخمر كثيرًا، فقط القليل من النبيذ الأحمر بين الحين والآخر. لقد لجأت فقط إلى الفودكا منذ هروبها، وفقط عندما تكدست الليالي السيئة واحدة تلو الأخرى فوق بعضها؛ في بعض الأحيان كانت بحاجة إلى النوم حتى على حساب الرزانة.

ذهبت إلى متجر الخمور، واشترت نصف لتر من بلفيدير لتشربه لاحقًا، بعد العشاء، لو لم يحل الظلام عند إغلاق عينيها، حتى لو أزهرت ذكريات نِك خلف الجفون المنخفضة بإشراقة وحركة كما لو كانت أحداث آنية، حتى لو كان ترافيس موجودًا في ذلك السطوع أيضًا، في مكان محروم من الشمس حيث عاشت العبودية حتى الآن وتم بيع الأطفال لخدمات لا يمكن تصورها.

# 18

قادت جين غربًا، وعبرت ضاحية تلو أخرى، حتى باتت بعيدة عن الفندق الذي حجزت فيه غرفة في وقت سابق. من غير المحتمل أن يجدها من يتتبعونها أثناء قيامها بالأجزاء التالية من الأعمال. ولكن إذا حددوا موقعها، فريثما يصل فريق البحث إليها، ستكون قد أخلت المنطقة، قبل أن يصبحوا قريبين من الفندق.

ركنت السيارة تحت شجرة في الشارع، بالقرب من مركز كانوغا بارك للمسنين، وأوقفت عمل المحرك.

بالإضافة إلى زوج من الهواتف المحمولة المؤقتة التي تركتها مع أمتعتها في الفندق، وضعت هاتفين في صندوق السيارة. سبق لها أن اشترت الهواتف من مدن مختلفة وفي أيام مختلفة، وسبق لها أن فعّلتها جميعًا، ولكنها لم تستعمل أيًّا منها.

أخذت هاتفًا من صندوق السيارة، واتصلت بسيدني روت في شيكاغو الذي أجاب بعد الرنّة الثالثة.

طلبت منه مراجعة جدول زوجته لمعرفة إن حضرت إيلين أي مؤتمر آخر قبل وقت قصير من حضورها مؤتمر هارفارد حيث عانت من نوبة الصداع.

قال سيدني: "لا أرى كيف يمكن أن يعني هذا شيئًا، ولكن قبل أسبوع من مؤتمر هارفارد، أمضت يومين في مينلو بارك، حيث قابلت شينيك للحصول على رسالة إخبارية تنشرها المنظمات التي لا تبغي الربح".

"مينلو بارك، كاليفورنيا؟".

"نعم. إنه مقر مختبرات شينيك. هل سمعت عنها؟".

"لا".

"حاز بيرتولد شينيك على كل جائزة علمية مهمة باستثناء جائزة نوبل".

"أيمكنك أن تتهجى اسمه لي؟".

هجاه سيدني. "إنه رائد تصميم مزروعات الدماغ التي تساعد الأشخاص الذين يعانون من أمراض الخلايا العصبية ومن متلازمة التصلب؛ تصلب ضموري جانبي".

قالت: "مرض لوغيريغ".

"هذا صحيح. كانت إيلين معجبة به".

اهتزّت الألسنة الخضراء للشجرة المتدلية في نسيم معتدل، ولعقت الظلال أشعة الشمس المتناثرة التي تلمع على الزجاج الأمامي.

"أين أقامت إيلين في ذينك اليومين؟".

علمتُ أنك ستسألين عن هذا. لقد اعتدت على طريقة تفكير مكتب التحقيقات الفدرالي التي تتبعينها، بالرغم من أنني لا أعتقد أن مكان إقامتها مهم. مكثت في فندق ستانفورد بارك. على بعد نصف ميل من جامعة ستانفورد. لقد كنت هناك بنفسي ذات مرة. إنه مكان جميل".

"هل زرت مختبر د. شينيك؟".

"لا، كان هذا منذ سنوات قليلة مضت. كنت في المنطقة لتقديم عرض بشأن مشروع معماري".

"هل تعرف أين تناولت زوجتك العشاء؟".

"في الليلة الأولى تناولت الطعام في مطعم مينلو غريل في الفندق. سبق لي أن أقمت فيه في العام الماضي ونصحتها به".

"وفي الليلة الثانية؟".

"كانت ضيفة مع عدد قليل من الأشخاص الآخرين على العشاء في منزل الدكتور شينيك. لقد وجَدَتْهُ هو وزوجته ساحرين للغاية".

"كان هذا قبل أسبوع من نوبة الصداع التي عانت منها في مؤتمر هارفارد".

"قبل ثمانية أو تسعة أيام".

أشارت جين: "نوبة الصداع الأولى والوحيدة لها".

"أتفهم حاجة المحقق للتحقيق في كل شيء، ولكن يمكنني أن أؤكد لك أن الدكتور شينيك لن يقودك إلى أي مكان".

"على أي أساس يمكنك أن تؤكد ذلك يا سيدني؟".

"على أساس إنجازاته، إنه إنساني، لا يوجد شيء شنيع عنه. من المضحك أن تعتقدي ذلك".

"ربما أنت محق. شكرًا لك على وقتك، سيدني. لا أظن أنني سأزعجك مرة أخرى".

"لم تزعجيني قط، أفهم هوسك، والحزن الذي يحركك، آمل أن تجدي القبول والسلام".

قالت: "لقد كنت لطيفًا. وسأستمتع بالحديث إليك مرة أخرى. ولكن بالرغم من أنها قد تكون طريقة تفكير مكتب التحقيقات الفدرالي الخاصة بي، إلا أنني أراهن أن هناك من يتنصت على هذه المكالمة، أود أن أطرح عليك سؤالًا أخيرًا، هل ذهبت يومًا إلى مؤتمر مع زوجتك ومكثت معها في فندق لليلة؟".

"لا. في حياتنا الشخصية، كنت وإيلين قريبين مثل أي شخصين، لكن حياتنا المهنية كانت متباعدة".

"يسرني سماع هذا، إلى اللقاء يا سيدني".

ما إن أنهت المكالمة، حتى قامت بجولة في منطقة سكنية مجاورة حتى عثرت على منزل قيد الإنشاء، وضِعت حاوية للقمامة أمام رصيفه. بالرغم من أنها لم تستهلك سوى جزء من الدقائق التي جاءت مع الهاتف، قررت أن لا تخاطر باستخدامه مجددًا. من نافذة سيارتها المفتوحة، ألقت به في الحاوية المفتوحة، وابتعدت.

توجهت إلى كلية بيرس، التي كانت على بعد أميال قليلة، لا شك في أنها تمتلك مكتبة جيدة مع إمكانية الوصول إلى الإنترنت.

# 19

في كلية بيرس، اشترت بطاقة لركن السيارة من موزع. زينت الحرم الجامعي الجميل أشجار البلوط، والصنوبريات، والتين.

مع برج ساعتها المثير وسقفها الكابولي الضخم فوق درج المدخل الرئيسي، كانت المكتبة هيكلًا جريئًا وجميلًا. وكان مختبر الحواسيب في الركن الشمالي الغربي من الطابق الأرضي مهجورًا في الوقت الحالي.

جلست في الصف الخلفي للحواسيب، حيث لا يمكن لأحد الجلوس خلفها.

أثبت الدكتور بيرتولد شينيك أنه ذا أهمية كبيرة. ذُكر اسمه في كثير من الروابط لدرجة أنها ستحتاج إلى أسابيع لقراءة كل ما كتب عنه.

ذهبت إلى موقع شينيك للتكنولوجيا، وهو كنز كبير من البيانات. كان هناك العديد من مقاطع الفيديو التي يظهر فيها شينيك، والتي تشرح جوانب عمله ليحصل على منح بملايين الدولارات من الحكومة والمؤسسات الصناعية.

في أحدثها، بدا شينيك في الخمسين من العمر، داكن الشعر، لطيف الوجه، وجذابًا، تشبه ابتسامته الابتسامات التي ترسم على وجوه الدمى اللطيفة. بقدر ما كان عالمًا ومفكرًا كبيرًا، كان مروجًا رائعًا، وكان حماسه لإمكانات التكنولوجيا الحيوية معديًا عندما كان يعرض خططه لقادة الصناعة وللسياسيين الذين يسيطرون على أكبر خيوط الصناديق الاستثمارية.

فُتح باب مختبر الحواسيب. دخل رجل في بداية الثلاثينات من عمره. بدا طويل القامة، مموج الشعر، وأشعث قليلًا، وبدا اسمرار بشرته المدروس أنه بفعل سولاريم، وبدت أسنانه بيضاء بفعل التبييض بواسطة الليزر.

كان يرتدي سترة رياضية زرقاء مفتوحة، تاركًا مساحة لسلاح إذا كان مرخصًا له بأن يحمل واحدًا بالإضافة إلى قميص شامبراي، وبنطال تشينو رمادي أجرد اللون، وينتعل حذاء روكبورتس مطاطي بدلًا من الحذاء المسطح أو الأحذية الجلدية الأخرى. تتيح أحذية روكبورتس ثباتًا ممتازًا إذا كان عليك التحرك بسرعة ومطاردة شخص ما. في العادة، كانت جين تنتعل الروكبورتس. كان لهذا الرجل المظهر المناسب لنوع معين من المهام السرية.

لم ترد على ابتسامته. ركّزت مرة أخرى على شاشة الحاسوب، لكنها لم تغفل وجوده، بالرغم من توجهه إلى محطة العمل في نهاية الصف الذي اختارته.

بينما كانت تقرأ أوصافًا لمقاطع فيديو شينيك الأخرى، استقرت جين على واحد ذكر البروتينات الحساسة للضوء، وقراءة غرسات الدماغ، وبرامج ترجمة الأفكار. غطى الفيديو الأساسيات نفسها التي شاهدتها في التقرير الذي شاهدته على التلفاز أثناء انتظارها نِك في الفراش، قبل ستة أيام من وفاته. في الواقع، اشتبهت في أن بيرتولد شينيك كان أحد الباحثين العديدين الذين ظهروا في هذا التقرير المتلفز، لأن وجهه بدا مألوفًا بشكل غامض لها في الفيديو السابق.

بقيت ببالها القصة المليئة بالأمل والتي تعود لأربعة أشهر عن عمليات زرع غرسات الدماغ التي ستسمح للمرضى البكم يومًا ما بالتفكير في ما يريدون قوله، وجعل أفكارهم تتحدث عبر الحاسوب، اعتقدت أن القصة علقت في ذاكرتها لأنها كانت آخر شيء شاهدته على التلفاز في تلك الليلة قبل أن يأتي نِك إلى الفراش، ويرفع يدها إلى شفتيه، ويقول: أنتِ تبهرينني.

في نهاية الصف، لم يُشغّل الوافد الجديد حاسوبه، بل أجرى مكالمة على هاتفه الذكي. كان صوته منخفضًا جدًا لدرجة أن جين لم تستطع سماع كلمة مما قال، لم تتجاوز مدة المكالمة الدقيقة.

كانت تدرك تمامًا مرور الوقت، لكنها لم تعتقد أنها يمكن أن تكون في خطر بالفعل. قد يكون المتآمرون الذين بدوا قادرين على تحديد استكشافاتها لمواقع الوب الحساسة، والذين بدا أنهم قادرون على تتبع مصدر الحاسوب الذي تستخدمه، يسعون خلفها الآن إذا ما كان شينيك له علاقة بطريقة أو بأخرى بزيادة حالات الانتحار. ولكن لم يكن باستطاعتهم الوصول إلى هنا والقضاء عليها بعد دقائق فقط من تسجيل الدخول إلى شينيك للتكنولوجيا.

بالأمس، أخبرت جوين لامبرت أنها سترى شخصًا في منطقة سان دييغو، وبذلك منحت الصيادين بضع ساعات لنشر أناسهم في النقاط الرئيسية في المتاهة الحضرية.

أجرت مسحًا سريعًا لمقاطع الفيديو العديدة لبيرتولد شينيك. عندما رأت جملة غرسات الدماغ النانوية والقدرة على التحكم في الثروة الحيوانية لزيادة فعالية إدارة

القطيع، أثار هذا العنوان انتباهها، ونقرت على الخيار.

في نهاية الصف، أجرى رجل الروكبورتس مكالمة هاتفية أخرى.

بدأ الفيديو الذي اختارته جين، من خلال سحره المعتاد، وطرحه المقنع، وصوته الآمِر، عرض بيرتولد شينيك لنظام مستقبلي - بالرغم من إمكانية تحقيقه قريبًا - لرصد الماشية والسيطرة عليها. تم تصنيع آلات النانو من جزيئات غير مرئية للعين البشرية، مبرمجة مثل أجهزة الحاسوب، يمكن حقنها في وحدات صغيرة تُجمع ذاتيًا في شبكة داخل الحيوان. وبما أنها لم تكن تتكاثر ذاتيًا، وتكتفي بالتجميع الذاتي فقط، فلن تعرض الجسم لخطر إطلاق الكربون، وستحافظ على عملها باستمرار من خلال النشاط الكهربائي للحيوان المضيف.

يمكن للآلات النانوية مراقبة تفاصيل صحة الحيوان ونقلها، بل يمكنها تحديد المرض المعدي عندما يكون في مراحل انتشاره الأولى. من خلال هذه التكنولوجيا، يمكن التحكم في قطعان الدواجن والماشية والحيوانات الأخرى للحيلولة دون تقاتلها وكذلك تدافعها واستجابات الذعر الأخرى التي تؤدي إلى نفوقها.

قال الرجل على الحاسوب الآخر: "المعذرة".

أدارت جين رأسها، وتلاقت نظراتهما.

"هل أنتِ طالبة هنا؟".

كذّبت: "أجل".

"ما هو تخصصكِ؟".

"التربية الحضانية. المعذرة، لكني لا أريد تفويت أي شيء من هذا الفيديو". عاودت النظر إلى الشاشة.

افترضت أنه تم التنصت إلى مكالمتها مع سيدني روت، وافترضت أنهم اكتشفوا أنها لا تزال في مكان ما في كاليفورنيا، وافترضت أن بيرتولد شينيك كان له يدٌ في هذا الأمر، افترضت أنه بعد خمس عشرة دقيقة فقط من إنهاء الاتصال بسيدني، نبههم برنامج الأمان بأنها تبحث عن موقع شينيك للتكنولوجيا من محطة عمل في كلية بيرس.

إذا كانت افتراضاتها صحيحة، اعتمادًا على مواردهم، خاصة إذا كانوا قادرين على استدعاء مجموعة من الوكالات الحكومية، فقد يصلون إليها بأسرع مما توقعت.

نظرت إلى الشاشة، ورأسها يتجه قليلًا إلى يمينها، مما جعل رجل الروكبورتس في مرمى البصر بما يكفي لمعرفة ما إذا كان قد نهض فجأة عن كرسيه.

لا يزال يواجهها، لم يُشغل حاسوبه بعد.

قدّم بيرتولد شينيك، باستخدام أربعين فأرًا أبيض غرست في أدمغتها غرسات نانوية، تصورًا حيًا لكيفية إدارة قطيع من الحيوانات الكبيرة في يوم من الأيام بشكل أكثر كفاءة. بعد إطلاقها في الغرفة، بدأت الفئران بالتسابق بعشوائية. عندما أرسل فني بواسطة لوحة مفاتيح الحاسوب أمرًا إلى الغرسات، توقفت الفئران في مكانها آنيًا. وعندما أرسل أمرًا آخر، تحركت الفئران الأربعون في الاتجاه نفسه، من جدار إلى آخر وبالعكس، ثم وقفت في طابور واحد في غرفة الاختبار، بعدها اجتمعت معًا في أربع مجموعات مكونة من عشرة، وتوجهت إلى الزوايا، وانتظرت تعليمات عمّا هو مطلوب منها تاليًا.

بعد دقيقة انتهى الفيديو، وهذا ما أشعرها بالراحة، لقد رأت ما يكفي لتشعر بالتجمد حتى عظامها، شعرت ببرد شديد لدرجة لا يمكن للهواء الدافئ أن يقضي عليه، أو القهوة الساخنة، أو أي شيء سوى الوقت.

عندما خرجت جين، قال رجل الروكبورتس: "الأصدقاء ينادونني سوني. ما اسمكِ؟".

كذبت: "ميلاني".

"لديكِ مظهر مميز، ميلاني. حاد لكنه جميل".

كانت قد نسيت أمر الشعر الأرجواني المستعار وظل العيون وملابس ويست هوليوود.

"أعجبني مظهركِ". سأل: "أنت في سنتك الثانية أم الأولى؟".

قالت وهي تبتعد عن الحاسوب: "الأولى".

وقف عندما وقفت.

عندما مدّ الرجل يده اليمنى تحت سترته، مدّت جين يدها تحت سترتها وأمسكت بمسدسها.

بدلًا من المسدس، أخرج محفظة من النوع الذي قد يحتوي على شارة، وأخذ منها بطاقة عمل. "كنتُ في اجتماع مع مدير خدمات المكتبة لطلب إذنه بالتصوير في المكتبة". مدّ البطاقة.

استرخت معدتها المنقبضة. تراجع الحمض إلى أسفل حلقها تاركًا طعمًا مرًا. سحبت يدها من سترتها، وحملت حقيبتها.

عندما لم تظهر أي اهتمام بالبطاقة، اقترب منها، مقربًا إياها إليها.

قالت: "أنا لست من هواة الأفلام".

قال: "عندما تسنح الفرصة، لا يكلفك الاستماع شيئًا". كانت ابتسامته ساحرة أو هذا ما ظنه. "على أي حال، لا يجب أن يتعلق الأمر بالعمل".

"أنا متزوجة".

عندما ابتعدت، قال: "وأنا أيضًا.. زوجة ثانية. الحياة معقدة، هاه؟".

واجهته مرة أخرى. بدت أسنانه المبيضة مشعة. قالت: "نعم.. معقدة. معقدة جدًا".

"خذي البطاقة. انظري إلى الاسم، لن تخسري شيئًا. اتخذي صديقًا جديدًا. لا أكثر. عشاء هادئ".

طعم الحمض المرّ اللعين.

كان القراب معلقًا أسفل كتفها اليسرى، مدت يدها اليمنى تحت سترتها وشهرت المسدس، ومدت ذراعها حتى أصبح المسدس، على بُعد قدم من وجهه، وقفت بثبات كما لو كانت تمثالًا منحوتًا في الحجر. لم تستطع تصديق ما كانت تفعله، لم تستطع منع نفسها من فعل ذلك.

قالت: "على العشاء، دعنا نقل إننا سنضع تفاحة في فمك، ندفنك في حفرة من الفحم الساخن، ونقيم حفلًا".

احتاج إلى بذل جهد للتحدث: "أنا... لديّ طفلان".

"يسعدني سماع ذلك، ولكنني أشعر بالأسف لأجلهما، تراجع واجلس".

تراجع إلى كرسي الحاسوب الذي لم يستخدمه.

"اجلس هنا خمس دقائق، سوني. خمس دقائق كاملة. إن أتيت خلفي، سأعفي هذين الطفلين من البؤس المستمر لأب فاسد. هل هذا واضح؟".

"نعم".

وضعت المسدس في قرابه، وأولته ظهرها، لقد كان اختبارًا، واجتازه بمكوثه في الكرسي.

عندما خرجت من الغرفة، أطفأت الأضواء.

# 20

قادت سيارتها من ضاحية إلى أخرى، والشمس البرتقالية تغيبُ خلفها، والعالم الذي امتلأ بالظلال يميلُ بصوره الظلّية المشوهة باتجاه الشرق.

أكثر من مرة، عند توقفها عند إشارة مرور حمراء، كانت تنظر إلى مرآة الرؤية الخلفية لكي تنظر إلى انعكاس عينيها. لم ترَ جنونًا فيهما بعد، لكنها تساءلت عما إذا كان الأمر قادمًا لا محالة.

لطالما اعتبرت نفسها بصلابة الصخر. لكن الصخور أيضًا يمكن أن تتحطم. بوجود ضغط مناسب، حتى الغرانيت سينهار.

كان من الغباء، أن تشهر مسدسها بوجه الأحمق سوني، لأنه ربما كان ردّ فعله متهورًا، وربما دخل شخص آخر إلى القاعة في الوقت الذي كانت تهدد سوني بالمسدس.

أخبرت نفسها أن المشكلة نشأت من قلة النوم. كانت بحاجة إلى ليلة طويلة من الراحة. إذا ما كانت هناك أحلام سيئة ستوقظها فسيتوجب عليها أن تعدّل من وضعية نومها وتستسلم لأي راحة قد تسمح بها الكوابيس.

لم تستطع تحمل فكرة الأكل في مطعم، أو الطلب من نادل، أو الاستماع إلى حديث الزبائن الآخرين. في بعض الأيام سئمت من الناس، ربما لأنها اضطرت للتفاعل مع الكثير من النوع الخاطئ منهم. تذّكرت الأم والصبي على مقعد الحافلة، وبائع المبيعات الودود في غرب هوليوود، لكنهم لم يكونوا كافيين لتحقيق التوازن في ذلك اليوم.

في الفندق، بعد أن ملأت دلو الثلج في آلة البيع، أغلقت بابها والستائر. خلعت سترتها الجلدية، وأزالت الشعر المستعار ومشطت شعرها، وغسلت ظل العيون وأحمر الشفاه الأرجواني. بدت متعبة، لكنها لم تبدُ مهزومة.

كان هناك راديو صغير ذو ساعة منبه على منضدة السرير. لم تستطع إيجاد محطة موسيقى كلاسيكية، فاكتفت بمحطة أغاني قديمة، أغنية تايلور داين "لوف ويل برينغ يو باك".

جلست إلى طاولة دائرية صغيرة تتيح العشاء لشخصين، وضعت مسدسها على الطاولة، وفتحت كيس الطعام.

مزجت الكوكا كولا والفودكا فوق مكعبات الثلج، وتناولت الشطائر التي بدت لها لذيذة المذاق.

وعد الدي جي بثلاث أغانٍ لفرقة ذا ايغلز، من دون أن تفصل بينها أي دعاية. الأولى كانت "بيسفول أيزي فيلينغ".

غلب جين شوق حاد مثل حد السيف. في البداية اعتقدت أن شوقها كان لنِك، ولكن بالرغم من أنها كانت تفتقده كل يوم، إلا أنها كانت واقعية للغاية أنها لا تستطيع أن تحزن كثيرًا على ما لا يمكن أن تحصل عليه، وبالرغم من أنها كانت تتوق لترافيس، لم يكن هذا الأمر يتعلق بصبيها أيضًا. كانت تتوق إلى منزلها، إلى مكان ينتمي إليه قلبها، الأمر الذي كاد يكون ميؤوسًا منه كتمني عودة نِك إلى الحياة، فلم يعد لها منزل ولم تكن تبحث عن واحد.

# 21

ضبطت المنبه ليوقظها عند الساعة 6:30، ثم جلست على كرسي في الظلام، الضوء الوحيد هو الضوء الذي يخرج من فتحة باب الحمام. بينما كانت تشرب الفودكا مع الكولا، وتستمع إلى الراديو، فكّرت في بيرتولد شينيك هناك في مينلو بارك، جنوب سان فرانسيسكو، على حافة سيليكون فالي.

سيكون يوم غد حافلًا بالنسبة إلى المبتدئين، لقاء جيمي رادبورن في حديقة باليساديس والخروج من هناك على قيد الحياة بالمعلومات التي أحضرها لها.

بالرغم من أنها لم تثمل بعد، لكنها لم تجرؤ على شرب المزيد. خلعت ثيابها، واستلقت على سرير كبير الحجم، ودسّت المسدس تحت الوسادة التي كان يفترض أن تكون لنِك.

كانت تستمع إلى الراديو، الذي بدأ في تقديم مسرحية ثلاثية لبوب سيجير. كانت "ستيل ذا سيم" ممتعة، ولكن عندما كان الرقم الثاني هو "ترايينغ تو ليف ماي لايف ويز آوت يو"، أغلقت الراديو. هذه الأيام، أصبح لبعض الموسيقى، والكتب، والكلمات معانٍ لم تكن لديها من قبل.

بالرغم من أن أحلامًا غريبة ومزعجة راودتها، إلا أنها نادرًا ما استيقظت. عندما نهضت لفترة وجيزة من النوم، بسبب لحن صفارات الإنذار الصاخب والمريع، أكثر من صفارات الإنذار التي كانت تخترق الهدوء في الضواحي قبل عقد أو عقدين فقط، كما لو أن بعض الأشرار ذوي شكل من أشكال الأوريغامي الشبيهة بميكانيك الكم أمضوا الليل في طي شرور العالم إلى أماكن كانت أقل تأثرًا بهم.

# 22

جيمي رادبورن في الجحيم الذي يمثل الواقع.

إنه أول الأيام الدافئة في شهر آذار، يسيل العرق من مؤخرة رقبته ومن تحت إبطيه. السماء زرقاء صافية، وقد انعكس المحيط عليها، وهج الشمس يشع من الماء ومن بين الأشجار وينعكس على عينيه، والأمواج تتكسر بهدوء وتندفع إلى الشاطئ فتفوح رائحة تحلل الأعشاب البحرية.

تحت الأشجار، كانت حديقة باليساديس خضراء مليئة بالحمقى على الزلاجات، والعدائين الأغبياء، والفتيات اللواتي يرتدين ماركة لولوليمون ويقمن بالتمارين على العشب.

طيور النورس اللعينة تصرخ، والغربان تجلس على ظهور المقاعد، وعلى علب القمامة، وعلى أعمدة السياج، تتغوط في كل مكان تجلس فيه. إنه يكره الطيور. حين يتقاعد سيقضي حياته في مكان ليس فيه طيور.

ذات مرة عندما كان جيمي رادبورن في التاسعة من عمره، تغوط عليه طائر أثناء طيرانه. ضحك عليه الناس، فشعر بالذل، ولم ينسَ. لا ينسى جيمي أبدًا أي إهانة، بغض النظر عن مدى بعدها في الماضي أو مدى صغرها.

لقد استخدم جيمي اسمه هذا منذ خمس سنوات خلت، وصدق شخصية جيمي التي ابتكرها لنفسه. فهو يتحدث لساعات حول طفولته، كل جزء منها كان يخترعه أثناء حديثه، وبمضي أيام قليلة بعد تأليف رواية جديدة من ماضي جيمي - مثل الطائر الذي انتهك حرمة رأسه - أصبح يعتقد أنها صحيحة وحقيقية.

حمل جيمي رادبورن حقيبة أوراق مليئة في كل يد، وربط بالونًا رماديًا مليئًا بالهيليوم إلى معصمه الأيسر يطفو على ارتفاع ستة أقدام فوق رأسه.

ولأن البالون لم يكن لمناسبة خاصة مثل عيد ميلاد، أعطاه بائع الزهور اللعين واحدًا يحمل عبارة "سعيد.. سعيد" بأحرف كبيرة. بدا جيمي مع هذا البالون أحمق، وشعر بإحراج كبير.

دخلت الوضيعة ذات الشعر البنفسجي، إيثان هانت، إلى حياته مثل الريح الخبيثة، وبعثرتها. إنها محقة بشأن أجهزة الإرسال اللانهائي المركبة على خطوط هاتفه. لذا، إذا كان قادرًا على إيقاف عملياته ونقلها قبل أن يدرك مكتب التحقيقات الفدرالي أنه يبتعد عنهم، فستكون قد أنقذته من السجن. لكنه بالرغم من ذلك يكرهها، لأنها أحرجته أمام فريق عمله. منذ أن أسقط هذا الطائر قنبلة البراز على رأس جيمي رادبورن قبل واحد وعشرين عامًا، أصبح أي شخص يحرجه يكسب عداوته اللا متناهية، بالرغم من أن الطير والقنبلة كانا من بنات أفكاره.

علاوة على ذلك، بسبب نفورها من محركات الأقراص الصغيرة، لأنها أصبحت *بدائية* على حد وصفها، أتعبته بطلبها منه أن يمشي من برودواي شمالًا إلى الحديقة وهو يحمل حقيبتين مليئتين بالأوراق.

بعض الفتيات اللواتي يتزلجن ويعبرن بجانبه أو يركضن مرتديات شورتات وبلوزات قصيرة يستحققن اهتمام جيمي الرومانسي، لكن أيًا منهن لن تنظر إليه بوجهه اللامع وقميصه المبقع بالعرق. مشى مبتسمًا لأن لديه مفاجأة للوضيعة، وهي شريكه في فينيل، كيب غارنر، رجل المال الذي مول مشروعهم.

لقد كانت محقة عندما قالت إن جيمي لا يستطيع القتل، وبما أنه لا يمتلك الشجاعة لمثل هذا العمل القذر كان لديه قائمة طويلة بالأوغاد الذين يجدون متعة كبيرة بالقتل.

من ناحية أخرى، لدى كيب غارنر، الذي يمكن وصفه بجبل من العضلات، ميول عنيفة. ربما ولد معتوهًا، وبما أنه يحقن نفسه بالعديد من المنشطات ومكملات التستوستيرون لدرجة أنه لا يمكن للجنس وحده ترويض الوحش فيه، لذلك فهو يحتاج إلى قتل شخص بين الحين والآخر.

حتى من خلال جهاز الاستقبال اللاسلكي في أذن جيمي اليمنى، دمدم صوت كيب مثل رعد بعيد: "أنت على وشك الوصول إلى سانتا مونيكا. هل تراها؟".

أجابه جيمي عبر الميكروفون الصغير الذي يبدو وكأنه زر قبّة أوصل أسفل قميص جيمي إلى جهاز إرسال يعمل بالبطارية بحجم علبة علكة وُضِع في جيب بنطاله الأيمن: "قالت في مكان ما بين برودواي وشارع كاليفورنيا. سوف تجعلني الوضيعة أتحمل هذا القرف طوال الطريق إلى كاليفورنيا، ولا أظن أن شعرها سيكون أرجوانيًا".

قال كيب: "بالطبع لن يكون شعرها أرجوانيًا".

"ربما لن أتمكن من التعرف إليها".

"لقد أثارتك، أليس كذلك؟".

"أجل. لقد أثارتني جدًا".

"إذا ستتعرف إليها".

اندفع عجوز مشرد، يحمل على ظهره حقيبة، ويحمل كيس قمامة منتفخًا يضع فيه حاجاته إلى مسار جيمي. "أعطِ دولارًا لأحد المحاربين السابقين في فيتنام؟".

قال جيمي: "لم تكن في فيتنام أبدًا. ابتعد عني وإلا سأقطع لسانك وأطعمه لأحد النوارس النتنة".

# 23

في تمام الساعة 11:55، بداية من شارع كاليفورنيا، تقدم كيب غارنر ببطء على طول السياج الذي يحمي زوار الحديقة من الوقوع أسفل الحواجز في جادة باسفيك

كوست. إلى يمينه، يعكس البحر ضوء الشمس، مثل صفحة من الفولاذ المطروق، وإلى يساره، خارج الحديقة الضيقة، تضج حركة المرور على شارع أوشن الرئيسي.

انتعل حذاءً رياضيًا باللونين الأسود والأبيض من لويس ليبمان، وارتدى بنطال جينز ممزقًا، وقميصًا مطبعًا بأوراق الأشجار والذي ناسب تمامًا عضلات كتفه، وذراعيه وصدره. وطوّقت معصمه ساعة هابلوت زرقاء مصنوعة من خليط تيكساليوم، وهي واحدة من إصدار محدود من خمسمئة قطعة، تظهر إلى كل من ينظر إليها أن كيب يتمتع بالمال إضافة إلى القوة.

نادرًا ما كان كيب غارنر يحمل مسدسًا، وهو اليوم لا يحمل واحدًا. سلاحاه المفضلان هما عقله وجسمه، بالرغم من أنه اليوم لديه أيضًا خرقة مبللة بالكلوروفورم في كيس بلاستيكي دسه في أحد جيوبه لضمان عدم مقاومة المرأة.

خلال الساعة والنصف الماضية، انتشر في ثلاثة شوارع من طريق كاليفورنيا إلى جادة سانتا مونيكا، ستة أشخاص تحت إمرته في أماكن محددة استعدادًا للقاء الذي سيجمع بين جيمي والمرأة. يبدو اثنان منهما مثل طالبي جامعة يدرسان تحت أشعة الشمس. وواحدة منهم تمارس اليوغا على العشب فوق سجادة من القصب المنسوج، وتحاول الأخرى بيع أدبيات السبتية الدينية للمارة. أما الأخيران فيرتديان ثياب عمال الحديقة ويقلمان الشجيرات بأفضل ما عندهما. أربعة ذكور وأنثيان، وجميعهم يحملون خرقًا مبلولة بالكلوروفورم، وثلاثة منهم مسلحون بمسدسات.

ركنت ست سيارات رباعية الدفع، فصلت بين كل واحدة والأخرى نفس المسافة تقريبًا على طول الجانب الغربي من شارع أوشن، بجوار الحديقة. في أي مكان سيحصل فيه اللقاء، ستكون إحدى هذه السيارات قريبة بما يكفي لضمان قدرتها على نقل المرأة إليها دون إحداث الكثير من الجلبة.

في هذا اليوم الأول الدافئ من آذار، معظم من كانوا في الحديقة لا علاقة لهم بكيب؛ فهناك العداؤون الذين يواظبون على الركض من رصيف سانتا مونيكا إلى الطرف العلوي من شاطئ ويل روجرز ستيت وإيابًا، وهي رحلة ذهاب وإياب تقدر بستة أميال، والناس الذين ينزّهون الكلاب، بالإضافة إلى العشاق الذين يتنزهون ممسكين بأيدي بعضهم.

هناك أيضًا من يمكن وصفهم بسقط المتاع البشري: جلس مدمنا كحول متهالكين على كومة من الأشياء ربما هي كل ما يمتلكانه. وجلس على أحد المقاعد حشاش طويل، عارٍ حتى خصره، ويرتدي بنطال جينز أزرق باهتًا لدرجة أنه لا ضرورة لخلعه عندما يستحم، وعزف على الغيتار بلا مبالاة لدرجة أن كيب شعر برغبة في أخذ الغيتار منه وتحطيمه.

جيمي، قلق ومتذمر بالفطرة، قلق لأن كثيرًا من الناس يعني كثيرًا من الشهود. ولكن بالرغم من ذكائه في مجال الحواسيب، فإن جيمي يجهل النقاط الدقيقة للاعتداء الجسدي والاختطاف، ويجهل حقيقة أنه كلما زاد عدد الأشخاص في الحديقة، شتّت بعضهم انتباه البعض الآخر، وغفلوا عما يفعله كيب وطاقمه مع المرأة. عندما يبدأ الأمر، سيعني مزيد من الناس مزيدًا من الارتباك، وبالتالي عددًا أقل من الشهود الموثوق بشهادتهم.

يحمل كيب معه منظارًا صغيرًا قويًا. يستخدمه كل بضع دقائق، ويفحص الحديقة إلى يساره وأمامه، وما يمكن أن يراه من بين الأشجار، ويتفقد فريقه، وينتظر إشارة من جيمي رادبورن.

من خلال جهاز الاستقبال المعلق في أذن كيب اليمنى سمع صوت زاهد، رجل يتظاهر بأنه طالب جامعي غارق في مطالعة كتابه: "جيمي يقترب مني، على بعد ثلث شارع شمالي سانتا مونيكا. يبدو أنه خائف".

قال جيمي: "اصمت. كان يجدر بي أن أحشي هاتين الحقيبتين بالستايروفوم".

قال كيب: "لو فعلت ذلك ما كنت لتتعرق، وسيكون نقص الوزن واضحًا. على أي حال، إذا حالت الأمور للأسوأ، وأخذت الحقيبتين وتبين لها أنهما فارغتان، فستسرع بالقضاء علينا من خلال اتصال هاتفي واحد. لذا اصمت وتعرق".

لا ينوي كيب قتل المرأة التي تدعو نفسها إيثان هانت، بل سيضغط عليها، ويكتشف كيف حصلت على المعلومات التي استخدمتها لجعلهم ينفذون أوامرها، ويفهم سبب اهتمامها بكل عمليات التشريح تلك، والرجل الذي يدعى ديفيد جيمس مايكل، وبعدها سيبت بأمر قتلها. إن لم يقتلها، فسيحتجزها بينما ينجزون مهمتهم بالخروج من فينيل دون تنبيه مكتب التحقيقات الفدرالي، وبعدها سيطلق سراحها. إذا

كانت مثيرة كما يقول جيمي عنها، فسيريها الكثير من كيب غارنر لتتذكره قبل أن يتركها.

قبل منتصف الطريق بين ويلشاير وأريزونا، اللذين يفضيان إلى شارع أوشن الرئيسي، حاد كيب عن السور، متجهًا نحو الحديقة، ليتمكن من الحصول على رؤية أفضل عبر الأجمات. توقف ونظر إلى الأمام.

ها هو جيمي آتٍ، وهو يحمل الحقيبتين المحشوتين، والبالون الرمادي الذي يعكس الشمس يحوم فوق رأسه. إنه يقترب من أليكا، التي تبيع أدبيات السبتية الدينية للمارة.

لم يرَ كيب أي وضيعة ذات شعر أرجواني أو من دونه، مثيرة بما يكفي لتتناسب مع وصف جيمي. لا يعني هذا أنها ليست هنا، لأن جيمي شخص مثار دائمًا، وسيقفز على معزاة إذا صادف أنها كانت الأنثى الوحيدة المتاحة عندما يحتاج إلى واحدة، إنه ذو مخيلة خصبة، حسب ما يروي، سيحول المعزاة إلى متسابقة في مسابقة ملكة جمال الكون.

ثم حدث ما لم يكن متوقعًا.

## 24

يقع الفندق المكون من سبعة طوابق على الجانب الآخر من حديقة باليساديس. بدا مدخله في غاية الأناقة: ست درجات محاطة بسياج من الفولاذ المقاوم للصدأ ملتف ليشكل درابزين يؤدي إلى رواق حيث دعمت الأعمدة الرخامية قوسًا أسفله بابان من الفولاذ والزجاج المصقول تحيط بهما لوحات من الزجاج نقش عليها بشكل فني رسم لطيور البلشون تقف إلى جانب الماء.

كان البابان مغلقين، وقفت جين خلف أحدهما، تشاهد الحديقة على الجانب الأبعد من شارع أوشن.

خارج الرواق وقف البواب مرتديًا الأسود باستثناء قميص أبيض، في انتظار قدوم أي ضيف. كان يساعد جين أيضًا من خلال مراقبة الجهة الجنوبية من الحديقة، التي كانت خارج نطاق رؤيتها.

سلمت جين مسدس الخدمة الخاص بها عندما خرجت في إجازة، وكان يفترض بها أن تُسلم أوراق اعتماد مكتب التحقيقات الفدرالي الخاصة بها أيضًا. لكنها احتفظت بها عمدًا. رئيس قسمها، ناثان سيلفرمان، لم يطالبها بها على الفور، ربما لأنها كانت واحدة من أنجح محققيه، وتوقع منها أن تكون قوية بما فيه الكفاية للتعامل مع حزنها والعودة في غضون أسابيع، بدلًا من أشهر. ربما أجّل الموضوع لأن لديهما احترامًا متبادلًا كبيرًا، ولأنهما كانا صديقين إلى الحدّ الذي سمح به الفرق في رتبتيهما وعمريهما وجنسيهما. في الوقت الذي أصر فيه على الحصول على شارتها، كان قد مضى على مغادرتها شهران، وباعت منزلها، وقدمت طلبًا لتمديد الإجازة، واختفت عن الأنظار.

افترضت أن وضعها الحالي في المكتب إما غير واضح وإما يشير إلى أنها لم تعد تعمل فيه.

مع ذلك، ولأن خياراتها كانت محدودة، قدمت شارتها إلى مديرة الفندق، وهي امرأة لطيفة تدعى بالوما ويندهام، وطلبت منها التعاون في عملية بسيطة. وافقت بالوما على السماح لها بمراقبة الحديقة من الردهة، والتي لم تكن مزدحمة لأن الفندق كان يحتوي على ستين جناحًا فاخرًا فقط، ولا توجد غرف مفردة أو مزدوجة.

عرضت أن تجعل رئيس قسمها في واشنطن يتحدث إلى المديرة، وهو المكان الذي كان يمكن أن ينهار فيه الأمر. لكنها عرفت أنه حتى في الأجواء المشحونة سياسيًا الحالية، والتي فقد فيها الناس الثقة برجال إنفاذ القانون، ظل مكتب التحقيقات الفدرالي إحدى الوكالات الفدرالية القليلة - ربما الوحيدة - التي لا يزال معظم الأميركيين يحترمونها. بما أن مديرة الفندق افترضت أن جين ستستخدم الفندق على الأقل لساعة من أجل المراقبة، اتفقت معها أن تطلع على شارتها عندما تنتهي من العمل.

في الواقع، إذا لم يتصرف جيمي رادبورن وفقًا لقواعد الاتفاق، فقد يكون هناك عمل داخل الفندق أكثر مما أوحت جين لبالوما. في وقت سابق من الصباح تعرفت جين إلى أفضل طريقة لاستخدام المكان.

من موقعه في الردهة، استدار البواب صوب جين، ورفع لها إبهامه، مشيرًا إلى أنه رأى الرجل مع البالون الرمادي يقترب من الطرف الجنوبي للحديقة.

# 25

بعد أن شعر بالتعرق والعطش، تمنى لو أنه تذكر دهن وجهه بواقٍ من أشعة الشمس، لأنه كان يحترق بسهولة، وتمتم غاضبًا بشأن وزن الحقيبتين، وصل جيمي إلى مجموعة صغيرة من الأشجار الضخمة والتي تشكل بينها ممشى مظلل. حتى الآن لم يتمكن من رؤية الوضيعة التي قلبت حياته رأسًا على عقب، ولا يزال هناك مجمعان من الأبنية حتى يصل إلى جادة كاليفورنيا، في ذلك الوقت من المحتمل أن يكون قد جف جسمه وأصبح على وشك الموت.

من اللامكان، مثل جني، أتى المخلوق النحيل ذو الثياب الممزقة الذي ادعى أنه محارب سابق في فيتنام في غضب صاخب، بعد أن أسقط كيس حاجياته، وألقى حقيبة ظهره، وانهال لكمًا على جيمي بقبضات عظمية مثل المخالب القوية. "تريد قطع لسان العجوز وإطعامه للنوارس أليس كذلك؟ سوف أخرج عينيك من مقلتيك وآكلها بنفسي!".

كان المخلوق عبارة عن أسمال وشعر متشابك ولحية خشنة، بدت عيناه متوحشتين، وكشف عن أسنان صفراء يرش البصاق مع كل تهديد، بصاق لا شك أنه يحمل معه أمراضًا لا تُعد ولا تحصى.

أسقط جيمي الحقيبتين ليدافع عن نفسه، ويصفع الرجل العجوز بشكل غير فعال، ليست المرة الأولى التي يثبت فيها أنه أبعد ما يكون عن المصارع. لم يكن المخلوق الذي يشبه الفزاعة يملك من القوة ليشكل تهديدًا لرجل بالغ، لكنه هز جيمي قبل أن يدفعه، ويبصق ويشتم ويضرب قدميه مثل رامبيلستيلتسكن في القصة الخيالية التي جعلت جيمي، عندما كان طفلًا، يبلل سريره عندما قرأتها له والدته.

بدا أن الجنون قد انتهى، لكنه لم ينتهِ. عبر الممر أتت امرأة قوية البنية خمسينية العمر، تعتمر خوذة، وتتزلج مرتدية شورت سبانديكس أسود وصدرية رياضية ذات لون أصفر كناري. توقفت فجأة وأخذت الحقيبتين.

إنها سمراء، صلبة، قوية العضلات، تبتسم بازدراء. خاطبها قائلًا: "أعطني هاتين الحقيبتين أيتها الشاذة الحمقاء" ومدّ يده لاستعادة إحدى الحقيبتين. فنفّذت مناورة رولر-ديربي، ثبتت أحد مزلاجيها المطاطيين بالرصيف، وتوازنت على ساقها اليسرى

مثل راقصة الباليه، وركلت خصيتيه. تألم جيمي وطوى ركبتيه ووقع أرضًا، مصدرًا صوتًا مثل تيار رفيع من الهواء يهرب من صمام تحت ضغط شديد. بالرغم من أن عينيه كانتا دامعتين، إلا أنه رأى أليكا تسقط منشوراتها السبتية وتمد يدها إلى الحقيبة عند قدميها، حيث وضعت مسدسًا. سيجذب إطلاق النار رجال الشرطة، لكنه أراد أن تطلق أليكا النار على تلك الشاذة مهما كانت النتيجة.

لكن ما حدث هو أن ملكة الرولر-ديربي دارت دورة كاملة وربما دورتين، مؤرجحة إحدى الحقيبتين كما لو أنها قرص سترميه، ولكنها ضربت بها رأس أليكا بدلًا من ذلك، فأوقعتها أرضًا، فاقدة الوعي.

غادرت الشاذة المجنونة ممشى الحديقة نحو العشب، ومنه إلى رصيف شارع أوشن، وبعدها انعطفت إلى أحد الشوارع عند ممر المشاة. وعندما صدح صوت بوق صادر من سيارة هوندا، خرجت من الشارع الجانبي واتجهت جنوبًا على طول شارع أوشن.

## 26

أملت جين ألا يأتي جيمي بأي حيلة، ويكتفي بإعطاء الحقيبتين لنونا ويبتعد. ولكنها كانت مستعدة، لأن يكون عديم الوفاء، ويرد لها جميل إنقاذها من السجن بضربة على الرأس. كان رعاة بقر الفضاء الإلكتروني هؤلاء يعتقدون أنهم أسياد الكون، وشعروا بالاستياء لوجود شخص أفضل منهم.

لقد كانت في الحديقة منذ الساعة الثامنة حتى العاشرة، وهي تدرس المقيمين النظاميين في الحديقة، من المتسولين ذوي الثياب الرثة إلى عشاق الرياضة. أعطتها سنوات خبرتها في مجموعة الاستجابة للحوادث الخطيرة الأدوات اللازمة لتحليل المرشحين ليكونوا فريقها المرتجل، واعتقدت أن عرضًا نقديًا تقدمه لهم سيكون كافيًا لتحفيزهم وتجنيدهم لخدمتها.

لم تحب استخدام الناس بهذه الطريقة. لكنهم لم يمانعوا في أن يُستخدموا، ولم تعذر رغبتهم. قد يحصل أمر خاطئ؛ يمكن أن يتأذى أحدهم أو يشل أو يقتل. ولكن مثل أي شخص آخر، كان لديها أولويات؛ ابنها هو أولويتها. ستستخدم أي شخص لإبقائه بأمان ولإبقاء نفسها على قيد الحياة من أجله.

عند الساعة 10:15، قبل ساعة وخمس وأربعين دقيقة من موعدها مع جيمي، كانت في سيارتها على الجانب الآخر من شارع أوشن، تمسح بالمنظار المنطقة المحيطة بحثًا عن أي شيء غير عادي، عندما ظهر موكب سيارات الدفع الرباعي وهو يتقدم نحو الشمال واصطف على مسافات متقاربة بين شارع سانتا مونيكا وشارع كاليفورنيا. اجتمع ركاب السيارات لفترة وجيزة حول شخص ضخم بدا وكأنه خرج من فيلم من أفلام مارفل، ثم تفرقوا.

ربما لم يكونوا من جماعة جيمي رادبورن، لكنهم كانوا في الحقيقة، من ذلك النوع. إذا كانوا مع جيمي. لم تفاجأ أنهم يعتقدون أن وصولهم قبل ساعتين سيؤكد أنهم في المكان قبل ظهورها، فالأشرار ضعفاء الخيال وكسالى.

الآن، بعد العراك الذي شارك فيه جيمي والبائعة، أصبحت كلتا الحقيبتين في حوزتها، تزلجت نونا عبر الشارع، وأجفلت جين عندما اقتربت الهوندا من نونا التي طارت عبر شارع أوشن، انزلقت في الطريق المنحدر في الزاوية، وتسلقت الدرجات الأمامية الست من خلال المشي على مقدمتي مزلاجيها، وكل ذلك بسرعة كبيرة لدرجة أن جين بالكاد فتحت الباب في الوقت المناسب لدخولها إلى بهو الفندق.

بدا البواب مندهشًا، وازدات دهشته عندما سحبت جين من جيب سترتها سلسلة طويلة وقفلًا اشترته في وقت سابق من متجر للأدوات. ربطت بها المقبضين الطويلين العاموديين للبابين الزجاجيين واقفلتهما، وبذلك حالت دون دخول أي شخص إلى الفندق.

في أعقاب نونا، تغيرت إشارة المرور؛ وكان هناك ثلاثة رجال يحاولون عبور الشارع - أحدهم ضخم - تباطأ بسبب الحاجة إلى تفادي سائقي السيارات عديمي الصبر.

زعقت المكابح ووقع أحد الثلاثة على الأرض.

كانت نونا قد تزلجت وتجاوزت جين، بعد مدخل الآرت ديكو الأنيق، إلى كوة المصعد. عندما وصلت جين إلى هناك، كان بابا المصعد يفتحان. دخلتا المصعد، وضغطتا على الزر الذي يؤدي إلى المرأب.

أعلنت نونا: "كان ذلك رائعًا".

"آسف لقد كان الأمر صعبًا".

"كلما كان الأمر أصعب كان أمتع".

"هل أصيب المتشرد؟".

"لا. هذا الرجل أقوى مما يبدو عليه".

عندما انزلق بابا المصعد ليغلقا، وتحرك نزولًا، ضغطت جين زرّ التوقف. توقفا بين الطوابق.

مدّت يدها إلى جيب سترتها الداخلي، وسحبت كيس قمامة بلاستيكي مطوي أخضر سعة 45 غالون، وأعطته لنونا.

عندما فتحت المتزلجة الكيس، راجعت جين محتويات الحقيبتين. مطبوعات معبأة في أكياس بلاستيكية شفافة ومختومة.

قالت نونا وهي تجلس على أرضية المصعد لإزالة مزلاجيها: "اعتقدت أنهما تحتويان على أموال".

ربما كانت بطانتا الحقيبتين تخفيان أجهزة إرسال واستقبال متطورة، ما يتيح تعقبها. قالت جين وهي تلقي المحتويات في كيس القمامة: "آسفة لأن أملك خاب، ولكنني لم أقل قط إنها أموال".

"لا تستمري في الاعتذار. لقد كان أسبوعًا مملًا حتى الآن".

نقرت جين على زر التوقف مرة أخرى، فتابع المصعد طريقه إلى المرأب. عقدت كيس القمامة بعقدتها الذكية. للمرة الأولى تدخل نونا مرأب فندق، وبما أنها تحمل مزلاجيها، لاحظت أن عجلاتهما تصدر أصواتًا.

توقفت جين وضغطت على الزر رقم 7، حملت كيس القمامة، وسرعان ما خرجت من المصعد.

فاحت في المرأب الخاص بغير النزلاء رائحة مواد تشحيم السيارات وأبخرة العوادم العالقة لأحدث سيارة دخلت أو خرجت. كان سقف المرأب منخفضًا، وتسببت إنارته غير الكافية بظهور الظلال، وظهرت على جدرانه بقع ماء مثل الوجوه الضخمة المشوهة والأشكال الشبحية الملتوية.

كانتا تتحركان بسرعة، ولكنهما لم تكونا تتحركان بالسرعة المطلوبة.

# 27

عبر شارع أوشن عكس الضوء، كان زاهد على الأرض لكن سيارة اللكزس لم تدهسه، لوحّ لكيب وأنجلينا نحو الفندق، قائلًا: "اذهبا، اذهبا، أنا بخير".

لم يكن كيب بحاجة إلى تأكيد زاهد أنه بخير، لأن الأمر لم يكن يعنيه، ولم ينوِ أصلًا التوقف لإسعافه، إن الفخ الذي نويا أن ينصباه سقطا فيه، وكان عليهما تدارك الأمر قبل تدهوره إلى ما لا تُحمد عقباه، إنهما يقومان بعمل له الأولوية على سلامة الأشخاص، ففي عمل اللصوص لا وجود للقرف العاطفي حول العائلة والشرف والرومانسية التي تظهرها أفلام الجريمة والمافيا. في هذا العصر الرقمي، الناس هم بيانات. تكمن قيمتهم في ما يمتلكونه من معلومات مفيدة يمكن أن يكون الآخرون بحاجة إليها، والآن زاهد محطم ولا يمتلك أي معلومة يحتاج إليها كيب.

عندما وصل كيب إلى الفندق، رأى البواب يقف وينظر إلى الردهة، فدفعه كيب جانبًا، وأمسكت بمقبض الباب لكنه لم ينفتح.

كيب غارنر في العادة رجل أعمال عملي لا يستسلم للغضب العنيف عندما لا يحصل على بغيته. إنه ممن يستمتعون أحيانًا بضرب شخص حتى يخضعه ويتركه مع نوع أو آخر من الضرر يضمن أن الرجل سيخافه دائمًا، لكن أهدافه هي الغرباء الذين تقابلوا في الحانات أو تصادفوا في ظروف وحيدة. عندما تتطلب منه العملية المسؤولة لأحد أعماله قتل شخص يعرفه، فإنه يؤدي المهمة بكفاءة، مع القليل من المشاعر.

انخرط كيب في كثير من التحليل الذاتي خلال سنواته الست والثلاثين، وهو يعلم أن نقطة ضعفه الوحيدة أنه لا يستطيع التحكم بأعصابه عندما تهينه امرأة أو بطريقة ما تتمكن منه. لحسن الحظ، تشعر معظم النساء بهذا منذ لقائهن الأول به، فتخطو بهدوء في حضوره.

لكن إيثان هانت هذه – التي لمحها لوهلة، عندما فتحت باب الفندق لشريكتها المتزلجة – خدعته، فشعر بحمرة الخجل تجتاح وجهه. امرأة أساءت له أمام ناسه! شعر أن كل طاقمه يضحك عليه سرًا. ليس فقط طاقمه، بل كل من في الحديقة، وسائقو الدراجات في شارع أوشن، والبواب الهزيل الذي دفعه جانبًا. الجميع يضحكون عليه.

عندما يتجلى هذا الخطأ، هذا الضعف الفردي، في كيب غارنر، يفقد صوابه، ويتصرف بشكل غير عقلاني، لمدة طويلة، لمدة دقيقة، خمس دقائق. هذه المرة، إنها

دقيقة تقريبًا أمسك خلالها بالمقبضين وأخذ يسحبهما ويدفعهما ويهزهما، فبدا له أنهما سيتحطمان، وبدا أن القفل الداخلي لأحد البابين سيتحطم، وقعقعت السلسلة على الزجاج.

أخيرًا، تغلب على الضباب الأحمر الذي يطمس تفكيره من خلال أنجلينا: "أيها الرئيس! مرحبًا، أيها الرئيس، سترغب في رؤية هذا". إنها أحد اللذين تظاهرا أنهما طالبان يدرسان في الحديقة، وهي من نوع الفتيات اللواتي يعرفن مكانهن دومًا. أتت من الشارع المقابل معه ومع زاهد. إنها تلوح بهاتفها الذكي، لأنها تستخدم تطبيقًا، وهو أحد أفضل تطبيقات جيمي، لتتبع الحقائب: "لقد ذهبا بشكل عمودي، أيها الرئيس".

هذا التطبيق لا يقوم فقط بتحديد جهاز الإرسال والاستقبال وتتبعه أفقيًا في أي اتجاه، بل يمتلك أيضًا شيئًا يطلق عليه جيمي قدرة معالجة الوعي بالإشارة المكعبة ثلاثية الأبعاد في الفضاء.

ابتعد كيب عن البابين ونظر إلى الفندق: "تقصدين أنهما تصعدان؟".

أكدت أنجلينا: "عموديًا، نعم".

"إلى الأعلى أين؟".

"ربما لديهما غرفة هنا. وإلا فهما تتجهان إلى السطح".

"لا يوجد مكان تذهبان إليه من السطح. حسنًا لا بد أن لديهما غرفة".

# 28

للمرأب منحدران، واحد للسيارات القادمة والآخر للمغادرة. حملت جين كيس القمامة الذي يحتوي على الأوراق التي طلبتها من جيمي، وحملت نونا مزلاجيها حافية القدمين، وركضتا عبر منحدر المغادرة إلى الزقاق خلف الفندق. لم تكن جين لتفاجأ إن واجهت بعضًا من أفضل رفاق جيمي رادبورن، ولكن في الوقت الحالي كانت الشوارع الخلفية مهجورة.

يقع الفندق في شمال الشارع، وفي منتصف الزقاق، على الجانب الآخر، هناك مرأب سيارات كبير يخدم واجهة مبنى إداري على الشارع الثاني. قبل تسعين دقيقة،

نقلت جين سيارتها الفورد إسكيب من شارع أريزونا إلى مرأب سيارات للزوار، وهو أقرب مكان وجدته للفندق.

في سباق مع نونا على طول الزقاق، توقعت أن تسمع صراخًا خلفهما، لكنها لم تسمع شيئًا. في مرأب السيارات، ألقت بكيس القمامة في المقعد الخلفي لسيارتها، جلست نونا في مقعد الراكب الأمامي مع مزلاجيها، وجلست جين خلف المقود، خرجتا من هناك، ولم يبدُ لجين من خلال النظر إلى مرآة الرؤية الخلفية أن هناك من يلاحقها.

## 29

أعتذر كيب للبواب لدفعه جانبًا في وقت سابق، ونقده ورقة من فئة المئة دولار.

تراجع وأنجلينا من الرواق إلى الرصيف عندما وصل زاهد، وهو يعرج، بسبب ارتطامه بسيارة اللكزس، مصرًّا على أنه لم يصب بجروح خطيرة.

قال كيب: "يبدو أن لديهما غرفة في الفندق. لا يمكنهما البقاء هناك إلى الأبد. نحن بحاجة إلى مراقبة المدخلين الأمامي والخلفي. أحضر سيارة إلى...".

قالت أنجلينا وهي تركز على هاتفها: "أيها الرئيس، إنهما تعودان إلى الأسفل".

"ماذا؟".

"لقد كانتا مرتفعتين جدًا، ربما أحد أعلى طابقين. هذا التطبيق ليس مثاليًا في الوضع العامودي. إنهما تنزلان الآن".

## 30

في نهاية الزقاق، استدارت جين إلى يسار شارع سانتا مونيكا ثم إلى يمين الشارع الرابع.

قالت نونا فينسنت، الرقيب السابق في جيش الولايات المتحدة، والتي كانت تمضي بمفردها إجازة: "لقد كانت تلك أكثر مغامرة ممتعة أمضيتها منذ فترة. لكنني أتمنى أن يكون الرجل الذي ركلت خصيته رجلًا سيئًا، وليس شخصًا جيدًا بتصرفات سيئة".

فأكدت لها جين: "إنه سيئ تمامًا".

"قلت له إنني أستطيع أن أسمي نفسي أي شيء يعجبني، لكنه لا يستطيع أن يدعوني هو أو غيره بالشاذة. لست متأكدة من أنه سمعني، لأنني قلت ذلك بعد الركلة، عندما كان يرى نجوم الظهر".

"أنا واثقة من أنه فهم الرسالة".

عندما توقفت جين عند إشارة المرور عند التقاء الشارع الرابع مع شارع بيكو، قالت نونا: "إذن أنت متوقفة عن العمل في مكتب التحقيقات الفدرالي؟"

كذبت جين: "نعم. سبق لي أن قلت لك ذلك". لم تقل إنها كانت في إجازة، لأنها لم تكن تريد أن تخبرها القصة الكاملة لانتحار نِك.

"هل يمكنك أن تذكريني بسبب توقيفك؟".

"لم أقل".

"لا أرى أنك مخادعة".

"فعلًا أنا لست مخادعة".

"وإلا لما كنت هنا الآن".

"أعرف. أنا ممتنة لمساعدتك".

تغير ضوء إِشارة المرور. قادت جين من شارع بيكو إلى شارع أوشن.

قالت نونا: "أظن أنك كنت تعملين على قضية فساد تتعلق بأحد السياسيين، وطلبت منك السلطة ترك الأمر، ولكنك لم تتركيه. لذا أوقفوك عن العمل ليروضوك".

"أنتِ قارئة أفكار".

"وأنتِ مليئة بالهراء".

ضحكت جين: "تمامًا".

"لكن بالرغم من كل ما تقدم أنا مصرة على أنك امرأة جيدة".

كانت نونا تقيم في فندق لي ميريغوت، وهو فندق يطل على المحيط، جنوب رصيف سانتا مونيكا وهو على بعد ستة مجمعات سكنية عن المكان الذي ركلت فيه خصيتي جيمي رادبورن. لم تدخل جين إلى فناء الفندق، بل توقفت عند الرصيف، في ظل إحدى أشجار النخيل.

سبق لجين أن أعطت نونا فينسنت خمسمئة دولار، ووعدتها بمثلها، وها هي تفي بوعدها.

"لا يفترض بي أن آخذها، ربما أنت بحاجة إليها أكثر مني".

"أنا لا أتهرب من السداد".

"يجب أن لا آخذها، ولكنني سأفعل". وضعت نونا الخمسمئة في صدريتها الرياضية الصفراء. "عندما أعود إلى المنزل وأروي هذه القصة للأصدقاء، يمكنني القول إنك رفضت أخذها".

"ستقولين الحقيقة".

نظرت إليها نونا برزانة غير معتادة: "هل لديك شهادة في علم النفس أو ما شابه؟".

"ما شابه. اسمعي، هؤلاء الرجال سيبحثون في المنطقة على الأرجح، ولكن يجب عليك ألاّ تخرجي للتزلج اليوم، لأنهم بالتأكيد يحملون ضغينة".

"إنه آخر يوم لي على أي حال. في الفندق منتجع صحي، سأبقى، وسأدلل نفسي بعض الشيء".

أمسكت جين يدها: "سررت بمقابلتكِ".

قالت نونا وهما تتصافحان: "عندما تنتهين من كل هذه الفوضى، اتصلي بالرقم الذي سأعطيك إياه. أريد أن اسمع كامل القصة اللعينة".

"لأكن صريحة سأرمي الرقم. إذا وجده الأشخاص الخطأ بحوزتي، قد لا يكون ذلك جيدًا بالنسبة إليك".

سحبت نونا ورقة نقدية من فئة المئة دولار من الرزمة التي تحتوي على خمس ورقات، وأسقطتها في حضن جين.

قالت جين وهي تلتقط المال: "ما هذا؟".

"أنا أدفع لك لحفظ الرقم. إذا لم أسمعِ منك ما يدور حوله هذا الموضوع، فسيقتلني الفضول".

وضعت جين المئة في جيبها.

قالت نونا: "عمري تقريبًا ضعف عمرك. عندما ترعرعت في العصر الجوراسي، لم أتخيل أبدًا أن العالم سيصبح قبيحًا جدًا".

قالت جين: "لم أتخيل ذلك قبل عشر سنوات. أو قبل سنة واحدة".

"انتبهي لنفسكِ".

"سأبذل قصارى جهدي".

خرجت نونا من السيارة. منتعلة جوربها الطويل وحملت مزلاجيها، وسارت في طريق الفندق.

# 31

وقف كيب وأنجلينا في مرأب الفندق، بجانب المصعد، وانتظرا لخمس عشرة دقيقة، لم ينبس أي منهما ببنت شفة. لم يكن كيب في مزاج يتيح له التحدث، وتفهمت أنجلينا حالته، كما تفعل دائمًا. هما متماثلان. إنه يثق بها. لم ترد أبدًا أن تعطيه سببًا لعدم الثقة بها. يمكن أن يمارس الجنس معها أو مع فتيات أخريات. إنها ليست غيورة. إنها فقط تريد أن تكون أكثر شخصٍ يثق به. لا أن تكون الوحيدة بل الأفضل. تريد أن تكون صديقته المقربة، إذا احتاج أحيانًا إلى إيذائها، فيمكنه إيذاؤها. في يوم من الأيام، ستعرف أين يحتفظ بأكبر قدر من نقوده، وستكسب ثقته لدرجة أنه عندما ستطلق النار عليه في مؤخرة الرأس، سيذهب إلى الجحيم معتقدًا أن رجلًا قتلها إلى جانبه.

أوصلهما البوّاب برئيس السعاة. أصدر المصعد صوتًا، وخرج منه رئيس السعاة، لم يبدُ مثل عامل فندق، بل بدا وكأنه طبيب. حكيم، جاد جدًا؛ شعره أبيض، ويضع نظارة ذات إطار سلكي. قال لهما: "كان هناك حقيبتان فارغتان في المصعد".

سأله كيب: "أين هما؟".

"إنهما في مكتب السيدة ويندهام، المديرة، وتقول إن مكتب التحقيقات الفدرالي يرغب بتفتيشهما".

شعرت أنجلينا بقلق كيب. كهرباء مفاجئة في الهواء. سأل: "ما علاقة مكتب التحقيقات الفدرالي بالأمر؟".

"السيدة التي كانت مع المتزلجة، عرضت شارة مكتب التحقيقات الفدرالي أو شيئًا من ذلك على السيدة ويندهام. تعتقد السيدة ويندهام أنها كانت شارة، وهي بحاجة إلى إخبار مكتب التحقيقات الفدرالي".

على الفور بدت الأمور جلية لأنجلينا. لقد ذهبت تلك الوضيعة إيثان هانت، وصديقتها الشاذة. حان الوقت لنسيانهما وتركهما تذهبان والخروج من هنا.

قالت لكيب: "من الأفضل إخلاء فينيل بأسرع ما يمكن".

نظر كيب إليها. وأومأ في إشارة منه إلى أنه دائمًا خلفها بما يقارب الثانيتين.

أعطى ورقتين نقديتين من فئة المئة دولار لرئيس السعاة. بدا المرأب هادئًا وفارغًا.

نصحته أنجلينا: "بعض العضلات الصغيرة أيضًا".

قال كيب: "نعم"، أمسك رئيس السعاة من حلقه. ودفعه نحو الحائط. واقترب من وجهه قائلًا: "أنت لم ترَ أيًا منا. ولم تتحدث مع أي منا. أتفهم؟".

بدا رئيس السعاة وكأنه يختنق، واكتفى بالإيماء.

"إن تفوهت بأي كلمة عنا، سأجدك ذات ليلة، وسأقطع...، وأطعمك إياه، أخبر ما قلته لك للبواب فهذا ينطبق عليه أيضًا".

أومأ رئيس السعاة وقد جحظت عيناه واحمر وجهه وفغر فاه في محاولة لالتقاط أنفاسه.

أفلت كيب قبضته عن رقبة الرجل، وسدد لكمة قوية وسط بطنه. فجثا الرجل على ركبتيه. بدا أن المئتي دولار التي نقده إياها بمثابة دفعة أتاحت له إذلاله. ابتعد كيب وأنجلينا، بينما تقيأ الرجل خلفهما على أرضية المرأب. ستفتقد أنجلينا هذا عندما تقتل كيب؛ ستفتقد مشاهدته وهو يظهر للناس كم هم صغار، ونكرات.

# 32

عند الساعة الثانية بعد الظهر، وفقًا للترتيبات، كان العجوز المشرد ينتظر جين على الطريق المواجه للمحيط، جلس على الدرجات التي تؤدي إلى مركز التسلية الداخلي المرتبط برصيف سانتا مونيكا. إنه المكان الذي رأته فيه للمرة الأولى اليوم. انحنى تحت ثقل حقيبة ظهره، وكيس القمامة الذي يحتوي حاجياته الدنيوية إلى جانبه، حدق إلى الرصيف بين قدميه كما لو أن معنى الحياة مكتوب في الخرسانة المظللة بجسده.

في ذلك الصباح، ومن أجل أن تتعرف إليه، أحضرت له طبق فطور من مقهى قريب، والذي بدا جليًا أنه لن يستقبله إن دخل إليه بمظهره الرث هذا، لأنه ما إن يدخل سيخرج معظم الزبائن.

تساءل عن دوافعها، لكنه أكل ما أحضرته له. بعد خمس عشرة دقيقة من المحادثة، أوضحت دوافعها عندما عدّت خمس أوراق نقدية من فئة العشرين دولارًا، ووضعتها في يده، وأخبرته عن رجل سيسير ظهرًا في حديقة باليساديس وهو يحمل حقيبتين ويربط بالونًا رماديًا إلى أحد معصميه.

لم يكن المشرد قذرًا كما ظهر. كانت يداه متعبتين، ولكنهما نظيفتان بشكل معقول، عندما كان معها نظفهما عدة مرات بالجيل المضاد للبكتيريا. شعره وذقنه أشعثان كما لو أنه أصيب بشحنة كهربائية خطيرة، لكنهما لم يتلطخا بالقذارة. اعتقدت أنه كان يستحم في أحد الملاجئ أو في البحر ليلًا.

وبما أن ملابسه كانت قذرة، رأت أنه من الضروري أن تتحدث إليه من مسافة ثلاثة أقدام، لتتجنب رائحة ثيابه وأنفاسه المروعة.

جلست على الدرجة التي يجلس عليها، على مسافة تكفي لتفادي رائحة أنفاسه الكريهة. "لقد أحسنت صنيعًا في الحديقة".

رفع رأسه أشعث الشعر وحدق إليها من تحت حاجبين كثين متصلين، وبدا للحظة أنه لا يعرف من تكون. كانت عيناه الدامعتان زرقاوين وباهتتين، درجة لون لم يسبق لها أن رأتها، وتساءلت عما إذا كان الكثير من الكحول وسوء الحظ قد جعل لونهما يتلاشى من لون أغمق.

بالرغم من أن عينيه لم تصفيا، إلا أن الوعي زاد فيهما: "معظم الناس يعدون بالقدوم ولا يفعلون، لكنني كنت أعرف أنك ستفعلين".

"حسنًا، أنا مدينة لك بمئة دولار أخرى".

"أنت لا تدينين لي بشيء إلا ما تريدين أن تديني به".

"قالت نونا إنك أخفت جيمي جدًّا".

"رجل البالون ذو الوجه الطفولي؟ إنه شاذ. اعذريني على لساني القذر. ما كان ليعطي محاربًا قديمًا في فيتنام دولارًا واحدًا".

"هل سبق لك أن حاربت في فيتنام؟".

"كم يبدو عمري؟".

قالت: "كم تعتقد أن عمرك يبدو؟".

"أنتِ دبلوماسية لعينة، أعتقد أنني أبدو في الثامنة والسبعين".

"لن أجادلك في ذلك".

"في الحقيقة أنا في الخمسين وربما في التاسعة والأربعين، ومن المؤكد أنني لم أتجاوز الحادية والخمسين، كنت طفلًا أيام حرب فيتنام".

من جيب المعطف، أخرج زجاجة بيوريل، وبدأ في تعقيم يديه.

قالت: "إنك تستخدم الكثير من تلك الأشياء".

"كنت لأشرب ربع غالون منه لو كان يؤدي مهمته في داخلي كما يفعل ليدي".

"هل تناولت الغداء؟".

"أنا لا آكل ثلاث وجبات. لا أحتاجها".

"حسنًا، يمكنني إحضار الغداء من المقهى. لقد أحببتَ فطورهم".

عندما تشنج وجهه المشعر، بدا وكأنه ينظر إليها من بين شجيرات.

قالت: "لن أحسم ثمن الطعام من نقودك". ومنحته خمس عشرينات أخرى.

بينما كان يسحب المال بعيدًا، نظر حوله بريبة، كما لو أن هناك عددًا لا يحصى من اللصوص يتجمعون على الدرج خلفه، في انتظار فرصة لقلبه رأسًا على عقب وإفراغ جيوبه.

قال: "من ناحية أخرى، لا يمكنني رفض عرض سيدة محترمة".

"ماذا تحب؟".

"هل لديهم تشيزبرغر جيّد؟".

"أظن ذلك. هل تريد بطاطا مقلية أو شيء من هذا القبيل؟".

"مجرد تشيزبرغر وسفن أب".

أحضرت التشيزبرغر في كيس للطلبات الخارجية وكوبًا ورقيًا متوسط الحجم من السفن أب. "طلبت منهم تقليل الثلج".

خلط خلسةً جزءًا من نصف لتر من الويسكي بالصودا: "أنت امرأة مخيفة، بالطريقة التي تعرفين بها عقل الرجل".

لم يتحدث وهو يتناول الطعام، وجدت أنه من الأفضل عدم التحديق إليه.

في الأعلى، أدت طيور النورس رقصة الباليه. ملأت أصواتها السماء، وبالرغم من أن أصواتها كانت ستزعجها لو كانت قريبة، إلا أنها تطير عاليًا وكأنها في عالم آخر.

عندما انتهى المشرد من تناول الطعام، قال: "ليس لديك سبب يدعو للاهتمام، لكن هل تعرفين ما هو الشيء الذي أحببته فيك؟".

"ما هو؟".

"أنت تعطينني المال من دون التذمر بشأن إنفاقه على المشروبات الكحولية".

"إنها أموالك الآن، وليست أموالي".

"قليلون هم الأشخاص الذين لا يحاضرون عن كل شيء لعين".

بعد أن ألقى كيس البرغر والكوب الورقي بعيدًا، التقط كيس القمامة الذي يحوي ممتلكاته. "هل تمشين معي إلى هناك فوق الرصيف فقط؟ حتى أتأكد أن ما من لص جشع يتبعني؟".

"بالتأكيد".

ما إن مشيا حتى قال: "لقد اتخذت الكثير من القرارات السيئة في حياتي، لكن أتعرفين؟".

"ماذا؟".

ضحك: "لو أتيحت لي الفرصة مرة أخرى سأعاود اتخاذ القرارات نفسها".

صمت وخطا عدة خطوات. ثم قال: "إن العالم جميل وفظيع، أليس كذلك؟".

ابتسمت وأومأت برأسها.

"أتعلمين ما الذي كنت أقوم به قبل أن أصبح على هذه الحالة؟ كنت نادلًا في مطعم فاخر. كانت الإكراميات كبيرة، وكسبت مالًا كثيرًا. كنت ذات مرة مثل مستشار الشباب والخادم العلماني في كنيستي. كذلك دربّت فريق الدوري الصغير. كنت أعرف لعبة البيسبول أكثر من أي شخص آخر". توقف. نظر إلى النوارس في السماء المشمسة. "أمر مضحك، لكن في معظم الأوقات، لا أتذكر كيف اختفى كل ذلك".

قالت جين: "لم يختفِ أبدًا، لا يزال جزءًا من هويتك، وسيبقى كذلك".

حدق إليها الآن بشكل أوضح مما سبق: "إنها وجهة نظرك وربما تكون صحيحة". نظر إلى الوراء على طول الطريق الذي سلكاه. "لا أحد يتربص، أنا آمن بما فيه الكفاية الآن".

عندما نظر إليها مرة أخرى، أعادتها ذكرى من الطفولة للحظة قبل عشرين عامًا. عندما وجدت عش طائر لابد أن حيوانًا مفترسًا ما كان قد ألقاه من شجرة. لقد فتح الحيوان ثلاث بيضات صغيرة بمخلبه وأسنانه، والتهم محتوياتها، لم تكن عينا المشرد زرقاوين باهتتين؛ لقد كانتا تمامًا بلون طائر الروبن الحزين الذي كُسرت بيوضه.

سألها: "ما هو؟".

"ما هو ماذا؟".

"ما هو سؤالك؟" عندما لم تجب، حثها: "هيا، مهما يكن. لا أحد ولا شيء يزعجني بعد الآن".

بعد تردد، قالت: "الأشخاص الآخرون الذين... الذين يعيشون كما تعيش. هل سبق لأي منهم أن انتحر؟".

"انتحار؟ حسنًا، عليكِ أن تضعي نصفهم جانبًا، لأنهم مجانين مثل الفئران القذرة. اعذريني على لساني القذر. إنهم لا يعرفون أنهم ينتحرون لأنهم غير متأكدين ما إذا كانوا أحياء أو أموات بالفعل. بقيتنا؟ انتحار؟ نحن نتخبط في الحياة كل يوم فقط للتشبث. ما لم تقصدي الانتحار البطيء الذي يستغرق أربعين عامًا من الخمر، ولدغات القراد، والأسنان العفنة، والنوم في العراء في الليالي الباردة لأنني لا أريد أي مربية مأوى تملي عليّ ما أفعل. لكن ذلك ليس انتحارًا، إنه أشبه بتقاعد مبكر ومغامرة رجل فقير. إن أراد الله استعادتي من هنا، عليه أن يسحبني بقوة، فلدي جذور مثل شجرة البلوط".

قالت: "أنا سعيدة لسماع هذا".

عندما فهم متأخرًا ما قالته خف تقطب حاجبيه: "من هو الشخص القريب منك الذي انتحر؟".

تفاجأت عندما قالت له: "زوجي".

للحظة، بدا الرجل مصدومًا بما قالته. فغر فاه، لكنه لم يفكر في شيء ليقوله. نظر إلى النوارس في الأعلى ثم إليها مرة أخرى. تلألأت الدموع في عينيه.

قالت: "لا عليك. أنا آسفة، لم أقصد إزعاجك. أنا أتأقلم مع الوضع. أنا بخير".

أومأ برأسه، وحرّك فمه بلا صوت، وأومأ مرة أخرى، وأخيرًا قال: "أيًا يكن دافعه للانتحار، من المؤكد أن لا علاقة لك به".

استدار وابتعد عنها، انحنى تحت حقيبة ظهره، حمل كيس قمامته، وابتعد بأسرع ما أمكنه، كما لو أن هذه الأشياء تحديدًا، هي التي كان يهرب منها لفترة طويلة.

نادته: "جذور مثل شجرة البلوط يا بارني".

رفع إحدى ذراعيه ملوحًا، مشيرًا إلى أنه سمعها، لكنه لم ينظر إلى الوراء أبدًا.

# 33

من الساحل، قادت جين عبر جادة ويلشاير شرقًا نحو ويستوود، مخلفة مخاطر اليوم خلفها، وأملت أن تكون مخاطر المستقبل أقل.

بدت حركة المرور كثيفة في أشعة الشمس، وبدا السائقون عدوانيين.

لسبب ما، تذكرت بيرتولد شينيك كما كان في مقاطع الفيديو الخاصة به: الوجه اللطيف، والابتسامة الجذابة. فكّرت في الفئران ذات الغرسات الدماغية، وهي تسير في كتائب منظمة، وكأنها تسير على أنغام موسيقى عسكرية في ساحة استعراض...

كان الأسف الوحيد الذي شعرت به بشأن العملية في حديقة باليساديس هو أنها كانت بحاجة إلى استخدام أوراق اعتماد مكتب التحقيقات الفدرالي للسماح لها باستكشاف الفندق بدقة لتحديد أفضل طريقة تتيح لها المراقبة من الردهة الأمامية.

ربما تشعر بالوما ويندهام، المديرة، أن عميلًا متعجرفًا من المكتب عبث معها وربما ستكتشف أن الشارة غير صحيحة. في كلتا الحالتين، كانت متأكدة أنها ستقوم بالاتصال بالمكتب الميداني في لوس أنجلوس لتقديم شكوى أو القيام بواجبها كمواطن والإبلاغ عن انتحال شخصية عميل.

كان آخر شيء تحتاجه جين هو جعل المكتب يتابع عملها بجد، بالإضافة إلى الأشخاص الذين لا يزالون مجهولين بالنسبة إليها، والذين يصممون على إنهاء تحقيقها.

من بين جميع المباني المقابلة للحديقة، كان الفندق أفضل مرفق للعمل كمحطة لنقل الملفات من الحقيبتين إلى كيس القمامة، بالرغم من أنها كانت تفكر في استخدام

سيارة الفورد الخاصة بها بدلًا من ذلك. كان من الممكن أن تتوقف على طول شارع أريزونا، على بعد مسافة قليلة من شارع أوشن، وكان من الممكن أن تنتظر خلف المقود وتبقي المحرك يعمل، ريثما تصل نونا إليها

ولكن لو كان أفراد عصابة رادبورن قريبين منها عندما تصل إلى سيارة الفورد، فلن تكون هناك طريقة لمنعهم - لن تستطيع استعمال السلة والقفل - من الوصول إلى نونا.

علاوة على ذلك، إن استخدمت السيارة، كان جيمي ومرافقوه ليروا رقم لوحة الترخيص ويحفظوه، وإن تمكن المتآمرون لاحقًا من اقتفاء أثرها إلى فينيل وجيمي، فعندئذ سيعرفون ما هي السيارة التي كانت تقودها، وسيتعين عليها التخلي عن الإسكيب. لم يكن لديها جيوب الحكومات الفدرالية المليئة بالأموال، ولم يكن باستطاعتها تبديل السيارة كل يوم.

في ويستوود، بالقرب من جامعة كاليفورنيا، تجولت جين بحثًا عن منزل كانت قد حضرت في أحد الأيام عشاءً فيه. لم تتذكر العنوان، لكنها عرفت أنها ستهتدي إلى المكان.

خلال عشر دقائق، وجدته. كان فخمًا إنما لم يكن كبيرًا جدًا. الشرفة الأمامية ذات أعمدة من دون سياج. جدران من الطوب مطلية باللون الأبيض.

ركنت السيارة على بعد كتلتين سكنيتين في شارع موازٍ، وعادت إلى منزل الدكتور موشيه شتاينتز.

كان موشيه طبيبًا نفسيًا، تقاعد مؤخرًا في الثمانين من عمره. كان طبيبًا نفسيًا بالإضافة إلى كونه أستاذًا متميزًا في جامعة كاليفورنيا. كان قد حضر بشكل دوري إلى أكاديمية مكتب التحقيقات الفدرالي في فيرجينيا، وفي بعض الأحيان نصح وحدات التحليل السلوكي 3 و4 في الحالات الصعبة التي تحتوي على قتلة متسلسلين.

قبل ذلك بثلاث سنوات، استنتج موشيه بشكل نصف منطقي ونصف حدسي الإجابة عن سبب قيام قاتل يعمل في إحدى ضواحي أتلانتا بقطع أعين ضحاياه وأخذها. أدى استنتاجه إلى القبض على شخص مختل، جاي جيسون كروتشفيلد، في الليلة ذاتها التي كان سيقتل فيها امرأة ثامنة.

شككت جين في أن زيارة موشيه شتاينتز تعدّ مخاطرة كبيرة. كان قد توقف عن إلقاء المحاضرات في المكتب عندما تقاعد قبل أكثر من عام. لم تكن هي والطبيب صديقين مقربين. لكنه نصحها في ثلاث من قضاياها، وكان كل منهما معجبًا بالآخر.

صعدت الدرجات الأمامية، ورنّت الجرس.

عندما ظهر عند الباب كان يرتدي قميصًا أبيض، وربطة عنق زرقاء، وبنطالًا ضيقًا باللون الفحمي، وينتعل حذاء سكيتشرز أزرق فاتح اللون أربطته برتقالية. في الماضي كان ينتعل أحذية أوكسفورد دائمًا، فبدا لها أن أحذية سكيتشرز من علامات التقاعد.

عابسًا خلف نظارة القراءة التي تم سحبها إلى أسفل أنفه، بدا وكأنه يتوقع حدوث إزعاج أو آخر، لكنه ابتسم عندما رأى من يقرع الجرس. أعلن: "يا له من عالم عجيب، انظروا من يقف ببابي؟ الفتاة التي تمتلك عينين أكثر زرقة من السماء".

"كيف حالك دكتور شتاينتز؟".

قال وهو يمسك بذراعها لتعبر العتبة: "أنا بخير حقًا، وأنا أفضل الآن بعد أن أتيت مثل النسيم العليل".

"أنا آسفة لأنني لم أتصل مسبقًا".

قال موشيه وهو يغلق الباب خلفهما: "عندها لن تكون هناك مفاجأة، وأنا أستمتع بالمفاجآت. ولكن ماذا حدث لشعرك الذهبي الطويل الجميل؟".

"قصصته، وصبغته. احتجت للتغيير".

بطول يبلغ خمسة أقدام ونصف، كان أقصر من جين بمقدار بوصة، لكنه بدا أقصر من ذلك، كان موشيه ممتلئ الجسم بعض الشيء، ابتسامته دافئة وعيناه حزينتان.

قالت: "آمل ألا أكون أقاطع أي شيء".

نظر إليها كما لو كان يعاين حفيدًا لم يره منذ شهور ووجد نموًا ملحوظًا: "كما تعلمين، أنا متقاعد للمرة الثانية، ليس لديّ ما أقوم به، سوى بعض الأنشطة الترفيهية، وهذا ما يجعلني بحاجة ما إلى من يقاطعني".

"سأكون ممتنة إذا حصلت على ساعة من وقتك. أحتاج إلى رأيك بشأن ما".

"هيا، اتبعيني، لنذهب إلى المطبخ".

تبعته عبر الممر إلى غرفة الجلوس، حيث رأت بيانو من نوع شتاينواي. وضعت على غطائه صور مؤطرة بالفضة لموشيه وزوجته الراحلة هانا جمعتهما مع أولادهما وأحفادهما.

لم تعرف جين هانا، التي توفيت قبل تسع سنوات، ولكن عندما أتت لتناول العشاء هنا، طلب منها العزف على البيانو لموشيه وضيوفه الآخرين. أدت معزوفتين من اختيارها، بيتهوفن *سوناتا ضوء القمر*. وكول بورتر *كل شيء ملائم*.

وعندما سُئلت عن والدها، كما كان يحدث طوال حياتها، أوضحت أن والدتها هي التي شجّعتها على تعلم الموسيقى، وحوّلت الأسئلة بطريقة توحي بأنها كانت تحمي خصوصية والدها. لقد كانت على علم بأن موشيه يراقبها باهتمام شديد، وكانت متأكدة من أن السبب الحقيقي لتقديره لها كان أكثر غموضًا مما تعتقد، بالرغم من أنه لم يتطرق إلى الموضوع معها.

الآن، بعد أن مشت خطوة أو خطوتين عبر غرفة الجلوس، توقف موشيه، والتفت إليها، ووضع يدًا واحدة على فمه كما لو كان قد خطر له للتو له أنه قد ارتكب زلة. "قبل أن أتقاعد، كان العديد من الطلاب في الجامعة يعتقدون أن استخدام كلمة فتاة عند الإشارة إلى أنثى تبلغ من العمر ستة عشر عامًا أو أكثر إهانة كبيرة. لقد نُصحت بأنه يجب على المرء أن يقول *امرأة*. آمل أنني لم أخطئ عندما دعوتك بفتاة هناك عند عتبة الباب".

"أنا لا أهتم بالعبارات الصحيحة موشيه، أنا أحب أن أكون الفتاة ذات العينين الأكثر زرقة من السماء".

"جيد، جيد، أنا سعيد جدًا. في هذه الأيام، كلما كان الطلاب أصغر عمرًا، أخذوا أنفسهم على محمل الجد أكثر. هم عمومًا يفتقرون إلى حس الفكاهة".

سحب لها كرسيًا إلى طاولة العشاء في المطبخ.

"قهوة، شاي، أم مشروب غازي؟ أو شراب؟ إنها الخامسة إلا ربع، خمس عشرة دقيقة، ويحين موعد تناول مشروب راقٍ".

طلبت شرابًا، فسكب كأسين صغيرتين من ماكولان ديندارلو.

قال موشيه وهو يجلس لتناول مشروبه: "لقد صدمت عندما سمعت ما حل بنِك. يالها من خسارة فادحة أنا آسف جدًا يا جين".

كان متقاعدًا منذ عام، ولم يعد يتدخل في قضايا المكتب، لذلك ظنت أنه لم يعرف بانتحار نِك.

تساءلت جين إن كانت علاقات موشيه مع مكتب التحقيقات الفدرالي لا تزال نشطة، وإن كانت قد ارتكبت خطأ فادحًا بالمجيء إلى هنا.

# 34

في المرة الأولى التي تقاعد فيها موشيه شتاينتز، كان في الخامسة والستين من عمره. توفيت هانا بعد خمس سنوات، وفي السبعين من عمره عاد إلى العمل بصفته طبيبًا ممارسًا، وأستاذًا، ومستشارًا للمكتب في بعض الأحيان. وعند تقاعده مجددًا، وهو في التاسعة والسبعين من عمره، تخلى عن جميع الوظائف الثلاث ولم ينوِ العودة إلى أي منها. أو هكذا قال.

ادعى أنه كان يعرف عن نِك فقط لأن ناثان سيلفرمان، رئيس جين، أرسل له الأخبار عبر البريد الإلكتروني بعد أسبوع من حدوثها.

"بحلول ذلك الوقت، تخيلت أنك تحدثتِ عن ذلك مع الكثير من الناس، وآخر شيء كنت بحاجة إليه هو تكرار ذلك مرة أخرى معي".

"كنت حزينة وغاضبة في الوقت نفسه، ولم أدرِ كيف أُعبّر عن غضبي. لم أكن جاهزة للتحدث إلى أي شخص".

قال موشيه: "رغم صوابيته، لكن الكثير من التعاطف يمكن أن يبدو وكأنه شفقة، الأمر الذي يجعل الحزن أكثر كآبة. طلبتُ من ناثان أن ينقل لك تعازيّ، وأن يخبرك أن تتصلي بي إن أردت. أنا آسف أنه لم يخبرك".

قالت جين: "ربما أخبرني، كانت هناك بعض الأشياء التي لم أسمعها في الأسابيع القليلة الأولى بعد الحادثة".

من خلال تجربتها، كان من المستحيل لموشيه أن يكون كاذبًا، لقد كانت متأكدة من أنه أهل للثقة.

شربت الديناريلو وقالت: "ما أخبار تقاعدك للمرة الثانية؟".

"اقرأ كتب الخيال العلمي، الأمر الذي لم يكن لديّ الكثير من الوقت له عندما كنت أعمل. أمشي طويلًا، وأقوم بأعمال البستنة، وأسافر قليلًا، وألعب البوكر مع بعض الأصدقاء المسنين مثلي. إنني أمارس هذه النشاطات لأقضي الوقت".

بحلول الوقت الذي وصلت فيه إلى الغرض من زيارتها، وأخبرته عن ارتفاع معدل الانتحار، كان قد صب حصة ثانية من الشراب. تحولت السماء وراء النافذة إلى اللون الأزرق الداكن أكثر من ذي قبل، جامعة فيها اللحظات الأولى القليلة من الغسق.

أخرجت من حقيبتها دفتر الملاحظات الذي دوّنت فيه أسماء مشفرة ووقائع ذات صلة بتحقيقها. وكانت هناك أيضًا مواد مكتوبة باللغة الإنكليزية البسيطة، بما في ذلك محتويات الرسائل التي تركها بعض الذين انتحروا، وقد جمعت معلومات عن اثنين وعشرين حالة انتحار، بالرغم من وجود عشر رسائل فقط بينها.

"لقد درستها حتى أصبحت بالنسبة إليّ مجرد كلمات، ربما هناك معنى فيها لا أستطيع أن أراه، ربما تستطيع أن تراه".

في بعض الأحيان كانت تشارك الملاحظات مع أولئك الذين تقابلهم، لذلك وضعت نسختين في دفتر الملاحظات.

عندما أعطت نسخة لموشيه، وضعها مقلوبة على الطاولة. "رجاء اقرأيها لي أولًا. ثم سأقرأها فالكلمة المنطوقة والكلمة المكتوبة لهما وقع مختلف، هناك فروقات دقيقة تحصل عليها فقط عن طريق السمع، ثم بالرؤية، بعد ذلك سأقارنهما".

بدأت بالرسالة الأكثر شخصية بين العشرة. التي تركها نِك: "هناك خطب ما بي. أنا بحاجة. أنا بحاجة ماسة. أنا بحاجة ماسة إلى الموت".

للحظة، جلس موشيه صامتًا، بعد أن قرأت جين كلمات نِك. ثم قال: "إنها ليست رسالة انتحار أخيرة اعتيادية، لم يفسر سبب انتحاره أو يطلب المغفرة. لم يقل وداعًا".

قالت: "هذا ليس من طبع نِك. إنه خط يده، ولكن خلاف ذلك أعتقد أن شخصًا آخر كتبها ووضعها مع جسده".

أغمض عينيه، وأسند رأسه كما لو كان يستمع إلى تلك الكلمات الأربع عشرة في ذاكرته، وقال: "يقول إنه مضطر للانتحار، ويعرف أن الإكراه أمر خاطئ. هناك نسبة

كبيرة من حالات الانتحار لا يعتقد فيها الأشخاص أنهم يرتكبون خطأ. إذا اعتقدوا ذلك، فلن يقدموا عليه". فتح عينيه "كيف كانت حالة نِك العقلية قبلها...؟".

"كان سعيدًا. تحدثنا عن المستقبل، وما أراد فعله عندما يتقاعد من الفيلق. كان بمثابة الكتاب المفتوح بالنسبة إليّ يا موشيه. لم يستطع التظاهر بالسعادة وخداعي على أي حال، لم يكن مكتئبًا أبدًا، كنت أُعد العشاء، وهو يرتب الطاولة، وفتح زجاجة نبيذ وهو يغني مع موسيقى دين مارتن كان ذوقه قديمًا في ما يتعلق بالموسيقى، وقال إنه ذاهب إلى جون، وسرعان ما سيعود".

"اقرأي رسالة أخرى".

اختارت الرسالة الثانية لمسؤول تنفيذي في شبكة تلفاز يبلغ من العمر أربعة وثلاثين عامًا، ويتقاضى مرتبًا مرتفعًا، ويتقدم بسرعة في الشركة. كان قد ترك رسالة لخطيبته، وهي ممثلة: "لا تبكي من أجلي. هذا سيكون عبورًا لطيفًا كما قيل لي. إنني أتطلع إلى الرحلة".

سأل موشيه: "هل كان مؤمنًا؟".

"لا، حسب معرفة الآخرين به، لم يكن مؤمنًا. ومن المؤكد أنه لم يكن من رواد الكنيسة".

"*لقد قيل لي* إنه كان ملحدًا، لم يقرأ الإنجيل أو القرآن أو التوراة، من الذي قال له إن العبور سيكون لطيفًا؟ الاستنتاج السهل أنه كان يسمع أصواتًا".

"مرض الفصام؟".

"باستثناء عدم وجود ملاحظة لجنون العظمة، أو الشعور بالاضطهاد، الذي يميز مراحل الفصام المتقدمة جدًا في أوهامهم بحيث يكون التفكير في مثل هذا الحل الجذري لمعاناتهم؛ أسرته. خطيبته، زميل من العمل. هل هناك أي شخص شاهد أي تعبيرٍ له عن اعتقادات خاطئة، أو أوهام واضحة؟".

"لا".

"كان في وظيفة تتطلب مهارات في التواصل، هل أظهر أعراض فصام غير منتظمة؟".

"مثل ماذا؟".

"الأكثر شيوعًا هو التحدث بطريقة طبيعية، ولكن جمله تكون عديمة المعنى".

"لم يذكر أحد ذلك. إنه أمر لا يُنسى".

"لا، لن ينسوا ذلك. إنه عرض مُقلق. كيف مات؟".

"عاش في مانهاتن، في الطابق العشرين. قفز...".

كرر موشيه: "اقرأي رسالة أخرى".

كانت الرسالة الثالثة في قائمتها لرئيس تنفيذي يبلغ من العمر أربعين عامًا في واحدة من كبرى شركات التطوير العقاري في البلاد. متزوج ولديه ثلاثة أولاد "لا يفترض بي أن أترك رسالة. لكن يجب أن تعلمي أنني سعيد للقيام بهذا. سيكون العبور لطيفًا".

قال موشيه، وهو يجلس أكثر استقامة على كرسيه: "الكلمات المشتركة مع سابقه. عبور *لطيف* يبدو ضمنيًا في كلتا الحالتين أنهما يتبعان تعليمات، أو على الأقل يتبعان نوعًا من الإرشادات".

كررت جين كلمات المدير التنفيذي للشبكة: "لقد قيل لي". ثم كلمات المطور العقاري، "أنا لا يفترض أن..."

"بالضبط. هل كان الرئيس التنفيذي أيضًا في نيويورك؟ ربما يكون مقربًا من المدير التنفيذي للشبكة؟".

"لا، لوس أنجلوس".

"كيف انتحر؟".

"في مرأبه. بدخان عادم سيارته المرسيدس القديمة؛ التسمم بأول أكسيد الكربون. ما مدى احتمال أن تكون الملاحظتان متشابهتين إلى هذا الحدّ؟".

"الاحتمالات ضئيلة، اقرأي رسالة أخرى".

"تركت هذه الرسالة امرأة تبلغ من العمر ستة وعشرين عامًا، وهي كاتبة برمجيات موهوبة تركت وظيفة في مايكروسوفت لتصبح شريكة في الشركة. عاذبة وكانت المعيلة الوحيدة لوالديها المعاقين. *هناك عنكبوت في دماغي. إنه يتحدث إليّ*".

عندما أبعدت نظرها عن دفتر ملاحظاتها، ونظرت إلى عيني موشيه عبر الطاولة، رأت أنه كان مصدومًا بهذه الكلمات كما صُدمت عندما قرأتها للمرة الأولى.

قال الطبيب النفسي: "يبدو أن ثلاثة من كل أربعة يسمعون أصواتًا. ولكن في هذه الحالة الرابعة، كما في حالات أخرى، فإن السمات المميزة المعتادة للفصام الرهابي

ليست واضحة كما قد يعتقد في البداية. في الحالة الكلاسيكية، يعتقد المريض أن الأصوات المهددة تأتي من الخارج، من قوى قوية ترغب في اضطهاده وخداعه. عنكبوت في الدماغ... هذا أمر جديد بالنسبة إليّ".

# 35

تساقط الثلج في وقت متأخر على تيلورايد.

أضاءت أبريل وينشستر المصباح اليدوي على شجرة الشوكران القديمة الضخمة والطويلة، بحيث لم يتمكن شعاع المصباح من الوصول إلى أقصى فروعها، والتي اختفت في الظلام والثلوج. كانت شجرة أطول من الليل الذي يمضي عبر العاصفة، على طول الطريق إلى النجوم، الأمر الذي أسعدها وجعلها تبتسم.

عندما يضيء الفجر على جذع الشجرة، كانت تجد اسميهما محفورين على خشب الجذع "إد يحب أبريل".

كان إدوارد، أو إدي، رومانسيًا دائمًا. وكان قد نحت الكلمتين على جذع شجرة القيقب الأحمر في ولاية فيرمونت عندما كانا في الرابعة عشرة من عمريهما، منذ ما يقارب الستة عشر عامًا.

وكان هذا التصريح الأخير للمودة العميقة قد سجله على شجرة الشوكران قبل أحد عشر شهرا فقط عندما اشتريا مكان إقامتهما في فصل الشتاء خارج تيلورايد فكلاهما مولعان بالتزلج.

عاشا على شاطئ لاغونا، كاليفورنيا حين لم يكن هنالك موسم للتزلج. سواء على الساحل الدافئ أو في جبال سان خوان، كان يكتب الروايات، والأغاني، وكتب عن الحياة التي تصوراها عندما كانا مراهقين وعن النعم التي يتمتعان بها والتي لم يجرؤان على الحلم بها.

لقد كتب أربع روايات، كلها رائعة ومن أكثر الكتب مبيعًا. وقد لحن أكثر من خمسين أغنية، غنى اثنتين وعشرين منها مغنون مختلفون، ووصلت أغانيهم إلى قائمة أفضل أربعين أغنية، ووصلت اثنتا عشرة منها إلى قائمة العشر الأوائل، وحققت أربع منها المرتبة الأولى.

نظرت إلى الطبيعة وراء المنزل، وهو هيكل منخفض الأضواء من الحجر والخشب، كانت خطوطه الرائعة متوائمة مع المناظر الطبيعية، وكانت نوافذ الطابق الأول مضاءة بالكامل، أما الطابق الثاني فلم يكن فيه سوى مكتب إدي مضاءً.

كان يعمل على نهاية مشهد صعب، وأراد أن ينتهي منه قبل أن يُجهّزا العشاء معًا.

كانت تعد له شيئًا في المطبخ، وكان عليها فقط أن تبتعد عنه لبضع دقائق، لذا كانت تخرج لتراقب الشجرة على هواها. انتعلت حذاء أنيقًا وليس عاديًا، وارتدت تنورة بيضاء، وسترة رقيقة تغطي وركيها. مظهرها هذا سيسعد إدي ويعيده إلى السرير في استعداد تام بعد العشاء، لكن ملابسها لم تكن مناسبة لطقس الشتاء العاصف.

عندما هرعت خارج المنزل، مسحورة بالثلج، كانت غافلة عن البرد، وبدأت ترتجف. عندما اعترفت لنفسها ببرودة الطقس، كان قد تمكن منها بشكل كامل، وبدأت ترتجف بعنف.

دخلت بسرعة إلى المنزل، حيث نفضت عن حذائها الثلج وخلعته. تساقط الثلج من ملابسها وشعرها في المطبخ، وذاب على الأرضية الكستنائية الفسيحة. شعرت أنها يجب أن تهتم بالثلج الذائب، وينبغي أن تمسحه، لكنها في الواقع لم تهتم.

كانت قد وضعت المقبلات التي أعدتها لإدي على الطاولة قرب مغسلة المطبخ، كي يتمكن من إنهاء الصفحة الأخيرة من المشهد المزعج في روايته. كانت الصينية تحتوي على مكعبات من جبن هافارتي وصحن من اللوز المملح والفلفل، وكأسي شراب، وزجاجة سوفيجنون بلانك، والتي ستسكب له منها حصة بعد أن تضع كل شيء على مكتبه.

خذْيها إليه، خذْيها إليه، خذْيها إليه...

لقد استمتعت بالقيام بأشياء خاصة مثل هذه من أجل إدي وكان دائمًا ما يقدّر ذلك.

لا يزال الثلج يتساقط عنها وشعرها يقطر، ظنت أنها حملت الصينية إلى الدرج الخلفي لكن في منتصف الطريق إلى الطابق الثاني اكتشفت بغرابة أنها لم تكن تحمل الصينية. كانت تحمل سكينًا.

حدقت إليه بحيرة، وفكّرت أنها لم تشرب النبيذ عندما كانت تحضر المقبلات له. بين الحين والآخر كان ذهنها يشرد، ولكن ليس إلى هذا الحدّ.

لا جبن، لا مكسرات، لا شراب. مجرد سكين. يا له من أمر سخيف. أين هام عقلها؟ حسنًا هذا لن يجدي نفعًا، لن يجدي نفعًا على الإطلاق.

عادت إلى المطبخ لجلب الصينية.

# 36

امتدت السماء فوق لوس أنجلوس وضواحيها وراء نوافذ المطبخ، وعَبَرَ الضوء النوافذ المزخرفة بأشكال طواويس، مؤججًا اللون الأزرق القزحي والأخضر والبرتقال الدخاني، وهو تحدي أشعة الشمس الأخير للظلام القادم لا محالة.

كان الخامس على قائمة جين محاميًا عازبًا، يبلغ من العمر ستة وثلاثين عامًا، عيّن مؤخرًا في منصب قاضٍ في الدائرة الخامسة لمحكمة الاستئناف. عازب. وقد عُثر على رسالة انتحاره في ظرف يحمل اسمي والديه، انتحر بإطلاق الرصاص على رأسه. "أنا أحبكما. لم تُخذلاني قط. لا تحزنا فلقد فعلت هذا مئات المرات في أحلامي. لن يؤلمني ذلك".

قال موشيه شتاينتز: "هذه الرسالة أكثر شبهًا برسائل الانتحار التقليدية، لا سيما من ناحية تأكيدات الحب، والإعفاء من اللوم. لكن ما تبقى منها غريب، لم يسبق لي أن سمعت عن شخص لديه أحلام متكررة بالانتحار".

سألته جين: "هل يمكن برمجة الأحلام؟".

"برمجة؟ ماذا تعنين؟".

"لنقل من قبل شخص يقوم بالتنويم المغناطيسي، أو باستخدام المخدرات أو اقتراح مموه؟ هل يمكن استخدام الأحلام المبرمجة لجعل الحالم يرغب فعلًا في الانتحار؟".

"في الكتب المصورة، ربما، أو الأفلام. التنويم المغناطيسي هو مجرد تعبير عن النفس أكثر مما هو شكل من أشكال التعديل السلوكي أو السيطرة".

الحالة السادسة في دفتر ملاحظات جين هي الرسالة التي تركتها إيلين روت، قبل أن تشنق نفسها، والتي تشير فيها إلى أنها كانت تفي بطريقة أو بأخرى بالالتزام تجاه صديق الطفولة الوهمي. "يقول سايسو اللطيف إنه شعر بالوحدة طوال هذه السنوات، لماذا توقفت ليني عن الحاجة إليه، كان موجودًا دائمًا من أجل ليني، والآن أنا بحاجة إلى أن أكون هناك من أجله".

أشار موشيه: "إنها الحالة الرابعة من أصل ست تسمع أصواتًا، وهناك نوع من الاضطراب النفسي الواضح لرؤيتها صديقًا وهميًا من طفولتها ظهر في الوقت الحاضر. هل ذكرت شيئًا عن سايسو لزوجها أو لأي شخص في الأسابيع التي سبقت انتحارها؟".

"لا يبدو ذلك".

"ما مدى قربها من زوجها؟".

"قريبة جدًا كما أعتقد".

"هل رأى أي علامات للنأي عن الواقع؟".

"لا".



كتب الرسالة السابعة نائب رئيس قسم الرهن العقاري في أحد أكبر خمسة مصارف في البلاد. "أسمع صوتًا لا يتوقف، إن كنت مستيقظًا أو نائمًا. ذلك الهمس الحلو الناعم المترافق مع رائحة الورود".

# 37

وجدت أبريل نفسها في الغرفة المليئة بأثار الطين تحدق إلى حذائها الذي يغطيه الثلج. أرادت يائسة العودة إلى شجرة القيقب الأحمر ورؤية عبارة الحب التي كان إدي قد نحتها عليها. لكن شجرة القيقب كانت في فيرمونت، وحدث ذلك قبل نحو ستة عشر عامًا.

شجرة الشوكران! شعرت بحاجة إلى رؤية شجرة الشوكران التي تنتصب على بعد أكثر من مئة قدم من المنزل، احتاجت إلى رؤيتها بإلحاح لم تشعر به من قبل، كما لو كانت حياتها تعتمد على وضع أصابعها على الجذع وتتبع الرسالة التي نُحتت في الخشب.

وجدت نفسها في المطبخ بدلًا من ذلك، تقف أمام المغسلة، وتبحث عن الصينية الموضوعة على الطاولة: اللوز وجبن الهافارتي، والشراب.

لفتت نغمة إلكترونية إيقاعية غير سارة انتباهها إلى الهاتف المثبت إلى الحائط. لكن الهاتف كان مرميًا على المنضدة؟

هل اتصلت بأحد؟ هل تلقت مكالمة؟

وضعت السكين جانبًا، وأغلقت الهاتف.

خذيها إليه، خذيها إليه، خذيها إليه...

التقطت أبريل الصينية، وحملتها إلى الدرج الخلفي.

في منتصف الطريق إلى الطابق الثاني، اكتشفت أمرًا أكثر غرابة. لم تكن تحمل الصينية بل حملت في يدها اليمنى سكين طهي فرنسيًا، أكبر بكثير من السكين السابق وأكثر حدة.

## 38

في الأفق البعيد، تجمع لون دموي أسفل السماء، كرمح قتال يلمع بالحياة، بينما هنا على الأرض، ضغط الظلام على نوافذ المطبخ.

الحالة الثامنة، تعود لامرأة تبلغ من العمر 35 عامًا تعمل في مجلس الشيوخ لولاية فلوريدا، وهي أم لأربعة أطفال كانت في صراع واضح مع نفسها، أخطأت في أول طلقتين، لكن الطلقة الثالثة فجّرت رقبتها، قرأت جين: "التقطي السلاح. التقطي السلاح. التقطي السلاح. هناك بهجة تكمن في داخله".

وقف موشيه على قدميه وقال: "إنها لم تكتب الملاحظة لعائلتها".

"لا". وافقته جين.

"كتبتها لنفسها، تتجادل مع نفسها حول القيام بهذا الشيء الفظيع".

"أو ربما..."

التفت إليها موشيه: "ربما ماذا؟".

"ربما كتبت ما تسمعه. الصوت في رأسها. العنكبوت في دماغها الذي يتحدث إليها".

## 39

وقفت أبريل في فناء الطابق العلوي، على عتبة الباب المفتوح لمكتب زوجها.

دخلت بهدوء، تحمل الصينية.

جلس أمام حاسوبه، موليًا إياها ظهره. كان يفكر بعمق في المشهد، يمحو عبارة لا ترضيه، ويسارع لكتابة سطر جديد بسرعة، ويعود إلى الصفحة السابقة لمراجعة ما كتبه.

كان يغوص بعمق في خياله عندما كان يكتب، كان العالم يتلاشى حول أبريل بطريقة مشابهة لما يحدث عندما تعزف على البيانو، وهي تعمل على لحن، تسعى للحصول على مجموعة ثالثة من ثماني علامات موسيقية في كورس مؤلف من اثنتين وثلاثين علامة. كان عمله شاعريًا كما كان جميلًا، شاهدته يعمل، واستمعت إليه وهو يتمتم منتقدًا نفسه، بكت بصمت، تذكرت كل ما مرا به معًا، وكل التجارب التي خاضاها؛ الانتصارات والمآسي، طفلهما الوحيد الذي توفي عند ولادته، تذكرت حبهما وكل خسارة ونكسة تحملاها، كما ستتحمل كل ما سيأتي بعد ذلك.

خذيها إليه، خذيها إليه، خذيها إليه.

وقفت الجبال المظلمة وراء النوافذ، وتراقص الثلج على الزجاج.

وضعت الصينية على طاولة العمل التي كانت مغطاة بالكتب والمراجع. التقطت زجاجة السوفيجنون بلانك، وأخذتها إليه، وتأرجحت من اليسار إلى اليمين، كما لو كانت تحرك سفينة لترتطم برأسه. تأرجحت بقوة كبيرة بحيث انفجرت الزجاجة، وسقط مع كرسي مكتبه على الأرض، وسال عليه النبيذ العطر.

دفعت أبريل الكرسي من طريقها، ونظرت إلى إدي، ورأت أنه كان واعيًا لكنه مذهول ومرتبك، غير قادر على فهم ما حصل. ناداها باسمها، لكنه بدا أنه غير واثق من أنها أبريل.

احتاجت كلًا من زجاجة الشراب وسكين الطهي الفرنسي للقيام بما يتوجب عليها فعله. لضمان أن يتم ذلك بشكل صحيح. أخذت السكين من الصينية، واستدارت إلى إدي.

قالت: "أحبك كثيرًا، كثيرًا، كثيرًا"، قالت كل كلمة وهي تنتحب، وهجمت عليه بالسكين.

# 40

كانت الحالة التاسعة لأستاذ جامعي يبلغ من العمر سبعة وثلاثين عامًا شاعر مشهور ألقى بنفسه في مسار قطار مترو الأنفاق.

قرأت جين: "للتخلص من الإرهاق والمعاناة، للتخلص من الإكراه الداخلي والخارجي".

قال موشيه شتاينتز وهو يحدق إلى الليل عبر النافذة فوق حوض المغسلة: "يبدو وكأنه شعر".

"إنه كذلك، لكن ليس له. لقد بحثت عنه. إنها من قصيدة بيرت نورتون لتي. أس. إيليوت".

الحالة العاشرة كانت الأصغر سنًا. طالبة دراسات عليا في العشرين من العمر، موهوبة لدرجة أنها دخلت الكلية في الرابعة عشرة، وحصلت على درجة البكالوريوس في السادسة عشرة، ودرجة الماجستير في الفيزياء الفلكية في الثامنة عشرة، وكانت تعمل على رسالة دكتوراه في علم الكونيات. لقد أضرمت النار بنفسها.

قرأت جين: "أنا بحاجة إلى الموت، يجب أن أموت. أنا لست خائفةً. ألست خائفة؟ أنا بحاجة إلى المساعدة".

## 41

كان إدي حيث يجب أن يكون، مع الموتى، وكانت أبريل لتنحت إعلان حبها في لحمها لو كانت قادرة على العيش لفترة كافية لإنهاء المهمة، ولكن مع موت إدي، لم تعد تريد شيئًا من هذا العالم المظلم. ركعت إلى جانبه، وأمسكت السكين الفرنسي بيديها، وطعنت بطنها. ضربها الألم مثل صاعقة، وألقى بها في صمت أسود. في وقت لاحق، استيقظت ضعيفة لدرجة لا تشعر بها بالألم، ووجدت نفسها ملقاة على الأرض إلى جانبه. بحثت عن يده لتجدها وتمسك بها. تذكرت فيرمونت وشجرة القيقب الأحمر في ثوب الخريف المشرق والحب الشاب، وفي اللحظة الأخيرة فكرت: ماذا فعلت؟

## 42

الآن بعد أن سمع الرسائل العشرة التي قرأتها بصوتٍ عالٍ، جلس موشيه إلى طاولة المطبخ، وقرأها من النسخ التي قدّمتها جين.

كان قد شغل موسيقى غمرت كل غرفة في المنزل عبر مكبرات الصوت، مقطوعة موزارت كي 488. كونشيرتو غير عادية، عزفت على الكلارينيت، وافتتحها بطريقة

رائعة بعيدًا عن متناول أي ملحن آخر، لدرجة أنها غمرت جين في هذه اللحظة من حياتها بتفاؤل كبير، وتمنت لو أن باستطاعتها التمسك به والحفاظ عليه.

جلست إلى الطاولة، استمعت مغمضة عينيها، يد واحدة تمسك بكأس الدينداريللو المعتق.

في الوقت المناسب، تحدث موشيه: "أنا أميل إلى القول إن هؤلاء الناس أو على الأقل أغلبهم، كانوا في حالة نفسية غير اعتيادية عندما انتحروا. حالة أشبه بالشعور بالاكتئاب الانتحاري، لا شيء يوحي بأن الأصوات التي سمعوها تشير إلى انفصام الشخصية، لا شيء يشير بأي شكل إلى الأشكال الكلاسيكية لمرض عقلي. هناك شيء فريد من نوعه هنا وغريب".

احتوى الكونشرتو على سلسلة مختلفة الطابع عما قبلها وبعدها، تركت كلًا من جين وموشيه حزينين، عندما تكلم موشيه لم ترد عليه بل أبقت عينيها مغمضتين، وسافرت مع موزارت، إلى قلب يملؤه حزن عميق، وفكرت في والدتها التي ماتت منذ فترة طويلة. عندما اختتم هذا القسم بعزف التفاؤل والحركة، وجدت أن الموسيقى تسللت إلى أعماق روحها ومع ذلك ظلت جافة العينين ولم تنهمر دموعها، تأكدت من أن عينيها جافتين حقًا، وهذا ما دفعه إلى الاعتقاد بأنها مستعدة لما قد يأتي بعد ذلك، بغض النظر عن مدى صعوبة الطريق إلى الأمام.

## 43

كان المنزل الأساسي للدكتور بيرتولد شينيك وزوجته، إنغا، في بالو ألتو، على مسافة قريبة تتيح له الوصول بالسيارة إلى مختبراته في مينلو بارك.

كما كان بمثابة ملجأ يمتد على مساحة سبعين فدانًا في وادي نابا، في سفوح النطاقات الساحلية، بين الغابات والمروج الغنية بالحياة البرية.

بالنسبة إلى البعض، يبدو المنزل غير مناسب للنمط الريفي، لأن تصميمه كان حديثًا للغاية فقد كُسي بالغرانيت والزجاج والمعدن. كان بيرتولد وإنغا على حد سواء من الشخصيات المهيمنة، ومع ذلك، فإنهما يقدران الطريقة التي ارتفع فيها البيت بجرأة فوق الأرض مؤكدًا التفوق على الطبيعة.

جلسا في الشرفة الخلفية، وحمل كل منهما كوبًا من شراب كايموس كابرنيه سوفيجنون، لمشاهدة غروب الشمس وحلول الحياة البرية الليلية.

كانت إنغا أصغر من بيرتولد بإحدى وعشرين سنة، تبدو كعارضة أزياء للملابس الداخلية. بالرغم من أنها امرأة ذات شهية قوية ورغبات معقدة، إلا أنها لم تكن فتاة محبة للحفلات، فلديها مصالح جادة، وطموح، وإرادة في السلطة مساوية لمصالح زوجها.

قد تنزعج معظم الزوجات الأصغر سنا بكثير من أزواجهن عندما يجلبون عملهم معهم إلى المنزل. لكن إنغا كانت تشجعه على مزج العمل واللعب.

جلس في الكرسي بجوار كرسيها، ومعه حاسوبه، وأدخل الأوامر التي بثت من جهاز إرسال على السطح.

كان الغسق يفسح المجال لليلة أكثر ظلمة، بدأت حيوانات القيوط في الوصول، عبر العشب الطويل والشجيرات، لمعت عيونها المضيئة مع انعكاسات أضواء الفناء المنخفضة. مشت خمسة أقدام متجاوزة شرفة الجلوس باهتمام، واحدًا تلو الآخر، حتى اصطف اثنا عشر منها جنبًا إلى جنب. بدت كأي حيوان قيوط بري، ولكن في الوقت الراهن كانت مطيعة مثل الكلاب الأليفة.

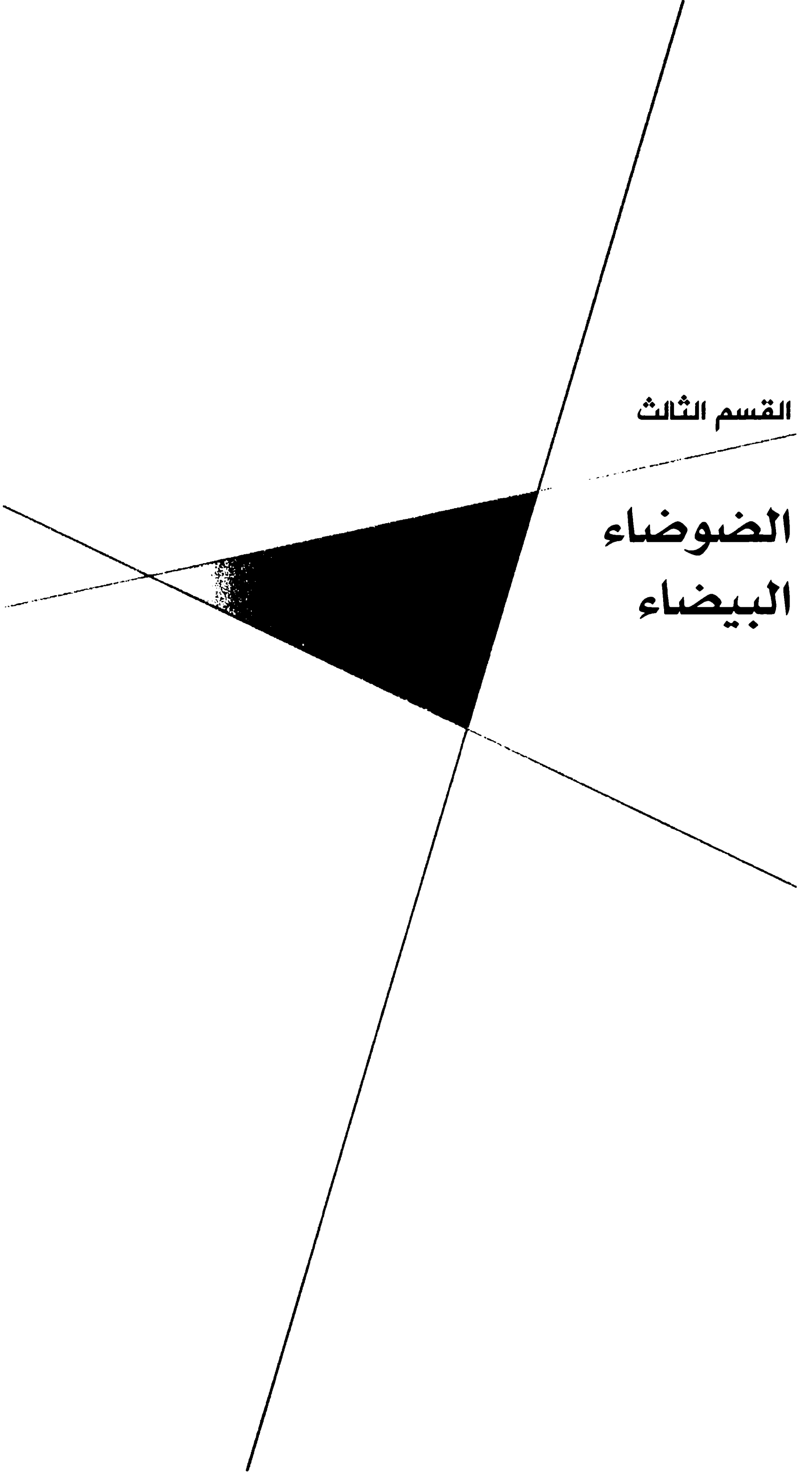
قالت إنغا: "دعها تستلقِ".

حرّك بيرتولد أصابعه بسرعة على لوحة المفاتيح، فاستلقت حيوانات القيوط على العشب بدءًا من تلك المنحدرة من فصيلة رنجي إلى أقصى اليسار، لتريح رؤوسها على كفوفها كما لو كانت سلسلة من الدومينو بطيئة السقوط.

"هل لدى أي شخص في العالم نظام أمني أكثر إثارة للإعجاب؟". تساءلت إنغا حيث أنها تعتبرها أبناء عمومة الذئاب. شاهدت الحيوانات المفترسة الاثنا عشر الطبيب وزوجته يشربان كابيرنت سوفيجنون ويتناولان شطائر لحم البقر المشوي. جلس بيرتولد وإنغا يتشاركان كرسيًا واحدًا بحميمية ككل زوج وزوجة، وقد وجدا الإثارة بسبب وجود جمهور يقظ.

القسم الثالث

# الضوضاء البيضاء



# 1

طلب موشيه شتاينتز منها البقاء لتناول العشاء وقال إنه وحيد. قبلت، لتكتشف بعدها أن لديه دافعًا خفيًا.

في وقت سابق حضر غيش سرطان البحر الساخن. والآن وبينما تحضر جين السلطة، جهّز موشيه الطاولة، وقطّع رغيفًا من الخبز الفرنسي، وفتح زجاجة باردة من بينوت غريغيو. استلطفت ارتداءه سترة رياضية قبل الجلوس لتناول العشاء إلى طاولة المطبخ. تحدثا عن أشياء كثيرة، لكنهما لم يتحدثا عن الانتحار أو عن تحقيقها، وعندما كانا يستمتعان ببساطة بتحلية من الفراولة الطازجة وشرائح الكيوي، سألها عن ابنها.

كانت قد جاءت إليه لسماع تحليله ورأيه بالملاحظات، لكنها لم تفكر في المسؤولية التي يجب أن تتحملها تجاهه بمجرد التزامها. رأت الآن أنها مدينة له بالحقيقة لتضمن أنه لن يعرض نفسه للخطر.

"أليس التحقيق في حالات الانتحار هذه من عمل المكتب؟".

"لم أكن أعتقد أنه كذلك".

"أنا في إجازة. وفي الشهرين الماضيين كنت خارج الشبكة لدرجة أن معظم المؤمنين بالكوارث فقط من اعتقد أنها كذلك".

أخبرته عن السيد دروغ، الذي أرسل لها الرسائل عن الناتسات، والحليب، ولعبة تسمى الاغتصاب.

حجب نبض ضوء الشموع المنعكسة على نظارته عينيه، لكنها قرأت الصدمة في وجهه، في الطريقة التي أرجع بها الفراولة التي كان على وشك أن يأكلها، كما لو أنه فقد شهيته.

"ابني في أمان. ولا أريد أن أضعك في خطر يا موشيه، لا تخبر أحدًا أنني كنت هنا. أنا مُطارَدة، وإذا شكوا أنني شاركتك كثيرًا من المعلومات، لا أعرف ما الذي سيفعلونه".

كان حله معقولًا، لكنه لم يكن ممكنًا في هذا الوقت: "معلومات الانتحار سجل عام. إذا كان لديك عدد قليل من الصحفيين الجديرين بالثقة، يمكن نشر الخبر إلى العلن، وبذلك تصبحين في أمان".

"لا أعرف صحفيين جديرين بالثقة".

"يجب أن يكون هناك أحد جدير بالثقة".

"ربما في وقت آخر. كان الشبان يقومون بذلك بأنفسهم. ولكن ما يحدث الآن بين حالات الانتحار هو أن أحدًا لم يترك وراءه ملاحظة".

أزال نظارته، كما لو أنه أدرك أنها تجهد لرؤية عينيه من خلال وهج الشمعة.

قالت: "لا تستخدم حاسوبك للبحث عن أي من هذا، لا تلفت الانتباه إلى نفسك. لقد ألقوا بشبكة واسعة، ويبدو أنهم يرغبون بإلقاء القبض على أي سمكة مهما صغر حجمها".

قال: "هم". مؤكدًا على الكلمة. "هل لديك فكرة من هم؟".

"إنهم. هم. كونفدرالية بلا اسم. لا أعرف مركزهم، وأعتقد أنهم يرتبطون بقطاع خاص من التكنولوجيا الحيوية".

"والحكومة؟".

"ما من شك في ذلك".

"مكتب التحقيقات الفدرالي؟".

"لا أظن المكتب بأكمله بل بعض الأشخاص فيه؟ وهذا ما يحول دون حصولي على مساعدتهم".

شرب نبيذه، ليس بقدر كبير كما لو كان يحتفظ به ليفكر ويؤخر ردّه. ثم قال: "أنت ترسمين صورة لمثل هذه العزلة، لا أعرف كيف يمكنك الخروج منها فائزة".

"وأنا أيضًا. ولكنني سأتولى الأمر. يتوجب عليّ ذلك".

"كنت أفكر... ربما أنت قريبة من الموضوع، وهذا لا يجعل منك أفضل من يمكنه التوصل إلى الحقيقة؟".

"أتقصد بسبب نِك. نعم، إنه أمر شخصي، لكنني لا أسعى وراء الانتقام يا موشيه، للأمر علاقة بالعدالة والحفاظ على ترافيس آمنًا".

"أظن أن دافعك يتجاوز ولدك، أليس كذلك؟".

استطاعت الآن رؤية عينيه، نظراته كانت مباشرة وواضحة، وكانت متأكدة من أنه يستطيع قراءتها. "تقصد أمي؟".

"لقد تحدثتِ عنها عدة مرات على مدى سنوات معرفتنا، ولكنك لم تأتِ على ذكر انتحارها أبدًا".

ردّدت الحقائق المعروفة من دون انفعال: "أخذت جرعة زائدة من الحبوب المنومة. ولختم الصفقة، جلست في حمام ساخن، وقطعت شرايين معصميها. كنتُ في التاسعة من عمري، وأنا من وجدها".

قال موشيه: "في المرة الأولى التي عملت فيها معك على قضية أعجبتُ بذكائك وتفانيك، أردت أن أعرف المزيد عنك، ولذلك تحققت من الأمر".

"حسنًا، هذا ما هو عليه. لكن لا علاقة لأمي بالأمر الحالي". عرض عليها مزيدًا من النبيذ، فهزّت رأسها، أبعد الشموع، حتى لا تنعكس على عدستي النظارة، وأعاد وضع نظارته، كما لو أنه يريد أن يراها بوضوح ليكون على بينة من أي ردّ فعل.

"عندما مات نِك كنت واثقة أنه لا يمكن أن ينتحر، وبعدها تحولت ثقتك إلى هوس بإثبات ذلك، وهذا ما قادك إلى اكتشاف هذه الزيادة في معدلات الانتحار، والتي أصبحت بعد ذلك هاجسك الأكبر".

"كل شيء حقيقي. وهناك أشخاص يحاولون أن يسكتوني بأي طريقة، أنا لست متوهمة يا موشيه".

"لا أعتقد أنك كذلك. أنا أصدق كل ما قلته. لكن ما أريدك أن تعرفيه أن الشخص الذي يحركه الهوس قد لا يكون لديه الصبر أو الحكمة أو حتى البصيرة للتحقيق في مثل هكذا مؤامرة بنجاح".

"أعرف. أنا فعلًا هكذا، ولكن لا يفترض بغيري أن يقوم بالأمر".

"ربما يخف قلقي، إن كنت على بينة من هواجسك، وعمق جذورها، عليك أن تعرفي أن ذلك قد يفقدك الحكمة ويدفعك إلى التهور".

"موشيه. لا يسعني إلا أن أؤكد لك أنني لا أزال المحققة التي كنت عليها دائمًا، لا يمكنني أن أقول أكثر من ذلك".

حدق إليها بنظرة ثاقبة قرابة الدقيقة.

"هل تذكرين عندما جئت وناثان وآخرون لتناول العشاء قبل ثلاث سنوات، للاحتفال بالقبض على كراشتفيلد؟".

"بالطبع أتذكر. كانت أمسية سعيدة".

"لقد عزفتِ على البيانو بناء على طلبي وقد عزفتِ بشكل رائع".

لم تقل شيئًا.

"طرح سائر الضيوف أسئلة عن والدك، ولكنك تجنبتِ الموضوع".

"عندما يكون أحد والديك مشهورًا، تتعلم في وقت مبكر أن تتكتم عن أخبار أسرتك".

"لحماية أسرار العائلة؟".

"لا، بل للحفاظ على الخصوصية".

"لقد أثنيتِ على أمك لأنها شجعتك على العزف".

"كانت عازفة بيانو رائعة".

"نادرًا ما تتحدثين عنها، ولكنك عندما تتحدثين تثنين عليها، وتعبرين عن عميق تقديرك لها، وبالمقابل نادرًا ما تتحدثين عن والدك، وإن تحدثت تتحدثين بأسلوب بارد".

"لم نكن مقربين من بعضنا، وفي كثير من الأحيان كان بعيدًا في جولاته الموسيقية".

"برودتك نحوه تنم عن كراهية".

"قل لي، أيها الطبيب، ماذا يعني ذلك أيضا؟". سألت، وشعرت بالجزع لسماع نغمة الرفض في صوتها.

قال: "فقدان عميق للثقة".

كُسرت مباراة التحديق بينهما، لكنها استأنفتها، لئلا يقرأ بعض المعنى الغامض في فك ارتباطها. "جميع الأطفال لديهم مشاكل مع والديهم".

"عزيزتي، يجب أن تعذريني إذا تخطيت بعض الحدود عندما ضغطت على بعض الأزرار".

"أليس هذا ما كنت تفعله؟".

"لا أستطيع العزف على البيانو مثلك، ولكنني متخصص بالضغط على الأزرار".

انحنى مرة أخرى في كرسيه، وشبك يديه على الطاولة "الأمر ليس جنسيًا؟!".

عبست: "ما هو غير الجنسي؟".

"مشكلتك مع والدك ليست جنسية، أقصد لم يتحرش بك أو يعتدي عليك عندما كنت طفلة".

"لا، إنه وحش، لكنه يحب النساء الأصغر سنًا، وليس الأطفال".

"لقد تزوج بعد عام من انتحار أمك".

"لم يسعني القيام بشيء حيال ذلك".

"هل أردتِ القيام بشيء".

"لقد شوه ذكرى والدتي بزواجه من أوجيني".

"لا أظن أن في زواجه مشكلة، أليس كذلك؟".

"ولكنها مشكلة بالنسبة إليّ".

"ولكنها ليست مشكلة في الواقع".

"كان يفكر بأوجيني عندما كانت أمي على قيد الحياة".

"أتعنين بقولك هذا أن لا أذهب إلى أبعد من ذلك؟".

تجاهلته: "اذهب إلى حيث تشاء".

"لماذا تعتقدين أن والدك قتل أمك؟".

سبق لها أن أزاحت كأس النبيذ نصف الممتلئة جانبًا. ذهلت من بصيرته، فالتقطت الكأس وشربت.

ارتشف موشيه قليلًا من نبيذه، كما لو أن هذا الشراب الذي يشربانه بمثابة رابط من نوع ما بينهما.

قال: "بعد الانتحار دائمًا ما يشرّحون الجثة".

"يفترض قيامهم بذلك، ولكن ليس دائمًا، ووفقًا للولاية القضائية والظروف، فإن الطبيب الشرعي له سلطة تقديرية".

قال: "هل لديك دليل على جريمة القتل؟".

"كان يفترض به أن يغادر ذلك الصباح، وأن يكون في فندق على بعد 400 ميل، حيث سيحيي حفلة موسيقية في الليلة التالية، ولكن عندما استيقظت سمعتهما يتشاجران".

"ماذا فعلت عندما سمعتهما؟".

"وضعت الوسادة على رأسي، وحاولت العودة إلى النوم".

"هل نمت مجددًا؟".

"لبعض الوقت". وضعت كأس النبيذ جانبًا. "كان هناك تلك الليلة، لقد سمعته. لديّ سبب آخر للتأكد من أنه كان هناك. لكن ما من دليل دامغ. وهو متمرس في التخويف والتلاعب".

"هل كنت خائفة منه؟".

"نعم".

"لا تزالين غاضبة من نفسك لأنك خفتِ منه وقتها".

لم تقل شيئًا.

"هل تلومين نفسك؟".

"على ماذا؟".

"لأنك عاودت النوم عندما سمعتهما يتجادلان، هل تعتقدين أنك لو توجهت إليهما، ما كانت أمك ميتة الآن".

"لا أعتقد... لو توجهت إليهما كنت سأموت أيضًا. كان سيرتب الأمور لتبدو وكأنها قتلتني قبل أن تنتحر".

كان توقيت صمت موشيه رائعًا مثل معزوفة ك-488 لموزارت، التي كانا يستمعان لها.

قالت جين: "ما ألوم نفسي عليه هو عدم التحدث في وقت سابق. والسماح له بإخافتي".

"كنتِ مجرد طفلة".

"لا يهم. في الأزمات، إما أن تعطي كل ما لديك أو لا".

أغلق موشيه زجاجة النبيذ، التي كانت نصف ممتلئة تقريبًا.

قال: "لا يبدو لي أن هوسك هذا مرتبط بانتحار نِك، فجذوره تعود لتسعة عشر عامًا".

أكل الفراولة التي سبق له أن وضعها جانبًا وقال: "أنت تسعين وراء الانتقام لنِك ووالدتك، ولكنه ليس هدفك الأساسي".

انتظرت وهو يخلع نظارته، ويُخرج منديلًا من جيب صدريته، وينظف به عدستي النظارة.

قال: "أنت تريدين تحطيم حلقة هذه المؤامرة، وسجن من يقف وراءها، وقتله إذا لزم الأمر، وإبعاد الظلم، وإحقاق الحق، لذلك لن يكون هناك خطر بأن تشعري أن هناك شيئًا كان ينبغي عليك فعله، أو تستطيعين القيام به لتصحيح الخطأ. لا يمكنك أن تعفيه من الحزن، لكنك تريدين أن تعفيه من الشعور بالذنب الذي أكل قلبك كل هذه السنوات. هل يمكن أن يكون هذا هو الحال؟".

"هذا هو الحال. لكن هناك الكثير أيضًا، أريد له عالمًا حيث الناس لا يعانون من الأفكار؛ لا صلبان معقوفة، لا مطرقة ومنجل، لا رضوخ للنظريات اللاإنسانية التي تؤدي إلى عشرات الملايين من القتلى. أرى النظرة التي ترمقني بها يا موشيه، أعلم أنني لا أستطيع تغيير العالم. أنا لا أعاني من متلازمة جوان آرك. هذه الأشياء هي ما أريدها له، لكن إن كان كل ما يمكنني فعله هو أن أجنبه الشعور بالذنب، سأكون قد فعلت شيئًا جديرًا بالاهتمام".

قال بعد أن وضع نظارته: "إذا كنت تدركين بالضبط ما هي المشاعر القوية التي تدفع هاجسك ربما عليك أن تعترفي عندما تبدأ العاطفة بالتغلب على العقل، إذا كنت تستطيعين إخضاع الجرأة التي تعززها العاطفة، وكبح جماح التهور، فقد يكون لديك فرصة".

"كل ما أنا بحاجة إليه هو أدنى فرصة ممكنة حتى أستمر".

"جيد. إذا كان تقييمك للحالة صحيحًا، فإن أقل فرصة هي كل ما تمتلكينه".

## 2

في وادي سان فرناندو، في غرفتها في الفندق، لم يكن لدى جين لا الطاقة ولا القوة على التفكير ومراجعة المواد التي حصلت عليها من جيمي رادبورن. وضعت الكيس الثقيل المليء بالوثائق في الخزانة، ولم تكن بحاجة إلى الفودكا أو الموسيقى للنوم. خلدت إلى السرير وسرعان ما غرقت في الأحلام.

قرابة منتصف الليل، أيقظها صوت رصاص، وصوت محرك سيارة، في الواقع سيارتين. صوت صرير العجلات وصراخ رجل، لم تكن كلماته مفهومة، ثلاث رصاصات أخرى في تتابع سريع، ربما كانت ردًّا على الرصاصات التي أطلقت.

أخرجت مسدسها من تحت الوسادة حيث لم يسترح أي رأس، جلست في الظلام، لكنها لم تخرج من سريرها. سمعت صوت احتكاك معدني ربما عنى أن سيارة ارتطمت بأخرى، وربما اصطدمت إحدى السيارتين بسيارة متوقفة في أثناء فرارها.

انحسر صوت هدير المحركات بعد أن ابتعدت السيارتان، وتلاشى إلى ترددات منخفضة، في اتجاهين، كما لو أن السائقين، بعد تبادل إطلاق النار فرا باتجاهين مختلفين.

ظلت جالسة لفترة، ولكن لم يحدث شيء أكثر من ذلك. لا صفارات شرطة، ولم يبلغ أحد عن إطلاق النار.

أعادت المسدس إلى أسفل الوسادة، لم تكن في عاصمة الجريمة في الولايات المتحدة، فهذا الشرف محجوز لشيكاغو، بالرغم من أن الولايات الأخرى سعت إلى أن تكون قادرة على المنافسة. بينما كانت مستلقية مرة أخرى، اعتقدت أن الحادث كان مجرد ضوضاء بيضاء، والعنف المستمر والفوضى كانا بمثابة خلفية للحياة المعاصرة. أصبح الناس معتادين على الضوضاء البيضاء لدرجة أنهم لم يعودوا يكترثون لنوبات العنف ذات المعنى الأكبر، مثل الارتفاع السريع في حالات الانتحار. لم تبقَ مستيقظة لفترة طويلة حيث فكرت في أن ترافيس بأمان مع غافين وجيسيكا، حيث يقوم الكلبان بدورية حراسة في الليل لحماية المنزل. عادت إلى النوم.

## 3

في تمام الساعة 4:04 استيقظت جين واستحمت، وارتدت ملابسها إلى جانب طاولة الطعام المستديرة الصغيرة، وأخذت تعاين تقارير الطبيب الشرعي عن حالات الانتحار في اثنتين وثلاثين ولاية قضائية. كانت أربعة منها في المدن الكبيرة، واثنتا عشرة في المدن المتوسطة الحجم، وثمان في الضواحي، وثمان في مناطق سكنية متفرقة، حيث يعمل الطبيب الشرعي في مقاطعة واحدة على متابعة جميع البلدات الصغيرة المحيطة بها.

جاء كل تقرير مع صور للجثة في الموقع. حاولت ألا تنظر إليها في البداية، لكن البدائية المتمردة التي تعيش في الدماغ البشري التي تعتبرها جانبًا مظلمًا جدًا للمنظر الحضاري، تجعل العين خائنة أحيانًا.

بالرغم من أن القانون يتطلب من الناحية الفنية تشريح الجثة في حالة الانتحار، فإن معظم الولايات القضائية تسمح للطبيب الشرعي باتخاذ القرار في الحالات التي يجد فيها أنه لا شك في أن المتوفى قد انتحر. بينما الموت على يد شرطي، والذي لا يعد شكلًا من أشكال الانتحار، سوف يتبع دائمًا بتشريح للجثة، وضجة إعلامية وربما محاكمة.

على النقيض من ذلك، في حالة شخص لديه تاريخ من الاكتئاب، ولديه محاولات انتحار سابقة، ستجرى له اختبارات الدم للكشف عن المخدرات، وستخضع جثته لفحص بصري دقيق بحثًا عن أي علامات عنف قد يكون لها علاقة بسبب الوفاة، ولكن في غياب أي مؤشرات على القتل، فإن التشريح وفحص الأعضاء الداخلية لن يحصل بشكل روتيني.

عندما عاينت جين عينات الملفات من مدينتين كبيرتين - نيويورك ولوس أنجلوس - وجدت ثلاثة أمور مثيرة للاهتمام. أولًا، كان عدد الحالات التي يبدو فيها أن الانتحار لعضو مرموق في المجتمع المحلي، ومستقر عقليًا، وسليم بدنيًا، مع وجود أسرة سليمة، وعمل مزدهر، أعلى حتى من الإحصاءات الوطنية المشار إليها.

وكانت هذه الظاهرة ملفتة للنظر، وكثيرًا ما عاينها الأطباء ونواب الأطباء الشرعيين الذين أجروا عمليات تشريح أساسية أو واسعة النطاق في تقاريرهم.

ثانيًا، في نيويورك، وافق المدعي العام للولاية، بالتنسيق مع المدعي العام لمدينة نيويورك، على مبادئ توجيهية جديدة للمعاينين الطبيين تسمح بإغلاق ملفات حالات الانتحار مع إجراء فحص بصري للجسم واختبارات السموم المعتادة فقط. وأشاروا إلى القيود المفروضة على الميزانية، وعدم وجود عدد كاف من الموظفين. هذه المبادئ التوجيهية الجديدة، أزعجت بعض المعاينين لدرجة أنهم أشاروا إليها في تقاريرهم، بهدف حماية أنفسهم من ادعاءات التقصير المحتملة في المستقبل.

ثالثًا، في كاليفورنيا، أبدى بعض الأطباء الشرعيين انزعاجًا لأن المدعي العام للولاية أشار في العام السابق إلى نقص في الميزانية ونقص في الموظفين عند إصداره

لتحذير - وليس مجرد مبادئ توجيهية، كما هو الحال في نيويورك - إلى جانب الرغبة في خفض التمويل لأي مدينة أو مقاطعة يعمل فيها مكتب الطبيب الشرعي حسب تقديره على إجراء تشريح كامل للجثث في "الحالات التي لا تنطوي على أدلة واضحة أو اشتباه معقول في القتل، والقتل من الدرجة الثانية، أو القتل الخطأ".

والسبب الذي يقف خلف الحدّ من عمليات التشريح في حالات معينة هو الرغبة في التركيز بشكل أكبر على العدد المتزايد من جرائم القتل التي يرتكبها أفراد عصابات المخدرات والإرهابيون. أشار الأطباء الشرعيون في منظمة سونيك الاستشارية لذلك لحماية أنفسهم.

ويبدو أن النمو في عدد الموظفين الحكوميين في السنوات الأخيرة يُكذب النقص في الموظفين الذي يتحدث عنه.

لم تستطع جين إلا أن تشك في أن المدعي العام في أكبر ولايتين في البلاد كان يشارك في قمع الأدلة المتعلقة بارتفاع عدد حالات الانتحار بين الأشخاص الذين لم يكونوا ليقدموا على ذلك.

ما الأمر الذي كانوا متورطين فيه؟ هل كانوا على دراية بسبب هذا الوباء الأخير؟

إذا كانت شركة للتكنولوجيا الحيوية في القطاع الخاص والحكومة متورطتين في مشروع رفع معدلات الانتحار فما هو الغرض منها؟

هل كانت حالات الانتحار أثرًا جانبيًا غير متوقع... أو نتيجة مقصودة لما كانوا يفعلون؟

نوبة القشعريرة التي أصابتها لم تنتهِ، بل شقت طريقها بشكل أعمق. أحضرت كوبًا مقدمًا من النزل بالإضافة إلى علب من القهوة الفورية، وجهازًا رخيصًا لغلي الماء. حضرت كوبًا كاملًا مع ظرفين من القهوة وراحت تسير في أرجاء الغرفة، وتشرب القهوة ساخنة قدر استطاعتها، ولكن نوبة القشعريرة كانت عنيدة.

## 4

لم تجد جين شيئًا بعد فحوصات الدماغ في ملفات تشريح الجثة. كانت حريصة على اكتشاف إشارة إلى الشكل غير الطبيعي في المادة الرمادية في المخ تشير إلى الانتحار.

بالكاد أشعرتها القهوة بالدفء، ومع ذلك قررت أن تأخذ استراحة من تقارير الطب الشرعي، وترى ما يمكنها أن تقرأه عن المحسن، ديفيد مايكل. العضو في مجلس إدارة معهد غرينسبنك، الذي يحضّر المؤتمر السنوي "ماذا لو"، و"صندوق الشتلات"، حيث كان قد عمل مع الرجل الثري ت كوين يوبانكس، والذي كان أحد المنتحرين.

التقرير عن ديفيد مايكل بدا كاملًا لدرجة أن جيمي رادبورن كان يستحق تكريمًا في قاعة مشاهير القرصنة الإلكترونية لو كان هناك مثل هذه القاعة.

كان ديفيد مايكل، البالغ من العمر أربعة وأربعين عامًا، الوريث الوحيد لثروة أسرة سبق لها أن عملت في إنشاء السكك الحديدية. تضخمت ثروته بسبب الاستثمارات في النفط، والعقارات، وقد درت استثماراته الأخرى عائدات مرتفعة خلال القرن الماضي.

بالرغم من أنه ورث الثروة، إلا أنه أثبت أنه وارث جيد، حيث موّل شركات ناشئة في مجال التكنولوجيا الفائقة، وكانت عينه على الشركات الجديدة ذات الآفاق الكبيرة. قبل ثلاث سنوات انتقل من ولاية فرجينيا إلى بالو ألتو، ليكون بالقرب من العديد من شركات سيليكون فالي التي كان لديه اهتمام بها.

كانت هناك صور لديفيد الذي، بالرغم من مجيئه من عالم أسهم الشركات الناشئة، فضّل أسلوب حياة غير متكلفة. شعره الأشقر مصفف بطريقة عشوائية، وكأنه لا يستخدم لتمشيطه سوى أصابعه، إلا أن جين تمكنت من تمييز عمل مصفف شعر يتقاضى خمسمئة دولار.

عُرف عنه حضور اجتماعات العمل المهمة منتعلًا أحذية رياضية ومرتديًا الجينز، وقميصًا غير مكوي، ولكن في العديد من الصور كان يطوق معصمه بساعة قيل إنها من مجموعته من الساعات التي يتراوح ثمن الواحدة منها بين خمسين ألف دولار إلى ثمانين ألفًا.

في العديد من المنشورات، ذكرت أعماله الخيرية، والتزاماته تجاه جميع أنواع القضايا العامة. كانت جين تعرف أي نوع من الأشخاص هو، وأدركت تحضيره لكل ما يقوم به أو يدلي به أمام العامة. كان الجميع معجبين بالملياردير المتمرد الشاب الذي بدا حزينًا بالرغم من ثرائه والذي ينفق مبالغ كبيرة يمكن أن تؤدي إلى إفلاسه. أي

أجزاء من شخصيته العامة كانت حقيقية، وما هي الأمور التي لا يعرفها أحد سواه، وزوجته، ومستشار صورته، والتي ربما لا تعرفها زوجته.

من بين الشركات التي ازدهرت برأس ماله الاستثماري شركة شينيك تكنولوجي، وفي الآونة الأخيرة، شركة فار هورايزونز. كان شينيك وديفيد مايكل شريكين في فار هورايزونز. إن لم تجد جين مؤامرة فقد وجدت علاقة بين بيرتولد شينيك وديفيد جيمس مايكل، وفار هورايزونز.

المشكلة ستكون في الاقتراب بالقدر الكافي من أحد الرجلين لوضعه في قبضة كسارة البندق والحصول على المعلومات. لا بد أن الملياردير يحيط نفسه بحراس شخصيين من أعلى مستوى.

بالرغم من أن ثروة شينيك كانت أقل بكثير من مستثمره الرئيسي، ربما كانا متورطين في هذه المؤامرة من خلال فار هورايزونز. المعلومات التي تمتلكها من شأنها أن تلحق ضررًا بالغًا أو تدمر كلا الرجلين، لذا كانت معلومات سرية لا يمكن للعامة الاطلاع عليها.

اكتشفت جين في نهاية تقرير جيمي ما قد يكون بابًا خلفيًا لشينيك والمكون من جملة واحدة فقط مع تفاصيل غير كافية: يبدو أن بيرتولد لديه اهتمام خفي بعمق في شبكة الوب المظلم التي قد تكون أو لا تكون منزلًا غريبًا للدعارة.

كانت تعرف ما تحتاج إلى القيام به بعد ذلك.

سيكون الأمر خطيرًا.

لم تهتم بالمخاطر، فهذه الأيام كل شيء خطير، فالقيادة للذهاب إلى العمل كانت بمثابة تذكرة إلى الموت في فيلادلفيا.

## 5

منذ الساعة الثامنة، وخادمات الفندق يتحدثن بهدوء باللغة الإسبانية، وقد بلغت أصوات قعقعة عربات معداتهن غرفتها. كانت الساعة قرابة العاشرة، لا تريد جين أن تتأخر حتى الحادية عشرة، بالرغم من علامة عدم الإزعاج الموضوعة على الباب، قد تأتي ثلاث منهن للطرق على الباب، والتحقق بشكل مهذب إن كانت تريد تنظيف غرفتها.

كلما قل تفاعلها مع موظفي الفندق، قل احتمال تذكرهم لها.

إلى جانب ذلك، لقد أمضت ليلتين هنا، لم يسبق لها أن بقيت في أي مكان لوقت أطول من هذا. الكائن دائم الحركة يميل إلى البقاء متحركًا، والكائن الساكن لمدة طويلة ستنحر عنقه.

حمّلت حقائبها في سيارة الفورد، وأعادت مفتاح الغرفة إلى مكتب الاستقبال، حيث سألت عن عنوان أقرب مكتبة.

اشترت القهوة وشطيرتين، من أحد محلات ماكدونالدز، تناولت الطعام في السيارة، ورمت نصف الخبز. بدا الطعام أفضل من مظهره، وبدت القهوة أسوأ مما أوحت به رائحتها، سبق لها أن تناولت حبة دواء لتخفيف حموضة المعدة.

استخدمت حاسوب المكتبة للبحث عن أقرب المتاجر التي تبيع اللوازم الفنية، والمعدات المخبرية، ولوازم النظافة. ما من شيء في بحثها هذا يمكنه أن يجلب إليها انتباه الأشخاص الذين يبحثون عنها.

بحلول الساعة الواحدة، كانت قد حصلت على قناني الأسيتون، وعلبة من مسحوق التبييض، وأوعية المختبرات الأساسية التي طلبتها، وبعض المواد من صيدلية.

وجدت في ترزانا فندقًا مقبولًا، حيث اختارت البقاء لأنها لم تزر تلك المدينة من قبل، وستكون غريبة عن الجميع. لقد استخدمت بطاقة هوية مزورة مختلفة عن تلك التي قدّمتها في الفندق السابق، ودفعت نقدًا ومقدمًا.

انعكست صورة السرير الكبير في مرايا أبواب خزانة الملابس حيث وضعت الكيس المغلق قبل وضع الحقائب، وخبأت المناظير، وملقط لوك آيدز الذي لا يباع سوى لأجهزة إنفاذ القانون، ولكنها حصلت عليه بشكل غير قانوني، من نفس الأشخاص الذين اشترت منهم الفورد إسكيب، بالإضافة إلى كاتم صوت لمسدسها.

بحلول الساعة الخامسة، كانت تعمل في الحمام، مرتدية قناع الوجه الجراحي، وقفازات النتريت، استخرجت كمية من الكلوروفورم من الأسيتون من تفاعل كلوريد الجير من مسحوق التبييض، وعبأتها في ست زجاجات رذاذ اشترتها من متجر لمستحضرات التجميل، ووضعتها جانبًا، ثم نظفت الفوضى التي خلفتها.

عندما خرجت، في وقت متأخر من بعد الظهر إلى الضواحي حيث كان ضوء الشمس خافتًا. لم تكن رائحة الهواء الدافئ المنبعث من عوادم المركبات مؤذية، ولكن مع ذلك علقت في الهواء رائحة غير مستساغة.

استمتعت بعشاء من فيليه ميغنون في مطعم على بعد شارع من الفندق، وهي واثقة أنها لن تكون وجبتها الأخيرة في هذا العالم.

## 6

في وقت سابق، وقبل قليل من بلوغ الساعة الرابعة وفقًا للتوقيت الشرقي، كان رئيس القسم ناثان سيلفرمان في مكتبه في كوانتيكو عندما تلقى مكالمة من العميل المسؤول عن المكتب الميداني في لوس أنجلوس يبلغه أن مكتب ساك سيرسل له تقريرًا بشأن حادث في اليوم السابق، في سانتا مونيكا، ينطوي إما على شخص ينتحل شخصية العميلة الخاصة جين هوك من مجموعة الاستجابة للحوادث الخطيرة أو أنها العميلة الخاصة هوك نفسها.

ذكر التقرير أن الحادث كان غريبًا، ولكن يبدو أنه لم ينطوِ على أي جريمة سوى احتمال انتحال شخصية أحد عملاء المكتب. كان مكتبه الميداني من أكثر المكاتب ازدحامًا في البلاد، ولم يكن لديه الكثير من الوقت لإضاعته على شيء تافه. قدمت وحدات التحليل السلوكي الخمس مساعدة كبيرة لمكتب لوس أنجلوس في الحالات البارزة الأخيرة، ومع ذلك، يحترم مكتب ساك سيلفرمان وموظفيه. سيتم الانتهاء من التقرير وإرساله بحلول الساعة التاسعة بتوقيت الساحل الشرقي.

عند السابعة والنصف من ذلك المساء جلس سيلفرمان لتناول العشاء مع زوجته، ريشونا، إنهما متزوجان منذ ثلاثين عامًا ويقطنان في منزلهما على مشارف الإسكندرية، على بعد حوالى خمسة وعشرين ميلًا من كوانتيكو. جلسا متقابلين إلى طاولة غرفة الطعام.

كان أولادهما في الكلية وهما بمفردهما. كان يمكن أن يأكل هو وريشونا في المطبخ مع جلبة أقل بكثير، لكنها أصرت على الجو الأكثر أناقة في غرفة الطعام.

عندما تطبخ، وهو ما تقوم به معظم الليالي، تجعل العشاء بمثابة حدث مهم، مع الصواني الفضية ومائدة الطعام وكاسات الكريستال، والمناديل الملفوفة والموضوعة في حلقات، ويترافق ذلك مع أضواء الشموع.

يعتبر سيلفرمان نفسه محظوظًا، بزوجة جميلة يعتبرها أفضل صديق له، وهذا ما يتيح له مشاركتها أي شيء والوثوق بتقديرها للأمور.

تحدث عن يومه أثناء تناولهما سلطة السيزر الاستثنائية، وبعد ذلك تناولا شرائح سميكة من سمك سوردفش المطهو.

في أعقاب الهجوم الإرهابي على فيلادلفيا يوم الاثنين، كانت التحقيقات، ودعم العمليات، وكذلك وحدتا التحليل السلوكي 1 و5 جميعها مع مجموعة الاستجابة للحوادث الخطيرة غارقة في طلبات المساعدة، واليوم، الخميس، كان أول يوم يعود فيه ناثان إلى المنزل قبل الساعة الثامنة. كان لديه الكثير ليخبرها به، لكن موضوع التقرير من مكتب لوس أنجلوس الميداني كان محور محادثتهما.

أقام ناثان سيلفرمان علاقة مهنية منضبطة وعلاقة اجتماعية لم تكن شائعة في المكتب مع أفضل الرفقاء له. ريشونا تعرف جين جيدًا، وتعتبرها فردًا من الأسرة. حزنت لما حلّ بنِك، وبشكل لا يقل عنه على جين، ولطالما كانت تسأل لتطمئن عليها.

قال ناثان: "لم أطلب منها شارتها، اعتقدت أنني أعرفهما بما فيه الكفاية، وكنت متأكدًا أنها ستعود إلى العمل في غضون شهرين، أو حتى ستة أسابيع".

قالت ريشونا: "إنها لا تملك قلبًا من الحجر".

"لا، لكنها أصبحت تمتلك قلب أسد. فاجأتني قبل شهرين عندما تقدمت بطلب لتمديد إجازتها، قد تتذكرين بأنها اتصلت حينها".

"كانت تريد القيام بجولة في شتى أنحاء البلاد مع ترافيس، وهذا ما أعتبره جيدًا للصغير فقد كان مولعًا بنِك".

"حسنًا، أعطتني رقم هاتف جديدًا لأتمكن من الاتصال بها، لكنها أملت أن أتركها لفترة. لديّ رقم منزلها وأرقام الهواتف الخلوية، لذلك افترضت أن هذا كان مجرد هاتف جديد وله رمز المنطقة نفسه".

توقف لتذوق السمك ولكن زوجته، تعلم أنه في العادة يصمت ليضفي التشويق على ما يقوله، لأنه يجد متعة في جعل أبسط الأخبار مشوقة، لكن صبرها نفد بعد خمس ثوان. "لا تجعل المشهد شكسبيريًا يا ناثان. ماذا عن الهاتف؟".

"حسنًا لقد تركتها فترة كما طلبت، لكن عندما جاء هذا الخبر من لوس أنجلوس، كدت أن أتصل بها. لا أعرف لماذا. حقًا لا أعرف، ولكن بدلًا من ذلك، طلبت من أحد خبراء الحاسوب الشبان لدينا العثور على عنوان الهاتف، فقط كخدمة شخصية، وليس كعمل يخص المكتب، فبالرغم من كل شيء، ليس هنالك جريمة. تبين أن الرقم ليس هاتفًا ذكيًا. إنه مجرد هاتف محمول مؤقت من النوعية الرخيصة".

"هاتف مؤقت؟".

"اشترته من وول مارت في الإسكندرية، فُعّل في اليوم الذي تحدثت فيه إليّ، ولم تعاود استخدامه".

دون إعلان مسبق من البرق أو الرعد، قرع المطر الهادر بثبات على السطح مصدرًا صوتًا قويًا شبيهًا بقرع الطبول، فنظر هو وريشونا إلى السقف متفاجئين.

قالت: "سنرى الآن إن كنت قد أصلحت المزراب بشكل جيد".

"عندما تتأكدين من ذلك، سأكون قد وفرت أربعمئة دولار".

"آمل ذلك من كل قلبي. لا تعرف مقدار الحرج الذي ستشعر به إذا حدثت كارثة".

"أليست كارثة كلمة كبيرة بعض الشيء؟".

"كنت أفكر في مرحاض الضيوف".

بعد فترة من الصمت قال: "حتى ذلك الحين كلمة مصيبة قد تكون أدق".

"أنت محق، وأنا أبالغ.. إنها بالكاد كارثة. لماذا اشترت جين هاتفًا لتتصل بها؟".

"لا أعرف لماذا، لا أعرف حقًا، ولكن في طريق العودة إلى المنزل، قدت إلى سبرينغفيلد، ومررت بالمنزل الذي أعطتني عنوانه، لم يكن موجودًا".

"ما الذي لم يكن موجودًا؟".

"يوجد حيّ اسمه سبرينغفيلد فعلًا، ولكن المنزل غير موجود. لقد هدم. وعلّق على سياج البناء رسم لمهندس معماري لما سيبدو عليه المكان الجديد،

وذُكر أنه سيكون مكان إقامة عائلة تشن. لم يبدأ البناء بعد، لا يوجد طاقم بناء في الموقع. لا شك أنهم في مرحلة الحصول على الترخيص. سأتحدث مع شخص ما غدًا".

كانت ريشونا عبارة عن لوحة من الشكوك: "لن تبيع جين منزلها، وتنتقل، من دون أن تعطيك عنوانها الحالي، إنه انتهاك للقواعد".

بُني منزل سيلفرمان بمهارة، بحرفة بنائية وعمل دقيق، ولكن بطريقة أو بأخرى ضغطت العاصفة المفاجئة على الفضاء الواسع في غرفة الطعام. تمايلت ألسنة اللهب الناعمة مثل ألسنة الثعبان في الكؤوس الكريستالية.

قال ناثان: "وسيكون انتهاكًا للقواعد إذا غيّرت اسمها إلى تشن ولم تخبرنا. ومهما يكن التقرير القادم من لوس أنجلوس... لن يكون جيدًا يا ريشونا".

"الآن، ناثان.. عداك أنت.. جين هي الشخص الوحيد الذي لن يتحول إلى شخص سيئ".

"لم أقصد هذا"، قال ناثان بينما هطل المطر الغزير بشكل أقوى، وبدا أن توفير الأربعمئة دولار عندما أصلح المزراب بنفسه لم يكن خيارًا صائبًا.

"بالرغم من أنني أرجح أنني مخطئ، لكنني أعتقد أنها تعاني من متاعب ليست من صنع يدها، لدرجة أنها لا يمكن أن تخبر أحدًا بشأنها بمن فيهم أنا".

## 7

كان حي شيرمان أوكس يضم نسبة من المواطنين فوق سن الخامسة والستين أعلى من معظم المجتمعات المحلية في مقاطعة لوس أنجلوس، وكان متوسط عدد أفراد الأسرة اثنين، وهو من بين أدنى المعدلات في جنوب كاليفورنيا. كان حيًا هادئًا، وخاصة شوارع المنازل المبنية على التلال.

كان المنزل مبنيًا من الطوب مع نوافذ محاطة بأطر مزخرفة. انتصب تمثالان أسودان على جانبي الممر الأمامي، كما لو كان البناء مكتبة أو محكمة، بالرغم من أن المقيم فيه لم يكن لديه اهتمام في المكتبات ويتخيل نفسه ذكيًا جدًا ليضطر أن يقف يومًا أمام قاضٍ في محكمة. أحاطت فوانيس المسار المنخفضة بالممشى الأمامي.

وألقى مصباح الباب بوهج عبر الشرفة. ألقى الضوء بدفئه على نوافذ الطابق السفلي، ولكن الطابق العلوي كان مظلمًا.

قبل عامين، عندما كانا في الرابعة والخمسين والثالثة وخمسين، تقاعد ريتشارد وبيني برانويك، اللذان كانا يملكان هذا المنزل وانتقلا إلى سكوتسدايل، أريزونا.

عملا بجد، ولكن جِدّهما وعملهما الدؤوب تمثل في تحقيق ولدهما الوحيد- روبرت- نجاحًا كبيرًا في مهنته. وقفت جين على بعد منزلين، واستخدمت المنظار لمعاينة مكان إقامة العائلة، ودرست المكان لفترة.

لم يكن هناك أحد خارج المنزل لأن هذه المنطقة لم تكن منطقة أمن منخفض. إذا شاهد أحد الجيران رجلًا يتربص في الظلال، سيتصلون بالشرطة. مكتب فان نويس في شارع سيلمار قريب من شيرمان أوكس، ولن تتردد الشرطة في الاستجابة إلى اتصال يردها من هذا الحي.

على أي حال، لا يعتقد روبرت برانويك أنه يحتاج إلى الأمن هنا باستثناء نظام الإنذار المنزلي الاعتيادي للقبض على اللصوص. لو كان يشتبه بأنها تعرف هذا العنوان لما كان هنا الآن.

ربما كان وحده في المنزل بالرغم من أنها لم تُرجح ذلك، فشخص بطبيعته لن يهدأ إذا كان بمفرده. فالعزلة مخاطرة تجعله يأمل بأفعاله، وهذا بالتأكيد ما لم يكن يريده. كان هنالك بابان أعلى المنحدر، وقد انبعث من النوافذ توهج خافت، يبدو أن ما من أحد يقيم في المنزل وربما غادروا لتمضية الأمسية في الخارج.

بعد وضع القفازات ذات اللون الأسود والمطرزة بخيوط فضية. عبرت جين الشارع، وتوجهت إلى الجزء الخلفي من المنزل المظلم، وكانت متأهبة لمواجهة أي كلاب حراسة. امتدت حديقة خلفية واسعة وراء الفناء، وفصلَ سياجٌ العقار عن سواه، ولكن السياج لم يحدد نهاية العشب، حيث امتد ممر خشبي على حافة واد ضحل.

بدا المرج غير التقليدي فضي اللون تحت ضوء القمر مثل غابة يحلم بها فنان يحمل إبرة للنقش على لوحة أرضية بالشمع الأسود، ويمتلك عينًا غريبة.

يقع العقار على منحدر، وامتد جدار على طول الطريق حول كتل خرسانية مغطاة بالجص. وجدت طريقها بين الجص والأشجار باستخدام مصباح يدوي صغير،

وعبرت بوابة أوصلتها إلى جدار وراء منزل برانويك، وهناك أطفأت مصباحها اليدوي.

ما من بوابة هنا لعبورها، بل جدار بارتفاع سبعة أقدام، وجدار بهذا الارتفاع من السهل تسلقه. جلست على الجدار ذي الغطاء الخرساني لدقيقة، تدرس الفناء الذي يحجبه ظلام الليل والمسبح حيث طفا انعكاس القمر المكسور على الماء الأسود المتموج.

نزلت إلى العشب، ومشت حول المسبح، تمكنت جين بفضل ضوء خافت منبعث من إحدى النوافذ من رؤية المطبخ ومنطقة تناول الفطور في الطرف الغربي من المنزل، ولم ترَ أحدًا فيهما.

في نهاية الجهة الأخرى من المنزل هناك غرفة جلوس عائلية تواجه الفناء، وتقبع خلف باب زجاجي منزلق ثنائي الدرفة، جلس ثنائيٌ في الغرفة الرمادية الكبيرة، يشاهدان مطاردة للسيارات على شاشة التلفاز المسطحة المثبتة على الحائط. اخترق صوت هدير المحركات زجاج الباب.

حاولت جين فتح باب المطبخ، لكنه كان مقفلًا.

ازدادت إثارة الفيلم، ولكن باب المطبخ المقفل قريب جدًا من غرفة الجلوس العائلية، فإذا انتهت مطاردة السيارة وتلتها لحظة صمت تمامًا في لحظة سحبها ملقط لوك آيدز فقد تلفت انتباههما. توجهت إلى الجهة الغربية من المنزل. في منتصف ذلك الجدار الطويل، واجه باب فرنسي واحد الحديقة حيث رأت كرسيين من الحديد المطاوع يحيطان بنافورة تتوسط حوضًا، لم تكن النافورة قيد العمل.

لم يضيء أي مصباح خارج الباب، ولكن بعض الضوء وصل من الردهة عبر الباب الداخلي. بدت الغرفة وكأنها قاعة دراسة: مكتب، ورفوف للكتب، وكرسي.

أمسكت جين المسدس، وكشفت بوميض سريع من مصباح يدوي عن قفل مونيست مركب مع أسطوانة في ثقب المفتاح.

في وقت سابق، كانت قد ربطت ملقط اللوك-آيدز إلى حزامها بأربطة حذاء. أدخلت دبوسًا في ثقب المفتاح. عندما سحبته، التقط القفل، برمته أربع مرات قبل أن ينفك.

أمسكت اللوك-آيدز، ومشت إلى الداخل. أغلقت الباب خلفها. رأت حاسوبًا على المكتب، وبدلًا من الكتب على الرفوف كانت هناك مجموعة حرب النجوم.

من الجزء الخلفي من المنزل، سمعت صوت صرير إطارات، ومحركات سباق، وإطلاق نار، وموسيقى أضيفت إلى المشهد لتبعث فيه إثارة حتى لو لم تقدم الصور والقصة أي منها.

تسللت إلى الردهة المضاءة، وتحركت نحو الجزء الأمامي من المنزل لتلقي نظرة سريعة على الممر، تمكنت من رؤية المطبخ على إحدى الجهتين وغرفة الجلوس العائلية على الجهة الأخرى، وكانت كل المصابيح مضاءة.

بالعودة عبر القاعة، وصلت إلى مدخل المطبخ، في الوقت الذي دخلت شابة شقراء أتت من غرفة الجلوس وفتحت الثلاجة، ولم تلحظ تسلل جين خلفها.

ارتدت الفتاة بنطالًا حريريًا قصيرًا وبلوزة من الدانتيل، كانت ملابسها مثيرة.

أنزلت جين المسدس، وحملت القنينة الصغيرة التي تحتوي على الكلوروفورم، ودخلت المطبخ، معتمدة على الضوء القادم عبر الممر من غرفة الجلوس، واعتقدت أن ظهرها محمي لأن الفيلم كان يأسر كل انتباه الرجل.

الحظ يفضل الشخص الجريء، إلا عندما يتخلى عنه.

وقفت أمام الثلاجة، خلف الفتاة التي تفكر في المشروب الذي ستختاره. قبل أن تمسك الشقراء المثيرة علبة الصودا بيدها، خاطبتها جين بهدوء: "بيبسي؟".

ذُهلت الفتاة أمام الرذاذ المتطاير من قنينة الكلوروفورم الذي رطّب أحمر شفاهها الوردي ولسانها، وغمر فتحتي أنفها. لتنقلب عينيها الكبيرتين، وتفقد وعيها قبل أن تتمكن من الصراخ.

أحاطتها جين بإحدى ذراعيها، وأسندتها كي لا تسقط على الأرض وتصدر جلبة، وضعت قنينة الرذاذ جانبًا، وأنزلت الفتاة فاقدة الوعي إلى الأرض السيراميكية. تبخر الكلوروفورم عن شفتيّ الشقراء، ولم يعد له من أثر إلا حول فتحتي أنفها، ما استنشقته سيفقدها الوعي حتى تنهي جين مهمتها، وربما لا.

سحبت جين منديلين ورقيين من عبوة قريبة وطوتهما معًا، ورشت على أحد جانبي المنديل قليلًا من الكلوروفورم، ووضعت الجانب المبلل على وجه الفتاة. رفرف القناع المؤقت بعض الشيء مع كل زفير، راقبتها جين لتتأكد من أنها لا تعاني من مشكلة في التنفس.

ثم وضعت القنينة في جيب سترتها الداخلي، وأعادت حمل مسدسها، وتوجهت إلى الممر الذي يفصل بين المطبخ وغرفة الجلوس العائلية، كان الفيلم يحظى بكل اهتمام الرجل الذي يشاهد مطاردة بين دراجين، على طريق سريع، بين مجموعة من السيارات المسرعة. مثل هذه المشاهد تفترض بكاتبها أن لا يكون دماغه أكبر من دماغ فأر وبمخرجه أن يمتلك عبقرية لا يمتلكها سوى المخبولين.

تسللت جين حتى أصبحت خلف الرجل الذي كان منهمكًا بالمشاهدة، عندما انتهى المشهد بسقوط أحد الدراجين عبر جرف، وتلى سقوطه صوت انفجار دلّ على موته، قالت جين: "أليس لديك أوريو يا بوبي؟".

لا بد أن صوتها يشبه صوت الشقراء المخدرة على أرضية المطبخ، لأن الرجل لم يتفاعل مع سؤالها إلا بقوله بصبر نافد: "بلى، بلى". وهو يتابع على الشاشة محاولة تفادي الدراج الثاني الموت المحتم، بقفزه من فوق الجرف، وفتح مظلة كان يحملها على ظهره.

نكزت رأسه بالمسدس، فقال: "ما هذا بحق الجحيم؟". والتفت ليتفاجأ برؤيتها، وبسرعة حاول إنزال قدميه عن المنضدة التي يرفعهما عليها.

"حاولت أن تمسك بي في الحديقة. بعد أن وضعت بين يدي معلومات عن شينيك ومنزل دعارة غريب. أريد أن أطرح عليك بعض الأسئلة، ولكن احذر إن كذبت أو حاولت الهرب، فسأطلق رصاصة على رأسك، أتفهمني يا روبرت؟ أم جيمي؟ أو أيًا يكن اسمك".

# 8

كان الفيلم قد انتقل من الإثارة إلى الرومانسية، وكان المشهد الجنسي ذا مؤثرات صوتية أقل من مشهد المطاردة، أما موسيقاه فكانت خافتة.

كانت الشقراء التي تشبه دمية كبيرة ملقاة على أرض المطبخ، بينما جلس جيمي رادبورن والذي كان اسمه الحقيقي روبرت برانويك على الأريكة. كانت يداه عديمتا الشعر تشبهان يديّ روبوت، وجلده المشدود يشبه المطاط الذي يغطي طاولة المطبخ، وقد ملأ الخوف وجهه الطفولي، وومضت عيناه الرماديتان مثل زوج من المعاول يضربان أرضًا جليدية.

ضغطت جين كاتم الصوت إلى المسدس. وكما أرادت، أخافه كاتم الصوت بشكل لا يقل عن المسدس نفسه. لاحظ جديتها، فوضع المفكرة على الطاولة. في الوقت الذي كانت فيه جين تقف في الوسط بين جيمي والشقراء التي تتنفس ببطء.

"هل لمنزل دعارة شينيك موقع على شبكة الإنترنت؟".

"إنه الوب المظلم، مثل المشهد الذي فرغت لتوي من مشاهدته. إنه مظلم جدًا لدرجة أنه يجعل من فينيل كما لو أنه وول مارت. عنوان الوب غير مسجل رسميًا، إنه بمثابة خنزير أعمى".

"ماذا يعني لك هذا؟".

"يسمى نظام المجال بيغيباك، دوت أورغ، ولكن أحدًا من إدارة النظام لا يرى ذلك. اسم الموقع هو سلسلة طويلة من الحروف والأرقام العشوائية، لذلك لا يمكن لمحرك بحث أن يأخذك إلى هناك حتى بمئات الملايين من التركيبات الممكنة. كتابة مثل هذا العنوان العشوائي الطويل عن طريق الصدفة مستحيل. ستحتاجين إلى قرون حتى مع البحث الآلي. باختصار لا يمكنك الوصول إلى هناك إلا إذا كان لديك بالفعل العنوان عن طريق أصدقاء نقلوه لك من أصدقائهم على ما أعتقد".

"كيف وصلت إليه، جيمي بوب؟".

"ربما لم يحمِ أحد زبائني دفتر عناوينه بشكل كافٍ، بينما كنت أعمل لديه لاختراق حساب شخص آخر".

"جميع الأطراف فائزون".

كانت الشقراء تشخر في نومها، والمنديلان الورقيان يرفرفان على وجهها.

سألته جين: "هل تعرف العنوان الإلكتروني له؟".

"إنه مكون من أربعة وأربعين حرفًا وأرقام عشوائية. إنه أمر رائع، لكن لا أستطيع حفظ شيء من هذا القبيل. لا يستطيع أي شخص حفظه".

"لقد حصلت عليه من ملفاتك في فينيل".

"ولكن لا يمكن الوصول إليها في الوقت الحالي. لقد أطفأنا الأجهزة ألا تذكرين؟".

"هل دخلت إلى هذا الموقع المظلم؟".

"نعم".

"أخبرني".

"تظهر شاشة سوداء، ثم تعرض كلمة أسباسيا".

"اكتبها. ولا تجعلني أبدأ باقتلاع أسنانك".

كتب الاسم على المفكرة، قال: "بحثت عن الاسم. كانت عشيقة عمدة أثينا أو شيء من هذا القبيل في عام أربعمئة قبل الميلاد. تعطيكِ الشاشة ثماني لغات للاختيار من بينها. يبدو أن الموقع يقدم خدمات عالمية. في اللغة الإنجليزية تحصلين على ثلاثة وعود؛ فتيات جميلات، منقادات تمامًا، ولا يعتبرن أي رغبة متطرفة".

"يبدو وكأنه منزل الدعارة الذي تحلم به. جيمي بوب".

"الموقع يقدم شيئًا أكثر من ذلك، وهو أمر مخيف جدًا؛ الفتيات راضخات، والصمت الدائم مضمون".

"ماذا؟ يقتلونهن بعد استخدامهن؟".

"قلت لك إنه كان مخيفًا جدًا. أنا لست المعتوه الذي تظنينه، ثم إن رسوم العضوية باهظة جدًا. مثل الانضمام إلى نادٍ ريفي حصري للغاية. ثلاثمائة ألف دولار".

"هراء".

"لم يصنعوا المكان بحيث يكون من المستحيل العثور عليه فقط، بل من المستحيل النصب عليه. الرجل الذي اخترقت قائمة اتصالاته يمكنه أن يتحمل تكلفة أكثر بمئة مرة من ذلك".

"كيف تعرف أن بيرتولد شينيك مشارك في ذلك؟".

"الرجل الذي كنت اخترق لصالحه مستثمر في تكنولوجيا شينيك. وهو يمتلك أرقام منزله ومكتبه. لم يدرج اسم أسباسيا في قائمة عناوينه بهذا الاسم بل أدرجه تحت اسم ملهى شينيك".

"اكتب اسم هذا الرجل".

""أنتِ تهينينني هنا".

"لم أهنك بعد، لكن سأكون سعيدة بذلك. اكتبه".

كتب الاسم "وليام سترلنغ أوفرتون. إنه محام بارع في الابتزاز، يفوز بتسويات ضخمة، ويعيش في بيفرلي هيلز. تزوج مرتين من ممثلتين جميلتين، ويواعد عارضات الأزياء. إذا كان يحتاج أيضًا لأسباسيا، فلا بد أنه مترع بهرمون التستوستيرون".

"جيمي أنت تملك الملايين، هل أنت متأكد من أنك لم تُسجل؟".

"أنا لا أدفع لممارسة الجنس".

"لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا".

"أيًا يكن الأمر، من المؤكد أنني لن أدفع، أنا لست من هؤلاء الرجال".

"كيف يدفع عضو جديد الرسوم؟ ما من ثري يريد أن يعرف الناس أنه يقوم بهذا".

"يفيد الموقع أنه يضمن عدم الكشف عن هوية الأعضاء، ويقول إن تتبع عملية الدفع مستحيل، بالإضافة إلى ذلك فشخص مثل أوفرتون لديه حسابات أجنبية، وشركات صورية".

"ألم تحصل على تفاصيل الدفع. قل الحقيقة؟".

نظر إلى المسدس بدلًا من أن ينظر إلى جين، وقال: "قبل عرض ترتيبات الدفع، يسألون عن هوية الراغب بالعضوية، ومن أحاله. كان بإمكاني القول إن أوفرتون هو من أحالني، لكنني ظننت أنهم سيتواصلون معه قبل أن تتم العملية. ومن يكذب في موضوع الإحالة، سيصبح في ورطة كبيرة مع أشخاص سيئين مثل هؤلاء".

قالت جين: "أنت عبقري في القرصنة، ألم تتمكن من اختراق النظام".

"خشيت أن أخترقهم، فيظهر تنين ذو لسان طويل، يلعقني ويدفعني لأعود حيث كنت، ويستلذّ بطعمي. لأنني عندما حاولت الدخول إلى الموقع بعد يوم واحد، لم أحصل حتى على اسم أسباسيا. الشاشة الأولى أظهرت عبارة مُت ثم اختفت الشاشة السوداء، ولم أعاود المحاولة مرة أخرى".

"ألم تحصل على عنوان مادي لمنزل الدعارة ذاك".

"يجب أن أكون عضوًا لأعرفه".

في مكان آخر من المنزل، سمعت صوت دفق مياه مرحاض.

كان الصوت مكتومًا، ولكن لا لبس فيه، وربما كان مصدره أحد غرف الطابق السفلي الذي يؤدي إليه باب المطبخ المفتوح. شخص حقق مراده بعد أن أمضى وقتًا طويلًا برفقة مجلة.

رمى برانويك قلمه في وجهها، واندفع ليحمل الكرسي ويلقي به نحوها، وصرخ في محاولة منه لتشتيت انتباهها: "كيب، إنها تحمل مسدسًا! اقتل الوضيعة!".

ما كانت لتقتل إنسانًا لم تكن واثقة أنه شرير، لأنها كانت مدربة على التصرف في ظروف يائسة. لكنها كانت تعرف الشر، وكان ردّ فعلها أن أطلقت النار على رأسه. انحنت ركبتاه، بينما أسرعت جين صوب نهاية الغرفة للحصول على رؤية واضحة للممر، سقطت جثته إلى الوراء.

# 9

وقفت جين عند عتبة الباب، حملت المسدس بيديها، وراقبت عيناها الممر أمامها والغرفة خلفها. في وسط الممر الضيق، رأت بابًا مفتوحًا سبق لها أن رأته مغلقًا. كان الباب إلى يسار غرفة الدراسة، إنه باب الحمام، وكان نصف مفتوح.

كيب، أيًا كان كيب، يمكن أن يكون في غرفة الدراسة، ويمكن أنه توجه إلى غرفة الجلوس أو غرفة الطعام، وربما لا يزال مختبئًا في الحمام، وفتح الباب ليخدعها.

كانت الممرات التي تصل بين الغرف بمثل سوء الأدراج، ولكن في حالتها هذه كان الممر خاليًا.

من الأفضل أن تغادر من باب الفناء، إلى أقرب مخرج. فلم تعد بحاجة إلى شيء في هذا المنزل، ولا داعي للمخاطر والدخول في مواجهة غير محسوبة النتائج.

تراجعت من الممر، ومشت نحو اليسار، إلى غرفة الجلوس العائلية. إن كان هناك من طريق آخر من مقدمة المنزل إلى غرفة جلوس العائلة، فقد يهاجمها كيب منه.

سمعت صوت وقع خطوات في الأعلى، لا بد أنه توجه إلى الطابق الثاني، ويبدو أنه عائد وهو مفعم بالحماسة من أجل القتال. فجأة حصل تغير في نوعية الصوت، فبدا صوتًا أجوف، إنه ينزل الدرج الأمامي بسرعة.

لا بد أنه صعد، وجلب سلاحًا، وعاد ولم يفكر بالخطر الذي ينتظره، كان بإمكانه الفرار، ولكنه يتوجه نحوها كما لو أنه ثور هائج رأى فيها لونًا أحمر أثاره.

مشت إلى الطاولة، وانتزعت الصفحة العليا من المفكرة، ودستها في جيب بنطالها الجينز.

أخذ صوت الخطوات في الممر يتصاعد.

ركضت نحو الباب الخلفي.

هزّ صوت رصاصة أطلقت من البندقية المنزل، واجتاحت المطبخ عاصفة من حشوات الرصاص، انتشرت من الباب، لتبصق الشظايا في كل مكان. حطّم وابل الحشوات المتوهج خزانات العرض العلوية، وغرانيت طاولة المطبخ، ومزق الغطاء الفولاذي المقاوم للصدأ فوق الموقد.

لن تصل إلى الباب الخلفي في الوقت المناسب. سمعته يشتم، وبدا لها أنه فقد السيطرة على غضبه. دخل المطبخ بعد أن أطلق الرصاصة.

استلقت على الأرض، بين الطاولة والباب، المخرج خلفها جهة اليسار، وإلى يمينها هناك جثة رجل مشوه وما بدا من ملامحه أظهره كثقب أسود.

اختبأت أسفل المنضدة بين قوائم الكرسي حيث لن تصاب بشكل مباشر، رأت حذاء رياضيًا أبيض وأسود يعبر الباب، وفي اللحظة نفسها انطلقت رصاصة من البندقية. لا بد أنه كان يحمل سلاحًا من نوع شوت-غن حيث سمعته يلقمّه قبل الإطلاق. وربما كان من النوع قصير القبضة ذي مخزن قياس 12- للدفاع عن النفس. لا يزال صدى انفجار الرصاصة الثانية يتردد في الغرفة، وعندما أطلق الرصاصة الثالثة ملأ الطنين أذنيها، لقد ألحقت الرصاصات أضرارًا في المطبخ. بدا لها أنه يسعى إلى تطهير المطبخ من أغراضه بالإضافة إلى الشخص الدخيل، لأنه أطلق الرصاصات الثلاثة عند مستوى الصدر.

لبرهة أحست أنها صماء جزئيًا، في تلك الأثناء رأت قدميه تتجولان في غرفة الجلوس العائلية. عندما توقف عن إطلاق النار، أدركت - أو ظنت نفسها أنها أدركت- أن المخزن من قياس 12- كان ذو ثلاث رصاصات فقط. وقفت جين على قدميها. كان الرجل ضخمًا كالجبل، لا بد أنه من كان يطاردها عندما كانت برفقة نونا.

وقف موليًا إياها ظهره العريض، وهو يتفحص أثاث غرفة الجلوس العائلية بحثًا عن شخص يختبئ خلف الأثاث، وهو يظن أنه طهّر المطبخ، لم يبدُ شخصًا تلقى تدريبًا في كوانتيكو، بل رجلًا تعلم استخدام البندقية من الأفلام الرديئة.

بحث عن رصاص احتياطي في جيب سترته الجينز. كان في مرمى نيرانها، ولكن لم يكن لها شأن به، وعوضًا أن ترديه قتيلًا، قررت التوجه نحو المخرج، من دون أن تستبعد إمكانية إطلاقها النار عليه خلال هروبها إن اقتضت الضرورة، بدا العملاق أنه لا يسمع الآن، ولم يكن وضعها أفضل، لأن الموسيقى عادت لتصدح بصوت عالٍ من التلفاز.

بدا مرتبكًا وهو يبحث عن ذخيرة في جيب سترته، فأوقعها، وبدلًا من تناول ذخيرة أخرى من سترته، انحنى ليلتقط ما أسقطه، لأنه عديم الخبرة، وربما ضخامة جثته جعلته يتوهم أنه أقوى من أن يتغلب عليه أي شخص وإن كان مسلحًا.

أدركت جين أنه لم يسمعها تفتح الباب الخلفي، بالرغم من قدرته على السامع كانت تعود إليه مثلها مع انخفاض صوت الموسيقى، عندما تناول الذخيرة عن الأرض، أطلقت رصاصتين نحو السقف، فحطمت المصابيح. سقط عليه الزجاج والشرر من سلك قصير، لكنه سمع أيضًا صوت الرصاص، لأنه لا يوجد كاتم للصوت يرتقي إلى اسمه تمامًا.

انخفض العملاق، واستدار نحوها. فرأت الشرر يتطاير من عينيه اللتين بدتا مثل مشعلين. في تلك اللحظة، لم يفكر لماذا أطلقت الرصاص على المصابيح وليس عليه، لم يكن قد ذخّر بندقيته، فاعتقد أنها أخطأت التصويب، فاندفع عبر غرفة الجلوس العائلية، جاعلًا من الأجزاء السفلية لخزائن المطبخ بمثابة متراس يفصل بينهما.

مجددًا أطلقت جين رصاصتين على الخزائن، فاخترقتا الخشب، وحطمتا الأطباق والأواني الجميلة داخلها.

خرجت إلى الفناء، استنشقت الهواء البارد، لتخرجه ساخنًا من رئتيها، وركضت إلى الجانب الغربي من المنزل، تحت جنح الظلام.

لو ذخّر بندقيته بالسرعة الكافية برصاصة واحدة، وركض خلفها، ما كان ليجد صعوبة في إصابة ظهرها، وإن لم تقتلها الرصاصة، فستسقطها أرضًا، وهذا ما سيتيح له تذخير بندقيته برصاصة أخرى ويجهز بها عليها.

عندما مرت بالكرسيين والنافورة، والباب الفرنسي الذي دخلت منه، شعرت بشيء على الجزء الخلفي من رقبتها، كما لو أنه النقطة الحمراء لوحدة رؤية الليزر تحدد المسار الذي يفترض بالرصاصة أن تسلكه لتقطع عمودها الفقري، وتنسف جذع دماغها. لكن البندقية التي حملها لم تكن مجهزة بوحدة ليزر، وعلى أي حال لا يمكن أن تشعر بنقطة ليزر عندما تسقط عليك. كل التدريب الذي يمكن أن يحصل عليه المرء، بما في ذلك التدريب المميز في كوانتيكو، لا يمكنه أن يكبح جماح المخيلة في وقت الشدائد.

وصلت إلى مقدمة المنزل، تعثرت للحظة، رفعت مزلاج البوابة الحديدية وهي تلهث، ثم فتحتها، ونظرت إلى الخلف، فلم ترَ أحدًا.

لو سمع أحد الجيران صوت الرصاص كان ليبتعد عن تلفازه أو حاسوبه ويقف خلف النافذة. لذا، لا ينبغي أن يراها أحد في الحديقة الأمامية حيث تلقي مصابيح الطريق، ومصابيح الشوارع القريبة ضوءًا كافيًا يتيح لشهود العيان تمييز بعض تفاصيل المشتبه به. فكت كاتم الصوت، ودسته في جيبها، وخبأت المسدس. وبسرعة محسوبة بدقة، عبرت العشب، وتابعت الرصيف صعودًا تحت الأشجار التي بدت وكأنها تهمس فوقها، وارتعشت ظلال أوراق الأشجار على الرصيف المضاء بالمصباح.

عبرت الشارع نحو سيارة الفورد، جلست خلف المقود، وأغلقت الباب، والتقطت المنظار الذي كانت تتفحص به المنزل قبل مدة.

إن لم يرَ الرجل الضخم الذي يشبه شخصية الهلك جثة روبرت برانويك الممددة خلف طاولة المطبخ عندما دخل المطبخ للمرة الأولى، فلا بد أنه رآها الآن. وإن لم يكن غبيًا، فسيدرك أن إطلاقه النار من البندقية، كان تصرفًا متهورًا، لذا يجب عليه مغادرة المنزل بسرعة لا تقل عن سرعة الضوء. وهذا ما حصل فعلًا، فقد انفتح باب المرأب عند الجهة الشرقية للمنزل، وخرجت منه سيارة كاديلاك إسكاليد كروز سوداء اللون.

شاهدت جين سيارة الكاديلاك لما وصلت إلى وسط المنحدر، حيث ظهر حامل البندقية وراء المقود تحت ضوء أعمدة الإنارة. توقعت منه أن يقود إلى أسفل التل، نحو الشقق. ربما كان قلقًا من مواجهة الشرطة وهي تستجيب لنداء عن إطلاق النار، لذا توجه نحو أعلى التل.

وضعت منظارها جانبًا، وانزلقت تحت المقود، بحيث لم يظهر منها أعلى حافة نافذة السيارة سوى عينيها.

عندما مرت الإسكاليد، كانت الشقراء في المطبخ تمسح أنفها بمنديل، مترنحة من آثار الكلوروفورم. على الأرجح أنها نجت من الرصاصات، التي كانت صوبت عاليًا بينما كانت هي ممددة أرضًا.

انتظرت جين حتى صارت الكاديلاك بعيدة عن الأنظار قبل أن تشغل سيارة الفورد، وتنير المصابيح الأمامية، وتقود إلى أعلى التل. سمعت صفارات الإنذار البعيدة، ولكن في مرآة الرؤية الخلفية، لم ترَ أضواء للدورية في ظلام الليل.

# 10

كان ناثان سيلفرمان يستخدم حاسوبه في مكتبه، عندما ورده التقرير من لوس أنجلوس عند الساعة 9:10.

منحته مهنته في تنفيذ القانون تقديرًا وفهمًا لغرابة الحياة وعدم القدرة على توقع تصرفات البشر. ولكن معظم المجرمين يمكن توقع تصرفاتهم كما يتوقع المرء أن تشرق الشمس دائمًا، ويرجع ذلك جزئيًا إلى افتقارهم للخيال. ولكن في كثير من الأحيان، يستطيع معظم الناس الأبرياء، الذين يبدون لطفاء، القيام بأمور سيئة لا يمكن لأحد أن يتوقعها.

بالمثل، في الأوقات الصعبة، أظهر الرجال والنساء العاديون، عبر التاريخ، عند ضرورة القتال، شجاعة للقيام بأعمال أسطورية في كل ساحات القتال. هذا الجانب الأفضل من الإنسانية حمى سيلفرمان من الانزلاق إلى هاوية قد لا يقدر على الخروج منها.

توقع أن تكون جين قوية، تحارب دائمًا بشجاعة وشرف. وحتى الآن، لم يكن لديه أي دليل على أنها فعلت خلاف ذلك، ولكن ما جرى في فندق سانتا مونيكا، كان أكثر من مجرد أمر مزعج. لماذا ادعت أنها تقوم بعملها في حين كانت في إجازة؟ من المرأة التي كانت على المزلاجين؟ وما الذي كان موجودًا في الحقيبتين؟

أُرفق التقرير الموجز، بصور ومقاطع فيديو من كاميرات أمن الفندق وردهة الاستقبال، لم تكن جودة المقاطع ممتازة، ولكنها جيدة بما يكفي له ليتعرف إلى جين هوك، بالرغم من أنها قصت شعرها وصبغته.

اتصل سيلفرمان المحتار بمكتب الوكالة في لوس أنجلوس، وطلب تزويده بتسجيلات كل كاميرات الفندق، ولم يكتفِ بذلك، بل طلب تزويده بتسجيلات الكاميرات الأمنية الخاصة بالحديقة إن كانت متوفرة، بالإضافة إلى الكاميرات التي تراقب حركة المرور في المنطقة، ليرى إن كانت قد سجلت أي شيء له علاقة بفرار المتزلجة عبر شارع أوشن، بحسب ما أدلى البواب.

استمر هطول الأمطار التي بدأت عندما كان يتناول العشاء، بالرغم من أن صوته كان أخف من قرع الطبول السابق.

اختار سيلفرمان أوضح صورة لجين، وحدد وجهها وكبره ليغطي كل الشاشة.

تضاءل الوضوح، فاستخدم برنامجًا يضاعف دقة الصورة حتى ظهرت ملامح وجهها بالتفصيل. كان بإمكانه قراءة التصميم في تفاصيل فمها، وفكها المشدود، وقرأ أيضًا القلق. لكن ربما كان ما قرأه مجرد خيال، مستوحى من المودة والإعجاب اللذين يكنهما لها، لكنه اعتقد أنه رأى اليأس أيضًا، نظرة شخص مُطارد ويسمع أصوات صياديه وهم يدنون منه.

## 11

قادت جين من شيرمان أوكس إلى الفندق في ترزانا. أعادت التفكير بكل حركة قامت بها في منزل برانويك، كانت تغطي يديها بالقفاز لذلك لا توجد بصمات، رأت نظام إنذار ولوحة مفاتيح بجانب الباب، لكنها لم ترَ أي كاميرات مراقبة، فقط أجهزة إنذار الباب والنوافذ الأساسية.

سيستعيد فريق التحري الجنائي الرصاصات الخمسة التي أطلقتها، لذلك هي بحاجة إلى تحطيم المسدس والتخلص من بقاياه، ولكن ليس قبل أن تحصل على بديل له.

اشترت الثلج وعلبة من الكولا من آلة البيع في الفندق.

أغلقت باب غرفتها، واستعادت عدة الصيانة من حقيبتها، وبالنظر إلى العدد القليل من الرصاصات التي أطلقتها في الأيام الثلاثة الماضية، لم يكن مسدسها بحاجة إلى تنظيف، ولكن عندما فكّرت بالرصاصة التي أطلقتها على ابن ريتشارد وبيني برانويك وما فعلته به، وشعرت جين بالحاجة إلى تنظيفه.

بينما كانت تُنظف المسدس، فكرت في جيمي بوب وما حدث معه، وحتمية حصول ما جرى، بمجرد أن ألقى قلمه في وجهها، ورفع الكرسي ليرميها به، واستنجاده بالرجل الضخم لقتلها.

شاركت خلال حياتها المهنية في عشرة تحقيقات لجرائم القتل الجماعي والمتسلسل، وشهدت ثماني نهايات لها. خمس قضايا انتهت باعتقالات من دون عنف. في السادسة، عميل آخر قتل رجلًا كان يهدد بقتل الأطفال. السابعة كانت تشارك في القبض على كروتشفيلد حاصد العيون الذي أطلقت جين رصاصة على ساقه. في الحالة الثامنة، كانت في مكان ضيق في مزرعة وحيدة مع عميل آخر مات أثناء مطاردة اثنين من المغتصبين القتلة المعتلين عقليًا، واللذين قتلتهما في نهاية المطاف، من دون ندم أو شعور بالذنب، ومع ذلك لم تتمكن من التخلص من ذكرى كيف أن حتى هؤلاء الرجال الأشرار ناشدوا الله وأمهاتهم، وبكوا مثل الأطفال، عندما استقرت الرصاصات في أجسادهم.

كان روبرت برونويك ضحيتها الثالثة، وهو شخص مخيف، مجرم يقوده الجشع وطعم السلطة. ومع ذلك كان أيضًا إنسانًا في ما مضى، تربى على أيدي والدين محبين اعتبراه نعمة لهما، وكانا ممتنين له لأنه أتاح لهما تقاعدًا مبكرًا، لم يكن لديهما أدنى فكرة كيف جمع أمواله حقًا، ولم يكن بيده القيام بأي شيء يتعلق بشكله الذي يحمل على الإشمئزار، فعوض عن ذلك بادعائه أنه كازانوفا متمرس في إغواء النساء، لكنه لم يكن الرجل الوحيد الذي يبالغ في تقدير جاذبيته. لم يكن القتل دفاعًا عن النفس جريمة، ولم تندم جين على قتلها هذا القرصان، لكن للحفاظ على إنسانيتها، يجب عليها أن تتذكر أنها أودت بحياة إنسان، بغض النظر أنه كان إنسان بغيضًا.

لقد كان مجال عمل رجال الشرطة والمحققين مختلفًا كل الاختلاف عن مجال عمل الجنود، بالأحرى كانا عالمين مختلفين. في الحرب، كثيرًا ما تقتل من مسافة بعيدة من دون أن ترى وجوه أولئك الذين تمنوا أن يقتلوك ويتركوا بلدك في حالة خراب، وإذا كنت في قتال قريب فقد تلمح وجوههم، لكنك لا تكون على معرفة بأي شيء عنهم. أما عند التحقيق بشأن رجل ما، ودراسته، ثم قتله، حتى وإن كان القتل بهدف إنقاذ حياة الأبرياء أو دفاعًا عن النفس، فهذا يتطلب شعورًا قويًا بالواجب... وقد

يترك المحقق أو الشرطي غارقًا في الشكوك، لكنها لم تشك في صواب ما فعلته، بل شككت أحيانًا في فهمها لقدرتها على القيام بذلك.

كان والدا برانويك ملتزمين بالقانون، بينما كان والد جين قاتلًا لزوجته. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: ما الذي يترك أثرًا في الشخصية أكثر: التربية أم الطبيعة (بمعنى فطرة الإنسان)؟

كلما سمحت لنفسها، فكرت أنها تخلت عن الموسيقى لتعمل في مجال إنفاذ القانون، وذلك لأنها كانت ترفض أن يرتبط اسمها باسم والدها الموسيقي الشهير، ولأنها تريد التكفير عن جبنها في الأسابيع والأشهر التي تلت مقتل والدتها، والذي اعتبر قانونًا بمثابة انتحار.

لكن إذا كانت بطبيعتها وريثة قابيل وليس هابيل، من الضروري اعتبار اختيارها لهذه المهنة أنه كان بهدف إضفاء الشرعية على عنف يكمن في مكان خفي من شخصيتها.

في المرات القليلة التي أثارت هذا الموضوع مع نِك، دائمًا ما قال لها: "نعم، الحياة معقدة، ولكن إن لم تكن معقدة، فإنها ستكون مثل القطار في مدينة الملاهي على مسار مستقيم؛ رحلة لا تستحق عناء القيام بها. صحيح أننا لا نعرف أنفسنا بالكامل، ولكن هذا لا يعني أننا غامضون بما فيه الكفاية كي لا نلفت نظر بعضنا. إن كنا نعرف أنفسنا بما فيه الكفاية، فما هي الحكمة من وجودنا في هذا العالم؟".

أنهت تنظيف المسدس، ورتبت عدّة الصيانة.

حشت مخزن المسدس بخمس رصاصات، وضغطت عليها في المخزن نصف الفارغ.

مزجت الكولا مع الفودكا والثلج، جلست في السرير، وشغلت التلفاز.

خبر عاجل: هاجم مجنونان بالسكاكين رواد أحد المطاعم، جرحا خمسة أشخاص، وقتلا ثلاثة آخرين، وكان عدد القتلى والجرحى ليكون أكبر لو لم يقتلهما شرطي كان يستريح في المطعم وقت حصول الاعتداء.

قلّبت جين القنوات، بحثت عن فيلم قديم بالأبيض والأسود، من زمن أكثر براءة، وكانت تفضل أن تجد مسرحية موسيقية مع قصة حب ولمسة من الكوميديا. لم تستطع إيجاد أيّ فيلم.

أطفأت التلفاز، وشغلت الراديو بجانب السرير.

جلست تستمع لمحطة تبث أغاني من الخمسينيات، بالرغم من أن قلة ممن هم على قيد الحياة يتذكرون ذلك العقد من الزمن. كانت تبث فقرة غنائية تسمى "ساعة مع بريسلي وبلاترز". أذيعت أغنية فرقة البلاترز "تويلايت تايم". لم يكن لدى جين مانع من الاستماع لها.

وضعت وسادة في حضنها، وأخرجت صفحة المفكرة التي كتبها جيمي بوب، ووضعتها على الوسادة.

شربت الكولا والفودكا، وراحت تدرس الأسماء على الورقة. أسباسيا منزل دعارة اسمه على اسم عشيقة أحد رجال الدولة من أثينا القديمة. وليام سترلنغ أوفرتون، محام سيئ.

تساءلت عن الفتيات الجميلات، المنقادات تمامًا، واللواتي يرضين حتى أكثر الرغبات تطرفًا، الصامتات دائمًا.

تذكرت شريط الفيديو لفئران المختبر، كانت أفكارها أكثر برودة من الثلج في كأس شرابها. قد يكون من الصعب الوصول إلى الملياردير ديفيد جيمس، ولكن شينيك هدف أسهل، بالرغم من أن الوصول إليه صعب.

في الصباح، ستبحث عن ويليام سترلنغ أوفرتون. في هذه اللحظة، بدا أنه هدف أسهل.

تمنت أن تستطيع إقناع المحامي بالكشف لها عن الموقع الخاص بشينيك، أسباسيا. كانت تأمل ألا يفعل شيئًا غبيًا بحيث لا يترك لها خيارًا سوى قتله، بالرغم من أنها لم تكن قد بحثت عنه بعد، وبالرغم من أنه لم يكن أقل إنسانية مما كانت عليه. فكرت جين في أنها لو أُجبرت على قتله فلن تشعر بالندم.

## 12

عند الساعة التاسعة من صباح يوم الجمعة، في مكتبها في سبرينغفيلد تاون سنتر، استخدمت غلاديس تشانغ وسادة معززة على كرسيها، لترفعها إلى مستوى مكتبها. جلس ناثان سيلفرمان في أحد الكراسي المخصصة للزبائن، وابتسم أكثر مما يفترض

برجل يعمل في مكتب التحقيقات الفيدرالي أن يبتسم أثناء قيامه بتحقيقات جدية. لاحظ أنه يفرط في الابتسام، لكنه لم يستطع الحفاظ على تعابير أكثر جدية لأنه سعيد بالنظر إلى المرأة والاستماع لها.

كانت السيدة تشانغ، في الثلاثين من عمرها، أميركية ذات أصول صينية، أنيقة المظهر وتبدو كالدينامو الصغير - قد يبلغ طولها خمس أقدام إذا انتعلت حذاء عالي الكعب، وكانت ملامحها مميزة وشعرها أسود داكنًا وصوتها ذا نغمة موسيقية. أصرت على أن يناديها غلاد. لقد فتنت سيلفرمان إلى حدّ كبير، وبالرغم من أن إعجابه بها لم يكن بدافع جنسي، إلا أنه شعر بشيء من تأنيب الضمير لأنه يفترض برجل متزوج وسعيد أن لا يكن أي مشاعر تجاه أي امرأة غير زوجته.

قالت السيدة تشانغ: "كان بيع منزل السيدة هوك صفقة مثيرة جدًا، فقد عُرض وبيع في اليوم نفسه، صفقة حزينة جدًا، لم يستغرق التفكير فيها، أكثر من الوقت الذي أستغرقه في التفكير في وعاء الطعام الذي أريد شراءه لطائر الطنان الذي أربيه في فناء منزلي. هل تحب الطيور الطنانة يا ناثان؟

أجاب: "نعم، إنها جميلة جدًا، أليس كذلك؟".

"رائعة، نظرًا لريشها الذي يحمل ألوان قوس قزح، من بين الأنواع العديدة، في فرجينيا نرى في الغالب طائر الطنان ذا الرقبة البيضاء. هل تعلم أن هذا النوع يهاجر من أميركا الجنوبية، ويطير خمسمئة ميل من دون توقف عبر خليج المكسيك؟

"خمسمئة ميل من دون توقف، هذا رائع".

"إنها تبني أعشاشًا من النباتات أسفل شبكات العنكبوت. شبكات العنكبوت!" وضعت يدها على صدرها، كما لو أن فكرة البناء تحت شيء حساس مثل شبكات العنكبوت حبس أنفاسها. "وهي تزين أعشاشها بالحزاز، كم هذا جميل؟".

"هذا جميل سيدة تشانغ". رفعت يدها لتصحح له، فقال: "أنا آسف غلاد. منذ لحظة قلت يا غلاد... *صفقة حزينة جدًا*. إذا بيع منزل جين بسرعة، ألا يعتبر الأمر جيدًا؟".

"بيع بسرعة، ولكن بسعر منخفض جدًا، لقد آلمني ذلك. لم تكن تهتم بالثمن بقدر اهتمامها بإتمام عملية البيع، لم تكن تصغي لصوت العقل".

"ربما، لم تستطع تحمل العيش هنا... بعد ما حدث لزوجها".

ضمت السيدة تشانغ قبضة يدها اليمنى إلى قلبها: "رهيب ما حلّ به، لم أكن على معرفة وثيقة به، ولكن عندما بعتهما المنزل، بدا لي رجلًا دمثًا. سمعت عن حادثة الانتحار، بالطبع لا أعرف كل شيء في الأحياء التي أبيع فيها المنازل. لكنها عاشت لشهرين بعد حدوث ذلك قبل أن تأتي إليّ. هل لي أن أخبرك شيئًا يا ناثان ولا تظنني متبجحة؟ أنا أجيد قراءة الناس، لست موهوبة بأشياء كثيرة، ولكن يمكنني القول بتواضع إنني موهوبة بقراءة الناس، وهذا ما يتيح لي القول إنها لم تبع المنزل بسرعة لأنها حزينة بل لأنها خائفة".

قال: "جين ليست شخصًا يخاف، أو على الأقل ليس سهلًا أن تخاف".

"بالطبع، فالقطط الأليفة لا تعمل في مكتب التحقيقات الفدرالي. لكنها لم تكن خائفة على نفسها بل على طائرها الجميل؛ طفلها الصغير. يا له من طفل صغير محبوب! أبقته قريبًا، ولم تدعه يغيب عن بصرها".

"قالت لك إنها كانت خائفة عليه؟".

"لا، لا، لا، لم تقل ذلك، ولكن الأمر بدا واضحًا. كانت تتوتر إن اقترب أي شخص لم تكن تعرفه من الصبي. لمرة أو مرتين، اعتقدت أنها قد تسحب مسدسها".

انحنى ناثان إلى الأمام في كرسيه: "اعتقدت أنها تحمل سلاحًا".

"إنها من مكتب التحقيقات الفدرالي. لماذا لا يكون لديها مسدس؟ لمحته ذات مرة. كانت تميل فوق المكتب، وكانت ترتدي سترة غير مزررة وبقيت مفتوحة، وحدث أن رأيت مقبض المسدس على جانبها الأيسر .

بدا سؤال سيلفرمان موجهًا إلى نفسه أكثر مما بدا أنه موجه للسيدة تشانغ: "ولكن من يريد أن يلحق ضررًا بترافيس؟".

انحنت السمسارة على مكتبها، وأشارت إليه، موجهة إصبعها إلى وجهه. ناثان هذا ما يفترض بمكتب التحقيقات الفدرالية أن يجيب عنه، يفترض بالمكتب أن يحقق بهذه النقطة تحديدًا، من هو الشخص الرهيب الذي يسعى لإلحاق الأذى بهذا الطائر الصغير الجميل؟ اذهب وجد هذا الشخص الرهيب واحبسه".

## 13

صباح الجمعة، في غرفتها في الفندق، أمضت جين ساعتين مع المزيد من تقارير التشريح. ووجدت ثلاث حالات شرّح فيها أخصائيو الطب الشرعي جماجم الضحايا وفحصوا أدمغتهم. أحد الثلاثة كان في شيكاغو والجزء من التقرير الذي يتناول فحص المادة الرمادية من دماغ الرجل الميت نُقح بشدة، وقد حُجب نصف النص بالكامل إلكترونيًا. كانت تقارير التشريح سجلات عامة، وكانت هذه الملفات الإلكترونية وثائق أصلية. إذا أمرت محكمة بالإفراج عن الملفات لمقدم الالتماس، يمكن للسلطات أن تحاول تنقيح النسخ في حدود القانون، لكن العبث بالنسخ الأصلية لم يكن قانونيًا.

في الحالة الثانية، التي تنطوي على تشريح جثة امرأة في دالاس، تضمن فحص الدماغ فهرس المحتويات. ولكن هذا الجزء من التقرير فُقد.

الحالة الثالثة، كانت بينيديتو أشكروفت التي انتحرت في سنشري ستي. فحصت الطبيبة الشرعية المناوبة في لوس أنجلوس الدكتورة إيميلي جو روسمان دماغ بينيديتو أشكروفت، وأدلت بملاحظات واسعة النطاق، تضمنت مصطلحات علمية لم تستطع جين فهمها بشكل كامل.

لقد أشارت في التقرير إلى صور للدماغ، لكن الملف لم يحتوِ على أي من هذه الصور.

## 14

عند الساعة 9:15 وفي طريقها للخروج. توقفت جين في مكتب الفندق لتدفع نقدًا لليلة أخرى. كانت الموظفة فتاة، تبلغ من العمر تسعة عشر أو عشرين عامًا. ذات شعر أسود، وتضع قرطين على شكل عنكبوتين فضيين متدليين. أفادت الشارة المثبتة على قميصها أن اسمها كلوي. كانت منهمكة بأمر ما على هاتفها الذكي، ولكنها اضطرت أن تنحي هاتفها جانبًا على مضض عندما تحدثت جين إليها، بعد أن رأت صورة للممثل تراي بايرز على شاشة الهاتف.

بعد الدفع، سألتها: "هل لديك أحد التطبيقات التي تتبع المشاهير؟ ستار سبوتر أو شيء يشبهه؟".

"لديّ واحد أكثر روعة. كل ستة أشهر هناك دائمًا شيء أكثر روعة".

"هل تسدين لي معروفًا؟ أنا مهتمة بمعرفة إن كان أحد الرجال المشهورين متواجد الآن في لوس أنجلوس؟".

"بالتأكيد. أعطني اسمه".

"ويليام سترلنغ أوفرتون". هجأت اسم عائلته.

"أهو ممثل؟".

"إنه محام. لكن سبق له أن تزوج من ممثلتين وهو يواعد عارضات الأزياء، وهذا ما يجعلني أعتقد أنه من المشاهير".

بعد عشر ثوان، قالت كلوي: "نعم، إنه لطيف. ولكن دعيني أقل إنه كبير بالنسبة إليك".

شاركتها كلوي الشاشة، فرأت جين رجلًا يشبه الممثل روب لوي بمظهر أكثر خشونة. تصفحت كلوي الهاتف مرة أخرى، وقالت: "إنه يبلغ من العمر أربعة وأربعين عامًا".

قالت جين: "لكنه لطيف وغني".

قالت كلوي: "الغني دائمًا هو الأفضل، الغنى هو الشباب الأبدي، أليس كذلك؟ نعم، إنه في المدينة لديه حجز غداء عند الساعة الواحدة في ألامودا وهو من الأماكن الباهظة". نظرت إلى ملابس جين. "ربما ترغبين في تغيير ملابسك إذا كنت تريدين الذهاب ومحاولة التقرب منه".

قالت جين: "معك حق، هذا ما سأقوم به".

نصحتها كلوي: كوني أكثر أناقة وإثارة".

# 15

في طريقها إلى مكتبة وودلاند بيلز، مرت جين بمدرسة ثانوية حيث تجمعت ست أو ثماني سيارات الشرطة. اصطف رجال الشرطة بالزي الرسمي على الرصيف، كل اثنين معًا، كما لو أنهم يتوقعون حدوث شيء أسوأ مما حدث بالفعل.

تجمع عشرات الطلاب حول الجزء العلوي من مدخل المدرسة لمشاهدة الشرطة. وجلس مراهقان وقد كبلت يداهما أسفل الدرج، يتبادلان الحديث، ويضحكان.

على بعد أربعين قدمًا من الكوميديين، رأت جين رجلًا ممددًا على الرصيف. يبدو أنه قُتل منذ فترة وجيزة، ولم يغطِ أحد الجثة، بالرغم من أن أحد رجال الشرطة كان يأخذ بطانية من صندوق سيارة دورية. كانت الجثة تعود لرجل أشيب الشعر ربما كان مدرّسًا أو مجرد شخص مرّ في الوقت الخطأ.

منذ وقت ليس ببعيد، كان تسعون بالمئة من جرائم القتل يقترفها أشخاص يعرفون ضحاياهم، أما الآن ما يصل إلى ثلاثين في المئة من الجرائم يرتكبها أشخاص لا يعرفون ضحاياهم. كانت الجريمة يومًا علاقة حميمة، واليوم أصبح القتل عشوائيًا مثل الموت بصعقة البرق.

وصلت إلى المكتبة، في وودلاند بيلز دون وقوع حادث مزعج آخر. كانت ممتنة للحظات التي لا يحصل ذلك فيها.

استعملت الحاسوب لإيجاد معلومات حول أوفرتون. لم يكن من الأشخاص الذين تدرج أسماؤهم في القائمة الحمراء من الأسماء والكلمات والعبارات والمواقع الإلكترونية التي قد يجعلها البحث عنها في الإنترنت محل تعقب. علمت للمرة الأولى عن صلته المخيفة "بملهى شينيك"- وبالتالي بشينيك- لأن جيمي بوب استخدم خبرته ضد زبائنه الذين كان يعمل لأجلهم، ولكن أولئك المتورطين في مؤامرة مع شينيك لم يكونوا على علم بذلك.

في غضون نصف ساعة، كان لديها كل ما تحتاج إليه. وفي غضون خمس عشرة دقيقة، حصلت أيضًا على المعلومات الأساسية عن الدكتورة إيميلي روسمان، الطبيبة الشرعية في لوس أنجلوس التي قدمت تقرير تشريح الجثة الذي اعتبرته ذا صلة.

أخيرًا، بحثت عن دوغال تراهون وهو الاسم الذي تذكرته هذا الصباح، وهي التي حاولت منذ الاثنين تذكره ولم تستطع.

لاحظت خلال فترة وجودها في المكتبة أن تغييرًا مفاجئًا قد حصل في الصباح. وقد ولّد المحيط البعيد وغير المرئي في الجنوب ضبابًا شاهقًا، كان مدفوعًا الآن إلى

اليابسة. السماء وراء جبال سانتا مونيكا تلوح باللون الأبيض، بدت المرتفعات البعيدة عن الأرض ذات الطبيعة الصخرية، وكأنها تذوب بتأثير الضباب. قد لا يصل الضباب إلى هنا عبر تلك الممرات الجبلية الضيقة، لكنه دفع نسيمًا باردًا ذا رائحة معدنية خافتة لا يمكن التعرف إليها.

من دون أن تدري السبب، لكنها حين تنفست تلك الرائحة القابضة الرقيقة، وحدقت جنوبًا إلى السماء البيضاء، تساءلت إن كانت الأمور على ما يرام في منزل غافين وجيسيكا، وإن كان الكلبان متنبهاين إلى المتاعب، وإن كان ترافيس بخير.

# 16

وفقًا للمجلتين الشهيرتين فانيتي فير وجي كيو، كان المنزل في بيفرلي هيلز أحد خمسة منازل يمتلكها وليام أوفرتون. كان المحامي يمتلك شقة في مانهاتن، وأخرى في دالاس، ومنزلًا في ميراج رانشو يحتوي على ملعب غولف، وشقة في أحد الأبراج الشاهقة في سان فرانسيسكو.

كان منزل بيفرلي هيلز مقر إقامته الأساسي، وكان بمقدور جين استخدام دليل المدينة للحصول على عنوانه، لكن صورة للمنزل في مقال صحفي كشفت عن رقم الشارع.

قدمت خدمة غوغل إيرث نظرة عبر الأقمار الصناعية للعقار، وقدّم موقع ستريت فيو فحصًا بزاوية قدرها 360 درجة للحي بأكمله، وفي تمام الساعة الثانية والنصف بعد الظهر، كانت قد رسمت خطة بشأن أوفرتون.

بعد أن علمت عن أوفرتون من كلوي، قرأت جين مقالًا في مجلة ذُكر فيه أن غداء يوم الجمعة في ألامودا كان مقدسًا بالنسبة إليه، والوجبة المفضلة له كل أسبوع، حيث يأكل مع رئيس الطهاة، الذي كان شريكه بملكية المكان، ويمثل الغداء الذي يمتد لساعتين بداية عطلة نهاية الأسبوع بالنسبة إليه.

أملت أن يكون مُتمسكًا بعاداته.

اطلعت على الطراز الحديث للمنزل المؤلف من طابقين مع تفاصيل عن مقدمة المنزل، وفنائه الخلفي، وسقفه في مقال في مجلة لوس أنجلوس تايمز. تبلغ مساحة

منزل الرفاهية هذا سبعة آلاف متر مربع فقط، في منطقة تبلغ فيها مساحة المنازل في معظم الأحيان خمسة عشر ألف متر وأحيانًا أكثر.

بالنظر إلى حجم المنزل وسمعة أوفرتون كدون جوان، شككت في أنه يحتاج إلى مساعدة أحد أو أنه قد يرغب بذلك. يمكن لخادمة بدوام كامل الحفاظ على نظافة المكان، وتوقعت جين أن تكون الخادمة قد غادرت عندما يعود صاحب المنزل من غدائه المقدس، والذي قد يكون بين الساعة الثالثة والنصف والساعة الخامسة.

بعد توقفها عند ناصية الشارع، مشت جين إلى المنزل، تحمل محفظة كبيرة. تبعت الممشى المرصوف بالحجر الجيري ورنت الجرس. عندما لم يرد أحد، رنّت مرة أخرى، ومرة أخرى.

شاهدت لافتة قرب حوض زهور قريب، حفر عليها بحروف حمراء وسوداء: تحت حماية شركة فيجيلانت إيغل. استجابة مسلحة فورية.

استخدمت معظم شركات الأمن المنزلي المحطة المركزية نفسها، التي تصلها جميع بلاغات انتهاكات المنازل أولًا. وبناءً على بروتوكولاتها، تستدعي المحطة المركزية الشرطة، إذا تبين لها أن البلاغ ليس إنذارًا كاذبًا، ومن المحتمل أن يصل رجال الأمن المرخصين للشركة قبل رجال الشرطة بوقت طويل... إنه بديل مكلف وشاق للصوص.

كشف فحص منزل أوفرتون عبر غوغل أنه فُصل عن العقارات الأخرى بواسطة جدران زرعت على جانبها سلسلة من أشجار فيكوس نيتيدا الشاهقة كثيفة الأوراق. لن يتمكن الجيران من رؤية جين عند الباب الأمامي. كما لن يتمكنوا من رؤيتها وهي تسير حول المنزل إلى الفناء الخلفي الكبير.

رصف حمام السباحة المتلألئ بالبلاط الزجاجي الأزرق وبلغ طوله حوالى مئة قدم. في نهاية الحوض هناك منطقة للجلوس والاستجمام. إنه فناء هائل مرصوف بالحجر الجيري، يضم مطبخًا في الهواء الطلق في إحدى الجهات، وما يكفي من كراسي خشب الساج وأرائك مزودة بوسائد زرقاء، ومقاعد تتسع لما يزيد على عشرين شخصًا. احتوى سطح الطابق الثاني الذي يلقي بظله على نصف المساحة السفلى على مزيد من الأثاث من خشب الساج.

كان المنزل محاطًا بالشجيرات المشذبة والزهور. إنه رجل عصري حقًا! ومنزله ليس له مثيل، أنيق وذو أجواء حميمية. سيشعر الزوار الجميلون أنهم في منزلهم عندما يدعوهم إليه، وقد يكون عدد قليل منهم جميلًا من الداخل أيضًا.

وفقًا لمواقع الثرثرة الاجتماعية، كان أوفرتون حاليًا كثير الانشغال. إذا كان بالإمكان التعويل على الثرثرة، فلن توجد صديقة، أو عارضة أزياء، أو ممثلة تعيش معه.

وبما أنه لم يكن لدى جين من وسيلة للدخول حتى وصول أوفرتون ليبطل الإنذار، جلست على كرسي عند زاوية مجاورة للمرأب.

في وقت سابق، في المكتبة، وباستخدام رمز مرور للشرطة لسجلات (الدي أم في) في ساكرامنتو، علمت أن سيارتين سُجلتا باسم أوفرتون في عنوان بيفرلي هيلز - بنتلي بيضاء، وفيراري حمراء- وواحدة لمكتب المحاماة الخاص به، وهي تسلا سوداء. إذا كان يقود السيارة الكهربائية، قد لا تنتبه إلى وصوله حتى يبدأ باب المرأب بالارتفاع.

لم يصل الضباب الساحلي إلى بيفرلي هيلز وكان اليوم دافئًا، بفعل أشعة الشمس، والنسيم المنعش المعطر بالياسمين.

الانتظار بالنسبة إلى جين يمكن أن يكون أكثر إرهاقًا من العمل، حتى عندما ينطوي العمل على مواجهة عملاق بلا شفقة يطلق النار من بندقية.

عند الساعة 3:30، أخرجت من حقيبة يدها الكبيرة عدة فتح الأقفال ووضعتها في حضنها. ووضعت قفازي الحرير الأسودين المزخرفين بالخيط الفضي.

بعد عشرين دقيقة، أقلق هديرٌ هدوء الحي السكني الراقي احتفالًا بصوت عال لمحرك الفيراري ذي الاثنتي عشرة أسطوانة في الجزء الأمامي من المنزل، أصدرت إطارات الفيراري صوت صرير حاد قبالة المدخل أثناء انعطافها بشكل سريع من الشارع إلى الممر.

ملقط لوك آيدز لفتح الأقفال بيد، والحقيبة في الأخرى، تركت جين كرسيها في الفناء، ومشت إلى باب المطبخ، وضعت الحقيبة على الأرض، وأدخلت عدة فتح الأقفال في ثقب الباب؛ أرادت الانتهاء من ضجيج فتح القفل قبل دخول أوفرتون إلى المنزل. هدر صوت باب المرأب، وبدا كلهجة تحذير مستمرة حادة معلنًا عن دخوله.

اعتمادًا على كيفية عمل نظام الإنذار كان لأوفرتون دقيقة واحدة - على الأكثر دقيقتين- لإدخال الرمز في لوحة المفاتيح الموضوعة على الجدار بجانب الباب الداخلي الذي يصل المرأب بالمنزل. إذا لم يدخل الرمز، أو إذا أدخل رمز آخر يدل على أنه كان تحت الإكراه، فسيكون حراس الفيجيلانت إيغل المسلحين في الطريق، والشرطة المحلية في أعقابهم.

بحلول الوقت الذي قاد أوفرتون الفيراري إلى المرأب، وأوقف عمل المحرك، فتحت القفل، وتمكنت من فتح الباب بحرية.

التقطت جين حقيبة يدها، وأسقطت عدة فتح الأقفال فيها، وتسللت إلى المنزل. بالترافق مع صوت جهاز الإنذار الصاخب الذي يدوي في أرجاء المنزل، أغلقت الباب خلفها.

صوت قعقعة مكتومة دليل على الحركة التي يصدرها إغلاق باب المرأب المجاور. أسرعت عبر المطبخ الفسيح، من خلال باب، إلى رواق الطابق الأرضي. الأبواب إلى اليسار واليمين. غرفة الطعام إلى اليسار؟ لا. إلى اليمين، صالة ألعاب رياضية منزلية مليئة بآلات التدريب. وامتدت مرايا على ثلاثة جدران من الأرض إلى السقف. ليس هنالك أي مكان لتختبئ دون أن يرى انعكاسًا لها في المرايا لحظة فتحه الباب. لا. جاء صوت التنبيه الرقمي لإدخال أوفرتون الرمز في لوحة مفاتيح المرأب. الحمام؟ لا. قد يكون الحمام محطته الأولى.

صوت إغلاق الباب بين المرأب والمنزل.

خزانة لوازم التدبير المنزلي، مكنسة كهربائية. نعم. دخلت لتختبئ فيها، وضعت حقيبة اليد على الأرض، وسحبت مسدسها، وانتظرت في الظلام.

## 17

في المحكمة، هو السيد أوفرتون، وفي أي مكان آخر ينادونه بيل أو وليام، ولكن بين أقرب أصدقائه - وفي ذهنه- هو سترلنغ.

هذا الأسبوع حقق نصرًا في المحكمة؛ تسوية قضائية في دعوى جماعية من شأنها أن تزيد ثروته، وجعلت مكاتب المحاماة تخشى اسمه، وكذلك موكليه.

وجبة الغداء مع أندريه كانت مرضية على حدّ سواء بالنسبة إلى الطعام والشراكة. بالنسبة إلى السيد الطاهي الذي يصر على انتقاء جميع المكونات، كان لأندريه روح دعابة مميز.

ذهب سترلنغ إلى لوحة الكريسترون قرب الباب الخلفي في المطبخ، التي تتحكم بنظام الحماية في كامل المنزل. شغل شاشة الأمن، لا ينوي قضاء فترة بعد الظهر في الخارج، لذلك ضغط على المفتاح H، الذي ينشط أجهزة الاستشعار المحيطة في الأبواب والنوافذ، ولكن ليس أجهزة الكشف عن الحركة الداخلية. أعلن الصوت المسجل للنظام آليًا "تم تأمين المنزل".

كان سترلنغ في مزاج احتفالي، شغّل نظام الموسيقى المنزلي، ومن قائمة التشغيل اختار موسيقى السالسا. تردد صدى اللحن الذي لا يقاوم في المنزل، تحرك سترلنغ مع الموسيقى، ومشى إلى الثلاجة، وأخرج زجاجة بيرييه.

إنه يفضل الموسيقى على أشكال أخرى من الغناء، لأنه مهما تكن كلمات الأغاني جيدة، فنصف الكلمات سيكون حتمًا هراءً عاطفيًا مزعجًا. ومع ذلك، فهو يحب الأغاني التي تُغنى بلغات لا يستطيع التحدث بها، لأنه لا يمكن أن يغضب من كلمات لا يستطيع فهمها.

دفع الباب حاملًا زجاجة البيرييه في يده، وهو يؤدي دويتو مع المغني الإسباني وشق طريقه عبر قاعة الطابق السفلي. لقد تعلم كلمات الأغنية صوتيًا، وأداها من دون أي فكرة عن معناها.

صعد الدرج بخطوات السامبا. بدا سترلنغ سعيدًا عندما فكّر في أن القضاة الذين يترافع أمامهم بالإضافة إلى محامي الخصوم سيندهشون إن رأوا كم هو شخص يهتم بالملذات وسلس المعشر. إنه يحقق انتصارات في قاعات المحاكم باستراتيجياته الحادة مثل حد السكين؛ إنه نمر لا يرحم في قاعة المحكمة، كما هو أيضًا مع النساء اللواتي يخضعن له، والفرق الوحيد هو أن النساء كن يستمتعن بذلك على عكس محاميّ الدفاع.

جناحه الذي تبلغ مساحته 1400 قدم مربع، يعتبر تحفة حديثة مستوحاة من منزل كلاسيكي كان مِلكًا للممثلة المكسيكية ديلولوريس ديل ريو، بني في العام 1929 في

سانتا مونيكا كانيون كول دي الكيس. كان مفتونًا بهوليوود منذ طفولته. ولو لم ينجذب إلى القانون وقوته والطرق المتعددة التي يمكن التلاعب بها في النظام لتحقيق أي رغبة، كان سيحترف التمثيل.

غيّر ملابسه في خزانته التي كانت عبارة عن غرفة كبيرة، وارتدى قميص بولو أزرق بخطوط حمراء من غوتشي وبنطالًا أزرق من أوفين جنرال، وسار حافيًا في عالمه الخاص. في وقت لاحق، سيستحم ويمضي أمسية طويلة في أسباسيا، حيث سيقوم بما يُجيد القيام به.

خطا خارجًا من غرفة خزانته الكبيرة، غنى بهدوء مع موسيقى السالسا، لكن يبدو أن أسباسيا قد ذكرته بوجه الفتاة الأكثر جمالًا؛ شعر أسود وعينين زرقاوين مشعتين يمكنهما أن تغليا الماء كما تفعل النيران.

كانت تحمل قنينة رذاذ، كما لو أنها ترغب في عرض عينة من عطر رجال جديد عليه من أرماني أو جيفنشي. تجمّد في مكانه على حين غرة. ثم خطا إلى الوراء خطوة، وتفاجأ مرة أخرى عندما رشت على الجزء السفلي من وجهه. كان مذاق الرذاذ حلوًا، وما لبث أن شعر بالظلام يلفه.

# 18

حلم سترلنغ بأنه يغرق، وشعر بشيء من الراحة في اللحظات الأولى التي تلت استيقاظه.

أعطت موسيقى السالسا الحياة للحظة، بالرغم من أنه لا يذهب إلى السرير مع مثل هذه الموسيقى الاحتفالية. كانت رؤيته غير واضحة، وتذوق طعمًا كيميائيًا في فمه، وللحظة لم يستطع تحديد ما إذا كان واقفًا أو جالسًا، أو مستلقيًا.

رمش بعينيه عدة مرات، توضحت رؤيته، وزال شيء من الضباب الذي يحيط بدماغه. كان ملقى على ظهره على أرضية الحمام، إلى جانب حوض استحمامه الثمين من طراز الأرت ديكو.

أدرك أنه مقيد عندما حاول التحرك. معصماه مقيدان إلى بعضهما برباط بلاستيكي، وربط الرباط بواسطة رباط بلاستيكي آخر إلى قائمة حوض الاستحمام

المحفورة على شكل قدم أسد ذات مخالب ظاهرة، وكُبل كاحلاه بالطريقة نفسها التي كُبل بها معصماه، وربط رباطهما إلى أنبوب التصريف الفولاذي المقاوم للصدأ لبالوعة الحمام.

نُحت حوض المغسلة من الكوارتز العنبري بشكل غريب حيث تبدو عائمة، بالرغم من أنها كانت في الواقع مدعومة بواسطة قضبان حديدية خفية بسماكة بوصة تربطها إلى شبكة صلبة داخل الجدار. خُبئ أنبوب الصرف الصحي واثنان من خطوط المياه الفولاذية المقاومة للصدأ بشكل رائع على شكل أقواس متوازية في الجزء السفلي من حوض الكوارتز، واختفت في الجدار المكسو بالغرانيت. كان فخورًا بتصميم الحوض الأنيق وغير التقليدي.

استعاد مزيدًا من وعيه، ليكتشف أنه مستلقٍ على ملابسه، لكنه عارٍ.

مُزّق قميصه البولو. وبالمثل، قص بنطاله الرائع المريح عن كل ساق ومن خلال حزام الخصر، ومزق القماش عن منطقة المنفرج بالكامل.

ثمن هذه الملابس 1200 دولار، وهي من أرقى أنواع الملابس في خزانة ملابسه. كان ليغضب بما حل بملابسه، إلا أنه في حالته العقلية الحالية نصف-حالم، ويشعر بالارتياح في معرفة أنه يبدو حسن المظهر في سرواله الداخلي الرمادي ذي الحزام الأسود من تصميم دولتشي وغابانا، اعتقد أن ذلك يعرض محاسنه بشكل رائع.

أوقف شخص ما موسيقى السالسا.

كان سترلنغ يستعيد وعيه، عندما دخلت الفتاة من غرفة النوم. بدا وجهها جميلًا إنما خالٍ من التعابير، وقفت فوقه مثل إلهة، ثم ركعت إلى جانبه، وتلمست بيدها اليسرى التي يغطيها القفاز الأسود عضلات صدره ببطء وانحدرت إلى أسفل بطنه. بالرغم من قيوده، إلا أنه لم يشعر بأنه في خطر. بعد ذلك، فتحت وأغلقت عدة مرات مقصًا حملته بيدها اليسرى. لا يزال وجهها خاليًا من التعابير مثل عارضة أزياء. عيناها زرقاوان ساطعتان، وتبدو مشتعلة من الداخل. قالت بصوت بارد كتعابيرها: "ما الذي سأستمتع بقصه أيضًا؟".

اتسعت عينا سترلنغ بالكامل.

# 19

كانت عينا سترلنغ خضراوين مع لمحة من اللون الأرجواني، ولم يسبق لجين أن رأت عيونًا أكثر سميّة. بدا السم في عينيه ممزوجًا بالخوف، وهو أمر جيد، فالنرجسيون عادة ما يكونون جبناء. وتقدير البعض منهم لأنفسهم كان شديدًا، لدرجة ظنوا معها أنه من المستحيل المساس بهم، وحتى في مثل هذه الحالة العصيبة، يمكن أن يكونوا أكثر جنونًا وغير قادرين على تخيل أنفسهم ميتين. لقد احتاجت أن يتخيل هذا المحامي نفسه ميتًا، وهو الأمر الذي قد يحصل فعلًا.

استدعى أوفرتون جرأته وتبجحه في قاعة المحكمة: "لقد ارتكبت خطأ كبيرًا، وليس لديك وقت طويل لإعادة الأمور إلى سابق عهدها".

سألت: "هل وجدت الرجل الخطأ؟".

"هناك ألف طريقة لتجدي الرجل الخطأ، يا فتاة".

"ألست وليام أوفرتون؟".

"أنت تعرفين ذلك، لكن ليس هذا ما أعنيه".

"وليام أوفرتون الذي يدعوه أقرب أصدقائه بسترلنغ؟".

اتسعت عيناه: "من هو الشخص الذي تعرفينه وعلى معرفة وثيقة بي؟".

لقد ذكر هذه المعلومة لإحدى المجلات، من الغريب كيف ينسى عشاق الشهرة التفاصيل الشخصية التي سبق لهم أن كشفوا عنها.

"لقد استخدمت شخصًا ليقوم بقرصنة موقع وب مظلم، ربما لسرقة أسرار تجارية لشركة حتى تتمكن من تهديد أعمالها والحصول على تسوية قبل المحاكمة. شيء من هذا القبيل، هاه؟".

لم يقل شيئًا.

"لم يسبق لك أن رأيت الشخص الفاسد الذي استخدمته، كان يدعى جيمي".

"أنتِ تتفوهين بالهراء. أنتِ تتصرفين بناء على معلومات خاطئة".

"في الوقت الذي أدى فيه جيمي العمل لصالحك، اخترق حسابك، وأخذ أحد أكثر أسرارك خطورة".

كان يستطيع الحفاظ على نظراته الميتة في قاعة المحكمة، حتى وإن كان مكبلًا، وليس عاريًا، لكن في ظل هذه الظروف، وجد أنه من الصعب أن يحافظ على وجهه خاليًا من التعابير.

كانت كل أسراره تسبح في عقله مثل أسماك القرش، وما من شك أنه لم يكن لديه أمل في معرفة السرّ الذي حملها على انتهاك حرمة منزله.

"أتريدين المال؟".

"مال لأصمت هو مصطلح قبيح. فهو ينطوي على الابتزاز".

"إذا كان لديك حقًا شيء عليّ، ولا أظن ذلك، فالذهاب في هذا الطريق هو نوع من الجنون".

فكرت بأنه يجب أن لا تذكر اسم صديقه المقرب بيرتولد شينيك أو قصة زرع أجهزة النانو في الأدمغة. فذلك السر كان كبيرًا جدًا ومظلمًا، لأنها ما إن تخبره بذلك سيعرف أن لا أمل لديه بالبقاء على قيد الحياة، يجب أن لا يفقد هذا الأمل، وإن كان أملًا ضئيلًا.

"قال جيمي إنك عضو في نادٍ مثير".

"نادٍ؟ بعض النوادي الريفية، إنه مجرد عمل ذكي فقط لبناء العلاقات. لا تصلح كلمة مثير لوصف أي منها، إلا إذا كنت تعتقدين بأن الغولف والأحاديث التي نتبادلها والملابس البيضاء التي نرتديها أثناء اللعب أمور مثيرة".

"هذا النادي بمثابة منزل دعارة يملكه رجل غني مختل".

"عاهرات! أتعتقدين أنني بحاجة لدفع المال للعاهرات؟ تبًا لك وتبًا لجيمي. لا أعرف أي شخص اسمه جيمي".

"لكن جيمي يعرف هذا الشيء عنك؛ ثلاثمائة ألف دولار للعضوية، ويمكنك الحصول على خدمة حصرية".

"ما قاله لك جيمي الغبي هو من نسج خياله، ليس هناك مكان من هذا القبيل على حدّ علمي".

"ما الذي يمكنك شراؤه بثلاثمائة ألف، وما غاية دفع هذه الرسوم؟ أنت رجل يدرك قيمة المال، ماذا الذي تحصل عليه في هذا النادي؟ فتيات جميلات؟ منقادات؟

لا يعتبرن أي رغبة متطرفة؟ إلى أي حدّ رغباتك متطرفة يا سترلنغ؟".

لاحظت شيئًا، كانت عينه اليمنى ترمش عندما تقول حقيقة يتمنى لو لم تكن على معرفة بها.

قالت: "يسمون المكان أسباسيا، رجل مثلك قد يعتقد بأن تسمية نادٍ على اسم عشيقة رجل دولة يوناني قديم مثل بيريكليس، قد يعطي طابعًا راقيًا للنادي". رفعت المقص وفتحته. "استمر بالكذب عليّ يا سترلنغ، واللعنة عليّ إن لم أمزقك إلى قطع صغيرة".

تجاهل المقص وحدق إلى عينيها. لم يكن هذا التحديق الطويل تحديًا، بل كان يقيس ما الذي يستطيع القيام به مثل المحلفين في قاعة المحكمة. عندما تحدث، كان من الواضح أنه قرر أن الاستمرار في اللعب ببراءة هو أخطر طريق يمكن أن يسلكه. هز رأسه، وابتسم وتظاهر بإعجاب مفترس: "أنت شيء آخر".

"نعم؟ ما أنا، يا سترلنغ؟".

"اللعنة إذا كنت أعرف. انظري، لا مزيد من الهراء، نعم، أسباسيا حقيقية. إنها ليست منزل دعارة كما تعتقدين، إنها شيء جديد".

"جديد في أي ناحية؟".

"لستِ بحاجة لمعرفة ذلك، أنا لا أبيع المعلومات هنا، أنا أَشتري حريتي فقط. يمكنك أن تحرجيني علنًا وتدمري أعمالي، وتبتزيني، جئتِ إلى هنا من أجل المال".

سألت: "أتعتقد حقًا أنني جئت من أجل المال؟".

"دائمًا ما يكون الأمر هكذا. جئتِ إلى هنا من أجل المال، وأنا أملكه، لذلك دعينا نعقد صفقة".

"لا أستطيع الدخول إلى مصرف مع شيك حصلت عليه من خلال الابتزاز يا سترلنغ، وليس لديّ حسابات في جزر كايمان لتُحول الأموال إليها".

"أنا أتحدث عن مال نقدي، لا داعي لأن يتحدث أي منا بالهراء، أنت تعرفين أنني أقصد نقدًا".

"كم؟".

"كم تريدين؟".

"أنت تتحدث عن خزنة في المنزل، هنا؟".

"نعم".

"هل تحتوي على مئة ألف على الأقل؟".

"نعم".

"حسنًا سآخذ كل ما فيها، ما هو رمزها السري؟".

"ليس رمزًا سريًا، مفتاح القفل مُعرّف بيولوجيًا".

"مثل ماذا؟ بصمة الإبهام؟".

"تريدين قطع إبهامي ووضعه على القارئ؟ الأمر ليس بهذه السهولة، أنتِ بحاجة إليّ حيًا. إذا مت، ستقفل الخزنة إلى الأبد".

"حسنًا، لا بأس، لا بأس، فأنا لا أنوي قتلك، إلا إذا لم تترك لي خيارًا آخر".

شدّ الرباط البلاستيكي الذي قيدته به إلى حوض الاستحمام.

"دعينا نفعل ذلك، لننهِ الأمر".

قالت جين: "ليس الآن، بعد أن أجربه وأعود".

بدا أوفرتون حائرًا: "تجربين ماذا؟".

"أسباسيا".

قال وهو منزعج وغير قادر على إخفاء ذلك: "لا يمكنك تجربته. لا يمكنك الدخول، فقط الأعضاء يمكنهم الدخول إلى أي واحد منها".

"أي واحد منها؟ كم عدد الأندية التي تديرها أسباسيا؟".

شعر بالتوتر من أنه تخلى عن معلومة بهذه السهولة، لكن الأوان كان قد فات: "أربعة: لوس أنجلوس، سان فرانسيسكو، نيويورك، واشنطن".

شعرت جين كأنها فتحت شيئًا مثل صندوق باندورا وعلبة من الديدان.

"يقول جيمي إنه عند الدخول إلى موقع الوب المظلم، فإنه يقدم ثماني لغات يمكنك التعامل بأي منها. إذًا هناك أعضاء في جميع أنحاء العالم، هاه؟ القلة لديهم رغبات متطرفة".

بدلًا من الرد على افتراضها، كرر قائلًا: "لا يمكن الدخول إلا للأعضاء".

"أنت عضو، أخبرني كيف يعمل وما هو رمز الدخول؟".

"ليس هذا هو الهدف. لا يوجد رمز سريّ. ليس بالطريقة التي تعنيها، ولكنك لستِ أنا لتتمكني من الدخول".

سألته: "هل يستخدم أسباسيا برامج التعرف إلى الوجه؟".

"نعم".

"قلت لا مزيد من الهراء".

"هذا صحيح".

"رجال مشهورون. هل يظهر الأثرياء وجوههم في مكان مثل هذا؟ لا تمزح معي يا سترلنغ. لقد سئمت من قول إنني سأقتلك ما لم تترك لي خيارًا آخر، ما الذي تعتقد أنك تفعله الآن؟ أنت لا تعطني خيارًا آخر. الطريقة التي يعمل بها أسباسيا لا تتضمن كاميرات، لا أسماء تطلب أو تعطى. لا توجد طريقة لأي شخص لإثبات أنك ذهبت إلى هناك".

هزّ أوفرتون رأسه، فكّر في كذبة أخرى، لكنه قرر عدم المخاطرة بالتفوه بأي كلمة.

"أنت وأشخاص مثلك طورتم مثل هذه الأماكن، لتتمكنوا من الذهاب إليها والخروج والبقاء مجهولي الهوية".

أراد أن يجادل، أن يحاول إقناعها، لكن لم يكن هنالك أي محلفين ليقنعهم، ولا قاضٍ يحكم لصالحه. لم يكن هناك سوى التي لم يكن لها دور في قاعة المحكمة.

شعر بإحباط كبير لدرجة أن قبضتيه كانتا مشدودتين بالرغم من الرباط الذي يربط معصميه، وعضلات رقبته متشنجة، ونبضه السريع ظاهر على جبهته، احمر وجهه من الخوف أكثر مما هو من الغضب. "اللعنة، أنت وعنادك أيتها الوضيعة الغبية، لا يمكنك الذهاب إلى هناك، لا يمكنك الدخول. المال الذي تريدينه وكل شيء هنا، ولكن لا شأن لك في أسباسيا".

اتكأت عليه، همست كاذبة: "هناك أختي".

عرف حينها ما كانت تقصده، وكان مذهولًا. تبخر غضبه: "ليس لي أي علاقة بذلك".

"علاقة بماذا؟".

"شراء الفتيات".

سألته: "الجميلات المنقادات؟".

"ليس لي علاقة بذلك".

"لكن ربما استغللتها، ربما كنت قاسيًا معها؟".

"لا، لا، أنا لست كذلك، وهذه ليست الطريقة التي أنا عليها، وإن كنت قد فعلت لم أكن أعرفك وقتها".

أثارت سذاجة دفاعه ضحكة سخرية من جين. قرصت خده، كما تقرص جدة خدّ صبي بريء: "لست ظريفًا يا سترلنغ؟ لم تكن تعرفني حينها، والآن بما أننا أصبحنا صديقين ستعامل أختي الصغيرة كأميرة".

لم يعد باستطاعته إخفاء خوفه، الذي تضخم بسرعة إلى رهاب بالكاد كان قادرًا على احتوائه، سرت في عضلات جسمه الأسمر رعشة، دون أن يكون الحمام باردًا.

"قد لا تكون حتى في منشأة لوس أنجلوس".

"منشأة؟ كم هي كلمة محترمة لمكان بمثل هذا الفساد البشع. سأذهب إلى هناك يا سترلنغ، وستخبرني بالطريقة التي أستطيع بها الدخول، وكلّ ما أنا بحاجة لمعرفته، ثم سأعود إلى هنا مع أختي، وسنفتح الخزنة، وسنتركك قطعة واحدة للتفكير في مدى هشاشة الحياة".

"أنت لا تفهمين".



"ما الذي لا أفهمه؟".

ارتعد بعنف وقال فقط: "يا إلهي".



"عن أي إله تتحدث يا سترلنغ؟".

انزلقت إحدى شفرتي المقص بين فخذه العاري ونسيج ملابسه الداخلية. بدأت في قطع القماش.

"حسنًا، انتظري، توقفي. يمكنك الدخول والخروج من المكان".

توقفت عن القص: "كيف؟".

"لا كاميرات. للأسف. الحاجز الأمني الوحيد هو رجلان".

"مسلحان؟".

"نعم، ولكن عليك إدخال كلمة المرور الخاصة بي عند البوابة والباب الأمامي، ولأنها كلمة مرور عضو لن يراك أحد".

"كيف لن يرياني، هل أنا غير مرئية؟".

"نعم نوعًا ما". أخذ نفسًا عميقًا، ثم أخرجه، حدق إلى عينيها لتقديم نوع من الادعاء بالصدق.

"إنهما لا يريان الأعضاء".

"هل تعتقد أن هذين المسلحين أعميان؟".

"لا، ليسا أعميين" كان شاحبًا، يرتعش بردًا ويتصبب عرقًا على حدّ سواء، بدا وكأنه طفل ضخم في حفاضات رمادية اللون ذات حزام يحمل العلامة التجارية لدولتشي وغابانا. أضاف "لا يريان الأعضاء لأن... لأنهما... إذا شرحت لك، إذا تفوهت بكلمة أخرى، من الممكن أن تقتليني الآن، لكن إذا لم تفعلي ذلك، فإن أشخاصًا آخرين سيقتلونني".

فكّرت بما قاله: "إذا تفوهت بكلمة أخرى" كررت ما قاله "إذن هناك كلمة أخرى يمكنك قولها ولن تقتل على يد أصحابك؟".

أغمض عينيه بصمت، وأومأ برأسه.

كررت جين قوله: "إنهما لا يريان الأعضاء لأنهما ماذا؟".

"مبرمجان". قال ذلك من دون أن يفتح عينيه.

# 20

"مبرمجان". هذا ما قاله سترلنغ، من دون أن يجرؤ على النظر إليها وهي تحوم فوقه، لأنها ستدعو تلك الإجابة بالهراء وسترغب في معرفة المزيد. من لا يريد معرفة المزيد؟ لكن ذلك يعني موته المؤكد إذا خان بيرتولد شينيك وديفيد جيمس مايكل والآخرين. ليس فقط موته بل خرابه وموته. ليس هناك أمل في جلب أدلة والمساومة أو الوشاية بهم مقابل السماح له بمواصلة العيش في هذا الأسلوب، وليس بعد ما فعلوه جميعًا. لقد كان هذا المشروع كل شيء أو لا شيء من البداية. لقد اشترك بذلك وهو يعرف بالمخاطر.

بعد أن انتبه لصمت تلك الوضيعة لفترة من الوقت، فتح سترلنغ عينيه، ووجدها تنتظر أن ينظر إليها. تساءل كيف يمكن أن يكون لوجه مليء بالاحتقار أن يظل جميلًا جدًا، وكيف يمكن أن تبدو مثل هاتين العينين الزرقاوين الساحرتين بلا شفقة.

أغلقت شفرتي المقص، وقالت: "لن أطلب منك مزيدًا من المعلومات، أعتقد أن التعذيب فقط هو ما قد يجبرك على قول المزيد، وليس لديّ القدرة على لمسك، وهي الطريقة الوحيدة لإنجاز ذلك. لذا إليك ما سيحدث: ستعطيني عنوان أسباسيا وكلمة مرور عضويتك، ومفتاح سيارتك البنتلي. عندما أعود، سنفتح الخزنة، وسآخذ ما أريد".

"وأنا؟".

"هذا يعود إليك".

"ماذا لو حدث شيء ما؟ ماذا لو لم تعودي؟"

"عندما تفوّت مواعيد يوم الاثنين، سيأتي شخص ليبحث عنك. ربما لن تموت من العطش بحلول ذلك الوقت".

وقفت، وأمسكت بمنشفة من رف قريب. وقصت ثلث القماش، وألقت بالباقي جانبًا، وكورت القطعة التي تحملها.

بالنسبة إلى سترلنغ، بدت أكثر من مجرد امرأة. تحيط بها هالة من الغموض، وتملك قوى التحكم بالحياة والموت لم يسبق أن رأى مثلها من قبل؛ مخلوق من لحم ودم، ولكن باطنها مخيف ولا يمكن معرفتها بحق، كان يشاهدها برهبة، يراقب ما تقوم به، فمن المحتمل أن تكون على وشك توجيه ضربة مميتة.

أمسكت بقطعة المنشفة التي كورتها، وقالت: "سأحشر هذه في فمك، ثم أضع شريطًا لاصقًا فوقها. إذا حاولت أن تعضني، سأكسر أسنانك ثم أُحشي فمك بها. أتصدقني؟".

"نعم".

"أولًا، أخبرني أين أجد مفاتيح سيارة البنتلي والمنزل. أيضًا عنوان أسباسيا وماذا أفعل عندما أصل إلى هناك".

قال لها من دون تردد: "نعم".

"الآن الرمز لإبطال إنذار المنزل".

"تسعة، ستة، تسعة، أربعة، نجمة".

"إذا كان هذا هو رمز النجدة الذي يطلق جرس الإنذار وينبههم إلى أنك تحت الإكراه، وإذا استدعيت المساعدة، إليك ما سيحدث. بمجرد أن أطفئ جهاز الإنذار المحيطي الذي فعلته عندما عدت إلى المنزل، لن أقود بعيدًا، وأدعهم يأتون لتحريرك. سأقف هنا لخمس أو عشر دقائق لأرى إن كان هناك رد مسلح من الفيجيلانت إيغل أو من الشرطة وإن كان هناك فعلًا، سأطلق النار على رأسك. الآن هل ستعطيني رمزًا آخر لإبطال الإنذار؟".

بالكاد تعرف على صوته عندما قال: "تسعة، ستة، تسعة، خمسة، نجمة".

"رقم واحد مختلف. تسعة، ستة، تسعة. خمسة - وليس أربعة. هل هذا صحيح؟".

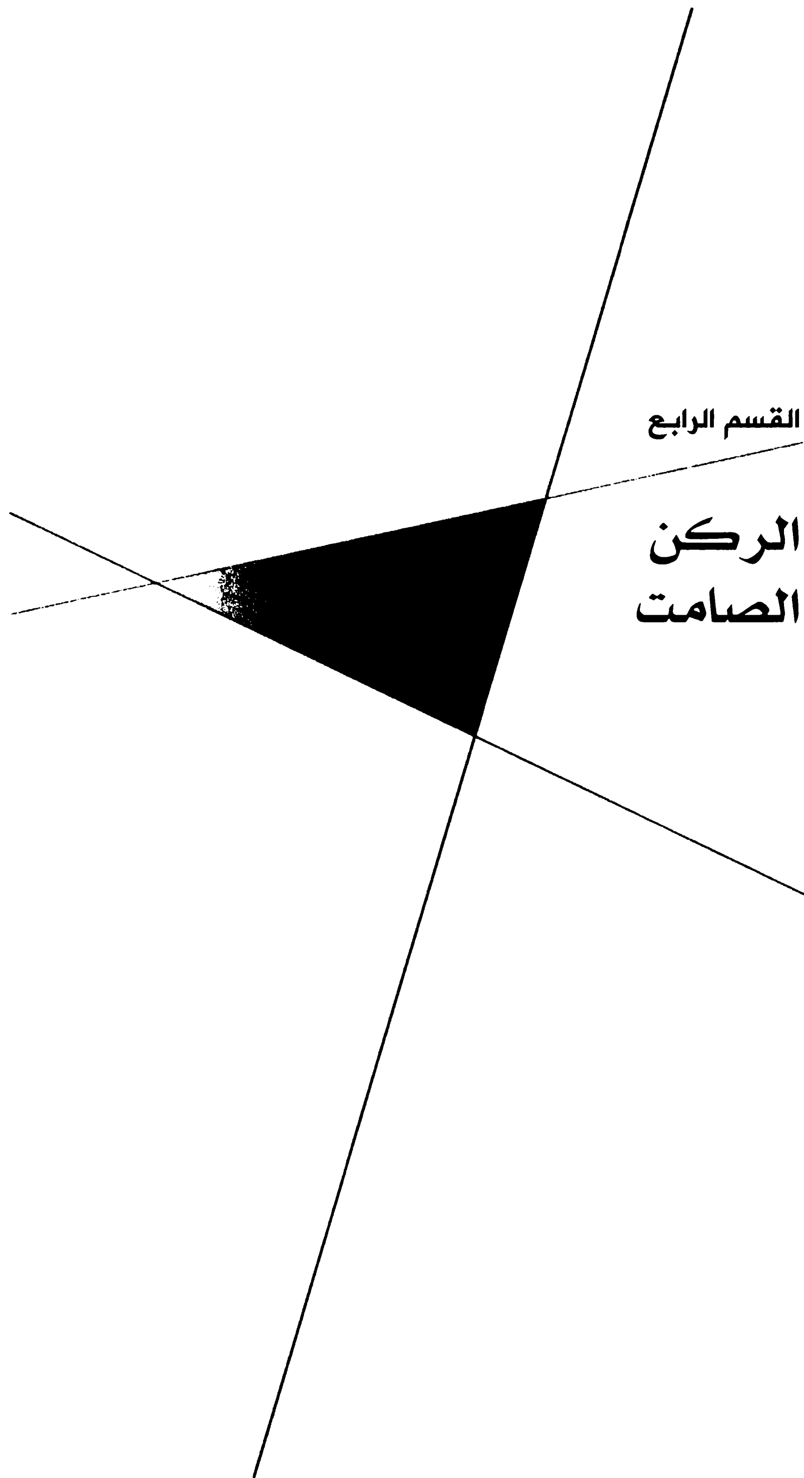
"نعم".

جلست إلى جانبه مرة أخرى، وفتحت فمه، وحشرت قطعة القماش فيه، وأخرجت من حقيبتها الكبيرة شريطًا لاصقًا. إنها ليست حقيبة يد بل إنها كيس ساحرة لعينة، قصت قطعة من الشريط، وألصقت فمه. ولفت الشريط مرتين حول رأسه لتثبت القطعة في مكانها.

ذهبت بعيدًا إلى لوحة الكريسترون في غرفة النوم، وسمع صوت إدخالها للرمز والصوت المسجل: "تم إبطال أجهزة الإنذار".

عندما عادت، سحبت مسدسًا من تحت سترتها الرياضية، ووقفت فوقه على بعد ذراع منه، ووضعت فوهة المسدس على بعد قدم من وجهه.

يعلم أنه قد أعطاها الرمز الصحيح، وأن أحدًا لن يأتي، ولن يكون هنالك رد مسلح. ومع ذلك، سواء خمس أو عشر دقائق، هذه الدقائق من الانتظار كانت الأطول في حياته.



القسم الرابع

# الركن الصامت

# 1

في ولاية فرجينيا، بقي ناثان سيلفرمان إلى وقت متأخر أكثر من المعتاد في مكتبه حتى يتمكن من مراجعة أشرطة الفيديو المحررة والمجمعة من حديقة باليساديس في سانتا مونيكا ومن الفندق، والتي وصلت من لوس أنجلوس في وقت متأخر ظهيرة ذلك اليوم.

كانت كاميرات الفندق محصورة في عدد محدود من الأماكن الداخلية، ولكن الفيديو كان في منتهى الوضوح.

شاهد جين عند مدخل الردهة، وبالعودة إلى الكاميرا رآها تفتح الباب. شقت امرأة على مزلاجين طريقها مباشرة إلى المصعد تحمل حقيبتين. ربطت جين الباب الأمامي بسلسلة وقفل، وانضمت إلى المتزلجة في المصعد ثم شاهدهما في مرأب الزوار، وشاهدهما تخرجان منه، حملت المتزلجة مزلاجيها وحملت جين كيس قمامة وأسرعتا بصعود المنحدر.

لابد أن سيارة كانت بانتظارهما في الزقاق أو في مكان قريب ولم يكن الفندق - الذي كان مالكه خائفًا من اتهامه بانتهاك خصوصية الأماكن العامة - قد وضع كاميرا في الزقاق. ولم يكن هنالك تغطية في تلك المنطقة من المدينة. لم يكن بالإمكان معرفة إلى أين ذهبت جين والمتزلجة من تلك النقطة.

فيديو الحديقة ولقطات كاميرا المرور سجلتها كاميرات أقدم وأرخص غطى الغبار عدساتها، لذا كانت جودة صورها سيئة. يجب أن يخضع الفيديو لكثير من التحسين للحصول على أي فرصة لتحديد الشخصيات المختلفة.

إلا أن ما كان واضحًا وليس محل نقاش، هو حصول تبادل لشيء ما في الحديقة، وأن جين خشيت من أن يوقعها الشخص الذي تجري المبادلة معه بفخ من نوع ما. بالحكم على عدد الأشخاص المرتبطين بالرجل الذي يحمل الحقيبتين والبالون الرمادي كانت محقة في ما توقعته.

لم يكن سيلفرمان قد خصص بعد محققًا لهذه القضية. في البداية، سيكون هو نفسه، العميل الخاص المسؤول، فهو لم ينبه المدير إلى إمكانية أن يكون أحد عملائه قد أصبح فاسدًا، إذ لم يكن هناك شيء أسوأ يمكن أن يحل بالمكتب من شخص يعمل باسمه، ويخرق القوانين التي أقسم على التمسك بها، حتى وإن اتهم وثبت لاحقًا بطلان اتهامه. سيظل اسم جين ملطخًا إلى الأبد، وإن كان مجرد اتهام. كانت حياتها قد كسرت بالفعل بفقدان نِك، وقد تحطمها صدمة أخرى.

تردد في رأسه صوت غلاديس تشانغ: "لم تكن خائفة، لم تكن خائفة على نفسها، كانت خائفة على ابنها الصغير، على طائرها الجميل".

إنه يوم الجمعة، وقد استمرت التحقيقات في الجرائم على مدار الساعة طوال اليوم، ولكن في الحالات التي لا توجد فيها خمس قضايا ينظر فيها للحكم، ولا تكون إحداها مرتبطة بالأمن القومي، يقوم المكتب بالحدّ من كثافة عمله يوميّ السبت والأحد. وهذا ما يمكن لناثان أن يستند إليه ليبرر تأجيل التحقيق في مسألة جين هوك حتى يوم الإثنين.

لكن ما قد يفعله خلال الساعات الاثنتين والسبعين المقبلة، يمكن أن يحدد مصيره بقدر ما قد يؤثر على جين نفسها. كان قد حجز لتناول العشاء مع ريشونا في مطعمهما المفضل في فولز تشيرش، وقال إنه سيطلعها عما يفكر به، وما هي الخطوات التي يجب اتخاذها في هذه المسألة. بعد كل شيء، إذا كان عليه أن يمشي شوطًا طويلًا، كان ليأخذ ريشونا معه. إذا لم يكن هنالك في الوقت الراهن أي شخص لديه نية بإيذائه وقطع أطرافه ليمنعه من المشي في هذا الطريق، سيكون هناك على الأرجح أحد في وقت ما في الأسبوع المقبل. عندما تتصرف على مبدأ دون الشعور بالرحمة، سيكون هناك عاجلًا أم آجلًا شخص ما يحمل منشارًا ويخطط لإيذائك.

قاد سيارته إلى المنزل، وكانت حركة المرور أخف مما توقع، وكان الطقس قد اتخذ منعطفًا نحو بداية الربيع، وكان الشفق في ماكسفيلد باريش سحريًا بلون أزرق.

في الليلة الماضية، لم يتحطم مزراب مياه الأمطار الذي أصلحه بنفسه، ربما كان الحظ في الوقت الراهن إلى جانبه لدرجة أن المشي لفترة طويلة على ساق واحدة سيستحق المخاطرة.

# 2

بالرغم من أن المال لا يمكنه شراء السعادة، إلا أن قيادة البنتلي قادرة على تهدئة العقل المضطرب. كانت مدة ذروة الازدحام في لوس أنجلوس على الأقل أربع ساعات، فشقت الحكومة أكبر الطرق السريعة في البلاد، لكنها صنفت الأخيرة من حيث نوعية منعطفاتها. في سيارة البنتلي الخاصة بأوفرتون، أخفى نظام التعليق الأسطوري كل المطبات السيئة في الطريق.

فكّرت جين عندها بمشكلة رجل مثل أوفرتون. الثروة لم تفسده، بل ما اختار القيام به بثروته أفسده. في البداية عزل نفسه عن التجربة الإنسانية العادية، ثم اعتبر نفسه متفوقًا على الجميع، وحرر نفسه من جميع القيود وليس فقط من الأخلاق. لكنها أحست في وقت لاحق بتبرير لما فعله لأنه أمر ينمو كالورم في النفس البشرية.

بالرغم من أن القيادة السلسة للبنتلي خففت من شعورها بالتخبط، إلا أنها لم تقلل من سخطها، كان غضبها يزداد برودة وقساوة. تقع أسباسيا في منطقة نائية مجاورة لسان مارينو، وهي تجمّع جميل من المنازل القديمة والعقارات المجاورة لباسادينا. أشار نظام تحديد الموقع العالمي في البنتلي لجين بنفس الصوت الذي من شأنه أن يساعدها في العثور على طريقها إلى مكتبة أو كنيسة.

وفقا لأوفرتون، المنشأة عبارة عن قصر أعيد ترميمه وهو مبني على عقار تبلغ مساحة ثلاثة فدادين. نصحها صوت نظام تحديد المواقع أن تنعطف يسارًا إلى شارع هادئ في الضواحي، ركنت السيارة في ممر، وأضاءت المصابيح الأمامية على بوابة حديدية مؤلفة من درفتين ثقيلتين مزخرفتين يبلغ ارتفاعها عشر أقدام. لا يمكن رؤية شيء مما يقبع خلف البوابة. البوابة هي جزء من جدار يحيط بالعقار ويبلغ ارتفاعه عشرة أقدام، تغطيه أوراق اللبلاب، وتعلو الجدار حدائد مدببة مثل الرماح. لم يكتب على صندوق البريد اسم مالك العقار، بل اكتفي بذكر رقمه.

عندما أنزلت جين زجاج النافذة، ونظرت إلى صندوق الاتصال، لم ترَ أي عدسة مراقبة. يبدو أن أوفرتون كان صادقًا بعدم ربط البوابات بكاميرات.

باستخدام لوحة المفاتيح في صندوق الاتصال، أدخلت الأرقام الأربعة لرمز عضوية أوفرتون تلتها كلمة السر -فيدار- وهو اسم إله وثني نجا من معركة راغناروك؛

وهي الحرب التي قضت على جميع الآلهة الأخرى. عندما بدأت درفتا البوابة بالتراجع إلى الخلف، تساءلت إن كان كل هؤلاء الحمقى المصابين بجنون العظمة قد أعطوا أنفسهم أسماء آلهة وثنية. استلت مسدسها، المزود بكاتم للصوت، ووضعت السلاح على مقعد الراكب، في متناول اليد.

بالنظر إلى ظروف أوفرتون أثناء استجوابه، والمعاناة التي كان سيتحملها إذا لم تعد، شككت جين في أنه يخدعها. بدت فكرة حارسين مبرمجين على عدم رؤية الأعضاء بمثابة كذبة سخيفة، أقرب إلى الخيال، لكنها تذكرت الفئران في شريط الفيديو الخاص بشينيك.

قبل أن تستطلع العقار، وتفكر بإجراء تحقيق بشأنه، وقبل أن تخطو إلى شيء جديد ورهيب لا يزال مجهولًا بالرغم من كل ما تعلمته. سيطر عليها التوجس، وترددت في المضي قدمًا. لم يكن لديها أي مكان تذهب إليه، وسيعتبر أي شخص لا يعرفها جيدًا قصتها بمثابة هذيان شخص مذعور، وإن صدقها بعض الأصدقاء، سيخسرون حياتهم، إن كانوا في وضع يسمح لهم بمساعدتها.

كان أوفرتون يعرف أكثر مما أخبرها، لكنه لم يخبرها أكثر من ذلك، وهي لم تنوِ تعذيبه، لتأخذ المزيد من المعلومات منه باستخدام كماشة، أو نصل سكين.

مدت يدها إلى جيب سترتها الرياضية، وأخرجت القلادة التي أعطاها إياها ترافيس. سمعت صوت ترافيس يتردد في رأسها. عرفت على الفور أن الحظ سيكون إلى جانبها، مسحت سطح القلادة بإبهامها. وشدت قبضتها عليها، وكأنها تعويذة سحرية.

أعادت القلادة إلى جيبها، وقادت عبر البوابة متوقعة أنها سوف تضطر إلى القتال في طريقها للخروج.

## 3

يحتوي جناح بوريسوفيتش على ثلاث غرف مع حمام خاص في الطابق الأرضي من القصر، وهو مريح جدًا. لقد أعطي كل ما يحتاج إليه وهو سعيد في حياته التي لا يبذل فيها أي جهد، وكان جناح فولودين في الطابق الأرضي أيضًا، وهو الآخر أعطي كل ما يحتاج إليه وهو سعيد في حياته التي لا يبذل فيها أي جهد

يلعب بوريسوفيتش وفولودين الورق على طاولة العشاء في جناح بوريسوفيتش. إنهما يلعبان بتنافس، بالرغم من أنهما لا يلعبان من أجل المال فهما ليسا بحاجة إليه. إنهما يمضيان معظم وقتهما باللعب؛ يلعبان كل أنواع ألعاب الورق، وطاولة الزهر، والشطرنج وسواها من الألعاب.

في غرفة اللعب المشتركة، غالبًا ما يلعبان البلياردو أو السهام، أو الشفلبورد. أعضاء أسباسيا لا يستخدمون غرفة اللعب. إنها مخصصة لبوريسوفيتش وفولودين والفتيات. كان أرباب عملهما كرماء وعطوفين. يشعر بوريسوفيتش بأنه محظوظ لحصوله على هذه الوظيفة وهو يعلم أن فالودين يشعر بالمثل. كان ممتنًا لأن أرباب عملهما كرماء.

في الصباح، بين الساعة التاسعة والحادية عشرة، عندما لا يُسمح بدخول الأعضاء، سيختار كل من بوريسوفيتش وفولودين فتاة لخدمته. في الوقت الراهن هناك ثماني فتيات في المنزل، إنهن فتيات جميلات جدًا ومنقادات.

قد يفعل بوريسوفيتش وفولودين أي شيء مع الفتيات، باستثناء إيذائهن. فبوريسوفيتش وفولودين ليسا عضوين.

في هذا الوقت، كانا يلعبان الجن رومي، ووضعا إلى جانبهما كأسين من الكوكا كولا. في السابق كانا يفرطان في الشرب، لكنهما لم يعودا رجلين ينغمسان في الكحول بعد الآن. فالحزن الذي كان يكتنفهما سابقًا أصبح شيئًا من الماضي لا يحتاجان إلى الحديث عنه أو تذكره، لأنهما سعيدان الآن.

لا يتحدث بوريسوفيتش وفولودين كثيرًا عندما يلعبان، وحين يتحدثان، فإن حديثهما هو في الغالب عن اللعبة أو الفتيات، أو ما تناولاه على العشاء.

عادة ما يتحدث الناس لكي يشكوا أو يعبّروا عن قلق ما، ولكن بوريسوفيتش وفولودين ليس لديهما ما يشكيان منه أو يقلقان بشأنه. إنهما لا يغادران المنشأة، لم تعد معاناة الحياة في العالم وراء هذه الجدران تؤثر فيهما.

لقد زود كل واحد منهما بسلاح ويلسون التكتيكي المصنّع لنخبة المقاتلين مع كاتم للصوت. في الأشهر العشرة التي عملا فيها في هذه المنشأة، احتاجا إلى قتل اثنين فقط والتخلص منهما، وكانا دخيلين دخلا العقار معًا في الليلة نفسها، شعرا بالراحة لقتلهما كنوع من التغيير.

وضع فولودين مجموعة كاملة من البطاقات المتطابقة، وكسب المزيد من النقاط، حين سمع بوريسوفيتش الصوت الأنثوي اللطيف من جهاز الإعلان يبلغ عن دخول عضو عبر البوابة. لم يكن جهاز الإعلان شخصًا، بل هو نظام آلي لرصد التطورات المهمة في أسباسيا. سجل فولودين نتيجة اللعبة، وخلط بوريسوفيتش الأوراق.

## 4

بعد أن عبرت جين البوابة، مرت بدرب طويل من الأعمدة المضاءة، وشكّلت التيجان المرتبة الضخمة سقفًا فوق اثنين من الممرات المرصوفة بالحجارة. أثار هذا التصميم المذهل في جين توقعًا بأنه ستشهد في نهايته البعيدة أعظم الفنادق أو القصور.

في الواقع ظهر شيء يشبه القصر: فيلا ضخمة من الطراز الإسباني. تحت سقف قرميدي، كانت الجدران من الجص المزين بالذهب، وربما كانت مخطئة، فما رأته لا يعدو عن كونه ظلالًا رُسمت بتأثير الإضاءة. أحاط سياج مهيب بالشرفة أمام المدخل الروماني المقوس.

أخبرها أوفرتون بأن تمر بالمنزل، الذي يمتلك عشرة مرائب، فُتح أحد الأبواب تلقائيًا لاستقبال البنتلي.

ترددت جين في ركن السيارة داخل المرأب، خشية ألا تعود قادرة على فتحه بعد أن تدخل إن حصل أمر طارئ، ولكن بافتراض أن هذه المغامرة تحولت للأسوأ، فإن البوابة الأمامية ستكون مشكلة أكبر من المرأب، لن تتمكن أن تخرج من خلال هذا الحاجز. إذا كان حظها سيئًا، فعلى الأرجح أنها ستهرب سيرًا على الأقدام وستتسلق الجدار العالي.

أخبرها أوفرتون أنه عندما يكون الطقس سيئًا، يمكن لعضو النادي استخدام ممر تحت الأرض بين المرأب والمنزل. قد يكون مثل هذا الطريق في حالة جين وكأنه فخ مميت. عندما خرجت من المرأب، أُغلق الباب خلفها.

حملت المسدس بشكل ظاهر إلى جانبها فوصل كاتم الصوت الممدود إلى وسط ساقها. هنا في المناطق الألطف من الوادي، كان هدوء الليل عميقًا بما يكفي تقريبًا للإشارة إلى أن خلية المتروبوليتان التي تلقي على كل نقطة من البوصلة كانت

خالية من السكان إلى حدّ كبير. بدا القمر الذي يتطاير منه الضباب، كما لو أنه كأس تتطاير منها أبخرة السم.

صعدت من الممر إلى الشرفة الأمامية عبر ثلاث درجات يحيط بها سياج. لقد كان الباب الخشبي الصلب أسفل قوسٍ روماني تحيط به الأعمدة.

دخل الضوء واجهة المنزل من خلال النوافذ ذات الإطار البرونزي والمرصعة بجواهر ملأت العوارض. كان للمنزل الكبير نوعية خرافية من الزخرفة، وأحاطت به مجموعة من النخلات، ولكن بالرغم من جماله وهالته السحرية، فكّرت جين كم كان يشبه قصر بو[1] المسكون.

لا توجد كاميرا تراقب المدخل، ولكن بجانب الباب هناك لوحة مفاتيح مثل تلك الموجودة عند مدخل البوابة الرئيسية. أدخلت رقم العضوية الخاص بأوفرتون، واسم فيدار مرة أخرى، فانفتح القفل الإلكتروني، وتأرجح الباب كاشفًا عن رواق واسع أنيق الأرضية صممت بنوعين من الرخام؛ الأسود المعرق بالذهبي، والأبيض المعرق بالأسود. دخلت جين حاملة المسدس إلى جانبها.

أُغلق الباب خلفها بشكل تلقائي، وأُغلق القفل.

# 5

بصوت لا يمكن أن تسمعه أذن شخص عادي، أعلن جهاز المراقبة عن دخول عضو إلى المنزل. رتب بوريسوفيتش البطاقات.

تساءل فولودين: "هل سيتم التخلص من فتاة أخرى؟".

أجاب بوريسوفيتش: "الاحتمال وارد".

"لم يسبق أن حدث الأمر مرتين أو على الأقل لا أتذكر حدوثه".

"ولا حتى مرتين في شهر واحد. عمليات التخلص قليلة".

وافقه فولودين: "إنها نادرة".

---

(1) إدغار ألن بو مؤلف أميركي، ينتمي إلى الحركة الرومانسية، من أوائل كتاب القصة القصيرة، وهو أول كاتب أميركي حاول التعيش من مهنة الكتابة فقط، فكانت حياته صعبة من الناحيتين المالية والمهنية، ومن مؤلفاته قصيدة القصر المسكون. المترجم.

"إنها نادرة جدًا".

كشف فولودين عن أوراقه.

"أمازلت حقًا ترغب بلعب الجن رومي".

"لا مانع لدّي".

"يمكننا أن نلعب الشطرنج".

"لا مانع لديّ مع أي منهما".

فقال فولودين: "وأنا أيضًا".

سأله بوريسوفيتش: "ما رأيك أن نتابع لعب الرومي جن؟".

أومأ فولودين: "لِمَ لا، ما دام الأمر لبعض الوقت".

"لِمَ لا". وافقه بوريسوفيتش.

## 6

كان ارتفاع القاعة الرئيسية التي تلت الرواق عشرين قدمًا وكان سقفها منقوشًا، وبُلّطت الأرضية ببلاط فرنسي. تم بناء المنزل ليحتضن فناء بثلاثة جوانب يمكن رؤيته بالكامل من بين الأعمدة، من خلال النوافذ ذات الإطار البرونزي الممتدة من الأرض إلى السقف. كانت المساحة في الهواء الطلق مضاءة بهدوء بواسطة أعمدة الإنارة العتيقة، وفي وسطها، حمام سباحة بحجم بركة، متوهج باللون الأزرق ومتألق كالياقوت، وارتفعت منه تيارات غير متموجة من البخار. انتصب المنزل في صمت، وهو هدوء لم يسبق لجين أن شعرت بمثله من قبل.

على طول الرواق، انتصبت التماثيل البرونزية الكبيرة، ووضعت أزواج مطابقة من مزهريات ساتسوما الكبيرة على ألواح جانبية أنيقة. إذا كانت أسباسيا حقًا ما قيل عنها، فقد تجنبت كل كليشيهات ديكور بورديلو. الذوق الرفيع والراقي أتاح للأعضاء تلبية رغباتهم المتطرفة والتفكير في الوقت نفسه بتفوقهم على الناس الذين عاشوا معهم في البلد نفسه، وذهبوا إلى الجامعات الخطأ، أو لم يصبحوا شيئًا على الإطلاق.

عرفت من أوفرتون أن الطابق الأرضي يحتوي على جناحي رجلي الأمن، وغرف مشتركة، ومطبخ، ومساحات أخرى. ولكن حقيقة الهدف الذي خُصص له المكان

موجودة في الطابق الثاني، حيث لكل فتاة جناحها الخاص.

في نهاية الرواق هناك درجان كبيران يقودان إلى الجناح الشرقي، إلى يسار كل درج هناك تماثيل للآلهة الرومانية واليونانية القديمة: فينوس، أفروديت، بروسربينا، سيريس.

وقفت جين في صمت أسفل الدرجين، حدقت إلى الأعلى، ورأت أن هذا الصرح المتقن كان في الواقع ضريحًا، حيث جاءت الأحلام والآمال لتدفن. لم ترد الذهاب أبعد من ذلك، وفكرت بفئران المختبر وهي تُشاهد الأقفال، وتساءلت عما إذا كانت حقًا ترغب بمعرفة المزيد عن شينيك والمتآمرين معه، ستكتشف شيئًا وحشيًا وسيكون من الصعب العودة إلى ماضيها.

منذ الأزل شهدت كل حضارة فسادًا. إذا كان الفساد من القلب، يمكن للثقافة التفكير في طريقها لتصحيحه بجهد كبير، ولكن عندما يكون الفساد في العقل، كان من الصعب ألا تشعر بحاجة للانتعاش، فالقلب مخادع بطبعه. ولكن عندما يمتلئ كل من العقل والقلب بالأورام الخبيثة ماذا ستكون النتيجة؟

في النهاية، لم يكن لديها خيار.

صعدت جين الدرج. كان رواق الطابق الثاني أقل عرضًا باثنتي عشرة قدمًا على الأقل، ولم يكن أقل بذخًا من الطابق السفلي.

وفقًا لأوفرتون، هناك عشرة أجنحة في الطابق الثاني؛ خمسة في الجهة الشرقية، وخمسة في الجهة الغربية. بجانب كل باب، إطار مزخرف، يحمل صورة الفتاة التي تسكن الجناح، بدت الصور وكأنها معالجة بالحاسوب لتبدو وكأنها لوحات زيتية عالية الجودة، وكانت المساحة داخل الإطار شاشة مسطحة كبيرة، وليست قماشًا.

في حال كانت فتاة الغرفة مشغولة مع أحد أعضاء النادي أو متوعكة، تكون الشاشة فارغة، كما لو أن لصًا قد قطع القماش من الإطار ليسرق اللوحة الفنية. في هذه الجهة التي تضم خمسة أجنحة، هناك إطاران يفتقران إلى صور. إذا كانت تُلبى الرغبات المتطرفة في الوقت الراهن، فلم تسمع صوت متعة أو ألم من أي جناح.

توقفت قبالة صورة لفتاة جميلة من أصل أوراسي جلست في كرسي صيني من خشب الورد نحت عليه صورة تنين في معركة. ارتدت الفتاة رداء حريريًا أحمر مع زخرفة بيضاء على أحد جانبيه. على صدره الأيسر، زهرة في حالة من الانحلال المبكر، وبتلات ثلجية أسفل البلوزة وعلى طول إحدى الساقين.

أدارت جين مقبض الباب، فانفتح بشكل تلقائي، لم تكن سماكته أقل من أربع بوصات، ولا بد أن وزنه كان هائلًا، وهذا ما يبرر فتحه بطريقة آلية. دخلت ردهة مزينة بطراز شنغهاي ديكو الأنيق، وبألواح من الخشب العسلية وخشب الأبنوس، وتتخللها لوحة مزينة بالفضة والياقوت.

عندما أغلق الباب بهدوء خلفها، أصدر صوتًا خافتًا، كما لو أنه يُغلق بشكل محكم.

لم تشعر جين أنها انتقلت من ردهة إلى غرفة، بل كما لو أنها صعدت إلى سفينة من عالم آخر وكانت على وشك أن تلتقي بشيء غريب لدرجة أنها لن تكون على سجيتها بعد ذلك.

## 7

بعد الردهة دخلت غرفة جلوس، حيث جلست فتاة بهية الطلة ترتدي رداء أحمر مزينًا بورود الأقحوان.

عندما رأت جين روعة الفتاة ظنت أنها نسخة صممها حاسوب، أو أنها لوحة زيتية رسمها أحد مبدعي القرن العشرين، ولكنها كانت فتاة حقيقية جميلة إلى حدّ لا يمكن تصوره.

ابتسمت الفتاة، ونهضت عن كرسيها، ووقفت في وضع لم يوحِ أنها وضيعة تسعى وراء الإغراء، ولا أنها مثقفة راقية على معرفة بما يحيط بها، أسدلت ذراعيها إلى جانبيها، وأحنت رأسها بعض الشيء، وأحاطت وجهها الجميل خصلات من شعرها الأسود الذي يبلغ كتفها، بدت تقريبًا مثل طفلة مهذبة تقف منتظرة أن يثني عليها أحد والديها. كانت نظرة عينيها المباشرة خجولة إلى حدّ ما، لكن عندما تحدثت، أوحت نبرة صوتها العفوية أنها أصغر بعشر سنوات مما بدت عليه.

"مساء الخير. أنا سعيدة جدًا لأنك تمكنت من زيارتي".

رأت الفتاة المسدس الذي تحمله جين إلى جانبها، لكنها لم تظهر أي علامة خوف أو حتى أدنى اهتمام كما لو أنه لا يحق لها أن تبدي رأيها بما يجلبه الزوار إلى جناحها.

"أتريدين أن أحضّر لك كوكتيل؟ أو الشاي أو القهوة؟".

قالت جين: "لا، لا، شكرًا لك. ما اسمك؟".

أمالت الفتاة رأسها، وابتسمت: "ماذا تريدين أن يكون اسمي؟".

"أريده أن يكون الاسم الحقيقي".

بدا صوتهما خافتًا، ليس لأنهما يتحدثان بصوت خافت، بل لأن الجدران صممت لتمتص الصوت، ربما كانت مبطنة بعوازل صوتية، شبيهة بتلك الموجودة في غرف الإذاعات.

أومأت الفتاة برأسها: "يمكنك أن تدعوني لو لينغ" مهما يكن اسمها فهو لم يكن في الحقيقة لو لينغ. "وماذا يمكن أن أدعوك؟".

"ماذا تريدين أن يكون اسمي؟".

"هل يمكن أن أدعوك فيبي؟".

سألتها جين: "لماذا فيبي؟".

قالت لو لينغ: "يعني اسم فيبي في اليونانية مضيء ومشرق". وأخفضت رأسها بخجل. "هل ترغبين الاستماع إلى الموسيقى فيبي؟".

تحركت نحو أقرب نافذة، قالت جين: "ليس الآن. في البدء هل يمكننا التحدث لبعض الوقت؟".

أجابتها لو لينغ: "سيكون هذا رائعًا".

تفقدت جين الزجاج، ونقرت عليه بقبضتها. بدت النافذة سميكة بشكل استثنائي، لا بد أنها صنعت من ثلاثة ألواح من الزجاج كدست فوق بعضها.

سألت لو لينغ: "هل ستنضمين إليّ على الأريكة؟".

جلست الفتاة، وضمت ساقيها تحتها، ومدت إحدى ذراعيها الرشيقتين على طول الجزء الخلفي من الأريكة.

جلست جين على بعد بضع أقدام من لو لينغ، ووضعت المسدس على الوسادة إلى جانبها، وليس بينهما.

قالت لو لينغ: "يسرني جدًا أن تزوروني سيدة".

كانت جين قد تساءلت إن كانت عضوية النادي تقتصر على الرجال، ولكن من الواضح أن الأمر لم يكن كذلك. "أعتقد أن هذا الأمر لا يحدث في كثير من الأحيان".

"صحيح، لأن متعة السيدات متعة خاصة. أنت جميلة جدًا يا فيبي".

"أنا لست عضوة في تجمعكم هذا".

"أنتِ متواضعة بقدر ما أنت جميلة".

"منذ متى وأنت هنا، لو لينغ؟".

ابتسامة الفتاة لم تتجمد تمامًا، لكنها خبت عندما شعرت بالحيرة. وقالت: "لا يوجد وقت هنا. ليس لدينا ساعات. لقد خرجنا من العالم، خارج الزمن. أنا سعيدة هنا".

قالت جين: "لكن يجب أن تعرفي كم مضى عليك هنا. شهر؟ ثلاثة أشهر؟".

"يجب ألا نتحدث عن الوقت، الوقت عدو كل الأشياء الجيدة".

سألتها جين: "هل سبق لك أن فكرتِ بمغادرة هذا المكان؟".

رفعت لو لينغ حاجبيها: "لماذا أُفكر بالمغادرة؟ لا يوجد في الخارج سوى القبح، والوحدة، والرعب؟".

لم تبدُ محادثة المرأة مصطنعة تمامًا، ولكن كان هناك نوعية من التكيّف في كل لفتة واستجابة لها. رغم أنها بدت حقيقية بصوتها اليافع، وتعابيرها صادقة، لكن كان هناك شيء فيها غير حقيقي، بدت وكأنها كائن غير أرضي.

## 8

حين أظهر بوريسوفيتش مجموعة من البطاقات التي يبلغ مجموعها أقل من عشر، وأنهى اللعبة، أعلن جهاز المراقبة عن سؤال غير لائق وجهه عضو إلى إحدى الفتيات. جهاز المراقبة لا يطلع على المحادثات في أجنحة الطابق العلوي، لكنه يتلقى من الفتيات تلك الأسئلة والعبارات التي تعتبر انتهاكات محتملة للبروتوكول. في هذه الحالة كان السؤال: "هل سبق لك أن فكرتِ بمغادرة هذا المكان؟".

بعد أن تلقى فولودين المعلومة نفسها لم يعد ينظر إلى البطاقات بل إلى بوريسوفيتش. تغاضى بوريسوفيتش من وقت إلى آخر عن مثل هذه الأمور، فقد يقول الأعضاء أشياء إشكالية، بالرغم من أنه لم يتسبب أي منها بحادث خطير.

أكثر ما يزعج الحارسان بالرغم من أنه لا يحدث إلا نادرًا، هو الطلب منهما القيام بعملية تخلص، لولا هذا الطلب لكان عملهما سهلًا يسيرًا، فهما سعيدان ويمتلكان ما هما بحاجة إليه، وأرباب العمل يعاملونهما بكرم، وقد صارت حياتهما الحزينة السابقة من الماضي الذي لم يعودا يفكران به، حتى أنهما لا يرغبان بذلك.

خلط فولودين الأوراق.

# 9

بالرغم من جمال لو لينغ الاستثنائي، وامتلاكها الظاهر لذاتها، بدا شعورها بالضعف جليًا بالنسبة إلى جين، كانت متواضعة وتعيش حالة من الإنكار، وربما كان سوء حالتها من الفظاعة بحيث من الأفضل إنكاره، وربما لم تكن قادرة على معرفة حقيقة وضعها، وبالتالي لم تكن قادرة على التعبير عن حقيقة مشاعرها لأنها لا تعرفها.

"لو لينغ، كيف تمضين وقتك عندما لا يكون هنالك زوار .

"أنظف جناحي، وهو ليس بالأمر الصعب، وارتاح في الوقت الباقي، أصحاب العمل كرماء معي".

"هل يدفعون لك؟".

أومأت لو لينغ برأسها، مبتسمةً: "إن ما أتقاضاه هو العطف، وكل شيء متوافر لي، وعلاوة على ذلك أنا محمية من بشاعة العالم".

"أليس هناك من بشاعة هنا في أسباسيا".

قالت لو لينغ: "أبدًا، المكان هنا في غاية الجمال".

"وعندما لا يكون لديك أعمال تنظيف؟".

"أجهّز وجبات طعامي، التي أستمتع بها كثيرًا. أُعطيت كل الراحة، وأنا أعرف ألف وصفة ووصفة". انتابتها فرحة مفاجئة، وصفقت بيديها، وبدت مسرورة لاحتمال أن تطبخ لزائرتها: "هل لي أن أَعِد لك عشاء رائعًا يا فيبي؟".

"ربما لاحقًا".

"أوه، جيد. جيد، سوف تحبين طبخي".

"أنت تقومين بالتنظيف والطهي، ماذا تفعلين أيضًا عندما لا يكون هناك زوّار؟".

"أُمارس الرياضة. أحب ممارسة الرياضة. كما يتوفر نادٍ رياضي مجهز بالكامل في الطابق السفلي. لدي روتين رياضي دقيق. مجموعة محددة من التمارين المختلفة لكل يوم من أيام الأسبوع، لا بد لي من الحفاظ على صحتي ومظهري. لديّ روتين دقيق، وأتبع نظامًا غذائيًا. أنا لا أتكاسل، أنا جيدة جدًا في هذا الأمر".

أغمضت جين عينيها، وتنفست بعمق وببطء. سبق لها أن استجوبت قتلة متسلسلين بشأن رغباتهم، وأقسى أساليبهم في القتل، لكن هذه المحادثة استنفدت صبرها وأجهدتها.

لم تتمكن من التوقف عن تصور الفئران التي شاهدتها في الفيديو، ولم تبارحها صورة نِك الغارق بدمه. مصائر نِك، والفئران، وهذه الفتاة كانت تتحدد من خلال التطبيق الشرير لتكنولوجيا قوية والتي لم يكن لديها سوى تصور غامض عنها، بالرغم من أن الأشخاص الذين يقفون وراء هذا المخطط، وهذه المؤامرة، وهذا الرسم الجديد للجحيم، كان لهم أغراض قد تتفهمها جيدًا، فقد كان لديهم نوايا أيضًا -لكن لماذا الانتحار؟ - لم تتمكن من فهم ذلك على الإطلاق.

سألتها لو لينغ: "هل ترغبين بكوكتيل الآن؟".

فتحت جين عينيها، هزّت رأسها: "ماذا عن الفتيات الأخريات هنا. هل تعرفينهن؟".

"نعم، إنهن صديقاتي، إنهن صديقات رائعات، نحن نمارس الرياضة معًا وأحيانًا نرفّه عن الزوار معًا".

"ما هي أسماؤهن؟".

"الفتيات؟".

"نعم، ما هي أسماؤهن؟".

سألتها لو لينغ: "ماذا ترغبين أن تكون أسماؤهن؟".

بدورها سألتها جين: "أنت لا تعرفين أسماءهن، أنت لا تعرفين من هن أو من أين أتين، أليس كذلك؟".

"بالطبع أعرفهن، إنهن صديقاتي، إنهن صديقات رائعات، نحن نمارس الرياضة معًا".

"هل تضحكن معًا يا لو لينغ؟".

تشكلت خطوط على وجهها الأملس الذي لا تشوبه شائبة، لكنها كانت مثل تموجات سببها حجر رمي في بركة، تشكلت وتلاشت بحلول الوقت الذي تحدثت فيه: "أنا لا أعرف ما الذي تقصدينه يا فيبي".

"هل تبكين معًا؟".

نظرة إدراك اجتاحت وجه الفتاة. عندما تحركت لتقترب من جين أصدر حرير ثوبها الأحمر صوت احتكاك، وضعت إحدى يديها على فخذ زائرتها: "أتريدينني أن أبكي يا فيبي؟ هناك جمال في الألم، وجمال أكبر في الإذلال. لا يوجد شيء سوى الجمال في أسباسيا. لا شيء قبيح، وأنا لك تمامًا. أنا ملكك".

هنا كانت البشاعة في هذا القصر المظلم الجميل، نهضت جين عن الأريكة وهي ترتعش من الغضب وتشعر بالغثيان.

"أنتِ لستِ ملكي، ولستِ ملك أحد".

## 10

تلقى جهاز المراقبة من الفتاة بيان إشكالية للعضو الزائر، ونقله إلى بوريسوفيتش وفولودين: "أنت لستِ ملكي، ولستِ ملك أحد".

وضع الرجلان بطاقاتهما جانبًا، ونظرا إلى سلاح الويلسون 45 الملقى على الطاولة، لكنهما لم يمساه.

قال فولودين: "إنه مجرد عضو".

قال بوريسوفيتش: "لم يحدث أي خرق للمباني، لم يكن هناك أي إنذار".

لا يُستخدم العنف ضد الأعضاء أبدًا. نادرًا ما يُفتن عضو بفتاة معينة، ويرغب أن تكون حصرًا له، لا يمكن السماح بذلك داخل جدران أسباسيا. يجب أن يمتنع العضو

عن القيام بأي شيء متهور. ويجب على عضوين آخرين، من الموجودين، أن يأتيا للتشاور معه وتغيير رأيه.

حتى الآن، لا يبدو أن هذا العضو قد قال أو فعل ما يستدعي تدخلًا. سيتخذ جهاز المراقبة هذا القرار وفقًا لبرنامجه.

# 11

عندما نهضت جين عن الأريكة، نهضت لو لينغ كذلك، ووضعت يدها على كتف جين: "فيبي، ما من شيء سيئ يحدث هنا. لديك رغباتك، ولديّ رغباتي هذا كل ما في الأمر".

كانت عينا الفتاة مزعجتين، ليس لأنها نظرت بجرأة إلى عيني جين، بل لأن نظرتها كانت ثابتة وضحلة مثل دمية زجاجية العينين، وهي لم تكن كذلك. كانت عينا لو لينغ بركة لامعة لا قعر لها من الظلام، تحتويان على لغز كل إنسان. ولكن كان هناك اختلاف في هذا العمق، لأنهما لا تعجان بالحياة مثل سائر العيون، ولا تعكسان عددًا لا يحصى من الآمال، والطموحات، والمخاوف التي تسبح كالأسماك. بدلًا من ذلك، ورغم عمقهما، كانتا عينين خاويتين، تتيحان إلقاء نظرة إلى قاع محيط حيث الضغط هائل، والحياة متناثرة ونادرًا ما يضطرب صمت الأشياء الغارقة فيه.

سألتها جين: "هل حقًا لديك رغبات، لو لينغ؟".

تغلب خجل طفولي على الفتاة مرة أخرى. أصبح صوتها الناعم أكثر ليونة: "نعم، لديّ رغبات. رغباتي هي رغباتك. أن أكون مفيدة وأن تستغليني، هذا ما يرضيني".

أبعدت جين يد لو لينغ عن كتفها، التقطت المسدس الذي وضعته على الأريكة.

كما كان الحال من قبل، لم تبدِ الفتاة أي قلق بشأن السلاح. ربما كانت لتتلقى رصاصة وهي تبتسم، فلا شيء يحدث في أسباسيا يمكن أن يكون قبيحًا، فبالرغم من كل شيء، كل خطأ ارتكبه عضو هنا كان يُعامل على أساس أنه صواب.

قالت جين، وتحركت نحو الباب: "يجب أن أذهب".

"هل خيبت أملك؟".

توقفت جين، نظرت إلى لو لينغ بحزن لم يسبق لها أن شعرت بمثله، حزن مقترن بالإحباط، والغضب، والرهبة، والسخط، والإنكار. لم تغسل هذه الجماعة دماغ الفتاة فقط، لقد تخطوا بأفعالهم ذلك، لقد مسحوه ولم يبقَ منه سوى خيوط ممزقة، بعدها أعيدت حياكة هذه الخيوط لتكوين شخصية جديدة. لم تكن جين تعرف إلى من تحدثت، أو إلى ماذا تحدثت، سواء إلى جزء من بعض خيوط الفتاة التي كانت عليها فيما مضى، أو إلى جسم تلك الفتاة التي تديرها الآن بعض البرامج الغريبة.

"لا، لو لينغ. لم تخيبي ظني، لا يمكنك أن تخيبي ظن أحد من أعضاء النادي".

أشرق وجهها الذي لا تشوبه شائبة بابتسامة: "حسنًا، جيد. آمل أن تعودي كي أتمكن من أن أطبخ لك عشاءً مثاليًا أعرف ألف وصفة ووصفة، وأريد أن أسعدك".

إن كان هنالك بعض الوعي الصغير المسجون بعيدًا داخل هذه الفتاة كان ليصرخ صرخة يسمعها أحد من قعر تلك الهاوية، وإن أرادت جين إخراجها من أسباسيا، فلمن ستعيدها؟ إلى ماذا؟ وإلى أين؟ لن يتم التعرف إليها إلا عن طريق بصماتها. كانت لتعيدها إلى أسرة ما كانت لتعرفها، وما كانت لتعرف هذه الشخصية المنسوجة، ولن تعرف كيف تعيد نسخ الخيوط الهشة المتبقية لتعيدها إلى ما كانت عليه. فليس هناك أي علاج نفسي يمكنه أن يعيدها إلى سابق عهدها، وإن أراد جراح فتح جمجمتها ليجد جهاز نانو مزروعًا في دماغها، فلن يعرف كيفية إزالته، وعلى الأرجح لن تعيش بعد إزالته.

"لا أرغب بشيء سوى إسعادك"، كررت لو لينغ. بعد أن جلست مجددًا على الأريكة. ابتسمت وأخذت تمسد مكان جلوس زائرتها على الأريكة.

تساءلت جين... عندما لم تكن الفتاة تنظف جناحها، وهو الأمر الذي لا يستغرق الكثير من الوقت، وعندما لم تكن تعد وجباتها، وعندما لم تكن تمارس الرياضة، وعندما لم تكن تخدم زوارها، كم من الوقت جلست وحدها صامتة تحدق إلى الفضاء، كما لو كانت دمية تخلى عنها طفل ترك ألعابه ولم يعد يحبها؟

شعرت أن مقبض الباب متجمد عندما لمسته. انفتح الباب من تلقاء نفسه، خرجت إلى الردهة، وأُغلق الباب خلفها.

بدا الرواق أكثر برودة مما كان عليه في وقت سابق، فشعرت بقشعريرة وبثقل في ساقيها. استندت إلى الحائط، وتنفست ببطء وعمق، وشعرت أن المسدس ثقيل جدًا.

## 12

لم يقدم جهاز المراقبة أي تقارير تجاوز جديدة من جانب العضو مع الفتاة رقم ستة.

انتظر بوريسيفيتش وفولودين حدوث أي تطورات، بعد أن فقدا الاهتمام في لعب الورق. عندما لم تحدث أي تطورات، قال فولودين: "لقد أظلمت، يمكننا المضي قدمًا الآن للتخلص منها".

"نعم يمكننا ذلك". وافق بوريسوفيتش على ذلك. نهض والتقط سلاحه وعلقه على كتفه، وقام فالودين بالشيء نفسه. لم يرتدِ أي منهما سترة تخفي سلاحيهما، لأنهما لا يتوقعا أن يواجها عضوًا.

غادرا جناح بوريسوفيتش معًا.

## 13

فكرت جين باختيار صورة أخرى، وفتح باب آخر، والتحدث إلى فتاة أخرى. لكنها لن تتعلم أكثر من الحقيقة الكئيبة التي كانت تعرفها بالفعل، ستكون المحادثة مزعجة ومحبطة مثل التي دارت بينها وبين لو لينغ.

كان الجنس حقيقة في أسباسيا، لكنه لم يكن كل الحقيقة، والحقيقة الأكبر كانت القوة المطلقة، والسيطرة، والإذلال، والقسوة. هذه اللقاءات الجنسية لا تنطوي على الحب، ولا على أدنى نوع من المودة، وبالتأكيد ليست بغرض الإنجاب. كانت الفتيات جميلات بشكل غير طبيعي، كما كان المنزل، بحيث يمكن لهؤلاء الزوار الذين انحدروا إلى الفساد أن يدعوا لأنفسهم ولبعضهم بأن هناك جمالًا أيضًا في همجيتهم التي لا ترحم، وأن قوتهم المطلقة جعلتهم جذابين أيضًا، بدلًا من غريزتهم وشيطانيتهم.

لم يسبق لجين أن شعرت بمثل هذا الخوف والعجز سوى مرة واحدة في حياتها، وكان ذلك منذ وقت طويل.

إذا كان الحديث مع الفتيات الأخريات كحال لو لينغ فلن يقودها إلى أي مكان، لكن قد تجد شيئًا مفيدًا في الطابق الأرضي. كانت بالقرب من الدرج الخلفي، وكان

الباب موصدًا، على عكس الدرج الرئيسي الكبير، لكنها فتحته، ونزلت بأسرع ما استطاعت.

شكلت الأدراج أحد التحديات التي تعلمت أن تواجهها في الأكاديمية، وخصوصًا في زقاق هوجان، وهي بلدة صغيرة من المباني المبنية بالطوب والخشب، حيث توجد مصارف، ومحكمة، وصيدليات، وصالة مسرح وسينما، وبار وموتيل والكثير من السيارات المستعملة وأكثر من ذلك، وهو مركز التدريب الأكثر واقعية في العالم. لا أحد يعيش في زقاق هوجان، وكان جميع مجرميها ممثلين تقدمهم الوكالة.

شعرت جين وهي تنزل الدرج الخلفي، كما لو أن تدريبها في زقاق هوجان كان لإعدادها لأسباسيا تحديدًا الذي كان أيضًا، مكان إقامة الفتيات ورجال الأمن، ولكن أيًا منهم لا يعيش هنا حقًا.

خلال الأشهر الأربعة التي أمضتها في كوانتيكو، مرت بزقاق هوجان عدة مرات واختبرت سيناريوهات مختلفة، لم يكن هنالك أي شخص آخر في الشوارع. وبالرغم من أنها لم تؤمن بالخرافات، إلا أن المكان بدا في بعض الأحيان مسكونًا، وكان يمنحها أحيانًا الشعور بأن نهاية العالم قد حلت، وخلت جميع البيوت من البشر، وكان قلبها هو الأخير الذي ينبض على هذا الكوكب.

بحلول الوقت الذي وصلت فيه أسفل الدرج الخلفي، انتابتها تلك المشاعر بنهاية العالم مرة أخرى، وهذه المرة لسبب أقوى. في أسباسيا، كانت أحلك رغبة للبشرية وهي الإمساك بزمام السلطة المطلقة، للسيطرة، للطاعة، للقضاء على جميع أصوات الخلاف والمعارضة، قد فرضت نفسها بالكامل. التكنولوجيا التي جعلت لو لينغ سعيدة باستغلالها، وسعيدة للجلوس والانتظار لتتعرض للأذى والمهانة، كانت تكنولوجيا خاصة بالأسياد الذين من شأنهم أن يغيروا العالم إلى المدينة الفاضلة التي يتخيلونها، ويدمروا العالم.

كان الجناح الغربي في الطابق الأرضي مهجورًا، فتحت أحد الأبواب على اليسار، ورفعت زر الإنارة، رأت صالة ألعاب رياضية مع آلات تدريب وأوزان، وأجهزة مشي، ودراجات للتمرين. ظنت أن الباب الأول إلى اليمين قد يؤدي إلى المطبخ، ولكن بدلًا من ذلك وجدت غرفة غريبة عديمة النوافذ حيث أشعت المصابيح على بلاط

السيراميك الأبيض، وكانت الجدران بيضاء، وفي وسط الفضاء الواسع، انتصبت طاولة مع قاعدة من البلاط لتتناسب مع الأرضية وبسطح من الفولاذ المقاوم للصدأ. بدا وكأنها غرفة في مركبة فضائية في فيلم خيال علمي.

كان هناك فتاة مستلقية على الطاولة.

## 14

من مسافة بعيدة، بدت الفتاة على الطاولة نائمة، لكن هذا الوهم اختفى عندما دخلت جين الغرفة. كانت عينا الجثة المزرقة مفتوحتين تمامًا كما لو أنها صدمت من آخر شيء رأته. كانت علامات الرباط حول حنجرتها الرشيقة دليلًا على خنق عنيف، بالرغم من أن ربطة العنق أو الوشاح أو الحبل المستخدم في الخنق لم يكن في أي مكان حولها. تلطخ ذقنها بالدم من لسانها الذي عضته في مخاض موتها والذي ظل محاصرًا بين أسنانها.

كانت هذه الشقراء جميلة مثل لو لينغ، حسنة الوجه، منحوتة الجسد، لا بد أن إيروس[1] نفسه من نحتها. لكن جين لم تكن في هذا الجناح مع هذه الفتاة. مع ذلك ظنت أنها قد تكون مكانها غدًا أو بعد أسبوع أو بعد شهر من الآن، لأنه لا توجد طريقة للتغلب على أشخاص بهذه السلطة كان هنالك غرفة أخرى متصلة بهذه الغرفة، وقد تُرك الباب بين الغرفتين نصف مفتوح.

لو كانت من النوع الذي يهرب من المشاكل بدلًا من أن تخوضها كانت لتهرب، ولكن الفرار سيكون إهانة لنفسها ولذكرى والدتها، التي خذلتها قبل تسعة عشر عامًا. فهذا العالم لا يكافئ الهاربين، فعندما ستهرب من أي شيء، ستواجه شيئًا يشبهه لا محالة. ذهبت إلى الباب نصف المفتوح. فتحته على مصراعيه، ودخلت.

وقف أمامها فرن غاز فائق الكفاءة، لم تكن وظيفته تدفئة المنزل الكبير. وكان مسجلًا عليه "جهاز باور- باك 3 لحرق الجثث". في العادة يكون هذا الفرن في دور الجنائز.

---

(1) في الميثولوجيا اليونانية هو إله الحب والرغبة والجنس يقابله كوبيدو في الميثولوجيا الرومانية. (المترجم).

تردد في رأسها صوت لو لينغ: "هل ستكونين مسرورة إن أبكيتني يا فيبي؟ هناك جمال في الألم".

علمت جين أن أمورًا سيئة تحدث في بعض الأحيان في هذا المكان الذي بُني لممارسة السلطة المطلقة وجميع أنواع الفساد. كانت تعرف، لكنها حاولت قمع تلك الفكرة. عندما تكون أنت مكان داود وبمواجهة جالوت، لا تريد أن تعول كثيرًا على حجم خصمك أو قدرته على العنف، أو ميله إلى القسوة.

في كثير من الأحيان، لا يحدث قتل نتيجة ممارسة الجنس، لأن كثرة القتل تعني بحثًا مستمرًا عن فتيات جديدات، أو خطفهن أو شراءهن، أو برمجتهن. ولكن إذا لم يحدث ذلك في كثير من الأحيان، فمن غير المستبعد أن يحصل بين الحين والآخر، وكانوا مستعدين للتعامل مع الجثث، ويبدو أن ضميرهم لم يكن أفضل من ضمير هتلر وستالين اللذين قتلا الملايين.

شعرت بالضآلة وهي تقف أمام جهاز الحرق، شعرت أنها صغيرة وكأنها طفل.

داخل جهاز باور-باك 3 لحرق الجثث، كان الغاز يحرق واللهيب يهدر نتيجة لذلك. كان نظام الحرق يسخن من أجل المهمة التي تنتظره.

تراجعت جين إلى الغرفة الأولى، عندما أدركت هذه الحقيقة، ومشت نحو الباب. في تلك الأثناء دخل رجلان الرواق.

# 15

رجلان ضخمان همجيا المظهر، ارتديا أحزمة على الكتف لحمل المسدسات المزودة بكواتم الصوت ولسهولة سحبها بأي لحظة. كانت جين تحمل سلاح هيكلر أند كوش. لم تكن بحاجة إلى سحبه ومن دون بذل جهد واع، وجدت نفسها تمسك به بالقبضتين وتمد ذراعيها.

لم يكن هنالك أي رد فعل من الرجلين، يبدو أنهما لم يرياها كما لو أنها مصنوعة من زجاج شفاف.

عندما اقتربا من الفتاة الميتة، والتي كانت ملقاة على طاولة فولاذية، قال الأضخم بينهما: "يجب أن يكون الظلام قد حل من أجل هذا".

"حل الظلام منذ ساعتين".

"نحتاج إلى جنح الظلام ليخفي الدخان".

عقّب الآخر: "لن يرى أحد أي دخان، فهذا الجهاز بالكاد ينتج دخانًا".

بدا أن وجود الجثة، وحقيقة ما هما على وشك فعله، لا يؤثر عليهما البتة.

"هذا الجهاز جيد. أنا أحب هذا الجهاز. لكنه ينتج بعض الدخان".

"هذا جهاز جيد جدًا. على أي حال، لقد حل الليل".

للحظة اعتقدت جين أنهما يتلاعبان بأعصابها، وأنهما سيوجهان فجأة سلاحيهما نحوها، ولكنها تذكرت بعد ذلك كلمات أوفرتون: "إنهما لا يريان الأعضاء لأنهما... مبرمجان".

عندما صدقت ما أخبرها به ويليام أوفرتون، تجرأت على المجيء إلى هنا حتى تشهد هذه التجربة من الاختفاء، ومع ذلك، لم تكن قادرة على تخيل كيف يمكن أن يكون الأمر عليه.

لم تكن عيونهما عمياء، فقد نقلت أعصابهما البصرية إلى دماغيهما صورة الغرفة والفتاة التي على الطاولة. لكن نوعًا من برنامج التصفية محا صورة جين من دماغيهما حيث كانت قد استخدمت رقم عضو أوفرتون وكلمة المرور عند البوابة ومرة أخرى عند الباب الأمامي، ولأن أي إنذار لم يعلن أن محيط المنزل قد انتهك، تصرف هذان الحارسان على أساس أن الأشخاص الوحيدين في المنزل هم الأعضاء الذين جاءوا إلى هنا لاستخدام الفتيات. ما رأته عيونهما كان حقيقيًا، لكن التفسير في دماغيهما كان كاذبًا.

لأن أعضاء أسباسيا لا يريدون أن يتم التعرف إلى وجوههم في أي مكان له علاقة بهذه المنشأة. فقد سمح ذلك بحدوث خطأ في برنامج الأمن، وهذا الخطأ أنقذ حياة جين. كانت التكنولوجيا، ذات تأثير ساحر، سحر مظلم لم تكن تثق به. حافظت على مسدسها مصوبًا نحوهما، وتراجعت مبتعدة عنهما، مقتنعة بأن التحرك بجرأة نحوهما في اتجاه باب الردهة من شأنه أن يكسر السحر الذي كانا تحت تأثيره. تراجعت إلى الزاوية.

الرجل الأطول، والذي كان طوله يعادل 6.4 أقدام، عَبَرَ الباب نحو المحرقة. أما الآخر فبقي إلى جوار الطاولة الفولاذية، يحدق إلى الفتاة الميتة العارية. إذا رفع رأسه، فسوف ينظر مباشرة إلى الزاوية حيث تقف جين. عبس، كانت ملامحه هادئة لدرجة أن

جين تساءلت إن كان دماغه يفكر بما هو موجود حوله. استمر بالعبوس، وتطلع إلى الأعلى، وحرّك رأسه من جهة إلى أخرى، ماسحًا الغرفة بنظراته.

ربما كانت تتخيل، لكنها اعتقدت أن نظرته توقفت للحظة على الحيز الذي تحتله من فضاء الغرفة. استمر بالعبوس، وحرّك رأسه.

حبست جين أنفاسها. إذا لم يسمح له البرنامج برؤيتها، فلن يسمح له بسماعها أيضًا. ومع ذلك، في تلك اللحظة، لم تتنفس.

كانت عظام وجهه ثقيلة، كما لو أنها عُدّلت حتى لا تناسب رجلًا ولا امرأة، نظرت عيناه من تحت حافة جبينه إلى العالم بعين الشك. أخيرًا، نظر مجددًا إلى الفتاة الميتة، وإن لم يكن لديه انفعال أكبر مما لو كان يحدق إلى طاولة فارغة.

النقالة الفولاذية المقاومة للصدأ أمامه، عاد الرجل الأول من المحرقة. وضع النقالة بجانب الطاولة، ونظر إلى الشقراء العارية وقال: "رقم أربعة".

"رقم أربعة". وافق الرجل الأقصر.

"يجب علينا أن ننظف الغرفة".

"لجعلها جاهزة للرقم أربعة الجديدة"، أكد الرجل أقصر.

بين مبرمجي الحاسوب، كان هناك كلمة لوصف الناس الذين يعتقدون أنهم محصنون خارج الشبكة في الوقت الذي لا يكونون فيه كذلك. الكلمة كانت حمقى - بما في ذلك المتخصصون بنهاية العالم - كانوا حقيقة غير محصنين. ولكن جين، ظلت قادرة بوسائل مختلفة على استخدام الإنترنت من دون أن يتم اكتشافها كما لو كانت "في الركن الصامت".

كانت في الركن الصامت لمدة شهرين، والآن، كانت في ركن صامت بشكل مضاعف، غير قابلة للتتبع من قبل التكنولوجيا الحديثة، وكذلك من قبل الحواس الخمس لرجلي الأمن هذين، وقادرة على التحرك بحرية.

قال الرجل الأطول: "دعنا نحرقها".

وافق الرجل الأقصر: "لنحرقها".

نقلا الشقراء من الطاولة إلى النقالة كما لو كانا يتعاملان مع كيس قمامة، كما لو أنها لا شيء.

كانت هذه همجية، إهانة لا يمكن تبريرها، وكان بإمكان جين أن تعدمهما رميًا بالرصاص بسبب معاملتهما الطائشة للفتاة. ولكنهما هما الآخران، كانا ضحيتين، وإن كانا رجلين فظين وشرسين قبل أن يتعرضا لزرع أجهزة في دماغيهما، إلا أنها لم تمتلك وسيلة لإثبات ذلك، فلا دليل كافٍ للحكم عليهما بالإعدام الآن. على أي حال، كانا بالفعل شيئًا أقرب إلى الموتى الأحياء.

حين حرّك الرجلان النقالة عبر الباب المفتوح لإطعام الجثة لنظام حرق باور-باك 3، تراجعت جين للخروج من الغرفة إلى الردهة في الطابق الأرضي مرة أخرى، سارت بسرعة نحو الباب الأمامي.

مرت بالدرج، ولمحت عبر النوافذ تمثالين عملاقين لفينوس وأفروديت.

ربما كانت طريقة إضاءتهما أو ربما مزاج جين العكر أثر على تصورها، لكنهما لم يبدوا مثل إلهين وثنيين، لم ترهما مجيدين كما سبق لها أن رأتهما، بل رأتهما مثل الكائنات التي قد ترأس مذبح الأزتيك حيث تنتزع القلوب من الأطفال الأحياء.

عند الباب الأمامي، سُمح لها بالخروج حين أدخلت رقم عضوية أوفرتون وكلمة المرور في لوحة مفاتيح أخرى. كان هناك بعض التأخير لمجرد ثوان، لكنها وجدته تأخيرًا طويلًا.

لا يمكن أن يكون هناك خطر في القمر، ومع ذلك كان معلقًا في سماء الليل كبيضة تنين يفقس منها وحوش ستنزل لتنهي العالم.

في المرأب، طلبت لوحة مفاتيح إدخال الرمز مرة أخرى، لكن على عكس توقعاتها، فُتح الباب للكشف عن سيارة بنتلي.

زينت أشجار النخيل الممر، وفي ذلك النفق من الأعمدة والأشجار، اقتربت المصابيح الأمامية لسيارة تشق طريقها. كانت مستعدة للاصطدام بها لو أن السيارة حاولت منعها من الدخول، ولكن المازيراتي ذات النوافذ المعتمة تجاوزتها ولم يحصل اصطدام.

لم يكن هناك لوحة مفاتيح عند هذا الجانب من البوابة، فقد تحركت درفتا الباب إلى الداخل ما إن اقتربت من البوابة، لتتيح لها الخروج.

قادت سيارة البنتلي إلى عالم بدا بالنسبة إليها أغلى مما كان عليه قبل دخولها إلى أسباسيا. عالم معرض للخطر تحت قبة من النجوم الساطعة العمياء.

# 16

كان عليها أن تركن البنتلي في منطقة أخرى، وتسير إلى منزل ويليام أوفرتون من الجانب الأبعد من الشارع، لتستكشف المكان قبل دخوله، فربما حصل على مساعدة أو تمكن من الهرب. بدلًا من ذلك، قادت مباشرة إلى المرأب، وركنت السيارة بين الفيراري الحمراء والتسلا السوداء، وأغلقت باب المرأب خلفها. عند الباب الذي يربط بين المرأب والمنزل، أدخلت رمز إيقاف جهاز الإنذار في لوحة المفاتيح، واستخدمت مفتاح منزل المحامي، ودخلت حاملة المسدس في يدها اليمنى.

كانت باردة حتى العظم منذ أن كانت في أسباسيا، لم تتمكن مدفأة السيارة من بعث الدفء فيها. بالرغم من إحساسها بالبرد، إلا أنها مع ذلك كانت تغلي من الداخل. وقد أفسح السخط، الذي عادة ما تتحكم فيه، المجال للغضب الذي هدد بالسيطرة عليها إلى ما هو أبعد من حدود التعقل والتحفظ. أرادت أن يدفع المذنبون ثمن أفعالهم. أن يدفعوا بكل ما يملكون، كل دولار وكل قطرة دم، أرادت أن يجردوا من فخرهم المفرط وتفوقهم المتعجرف.

امتزج خوفها بالرهبة، لم تكن خائفة على ترافيس ونفسها فحسب، ولكن على كل من تحبه، على أصدقائها وبلدها، على مستقبل الحرية والكرامة البشرية.

استلقى أوفرتون في الحمام الرئيسي، حيث تركته، لا يزال مكبلًا إلى بالوعة المغسلة وقدماه مقيدتان إلى قائمة حوض الاستحمام. غابت عنه لبعض الوقت، فكافح ليحرر نفسه. كان كاحلاه متآكلين بشدة والدم يتدفق منهما، لأنه حاول فك أربطته لكن من دون جدوى. ربما اعتقد لجهله التام بتقنيات البناء والسباكة، أنه يستطيع سحب أنابيب الصرف من الجدار، لكنه لم يستطع إلا تحطيم الكسوة الرخامية. لا بد أنه حاول بقوة، وهذا ما تسبب بأذى لكتفه وركبته اليمنى عندما حاول إدخالهما تحت حوض الاستحمام لرفعه عن الأرض بما يكفي ليسحب الرباط الذي يطوق إحدى قوائمه.

لكن الحوض الحديدي الكبير يزن نص طن ونيف، وعلى أي حال، فإن أنابيب المياه وخط الصرف الصحي زادا من تثبيته بالجدار والأرضية، لم ينجح إلا في سلخ ركبته ورض كتفه. شعره الرطب، وجسمه المتعرق من الرأس إلى القدم، وملابسه الداخلية من ماركة دولتشي وغابانا صبغت بالسواد من العرق وربما من شيء آخر.

عندما دخلت جين الحمام، ذُهل أوفرتون، وأظهرت تعابير وجهه خوفًا شديدًا، لو كانت المرأة التي كانت عليها قبل أربعة أشهر لأشفقت عليه، لكنها لم تعد تلك المرأة، وربما لن تعود.

لقد تخبط عندما اقتربت منه بالمقص، وقصت الشريط اللاصق الذي يلتف حول رأسه، ولم تهتم إن نزعت شعره بشكل مؤلم. كانت قد وضعته للضغط على المنشفة في فمه حيث ابتلع جزءًا منها قبل أن يطردها من فمه مجددًا.

قالت إنها بحاجة إلى تحرير شقيقتها الصغرى من أسباسيا، وكان أوفرتون يعرف أنه لو عثرت على شقيقتها، فستكون قد تغيرت إلى الأبد، لأنه ما من سبيل لتحريرها. يعتقد أوفرتون أنه ميت لا محالة وأن موته لن يكون سهلًا.

نظرت إليه وقالت: "يا له من مكان فاخر".

"ماذا؟".



"أسباسيا مكان فاخر".

لم يقل شيئًا.



"ألا تعتقد أنه مكان فاخر؟".

عندما لم يقل شيئًا، لكزته بحذائها لتحثه على الكلام. قال: "أعتقد ذلك".

"تعتقد ماذا؟".

"إنه مكان فاخر".

"إنه مكان فاخر جدًا يا سترلنغ. أعني، لم يترددوا بالإنفاق عليه ليبدو مكانًا محترمًا".

مرة أخرى، لم يقل شيئًا.

"كنت على حق بشأن الحارسين. تظاهرا بعدم رؤيتي، كيف حدث هذا يا سترلنغ؟ كيف تظاهرا بذلك بشكل جيد؟".

"لقد أخبرتك كل ما أعرفه".

"لقد قلت لي كل ما تجرؤ عليه. هذا مختلف". نظر بعيدًا عنها، لكنها لم تهتم هذه المرة، وانتظرت.

ازداد الصمت بشكل لا يُطاق بالنسبة إليه، فسألها: "هل وجدتها؟".

"وجدت من؟".

"أنت تعرفين من".

"لا يبدو أنني أعرف".

"لماذا تفعلين هذا بي؟".

"وجدت من؟".

"أنت تحاولين أن تجعليني أقول ذلك حتى تتمكني من إطلاق النار عليّ".

"يا لها من فكرة غريبة".

"هذا ما ستفعلينه". أصر.

"لا أحتاج إلى عذر لأطلق النار عليك يا سترلنغ، فلدي كثير من الأسباب الوجيهة لأطلق النار".

"لم يكن لي أي علاقة بأسباسيا".

"أنت العضو فيدار، إله الآلهة، الناجي من راجناروك".

"هذا كل ما أنا عليه عضو. لم أبنِ المكان".

"آه، الحجة القديمة. لم أبنِ أوشفيتز بل شغلت غرفة الغاز فقط".

"اذهبي إلى الجحيم".

"أنا متأكدة من أنك يمكن أن تعطيني معلومات جيدة".

"أنت وضيعة مطلية بالذهب".

"إذا توقفت عن كونك غبيًا، يمكنك النجاة من هذا. ولكن يبدو أن الغباء جزء من شخصيتك، وربما لن يمكّنك من إنقاذ نفسك؟".

"أنت تريدينني ميتًا. هيّا انهي الأمر".

"بالحديث عن الموتى. لقد وجدت فتاة ميتة في أسباسيا".

ارتعد وهو مستلقٍ في عرقه ودمه.

قالت: "فتاة شقراء جميلة وعارية على طاولة الفولاذ المقاوم للصدأ. لقد خُنقت، ربما في اللحظة ذاتها التي بلغ فيها أحدهم نشوته".

قال، بصوت مكسور: "أوه، تبًا، تبًا، تبًا، تبًا"

"شاهدتهما يستعدان لدفع جسد المسكينة إلى محرقة لحرقها".

بكى بصوت عالٍ. بكى نفسه: "إنهِ الأمر الآن".

صمتت لوقت طويل قبل أن تقول: "لم تكن أختي. ليس لديّ أخت، كنت أكذب". تمكنت جين أن تسمع تقريبًا صوت وصوله إلى أسفل قعر مظلم داخله ليجرف شيئًا يشبه الأمل. تابعت: "الكاذبون هم دائمًا أول من يقع في أكاذيب الآخرين".

نظر إليها، كانت عيناه مليئتين بالخوف.

قالت جين: "كنت بحاجة إلى فهم أسباسيا قبل أن أتمكن من ملاحقة شينيك".

صعّبت دموعه قراءة عينيه، وربما أدرك الكثير، لأنه قال: "شينيك؟ لماذا شينيك؟".

"ربما كنت غبيًا ميؤوسًا منه، هل تعتقد أن الشيء الوحيد الذي اخترقه جيمي هو عنوان الوب المظلم لأسباسيا؟ أنت صديق لبيرتولد شينيك. هل صديق هي الكلمة الصحيحة؟ هل أشخاص مثلك ومثل شينيك قادرون على الصداقة؟".

"نحن... لدينا مصالح مشتركة".

"نعم، ربما هذا أقرب إلى الحقيقة. إنه شيء مثل الولاء الغريزي الذي يملكه المفترسون لبعضهم وأنت مستثمر في فار هورايزونز".

أغمض عينيه، وبدا أنه يفكر أن التهديد الذي تشكله هي أو شينيك، سيكون الباب الذي يقوده إلى الموت.

سألته: "هل تبولت على نفسك؟".

قال: "لا". من دون أن يفتح عينيه.

"أنا أشم رائحة بول".

سألها وهو لا يزال مغمضًا عينيه: "ماذا تريدين أن تفعلي بشينيك؟".

"فضح أعماله، وإيقافه، وقتله".

"فقط أنت ضده؟ من معك؟".

"لا يهم من معي. أنا المحقق هنا، وليس أنت".

فتح عينيه: "لا أعرف بقدر ما تظنين أنني أعرف".

"دعنا نرَ".

ذهبت إلى غرفة النوم، وعادت مع كرسي مستقيم الظهر.

جلست على الكرسي فوقه ونظرت إليه، هزت رأسها. "نعم، لقد تبولت على نفسك. أخبرني، زراعة الدماغ في مجال تقنية النانو التي تتحكم في تلك الفتيات، كيف تحصل من دون جراحة؟".

تردد لكنه أفصح في النهاية: "عن طريق الحقن. تتكون آلية التحكم من آلاف الأجزاء، تنزح إلى الدماغ وتتجمع ذاتيًا في بنية معقدة".

"والحاجز الدموي في الدماغ لا يحميه؟".

"لا، لا أعرف السبب. أنا لست عالمًا. إنها مجرد جزء من... عبقرية شينيك".

الحاجز الدموي في الدماغ آلية بيولوجية معقدة تسمح للمواد الحيوية في الدم باختراق جدران الشعيرات الدموية في الدماغ ودخول أنسجة الدماغ، ويمنع دخول المواد الضارة.

"كيف يمكن لكل هذه الأجزاء الصغيرة، كل هذه الآلات المصنوعة من حفنة من الجزيئات، معرفة كيفية التجمع مع بعضها عندما تصل إلى الدماغ؟".

"إنها مبرمجة نوعًا ما، ولكن شينيك ليس مبرمجها، إنها عبارة عن تصميم دقيق. إذا تم تصميم جميع الأجزاء بشكل مثالي لتتناسب معًا مثل سلسلة طويلة من قطع اللغز، مثل الأقفال والمفاتيح، وإذا كانت كل قطعة لديها مكان واحد فقط يناسبها في هيكل أكبر، فإن الحركة البراونية تحتم اتصالها بشكل صحيح".

قالت: "الاتصال عن طريق الحركة العشوائية، مثل مشي الشخص الثمل".

"نعم، نعم، يقول شينيك إنه يحدث في الطبيعة دائمًا".

قالت: "الريبوسومات". متذكرة هذا المثال من شريط فيديو شينيك عن الفئران.

كانت الريبوسومات عبارة عن مواد عضوية على شكل كفوف توجد بأعداد كبيرة في سيتوبلازما كل خلية بشرية. إنها المواقع التي تُصنع فيها البروتينات. كل ريبوسوم

يتألف من أكثر من خمسين مكونًا مختلفًا. إذا كسرت عددًا كبيرًا منها إلى أجزاء منفصلة وخلطتها جيدًا في سوائل تعليق، فإن الحركة البراونية الناجمة عن الالتقاء بجزيئات الوسط المعلق ستصدم بعضها حتى تجتمع الأجزاء الخمسون في شكل ريبوسومات كاملة.

إذا كانت الآلاف من أجزاء في آلية تحكم شينيك مصممة لتناسب تمامًا مكانًا واحدًا فقط في بنية أكبر، فإن قوى الطبيعة ستضمن ارتباطها في الدماغ. على كل مستوى الذرات وحتى المجرات، تخلق الطبيعة بشكل روتيني هياكل معقدة لأن الكمال من تصاميمها جعل تركيبها المختلف أمرًا لا مفر منه.

سألته جين: "وبمجرد أن توضع آلية التحكم في دماغ إحدى هذه الفتيات المسكينات، هل من طريقة لإيقاف الأمر بأي طريقة لإعادتها إلى ما كانت عليه؟".

سؤالها أثار توتر أوفرتون بوضوح، وقرأ فيه حكمًا عنيفًا على نفسه: "شينيك هو من صممها بهذه الطريقة. لم يكن لي أي علاقة بالطريقة التي صممها بها".

"جيد بالنسبة إليك".

"كان ينبغي أن يكون هناك... لا أعلم، إنها ليست الكلمة الصحيحة، لكن يجب أن يكون هناك شيء مثل الترياق".

كما لو أن ذلك قد يجعل تصميم وحش فرانكشتاين أقل وحشية ويجعل صانعه بطلًا.

"لذلك ليس هناك طريقة للتراجع عن ذلك" سألت.

"لا، لا، وحدة التحكم تدمر الشخصية القديمة، وتحذف الذكريات التي ساعدت على تشكيلها، والنتيجة هي مستوى جديد من... نسميه الوعي، وقد كان شينيك مصرًا على...".

من دون تفكير، عض شفته السفلى، وكسر الجلطة الهشة التي كانت قد بدأت في شفاء الجرح، وهذا ما جعل الدماء تنزف من جديد.

"استمر يا سترلنغ. إنه يوم الجرأة والحقيقة، أتذكر لعبة الجرأة والحقيقة من المدرسة الابتدائية؟ لتكسب نجمة ذهبية، عليك الحصول على تقدير جيد على بطاقة تقييمك بالعمل بشكل جيد مع الآخرين. قل لي ما الذي كان بيرتولد شينيك مصرًا عليه".

"كان مصرًا على ألا يسمح التصميم بأي إمكانية للتراجع".

"لذا بمجرد أن يتم استعبادهم، سيظلون مستعبدين إلى الأبد".

من الواضح أن أوفرتون لم تعجبه كلمة الاستعباد، كما لو أن هناك كلمة أخرى يمكنها أن تُعبر عن واقع الحال، ولكن بعد تردد، قال: "نعم. لكنهم لا يرون حالتهم كما ترينها أنت. إنهم راضون، بل أكثر من ذلك، إنهم سعداء".

مررت جين لسانها على شفتيها، وأومأت، كما لو أنها كانت تفكر في حجته، بينما كانت في الحقيقة تحاول كبح رغبتها في تصويب مسدسها نحوه. "وجدت الهاتف الذكي الخاص بك في الخزانة. لابد أن رقم شينيك موجود على قائمة الاتصال السريع. أعطني كلمة السر الخاصة بك، وقل لي كيف أحصل على كل ما لديك".

قال مذعورًا: "لا يمكنك الاتصال به".

"بالتأكيد أستطيع. أعرف كيف أستخدم الهاتف".

"سيعرف أنك حصلت على الرقم مني".

"كما لو أن هذا هو أكثر ما يقلقك".

"أنت مليئة بالهراء".

"هل تحب أن تحتفظ بعينيك يا بيلي؟".

"لن تتمكني من تعذيب أي شخص".

"هذا ما قلته من قبل. لقد رأيت أسباسيا. لديّ تقدير جديد للتدابير المتطرفة. أي عين لست بحاجة إليها؟".

أعطاها كلمة السر

ذهبت إلى غرفة النوم، شغّلت الهاتف، وحصلت على دفتر عناوينه، وبحثت فيه. جيد بما فيه الكفاية. أطفأت الهاتف

في الحمام مرة أخرى، قالت: "حسنًا. أنا أفهم أسباسيا. مجموعة من المرضى الملتويين من البالغين المنغمسين بذواتهم طوال حياتهم. الناس الآخرون ليسوا حقيقيين بالنسبة إليهم. هل تعرف ما الذي أقصده؟ بالطبع أنت تعرف. ولكن لماذا هنالك مشروع آخر لدى شينيك؟".

تظاهر أوفرتون بالجهل: "أي مشروع آخر؟".

"لماذا التخطيط لآلاف الانتحارات كل عام؟ لماذا يبرمج الناس لينتحروا، وأحيانًا لقتل الآخرين قبل أن ينتحروا؟ لماذا حقن الدكتور شينيك آليته الخاصة بالتحكم في زوجي وحمله على الانتحار؟".

# 17

قد يستمر التسمير الطبيعي على نحو أفضل، ولكن آلية التسمير الخاصة بويليام أوفرتون تبدو وكأنها تتفاعل كيميائيًا مع عرقه ومع فرمونات الرعب التي أطلقها جسده بوفرة، وهذا ما أكسب جسمه بريقًا رماديًا، وسيتحول مع الوقت لونًا نحاسيًا أخضر.

اعتقد أوفرتون أنه سيقتل بسبب أختها، وعندما تبيّن أن الأخت غير موجودة، كان يعتقد أنه قد يكون هناك أمل، لكنه عرف الآن أن خاطفته لديها زوج، وكان الزوج ميتًا.

سألت: "بيلي؟".

كان خوفه واضحًا. أغمض عينيه مرة أخرى، كما لو أن مشاهدة نفسه في حالته الحالية أمر لا يمكن أن يحتمل. "كيف تعرفين ذلك؟".

"الانتحارات المخطط لها؟ لا يهم كيف أعرف، بيلي، كل ما يهم هو أنني أعرف، وأنا بحاجة إلى إجابات".

"بحق الله، من أنت؟".

فكرت في سؤاله وقررت الإجابة عليه: "دعنا نتحدث عن الأفلام. هل تريد التحدث عن الأفلام؟".

"هناك خطب ما فيك. ما بالك؟".

"جارني بذلك، بيلي. من الحكمة دائمًا أن تجاريني. ربما شاهدت الفيلم القديم بوتش كاسيدي وطفل سندانس".

"نيومان وريدفورد".

"هذا صحيح. كانت تطاردهما مجموعة من دون هوادة، وعند نقطة معينة نظرا إلى الوراء عبر المناظر الطبيعية الشاسعة وهما لا يزالا ملاحقين، لم يتمكنا من تصديق عناد تلك المجموعة. قال بوتش لسندانس أو سندانس قال لبوتش، أنا لا أتذكر من منهما قال: *من هم هؤلاء الرجال*؟ قالها وكأنهم أشخاص خارقون للطبيعة أو

مجسدون للقدر. انظر، بيلي، كل ما تحتاج إلى معرفته هو أنني مثل هؤلاء الرجال".

عندما فتح أوفرتون عينيه، وتململ بشكل غير مريح في قيوده البلاستيكية، بدا وكأنه استسلم أخيرًا، ليتعاون بشكل كامل. "لم يسعَ شينيك، ولا أنا، ولا أي شخص، ليكون تسعين في المئة من السكان في نهاية المطاف مبرمجين مثل الفتيات في أسباسيا، ولا حتى خمسين في المئة، لأنه عندها لن يبقى العالم صالحًا لأن يحيا فيه أحد".

"حسنًا، فلشينيك حدود أخلاقية؟ أم أنها مجرد مسألة عملية؟ لأنه يستحيل إنتاج مليارات الحقن التي من شأنها أن تستعبد الجميع ما عدا النخبة".

"لقد جند أشخاصًا في جميع المهن، ولهم تأثير أكبر مما ينبغي على المجتمع".

"من هم هؤلاء الناس؟".

"أولئك الذين يدفعون الحضارة في الاتجاه الخاطئ .

"ما هو ذلك الاتجاه يا بيلي؟".

"أي شخص مدرك بما فيه الكفاية يمكنه أن يرى ما هي الاتجاهات الخاطئة. إنها واضحة مثل أي شيء". لقد شجعه حماسه على التحدث بتحدٍّ بالرغم من أنه يرقد في قذارته. "تحديدًا أولئك الذين لديهم القدرة على الضغط على الحضارة إلى حافة الهاوية، وذلك بهدف الحدّ من نفوذهم...".

قالت: "بقتلهم".

تجاهل مقاطعتها له: "لن يكون من الضروري استخدام تكنولوجيا بيرتولد على الجماهير. سيكون هناك موت أقل، وليس أكثر، وفقر أقل، وقلق أقل، إذا قيدنا أولئك الذين يعبثون بالبلاد بسياساتهم السيئة".

لم يتمكن من إخفاء حماسه تمامًا، لم يكن مجرد مستثمر في فار هورايزونز، بل كان شخصًا مؤمنًا بقضية.

قالت: نِك، وهو اسم زوجي. أنت لا تهتم باسمه ولكنه يهمني، كان في البحرية. عقيد في الثانية والثلاثين، حاصل على وسام البحرية. لن تعرف ما معنى ذلك، لكنه حقًا شيء مهم. كان رجلًا طيبًا، وزوجًا حنونًا، وأبًا جيدًا".

"انتظري، انتظري"، قال أوفرتون. كان قادرًا على رد فعل أذهلها "لا تضعي هذا على عاتقي، لا يحق لك لومي، فلست أنا من يقرر من يوضع اسمه على القائمة".

"أيّ قائمة؟".

"قائمة هاملت. كالمسرحية، لو قتل أحدهم هاملت منذ البداية، لعاش كثير من الناس".

"حقًا، هل هكذا تفسر الأمر، أنت عالم بروايات شكسبير الآن؟".

هزّ الرباط الذي قيد معصميه إلى حوض الاستحمام: "أنا لم أقرأ الرواية اللعينة. شينيك يسميها قائمة هاملت. ليس لديّ أي علاقة بهذا كما قلت لك، لست أنا من يقرر من يوضع اسمه على القائمة".

"من يقرر؟".

"لا أحد. الحاسوب هو من يقرر، برنامج حاسوبي".

كانت تشعر بنبضها يتصاعد إلى مقدمة رأسها: "من كتب البرنامج الحاسوبي؟ يمكنك تصميم نموذج للحصول على ما تريده، ويتعين إعطاء البرنامج أسماء المرشحين لكي يختار من بينهم، من هو ابن اللعينة الذي أدخل الأسماء؟".

"لا أعرف".

"أنت مستثمر".

"لكنني لا أعمل في المختبر اللعين".

تنفست بعمق، وسحبت سبابتها عن زناد هيكلر أند كوش، ووضعته مرة أخرى بوضعية الأمان. "أحد الأشخاص على قائمة هاملت كانت إيلين روت في شيكاغو. عملت في منظمة خيرية، ساعدت الأشخاص ذوي الإعاقات الشديدة. ما الذي ارتكبته لتشكل خطرًا على الحضارة؟".

"لا أعرف، كيف لي أن أعرف؟ أنا لا أختار الأسماء في القائمة".

"أحدهم كان شاعرًا، ألقى بنفسه أمام قطار مترو الأنفاق، والأخرى كانت معجزة، طالبة دراسات عليا، كانت تعمل على رسالة الدكتوراه في علم الكونيات. علم الكونيات! ما الذي قام به كل منهما وهدد الحضارة؟".

"أنت لا تستمعين إليّ".

"أنا أستمع. كلي آذان صاغية، بيلي. ما الذي قاما به وهدد الحضارة؟".

"لا أعرف، البرنامج هو من يختار".

نهضت من كرسيها، دفعت الكرسي إلى الخلف إلى غرفة النوم، ووقفت فوق أوفرتون: "كم عدد الأشخاص في قائمة هاملت هذه؟".

"سأقول لك، لكنك لن ترغبي بمعرفة ذلك".

"جربني، كم عدد الأشخاص الذين يتوجب قتلهم؟".

"لقد فقدت السيطرة على نفسك. أنت تبالغين".

"جربني".

"حسنًا، حسنًا، لا بأس، لا على أي حال، يقول شينيك إنهم لا يُقتلون، بل يُعدمون لأن القطيع لن يبقى بصحة جيدة إذا لم يتخلص من أضعف أفراده بين الحين والآخر".

"لا أريد قتلك" قالتها جين، وكأنها تعني أنها لا تريد قتله حتى هذه اللحظة، "كم عدد الأشخاص في القائمة؟".

أغمض عينيه على مرأى منها: "يفيد البرنامج الحاسوبي، أنه في بلد بحجم بلدنا، يجب إعدام مئتين وعشرة آلاف في كل جيل لضمان الاستقرار .

كان عليها أن تبتلع ارتجاعًا حمضيًا قبل أن تتمكن من القول: "كيف يمكنك تحديد الجيل؟".

"أنا لا أحدد أي شيء، البرنامج الحاسوبي يحدده بخمس وعشرين سنة".

"إذًا ثمانية آلاف وأربعمئة في السنة".

"شيء من هذا القبيل".

ركلت وركه وأضلاعه. كان بإمكانها الاستمرار في ركله حتى تستنفد طاقتها، لكنها ابتعدت عنه، وذهبت إلى غرفة النوم وركلت الكرسي، ليصطدم بالمزينة.

# 18

أخذت جين المقص من حقيبة يدها، وعادت إلى الحمام وهي تحمل مسدسًا.

استدار أوفرتون إلى جانبه بأقصى ما استطاع، محاولًا حماية نفسه بشكل مثير للشفقة: "ماذا ستفعلين، ماذا ستفعلين؟".

أقنعته أنها قادرة على ارتكاب أكثر الجرائم قسوة وفظاعة، وربما كانت هي مقتنعة بذلك: "أريد أن أعرف شيئًا آخر".

"ما هو؟".

"لا أريد مزيدًا من الغباء، فلم يعد لديّ وقت سوى للإجابات المباشرة".

"حسنًا، اسألي".

"هل من الصعب الوصول إلى شينيك؟".

"ماذا تعنين بالوصول إلى شينيك؟".

"وضعه في موقف مثل الموقف الذي أنت فيه، وحمله على الاعتراف".

"ليس صعبًا بل هو مستحيل".

"لا شيء مستحيل. انظر إلى حالك".

"أنا على بعد خطوات قليلة أسفل السلسلة من شينيك، كنت سهلًا، لن يكون الوصول إليه بسهولة الوصول إليّ. وإذا خرجتُ من هنا، لن أتمكن من الوصول إليه".

حرّكت المقص لتصدر شفرتاه صوتًا أثار قلقه: "مركز تكنولوجيا شينيك في مينلو بارك؟".

"المختبرات لديها طبقات من الأمن الإلكتروني. قارئات بصمات الأصابع، قارئ لشبكية العين، حراس مسلحون، وزرعت الكاميرات في كل مكان".

"ماذا عن منزله في بالو ألتو؟".

"هل سبق لك أن رأيته؟".

"ربما فعلت. ولكن أخبرني عنه".

أجاب على كل سؤال طرحته عن المنزل، وإذا لم يكن يكذب، فالمكان محصن أمنيًا.

قالت: "قرأت أن لديه مكانًا يلجأ إليه في وادي نابا".

"نعم يدعوه مزرعة غ ز. (غراوند زيرو)".

"يا له من مغفل مغرور".

"إنه يحب نكاته الخاصة، هذا كل شيء" قال أوفرتون وكأنه تعرض للإهانة بالنيابة عن شينيك. "إنه يقضي أسبوعين هناك كل شهر، إنه هناك الآن، يمكنه العمل من هناك بسهولة كما لو كان في المختبرات، ويمكنه الوصول إلى حواسيب مختبراته من هناك".

"هل هو عرضة للخطر هناك؟".

كانت ضحكة أوفرتون مرة وكئيبة: "إذا تمكنتِ من الوصول إليه بعد أن تتخطي كل حيوانات القيوط والريشوس، فسيكون عرضة للخطر، لكنك لن تتمكني من تخطيها، لو ذهبتِ إلى هناك أولًا لكنتِ ميتةً ولما كنتُ حيث أنا".

"أخبرني عن حيوانات القيوط وتلك الأخرى".

"الريشوس" بفرح وصف صعوبة اقتحام مزرعة غ ز، كما لو أنه تقبل فكرة موته، ووجد متعة بتيقنه من أنها ستلقى حتفها وتلحق به.

عندما فهمت الإعدادات الخاصة بالمزرعة، وشعرت أن أوفرتون لم يخفِ أي شيء، قالت: "سأقطع القيد الذي يربط كاحليك، إذا حاولت أن تركلني سأطلق النار على خصيتيك. أتفهم؟".

متظاهرًا باللامبالاة، قال: "افعلي ما تريدين".

"هذا صحيح".

قصت القيد بالمقص.

"نفس القواعد تنطبق". قصت القيد الذي يُقيد معصميه بقائمة حوض الاستحمام، بالرغم من أنها تركت معصميه مقيدين معًا. تراجعت من الحمام، ووضعت المقص جانبًا، ووقفت عند المدخل. شاهدته وهو يحاول الوقوف على يديه وركبتيه ثم يحاول النهوض. كانت عضلاته متشنجة، لقد أنهكها عندما حاول تحرير نفسه. كان بحاجة إلى دقيقة للزحف إلى مغسلة الكوارتز الكهرمانية الفاخرة والإمساك بها والنضال للنهوض على قدميه. بدت التشنجات في عضلات ساقه وفخذه واضحة ولا يمكن أن يدعيها، لم يبالغ في العذاب أو بالبكاء، بل ضم فكيه وخنق آهاته، تنفس بقوة مثل الحصان الذي مضى وقت طويل عليه وهو يركض، كما لو كان يزفر الألم، لا يزال يمتلك ما يكفي من صورته المفتولة العضلات ليخفي عنها الضعف الذي يعاني منه جراء المحنة التي يمر بها.

مشى متكئًا على جدار الغرفة بدلًا من أن يمشي مباشرة عبرها، لا تزال ساقاه ترتجفان، استند إلى المغسلة، ثم مقبض الدش، ثم اتكأ على مسند المناشف فمقبض الباب. تراجعت جين لم تمسك المسدس في قبضة يديها، لأنها لم تجده خطرًا عليها، وأرادته أن يعرف أنها لم تكن كذلك. كان عقله كحقل رماد، ذهب معظم أمله، لكن

تحت الجمر تراكم إحساسه بالغضب، وأي إشارة إلى أنها تحترمه كخصم من شأنها أن تغذي غروره وتلهب هذا الجمر.

عندما وصل إلى المدخل، قال: "أريد أن أجلس لدقيقة". تمايل نحو السرير.

قالت: "إذا كنت تريد الجلوس فسلاح السميث ويسون لم يعد في درج المنضدة". أشارت إلى الكرسي الذي كانت قد ركلته إلى غرفة الخزانة وهو الآن وسط الغرفة. "يمكنك الجلوس هناك حتى تشعر بتحسن".

"تبًا لك، أيتها الوضيعة".

"حقًا؟".

"تبًا لك".

"أنت تتصرف كالمراهقين. يجب أن تسمع نفسك".

"إنني أسمع جيدًا".

"يبدو أنك لا تستمع، ولم يسبق لك أن سمعت".

"أنتِ عبارة عن قمامة تحمل سلاحًا، هذا كل ما أنتِ عليه".

"وأنتَ ماذا؟".

"لا أريد أن أجلس في أي مكان".

"أرني الخزنة أيها القوي".

"في الخزانة".

قالت: "خلف المرآة، على الأرجح".

"تعرفين كل شيء، هاه؟".

"ليس كل شيء".

كانت خزانة الملابس كبيرة. ربما يبلغ عرضها خمس عشرة قدمًا وطولها عشرين قدمًا. كانت الملابس المعلقة مخبأة خلف أبواب، وكل شيء آخر في أدراج مختلفة الأحجام. في وسط الغرفة هناك مقاعد منجدة حيث يمكنه الجلوس لارتداء الجوارب وانتعال الأحذية، وعلى الجدار الخلفي، هناك مرآة طويلة.

تركته يقترب من المرآة قبل أن تدخل الخزانة خلفه. راقب انعكاسها في المرآة وهي تحمل المسدس بيديها. "هل ستطلقين النار عليّ في الظهر؟".

"إنه خيار وارد".

"كما تفعل النساء عادة".

"أيفترض بما قلته أن يغضبني؟".

"إذا قتلتني، فستموتين أنت أيضًا".

"حسنًا، حان الوقت الذي تقول فيه أن لديك أصدقاء، ولن يكفوا عن البحث عني، وعندما يجدونني سيقطعون رأسي".

"انتظري وسترين".

"ليس لديك أي أصدقاء يا بيلي".

"أيتها المرآة على الحائط".

انزلقت المرآة جانبًا، اختفت وراء الخزائن المجاورة، من الواضح أن الاستجابة كانت لتلك الكلمات أو ربما لنبرة معينة في صوته.

وقف أمام لوحة من الفولاذ المقاوم للصدأ. انحنى إلى الأمام، ووضع عينه اليمنى أمام عدسة زجاجية مستديرة مدمجة في الفولاذ. إن شبكية عين كل شخص فريدة مثل بصمات أصابعه. سمعت جين سلسلة من الأقفال تنفتح، وارتفعت اللوحة الفولاذية إلى السقف ببطء.

"ها هي أموالك، أموال لم يسبق لك أن شاهدت مثلها". منع جسمه رؤيتها لمحتويات الخزنة. "خمسمئة ألف دولار". وصل إلى الخزنة، ربما لالتقاط حزمة من النقود.

قالت: "لا".

بدأ في الالتفات إلى اليسار، ضم يديه المربوطتين إلى جسمه. لقد ظن أنه سريع بما فيه الكفاية وافترض أنها ستفكر بنصف المليون دولار، طلبت منه التوقف، لكنه لم يستمع إليها، وكان أبطأ بكثير مما اعتقد عندما أصابته الرصاصة الأولى عاليًا في جانبه الأيسر، تحت الذراع مباشرة، أطلق الرصاص تلقائيًا على باب الخزانة قبل أن يلتف بزاوية قدرها 180 درجة كان يحاول إكمالها.

أثناء الحصة التدريبية للتعلم على الأسلحة النارية في الأكاديمية، بعد أن عملت بجد لأسابيع على تحسين قوة يدها، تمكنت جين من الضغط على الزناد ستًا وتسعين

مرة في دقيقة واحدة بيدها اليمنى باستخدام مسدس التدريب، متجاوزة الرقم المطلوب من قبل المدرب. في المعارك الضارية، يمكن أن تصبح اليد الضعيفة يدًا ميتة بسرعة. أما اليوم فالرصاصة الثانية التي أطلقتها بعد أقل من ثانية من الأولى، غيّرت شكل رأس أوفرتون. توقفت مكيدته على الفور، وسقط أرضًا.

# 19

كان سلاح أوفرتون الذي استخدمه من نوع سيج ساور إكس- سيكس 226 مع مخزن من تسع عشرة طلقة، كان قد أطلق النار على جدران الغرفة التي تشكل الخزانة. مع كاتم الصوت الذي وضعته جين لمسدسها، بدا صوته مرتفعًا لأنها لم تكن تطلق في الهواء الطلق بل في غرفة ضيقة نسبيًا، لكنها كانت واثقة من أن أيًا من رصاصات مسدسها أو سلاح أوفرتون ما كانت لتسمع خارج جدران هذا المنزل الكبير.

بالنظر إلى عدد أعدائه، وطبيعة شركائه، رجحت أن يكون المحامي قد خبأ مسدسات في جميع أنحاء المنزل، بحيث يكون هنالك دائمًا سلاح في متناول يده. كانت الخزنة مستودع أسلحة مصغرًا، فاحتوت على بندقية عيار 12، ومسدسين من نوع ريفولفر، ومسدس آخر بالإضافة إلى السلاح الذي كان يأمل أن يقتلها به.

المسدس الذي اختار عدم استخدامه هو كولت 45. الاسم المحفور عليه كان لأحد أرقى المتاجر المتخصصة في البلاد وهذا ما أثار فضولها. من الواضح، أن المسدس أعيد تصميمه بالكامل، ومن بين الإضافات أضيف إليه منظار الرؤية الليلية، وكاتم للصوت. لو سبق لأوفرتون أن استخدمه في جريمة ما كان ليحتفظ به. ربما وجدت بديلًا لمسدسها هيكلر أند كوش، الذي كان مرتبطًا الآن بقتيلين. كانت تدافع عن نفسها، لذا لم تكن تعتبرنفسها أنها ارتكبت جريمة قتل، لكن حتى لو كان كل هذا أفضل ما تأمله، لم تكن لتقضي عشرة بالمئة من حياتها في قاعة المحكمة، تفسّر أفعالها.

وجدت من بين مجموعة أوفرتون من الأمتعة باهظة الثمن حقيبة جلدية. وضعت الكولت وكاتم الصوت فيها، وأضافت مخزني الذخيرة، وهاتفه المحمول. لقد كذب أوفرتون بشأن النصف مليون، فلم يكن في الخزمة سوى مئة وعشرين ألفًا؛ اثنتي عشرة حزمة في كل منها عشرة آلاف دولار. وضعت المال في الحقيبة، ولاحظت في وقت

سابق أن الكاميرات الأمنية الوحيدة في المنزل كانت في أروقة الطابق الأرضي والطابق العلوي. وكان بعضها مغطى بغلاف بلاستيكي، ومزود بجهاز قادر على الرؤية الليلية. ظنت أن المسجل قد يكون في الخزنة، لكنه لم يكن هناك، كما لم يكن في أي مكان في خزانة الملابس.

بعد التفتيش لربع ساعة في أماكن صعبة، وذلك باستخدام مفاتيح منزل أوفرتون، فتحت بابًا مغلقًا في المرأب، فعثرت على غرفة تخزين وموقع جهاز التسجيل. أخرجت قرص التسجيل من الجهاز الذي يحفظ التسجيلات لثلاثين يومًا، ووضعته في الحقيبة مع المال والمسدس.

قبل أن تدخل المنزل في المرة الأولى، في وقت سابق من اليوم، كانت قد وضعت القفاز الأسود المطرز بخيوط فضية، ولم تخلعه أبدًا، وبذلك لم تترك أي بصمات أصابع كما لم تشرب من أي كوب، ولم تسفك قطرة من الدم، وبهذا لم تترك أي شيء من شأنه أن يعطيهم عينة سهلة من الحمض النووي.

من المؤكد أنها أسقطت بعض الشعرات في المنزل، ولكن كان على الأدلة الجنائية العثور عليها، ولم تكن مهمة سهلة كما تصوّر في الأفلام والمسلسلات.

كادت أن تعود إلى المنزل لتطفئ الأنوار، حتى لا تبقى مضاءة طوال عطلة نهاية الأسبوع لأن ذلك قد يثير فضول وريبة شخص ما. ولكنها لم تستطع القيام بذلك، تفاجأت من عدم قدرتها على ذلك، وهي التي تعلم أن الموتى لا يستطيعون النهوض والمشي مرة أخرى، وهي لا تؤمن بالأشباح. لكنها لم تستطع فعل ذلك، فتركت الأضواء مضاءة.

غادرت من الباب الخلفي، وأغلقته بمفاتيح أوفرتون، وأسقطت المفاتيح في الحقيبة، وأغلقتها.

كان عليها أن تمشي إلى نهاية المبنى وحول الحي، حيث تركت سيارة الفورد إسكيب. إذا حدث، ولفتت انتباه أحد أفضل عناصر الشرطة في المدينة، سينتهي أمرها، لأنها لن تطلق النار على شرطي.

مشتْ قبالة منزل أوفرتون، وعلى الطريق العام، وشاهدت القمر المضيء بعين لا ترمش. وصلت إلى الفورد من دون أن يعترضها أحد، وعادت إلى وادي سان فرناندو،

حيث ستقضي ليلة ثانية في غرفة جديدة في الفندق قبل أن تنتقل في الصباح.

ستبدأ غدًا مع الدكتورة إيميلي جو روسمان، الطبيبة الشرعية في لوس أنجلوس التي فحصت دماغ بينيديتا آشيروفت، المرأة التي انتحرت في فندق سنشري سيتي. تقرير التشريح، الذي قدّمه روبرت برانويك، الملقب بجيمي رادبورن، أشار إلى وجود صور، ولكن الصور لم تكن في الملف.

لم تكن جين تعرف ما هي خطوتها التالية بعد استجواب الدكتورة روسمان. عاجلًا وليس آجلًا، كان عليها أن تقوم بخطوة للوصول إلى بيرتولد شينيك. لكن الوصول إليه داخل ممتلكاته التي تبلغ مساحتها سبعين فدانًا في وادي نابا بدا وكأنه مهمة يفترض بوحدات المارينز تنفيذها، وليس لامرأة وحيدة.

كان لديها نصف فكرة، فكرة مجنونة ومتهورة، بناء على تخمين جامح. لكنها وصلت إلى نقطة حرجة في التحقيق. لم يكن بإمكانها التراجع، وكانت على حافة الهاوية. عندما يُعثر على جثة أوفرتون يوم الاثنين، سيفترض شركاؤه في فار هورايزنز أنه قُتل بسبب بعض الأعمال المشبوهة غير المرتبطة بهم، لكنهم سيرفعون مستوى الحراسة لديهم أكثر مما هي عليه بالفعل. عند الوقوف أمام الهاوية، وعندما لا يكون هناك من طريق للتراجع فإن الأفكار المجنونة والمتهورة قد تكون الأفكار الوحيدة التي تملكها.

## 20

في وادي سان فرناندو، كان نصف القمر يتوسط السماء السوداء، وتنافس السائقون على العبور من خلال زحام سير ليلة الجمعة. لقد تراجع هجوم فيلادلفيا إلى ركن قصي في الذاكرة الجماعية، والجميع يسعون وراء عطلة نهاية أسبوع ممتعة، قبل زوال الملذات إلى غير رجعة.

توقفت جين في مطعم للبيتزا والوجبات السريعة. اشترت شطيرتي صبواي وبعضًا من الفلفل. عند باب غرفتها في ترزانا، وضعت الحقيبة، وكيس الوجبات السريعة. أخرجت المفتاح من جيب سترتها الرياضية، وفجأة فكرت أنه قد يكون هناك من ينتظرها في الداخل.

وفي ومضة من الخيال، تذكرت الرجل الضخم في حديقة باليساديس، الذي هاجمها حاملًا بندقية في مطبخ برانويك في الليلة السابقة. من المستحيل أن يتعقبها إلى هنا، لم يكن خوفها منطقيًا، لكن أحداث المساء ضغطت على أعصابها المشدودة كوتر القوس.

فكرت في سحب مسدسها، لكنها لم تفعل، لم تستطع، فإن بدأت في ممارسة بروتوكول الأسلحة النارية بسبب تهديد وهمي، فلن يكون هناك نهاية للمخاوف التي سيبتدعها خيالها. يومًا ما ستتآكل الحافة التي تتمسك بها حين تخطئ بين خطر محدق وبين شبح آخر.

فتحت الباب ودخلت، ضغطت مفتاح الإنارة على الجدار لم تجد أحدًا ينتظرها في الغرفة، التقطت الحقيبة والطعام، وأغلقت الباب بجسدها.

وضعت الحقيبة على الطاولة الصغيرة، ذهبت إلى الحمام، دفعت الباب المفتوح، وضغطت على زر الإنارة. لم تجد أحدًا. عادت إلى غرفة النوم مع كأس الشراب ووضعته على الطاولة، ثم فتحت باب الخزانة. الأشياء الوحيدة فيها كانت حقائب وكيسًا مليئًا بتقارير التشريح.

قالت بتوتر وهي تخلع قفازها: "من الأفضل ألا يهاجموني من أسفل السرير". لكنها لم تسمح لنفسها بتفتيش أسفل السرير. ذهبت إلى الخارج إلى آلة البيع القريبة ملأت دلو الثلج، وحصلت على اثنين من شراب الكوكا كولا، وعندما عادت إلى غرفتها، لم تتحقق من الحمام وخزانة الملابس مرة أخرى.

أضافت الكوكاكولا والفودكا إلى الثلج، وأخذت الشراب وقطعة الخبز. ذهبت إلى الحمام، وغسلت يديها وجففتهما، وحدقت إلى انعكاس صورتها في المرآة، واعتقدت أنها تبدو مختلفة بطريقة جذرية، بالرغم من أنها لم تستطع ملاحظة الفرق.

جلست إلى الطاولة في غرفة النوم، وضمت بيدها القلادة التي أعطاها إياها ترافيس، ثمّ وضعتها على الطاولة بجانب شرابها.

فتحت كيس الوجبات السريعة، أخذت اللحم والجبن وحشتهما في شطيرة وتجاهلت قطعة الخبز الفارغة، كان هناك شوكة بلاستيكية لعلبة سلطة الكولسلو. لم تشغل أي موسيقى في هذه اللحظة، يبدو أن الموسيقى قد تخفي الصوت الآخر الذي تحتاج إلى سماعه.

في وقت لاحق، استلقت على ظهرها في السرير والمسدس تحت الوسادة المجاورة، فكرت كيف أنها قتلت مجرمين خلال سبع سنوات من عملها في مكتب التحقيقات الفدرالي، وأنها قتلت اثنين آخرين في اليومين الماضيين فقط، وتساءلت من ستكون غدًا، أو بعد سنة.

فكرت في لو لينغ، وعندما نامت، حلمت أنها عارية، مستلقية على لوح من الفولاذ المقاوم للصدأ، حية ولكنها لا تستطيع التحرك. ظهر الرجلان اللذان قتلتهما مؤخرًا، وبرهبة كبيرة دحرجا الحمالة الفولاذية نحو المحرقة. وبالرغم من إصابتها بالشلل، إلا أنها استطاعت التكلم، وقالت بصوت لو لينغ: "لا أريد شيئًا أكثر من أن أجعلك سعيدًا". حدق الرجلان إلى وجهها، وفتحا فاهيهما ليتكلما، ولكن بدلًا من الكلمات، خرج منهما فئران بيضاء امتلأ بها المكان كما لو كانت نحلًا.

# 21

عند الساعة العاشرة مساء الجمعة، جلس بيرتولد شينيك إلى طاولة الطعام على شرفة منزله في وادي نابا. الهواء نقي ومنعش، والسماء تزخر بالنجوم التي لا تُحصى والتي نادرًا ما يمكن مشاهدتها في أي وقت فوق المدن. ارتفع القمر عاليًا، بينما طاردت أشعة الشمس الوادي المظلم، ورسمت توهجًا على طول قمم الجبال إلى الغرب.

وضع الدجاج النيء، الذي اشتراه أحد الريشوس ظهيرة هذا اليوم من أحد السوبرماركت في المدينة، في طبقين على رف عربة المطبخ.

حمل شينيك الطبقين إلى الفناء، ووزع الدجاج على العشب، فلمع اللحم الشاحب في ضوء القمر. لم تكن حيوانات القيوط موجودة الآن، فهذه ساعات الصيد الخاصة بها، إنها تجوب المروج والغابات كأفراد أو مجموعات صغيرة، تطارد القوارض والأرانب وأي فريسة أخرى.

أخذ شينيك الطيور النية من الطبق الثاني، ووزعها كما فعل بالمجموعة الأولى.

هناك بعض الأدلة، غير الحاسمة، أن حيوانات القيوط التي سيطر عليها أثبتت أنها صيادة أقل نجاحًا مما كانت عليه قبل عملية الزراعة في أدمغتها. حتى يتمكن من دراسة

المسألة أكثر وجمع المزيد من البيانات، وجد أنه من المستحسن زيادة نظامها الغذائي بهذه الطريقة.

في الشهر الماضي، حصلت حادثتان لا يرغب بتكرارهما. حيوان القيوط، كانيس لاترانس مفترس شرس، لكنه ليس من الأنواع التي قد تهاجم فردًا من فصيلتها. لكن في مرتين وفي هذه الحديقة بالذات، وخلال الليل عندما كانت إنغا وبيرتولد نائمين، هاجم أحدها الآخر وقتله وأكل بعضًا منه. ظن أن حيوانًا بريًا قد فعل ذلك، لكن كاميرا المراقبة كشفت الحقيقة المزعجة.

افترض شينيك أن تناقصًا في قدرة القيوط على تتبع واصطياد فريستها المعتادة ترك بعضًا منها جائعًا بما فيه الكفاية لمهاجمة حيوانات أخرى من نوعها. غير أنه ينظر في جوانب أخرى لهذه الحوادث التي قد تؤدي إلى نظرية أخرى.

يمكنه تتبع كل حيوان منها إلكترونيًا بعد أن حقنها بأجهزة النانو ذات قدرة التجميع الذاتي، وهو يعرف أن الاثنتي عشرة الأخرى لا تزال متنقلة وعلى قيد الحياة. لم يمت منها سوى الاثنتين اللتين قتلتا في الحديقة.

لماذا هنا بدلًا من البرية؟

يبدو للدكتور المحترف أن هاتين الحادثين كان لهما طابع طقوسي تقريبًا، كما لو أنها أرادت أن تقدم تصريحًا من نوع ما. وهذا غير ممكن، بطبيعة الحال، لأن حيوانات بهذا الذكاء المنخفض ليس لديها القدرة على صياغة الطقوس ولا الرغبة في الإدلاء بتصريح. ومع ذلك، ربما هنا شيء لا يعرفه.

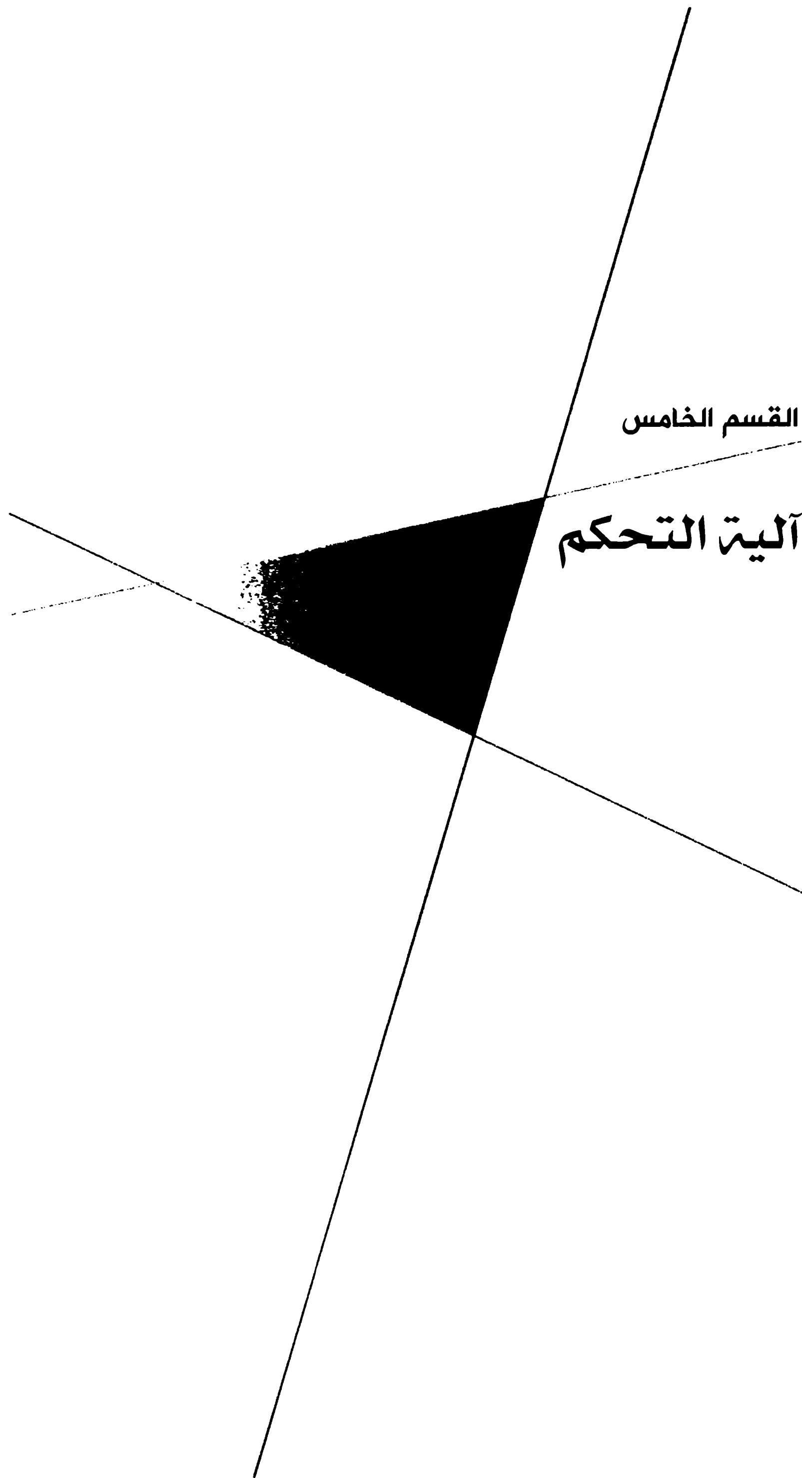
دفع شينيك العربة إلى المطبخ، وأطفأ أضواء الفناء الخلفي. ترك الصحون لأحد الريشوس لتنظيفها في الصباح، وقصد السرير في الطابق العلوي. إنه ينام جيدًا وبعمق، لكنه لا يحلم.

إنه يعتقد أن الرجال يحلمون في المقام الأول لسببين. أولًا، لأنهم يصابون في الحياة بالإحباط والعذاب بشكل روتيني، مع ما يترتب على ذلك من غضب وقلق يتشكل ككوابيس أثناء فقدانهم للوعي. ثانيًا، إذا كانت أحلامهم ممتعة، فمن الواضح أنهم يتوقون إلى الكمال في التجربة التي لا يمكنهم أن يأملوا في العثور عليها في الحياة، ولهذا يحلمون بها.

لكن شينيك نادرًا ما يحلم، لأن لديه السيطرة الكاملة على عالمه، ولا يشعر بالإحباط أو العذاب. أما بالنسبة إلى الكمال في التجربة، فهو ينوي صياغة المدينة الفاضلة التي طالما سعت إليها البشرية، وفشلت في تأسيسها، وسيعيش الكمال الذي خلقه.

## القسم الخامس

# آلية التحكم



# 1

تعمل الدكتورة إيميلي جو روسمان، التي سبق لها أن عملت في الطب الشرعي، الآن فنية في مستشفى شقيقتها.

كانت جين تنتظر بينما كان الموظفون يأتون للعمل عند الساعة السابعة من صباح يوم السبت. تعرفت إلى الدكتورة روسمان من صورتها على فيسبوك، ووجهها المنمش، وشعرها الكستنائي، الذي يغطي عينيها تقريبًا.

بدت أصغر من 38 عامًا بقصة شعرها الرجالية، وعينيها العسليتين، وابتسامتها الجذابة، وهذا ما يجعل من ينظر إليها لا يصدق أنه سبق لها أن عملت في مشرحة.

عندما أظهرت جين شارة مكتب التحقيقات الفدرالي. تجاوبت معها إيميلي كما لو أنها لا تزال تعيش في عصر نورمان روكويل، عندما كانت الثقة في الحكومة مستحقة: "أختي في الخارج اليوم. يمكننا استخدام مكتبها".

لم تجد على جدران الغرفة صورًا للحيوانات بخلاف ما توقعته، بل لوحات فنية غريبة لفن كاندينسكي، مزينة بشكل متقن بأشكال الأميبا. فكرت في أنها لم تكن لتنسجم مع الأخت الغائبة.

بدلًا من الجلوس خلف المكتب، أخذت إيميلي أحد الكرسيين المخصصين للزبائن ووضعته قبالة الكرسي الذي جلست عليه جين.

"آمل أن أكون مدركة لسبب زيارتك، آمل ذلك حقًا".

"ما رأيك؟".

"بينيديتا أشكروفت".

قالت جين: "انتحرت في جناح أحد الفنادق في تموز الماضي".

ضربت جانب قبضتها مرتين على ذراع كرسيها، وقالت إيميلي: "نعم. حان الوقت لشخص ما أن يأخذ هذا الأمر على محمل الجد. لم يكن الأمر كما بدا عليه".

"لكن ألم يؤكد تقرير تشريح الجثة الانتحار؟".

"جرعة زائدة جدًا من مضادات الاكتئاب ثلاثية الحلقة- ديزيبرامين مع الفودكا. تركيبة قاتلة لقد ابتلعت أكثر من 40 كبسولة عيار مئة مليغرام وهذا أمر يتطلب التصميم. وكان هنالك 36 كبسولة أخرى على منضدة النوم".

"أكثر من وصفة طبية واحدة. هل كانت تدخرها؟".

"لا، لا مجال لذلك". أزاحت إيميلي غرتها السميكة عن جبهتها، لكنها عادت إلى مكانها.

"لم تحصل على الحبوب بناء على وصفة طبية، ولم تشترها من صيدلية، لقد وجدت الحبوب في كيس على المنضدة بجانب سريرها".

قالت جين: "اشترتها من الشارع بشكل غير قانوني".

هزت إيميلي رأسها بإصرار. "لم تكن بينيديتا لتعرف كيفية إجراء عملية شراء في الشارع. لقد كانت من المورمون لم تشرب ولم تتعاطَ المخدرات طوال 27 سنة. كانت مخلصة لزوجها ولديها طفلان. كانت مستشارة للأطفال ذوي الإعاقات الشديدة، وأحبت عملها".

فكّرت جين في إيلين روت في شيكاغو، التي كانت مدافعة عن الأشخاص ذوي الإعاقة. في عالم شينيك الجديد، الذي صممه برنامج حاسوبي، من الواضح أنه لن يكون هناك مكان لأصحاب الشلل النصفي، والشلل الرباعي، والمكفوفين، والصم، والعجزة من أي نوع.

"دكتورة روسمان، هل من العدل القول إنه في غياب صدمات شديدة في الجمجمة، إذا كان سبب آخر واضح للوفاة موجودًا، فإن مكتب الطبيب الشرعي لن يجري فحصًا للدماغ؟".

انحنت إيميلي، وتحدثت بسرعة، كما لو كانت تدافع عن إجراءات تشريحها. "سبق لي أن عاينت جثة شاب سقط عن سلم بارتفاع 22 قدمًا. مات في مسرح الجريمة من دون كسر في الجمجمة، ولم يكن هناك من كدمات أو تمزق في فروة الرأس. لكن فحص الدماغ كشف عن إصابة محورية منتشرة؛ نزيف داخلي صغير في جذع الدماغ. وكان سبب الوفاة هو تآكل بطيء في الدماغ، وليس كسرًا ناجمًا عن الارتطام".

"حسنًا، لا بأس، ولكن في هذه الحالة، لم تدعم أي إصابات تشريحية نوعًا من صدمة عرضية نتجت عن ارتطام قوي. لذا كان عليك أن تفحصي الدماغ، ولكن مع بينيديتا أشكروفت كان سبب الوفاة واضحًا. وأثبتت كاميرات المراقبة في أروقة الفندق أن أحدًا لم يدخل غرفتها حتى عثرت الخادمة على جثتها في اليوم التالي".

شدت إيميلي فمها في خط ضيق، ثم قالت: "لم تصدق العائلة أنها انتحرت. ببساطة لم تصدق ذلك. وتساءلوا: هل يمكن تفسير انتحارها بورم في الدماغ؟".

"هل يُشرّح مكتب الطبيب الشرعي الجثث على نطاق أوسع مما تتطلبه البروتوكولات بناء على طلب العائلات وإصرارها؟".

"في السابق كان ذلك ممكنًا". ترددت، ضمت يديها في حضنها، وهي تنظر إليهما كما لو أنها لم تتعرف إليهما على أنهما يداها. "القصة المعلنة هي أنني تعبت من الطب الشرعي وقررت الاستقالة، ولكنني لم أستقل بل طردت".

"على أي أساس؟".

"أنا خالة بينيديتا أشكروفت، وكان يجب أن أتراجع عن إجراء التشريح وبدلًا من ذلك حاربت بشدة لأقوم بالتشريح، ولم أكشف عن علاقتي بها".

"جنحة. أو على الأقل سبب مبرر للفصل".

كانت نظرات إيميلي مباشرة وثابتة كشعاع ليزر: "كانت العائلة في حالة صدمة، وكانوا بحاجة إلى معرفة السبب. هذه المرأة الجميلة، والسعيدة دائمًا، هذه الأم المخلصة، تذهب إلى جناح فندق لتنتحر... ورم في الدماغ كان سيفسر كل شيء".

"كان بإمكان العائلة أن تدفع تكاليف تشريح خاص للجثة عندما ينتهي مكتب الطبيب الشرعي من الجثة".

أومأت إيميلي، وظلت تنظر إلى جين. "سيستغرق ذلك وقتًا؛ أيامًا أو أسبوعًا أو أكثر. زوجها وأختها وأمها وأبوها كانوا غارقين في حزن عميق، في عذاب. فعلت ما فعلته، وكنت لأفعل ذلك مرة أخرى... ولكن، يا إلهي، كم أتمنى لو لم أفعل".

في تلك اللحظة. لو كان هناك أي شك في أن شيئًا جديدًا ورهيبًا قد حل بالعالم، فما رأته الدكتورة روسمان عندما فتحت جمجمة ابنة أختها كان على وشك نفي أي شكوك متبقية حوله.

قالت جين: "لم أفهم تمامًا هذا الجزء من تقرير تشريح الجثة الخاص بك. على أي حال، تم تنقيح العبارات وحتى الجمل".

تنفست الطبيبة الشرعية بعمق: "عندما نظرت إلى أسفل على مقدمة الدماغ، إلى نصفي الدماغ والمخيخ، للحظة واحدة فقط، اعتقدت أنني كنت أرى ورمًا دماغيًا دبقيًا، وهو سرطان شرس بشكل خاص لا ينتج ورمًا موضعيًا. ينتشر مثل شبكة العنكبوت عبر جميع فصوص الدماغ".

"لكنه لم يكن ورمًا دبقيًا".

حافظت جين على التواصل البصري، وهذا ما أشار بوضوح لإيميلي أنهما تتقاسمان المعرفة التي كانت على وشك الكشف عنها: "يا إلهي، أنت تعرفين... ما وجدت".

"ربما. قولي لي".

"لم يكن عضويًا، ليس فوضويًا كالسرطان. كنت أنظر إلى دوائر هندسية مصممة بشكل معقد، رأيت نظامًا، جهازًا، لا أعرف ماذا أسميه، كان على اتصال بكل الفصوص، متخفيًا في أثلام مختلفة، تلك الشقوق في المادة الرمادية بين الأشكال مطوية، بين التلافيف. لم يكن حجمه كبيرًا، وكانت بنيته خرافية، كان مركزًا على الجسم الثفني. بالنظر إليه، شعرت... كنت أعرف أنه لم يسبق لي أن رأيت شيئًا شريرًا مثله. ماذا كان؟ ماذا كان هذا الشيء؟".

قالت جين: "يمكنك أن تسميها آلية تحكم".

قطعت إيميلي الاتصال البصري، ونظرت إلى يديها، وشدت قبضتها. ارتعشت: "من؟ لماذا؟ بالله عليك، كيف؟".

وبدلًا من الإجابة على هذه الأسئلة، قالت جين: "كان لديك كاميرا تعمل طوال فترة تشريح الجثة".

"نعم، لكنها لم تلتقط هذا الشيء اللعين إلى الحد الذي كنت أوده. بعد وقت قصير من فتح الجمجمة، ربما بسبب التفاعل مع الهواء. لا أعرف، هذا الشيء - آلية التحكم هذه، كما سميتها - بدأ يتفكك".

"كيف تفكك؟".

لم تعد إيميلي تنظر إلى يديها، بعد أن شحب لونها بحيث ظهر نمشها أكثر إشراقًا من ذي قبل: "بدا أنه يذوب ويتبخر، لا كان أشبه بالطريقة التي تمتص بعض الأملاح الرطوبة من الهواء وتنحل فقط".

لم يكن هذا ما توقعته جين، وشعرت مرة أخرى أنها كانت تتعامل مع قوى ماكرة وقوية لدرجة أنها ربما كانت خارقة للطبيعة: "هل كان هناك بقايا؟".

"نعم، رقيقة، بالكاد مرئية، أرسلت عينة إلى المختبر، وإن كانوا قد حللوا العينة، فلم يخبروني البتة".

"لقد سلمتِ تقريرك في اليوم نفسه".

"نعم".

"لم تكوني وحدك أثناء تشريح الجثة".

"كان هناك طبيب مساعد. تشارلي ويمس، لقد كان مرعوبًا. إنه من محبي الخيال العلمي، واعتقد أن ما رأيناه كان نوعًا من الغزو فضائي. بحق الجحيم، أنا اعتقدت ذلك أيضًا".

"وهل تابع تقريرك؟".

"في البداية. لكن عندما أخبرته أن بينديتا كانت ابنة أختي، اعتذر عن مساعدتي في غضون ساعات".

"لقد أجبرت على الاستقالة... متى؟".

"في اليوم التالي. إجازة مع تعويض نهاية الخدمة أو الطرد. لم يكن لديّ الكثير من الخيارات حقًا".

"وأين تشارلي ويمس الآن؟".

"لقد رُقي، استلم وظيفتي. ورحّب بذلك". ضمت يديها كما لو كانت قبضتاها مشدودتين لدرجة أن أصابعها كانت مخدرة. "المباحث الفدرالية تبحث في هذا الأمر الآن، هاه؟ هل هذا صحيح؟".

"نعم، ولكن بشكل غير معلن، تحقيق صامت، يجب أن أطلب منك أن لا تخبري أحدًا بمحادثتنا. يمكنك تفهم السبب".

"سيفزع الناس، سيعتقد الجميع أنهم تحت السيطرة، سواء أكان ذلك صحيحًا أم لا".

"بالضبط، هل أخبرت شقيقة بينيديتا، وزوجها، أمها، أو والدها؟".

هزت إيميلي رأسها: "لا، لقد كان الأمر مجنونًا جدًا، فظيعًا جدًا. في البداية قلت إن الاختبارات لا تزال جارية. ثم أخبرتهم بأنه ورم في المخ".

"هل تساءلوا لماذا تركت وظيفتك؟".

"أخبرتهم أنني قضيت الكثير من الوقت مع الموتى. إنها وظيفة لا يفهم أحد لماذا عملت فيها، بينما يفهم الجميع لماذا تخليت عنها".

"وماذا عنك؟ عشتِ ثمانية أشهر مع هذا الأمر".

"لم أعتد بالتأكيد على أي شيء. الآن أنا أُشددُ على كلّ شيءٍ. لكنني لا أحلم به بقدر ما كنت في البداية". نظرت إلى مطبوعات كاندينسكي؛ الأشكال ذات الألوان الزاهية، المفعمة بالحيوية، وعديمة المعنى، "أشياء كثيرة تحدث الآن، العالم يسير بسرعة كبيرة، وتجدين نفسك تتقبلين أشياء كانت لتحطم قلبك أو تدفعك للجنون. كما لو أن الحياة كانت جولة هادئة في عربة، والآن أصبحت سفينة دوارة عالية السرعة". نظرت إلى جين مجددًا "أعيش على معرفة بما رأيت. ماذا يمكنني فعل غير ذلك؟ لكنني أشعر بالرعب في صميمي".

"أنا أيضًا. وكلنا كذلك". وهذا يعني ضمنيًا أن عشرات العملاء كانوا يبحثون عن الحقيقة، تلك الكذبة كانت الراحة الوحيدة التي يمكن أن تمنحها.

## 2

بالرغم من تغير المنطقة الزمنية، لا يزال الوقت منتصف الصباح عندما هبط ناثان سيلفرمان في مطار أوستن الدولي، واستلم سيارته المستأجرة، وانطلق على الطريق السريع 290. حين صعد الطريق السريع المؤدي إلى هضبة إدواردز، بدت له السماء وكأنها أوسع بكثير من الأرض، بالرغم من امتداد سهول تكساس الواسعة إلى كل جانب، إلا أنها بدت له ضئيلة.

خلال حياته المهنية، أمضى عطلات نهاية أسبوع عديدة وهو يعمل في المكتب، لكن لم يسبق له أن كرّس يوم سبت للتحقيق في قضية غير مرقمة أو ملف مفتوح، وستكون هذه أيضًا المرة الأولى التي يتحمل فيها ثمن تذكرة الطيران وسواها من

النفقات الأخرى. وبالرغم من ذلك لم تكن آماله كبيرة بتحقيق أي نتيجة من عمله هذا.

لم يكلف نفسه عناء معرفة، إن كانت إحدى طائرات الغلف ستريم التابعة للمكتب لديها رحلة إلى تكساس، وإن كان فيها مكان شاغر. في السابق استخدمت طائرات الغلف ستريم في عمليات مكافحة الإرهاب وأسلحة الدمار الشامل، وربما استخدمت الآن للتحقيق في ما حصل في فيلادلفيا، فالمدعي العام لديه سلطة على مكتب التحقيقات الفدرالي، وكثيرًا ما طلب الاستعانة بطائرات الغلف ستريم لتنقلاته الشخصية، لم يفكر ناثان إن كان استخدام المدعي لهذه الطائرات مشروعًا أم لا.

انتقل ناثان من طريق إلى آخر واثقًا بإرشادات الصوت الأنثوي المنبعث من جهاز تحديد المواقع. وفي النهاية وصل إلى وجهته. توقف أمام جدار حجري منخفض مدعم بإطار حديدي يسيج مزرعة آل هوك. من هنا لم يعد بحاجة إلى الاستعانة بخدمات نظام تحديد المواقع.

توزعت أشجار البلوط في أرجاء المزرعة، حيث تناثرت ثمار البلوط على الأرض. وامتدت الأراضي العشبية الخضراء الغنية في كل مكان. على اليسار، ترعى الأبقار البنية والبيضاء. وعلى اليمين ترعى الأغنام.

كان منزل آل هوك الأبيض المؤلف من طابقين بعيدًا عن الحظيرة الكبيرة في الجنوب وعن الإسطبلات التي تظللها الأشجار في الشمال.

كان الطقس اليوم دافئًا وإنما ليس حارًا، وشعر ناثان أن السكون الحالي للطبيعة قد لا يستمر لفترة طويلة. سبق لناثان أن التقى كلير وأنسيل هوك والدي نيكولاس، وذلك في حفل زفاف نِك وجين الذي أقيم في ولاية فرجينيا، قبل سبع سنوات تقريبًا، وشك أن يتذكراه.

فتحت الباب امرأة تبلغ من العمر خمسين عامًا تقريبًا، طويلة القامة جميلة الملامح، رمادية الشعر وبتسريحة قصيرة، ارتدت الجينز وبلوزة بيضاء: "سيد سيلفرمان، أنت بعيد جدًا عن كوانتيكو".

"سيدة هوك، أنا مندهش أنك تذكرتني".

"اعتقدنا أنك ستتصل أو أن شخصًا ما سيأتي. لكن ها أنت تأتي بنفسك. أنا مندهشة أكثر منك".

"أنا آسف جدًا. أقدم تعازيّ.."

رفعت يدها لإيقافه: "أنا لا أتحدث كثيرًا عن ذلك، ربما لن أتحدث أبدًا، أيًا يكن الأمر لا أظن أنك سافرت كل هذه المسافة لتقدم التعازي، هيا ادخل".

قادته عبر المنزل الهادئ إلى المطبخ، حيث غطت الدفاتر والإيصالات طاولة الطعام.

"أكثر ما أكره هو القيام بالحسابات، إذا لم أقم بإنهائه اليوم سأبدأ بالصراخ. تريد التحدث إلى أنسيل؟ إنه في الإسطبل مع الطبيب البيطري. حصانه المفضل يعرج".

"في الواقع، سيدة هوك، أود التحدث إليكما".

ابتسمت: "مع كل هذه الأرقام في رأسي، لن أُحسن إجراء محادثة. انتظر أنسيل على الشرفة الخلفية، لا أظنه سيتأخر، هل يمكنني أن أحضر لك شرابًا؛ الصودا أو الماء أو الشاي".

بالرغم من أنها كانت كريمة معه، كانت أيضًا حذرة منه.

قال سيلفرمان: "أرغب بالآيس تي إذا لم يتعبك ذلك".

أعطته زجاجة من الآيس تي، وقادته إلى الشرفة، وتركته يشرب الآيس تي على كرسي هزاز.

بعد عشر دقائق، خرج أنسيل هوك من المطبخ إلى الشرفة، نهض سيلفرمان، متسائلًا لماذا فاجأه أن مربي الماشية كان يرتدي قبعة رعاة البقر.

تصافحا، وسأل سيلفرمان: "كيف حال الحصان؟".

بينما كانا يجلسان، قال أنسيل: "التهاب بمفصل القدم الأمامية اليسرى. تم الكشف عنه في الوقت المناسب. إنه لا يأكل. دونر حصان كبير في السن، لكنه جيد، لقد مررنا ببعض الأوقات معًا".

كان صاحب المزرعة رجلًا كبيرًا وذا يدين قويتين وخشنتين من كثرة العمل. أما وجهه فتركت الشمس والرياح آثارهما عليه.

قال سيلفرمان: "المكان جميل هنا".

وافقه أنسيل: "جميل فعلًا وكله ملكنا. لكنك لم تأتِ إلى هنا للتحدث عن العقارات".

"أنا لست هنا بصفة رسمية، بالرغم من أنه يمكن أن آتي كذلك، تبعًا للحالة. أنا قلق بشأن جين وأتساءل عما تنوي فعله".

قال أنسيل وهو يحدق إلى الفناء والحقول خلفه، مديرًا لسيلفرمان جانب وجهه فقط: "أيًا يكن ما تنوي فعله فهو الصواب، وستقوم به، أنت تعرفها أكثر مني".

بعد صمت، قال سيلفرمان: "هل تركت الصبي هنا؟".

"لا يا سيدي، لم تتركه هنا، هذه هي الحقيقة".

"لقد علمت أنها خائفة عليه".

"إذا كانت كذلك، فمن المحتمل أنها محقة في مخاوفها".

"من الذي جعلها تخاف على الصبي؟".

"نحن جميعًا في خطر في هذا العالم، سيد سيلفرمان، لم يعد العالم مكانًا يعمه السلام".

"لا أستطيع أن أُغطيها إذا كانت تخالف القانون يا سيد هوك".

"لا أظن أنها تريد منك أن تغطيها".

وضع سيلفرمان قنينة الآيس تي على أرضية الشرفة بجانب كرسيه: "أنا صديقها، ولستُ عدوها".

"ربما تكون صديقًا، ولكنني لست في وضع يتيح لي التحقق من ذلك".

"لن أستطيع مساعدتها، ما لم أعرف نوع المساعدة التي هي بحاجة إليها".

"أنا متأكد من أنها كانت لتتصل بك لو كنتَ تستطيع مساعدتها".

"هناك حادثة في كاليفورنيا. أعتقد أنها متورطة في شيء ما".

"لا أعرف ما حدث في ولاية كاليفورنيا. أنت أدرى بذلك يا سيد سيلفرمان. هل يجب أن أكون أنا من يحاول استجوابك".

قال سيلفرمان محبطًا: "تكساس".

"لديك بعض الخبرة بالتعامل مع أهل تكساس، أليس كذلك؟".

"في مناسبات قليلة".

"إذًا فقد تعرضت لخيبة أمل هنا من قبل".

نهض سيلفرمان عن كرسيه، وذهب نحو سياج الشرفة وحدق عبر الفناء، إلى المراعي الفسيحة، نحو أفق بعيد كما لو كان أمام البحر. لقد وُلد ونشأ في المدينة،

وهذه المساحات الرائعة المفتوحة لم تشعره بالراحة. بدا الأمر كما لو أن الجاذبية لم تكن بكامل قوتها هنا، لدرجة أن المنزل أو أي شيء آخر غير متجذر في الأرض قد يطفو في الهواء بعيدًا إلى السماء.

أدار ظهره لأنسيل هوك، وقال: "والدتها ميتة، وعلاقتها مقطوعة مع والدها، ليس لها أحد سواك تلجأ إليه".

"عليك أن تصدقني بأن ذلك يزعجني أنا وكلير. نحن نحب الفتاة كما لو كانت ابنتنا".

"حسنًا، إذًا؟".

"لم تلجأ إلينا كي لا تضعنا في خطر، وربما لم تلجأ إليك للسبب نفسه".

بعد أن فرغ سيلفرمان من النظر إلى المشهد الطبيعي، استدار وواجه أنسيل: "هل تعني أنها لا تثق بالمكتب؟".

كانت عينا أنسيل هوك رماديتين نقيتين كحبات المطر على الأرز. "ارتح قليلًا، لمَ لا تجلس".

عاد سيلفرمان إلى الكرسي الهزاز، ولم يقم أي من الرجلين بهز كرسيه. تعالت أصوات الصراصير في السكون، ولكن لم يكن هناك سوى القليل منها.

بعد فترة، سأله سيلفرمان: "أتريد التعاون معي أم لا؟".

"أنا أفكر، سيد سيلفرمان، لذلك اسمح لي أن أفكر. لولا احترام جين لك ما كنت لأسمح لك بدخول المنزل".

مع صرخات مهتاجة، طار سرب من الطيور في الهواء النقي كما لو أنه قذف في هذا العالم من عالم آخر، وانقض على الشرفة، واختفى في الأعشاش وتجاويف شجرة البلوط الكبيرة في الزاوية الشمالية الغربية من المنزل، كما لو أنه لجأ إليها هربًا من بعض التغيير في الطقس.

أخيرًا قال أنسيل: "انتحار نِك لم يكن انتحارًا".

"لكن جين وجدته، والطبيب الشرعي..".

قاطعه السيد هوك: "بدأ معدل الانتحار في الارتفاع في العام الماضي، والآن ارتفع لأكثر من عشرين في المئة".

"إنه يتذبذب، مثل معدل القتل".

"ليس هناك من تذبذب، إنه يستمر في الارتفاع من دون أي هبوط، وهؤلاء المنتحرون مثل نِك ليس هناك سبب يدفعهم للانتحار".

قال سيلفرمان عابسًا: "الانتحار هو انتحار".

"ما لم يكن المنتحرون مدفوعين للانتحار، بدأت جين تبحث في ذلك، بحثت بشكل عميق. لذا أتوا إلى منزلها، وهددوها باغتصاب ترافيس وقتله إذا لم تتوقف".

ذهل سيلفرمان عندما سمع راعي البقر هذا يتحدث عن نظرية المؤامرة، فسأله: "هم؟ هم من؟".

"ألن يكون هذا ما تحتاجه إلى معرفته؟".

"سامحني، لكن إن لم أكن انتحاريًا، فلا أحد يستطيع أن يجعلني..".

"لا تكذب جين إلا على الكاذبين، وأنا لست واحدًا منهم .

"أنا لا أشكك في صدقك".

"سيد سيلفرمان، لا يهمني رأيك فيّ". وقف صاحب المزرعة على قدميه: "لقد أخبرتك بما أستطيع إخبارك به، فإما أن تنظر في الأمر أو لا".

نهض سيلفرمان وقال: "إذا كنت تعرف كيفية الوصول إلى جين.. .

"لا، الحقيقة البشعة، أنها لا تثق بمكتبكم، وربما يجدر بك أن تحذو حذوها، لن أسمح لأحد عملائك بالدخول إلى منزلي بعد الآن. والآن سأطلب منك مرغمًا أن تغادر المنزل من الشرفة بدلًا من المشي داخله لتغادره عبر الباب".

أغلق أنسيل هوك باب المطبخ خلفه.

نزل سيلفرمان عن الشرفة وسار حول المنزل، محاولا معرفة الخطأ الذي ارتكبه وأثار حفيظة أنسيل، فتربية تكساس والسلوك الطبيعي عادة ما يجعلانه مهذبًا تقريبًا إلى درجة مبالغ فيها. فكّر أن ما أغضب أنسيل هوك لم يكن الطعن في صدقه ولكن تشكيكه في قصة زوجة ابنه. بدا الأمر على النحو التالي: "شك بي ويمكننا أن نتحدث، ولكن أن تشك بجين فهذا يعني أن الحديث انتهى". لما وصل إلى واجهة المنزل، تحت السماء الزرقاء مثل زهرة القمر، هبت نسمات دافئة، وبدت كأنها تحمل ضوء الشمس عبره وعبر المراعي. هذا الوهم بارتجاف ظلال أشجار البلوط، وأعلى ذلك بكثير، من

السحب الرقيقة التي تسببت بها التيارات العالية، تسببا في إحداث نبضة اضطرابية لدى سيلفرمان.

بالنظر إلى الأرض الشاسعة، تمنى سيلفرمان لو أنه في الإسكندرية برفقة ريشونا، وليس وحيدًا في هذه الأرض الغريبة.

## 3

سارت جين بسرعة على الطريق السريع 405، وكانت ممتنة لأضواء حركة المرور، لم يكن هناك من جديد باستثناء الفكرة التي خطرت لها في الليلة السابقة، الفكرة المجنونة، لكنها لم تتوهم كثيرًا، فلم تستطع أن تنكر أنها مجبرة على التوجه إلى سان دييغو بدافع اليأس المطلق.

لقد اطلعت من الدكتورة إيميلي جو روسمان، على حقيقة مزعجة بشأن آلية التحكم في دماغ بينيديتا أشكروفت، وهي أنها تحللت في غضون لحظات ليس إلا، ولم تترك أدلة على وجودها، باستثناء الصور التي التقطتها كاميرا التشريح والتي لم تكن واضحة.

في هذه الأيام، من السهل التلاعب بالصور الرقمية، وهذا ما قلل من مصداقيتها، ولكن الصور الصحيحة لا تكذب أبدًا. في هذه الأيام، يمكن التلاعب بشتى أنواع الأدلة باستثناء الحمض النووي. من أجل فضح ما يقوم به شينيك لا بد أن يرى جمهور كبير بأم العين الفظائع التي يزرعها في أدمغة الناس.

إن هذا يحدث في عصر غريب، إنه غريب حقًا عندما يعتقد عدد كبير من الناس أنه من غير المقبول التلاعب بالعلوم، وحيث يسيطر الخوف من نهاية العالم بشكل لا محدود، وينفون الحقائق الأكثر منطقية التي تكون مضيئة أمامهم. حتى لو استطاع الملايين رؤية آلية التحكم التي جعلت بينيديتا أشكروفت تنتحر، فربما سيغطي معظمهم وجوههم كي لا يروا الحقيقة، وهم يفضلون الخوف من وهم أن يُدمّر غزاة الأرض في هجوم وشيك من أن يدمرها علماء من خلال تدمير الإنسانية والناس.

طوال عمرها كانت جين متفائلة، ولكنها خلال الساعات الأخيرة وجدت نفسها خائفة، خشية أن لا تعثر في سان دييغو سوى على خيبة الأمل.

في سان خوان كابيسترانو، قبل الانتقال إلى الطريق السريع 5، وجدت متجرًا، اشترت منه مغلفين كبيرين، ولفة من الشريط اللاصق، وطابعًا.

في مكان مهجور من مرأب للسيارات، وضعت ثلاثين ألفًا من نقود وليام أوفرتون في المغلف الأول وثلاثين ألفًا في الثاني. كان المغلفان يحتويان على تلزيق لإغلاقهما، لكنها بالرغم من ذلك أغلقتهما بالشريط اللاصق. ووضعت الطابع، وكتبت دوريس ماكلين على المغلف الأول، ثم العنوان؛ دوريس هي شقيقة كلير المتزوجة، عمة نِك، وتعيش على بعد ستة عشر ميلًا من مزرعة هوكس. وكتبت على المغلف الثاني اسم غافين وجيسيكا واشنطن. إذا كان بإمكانها أن تثق بهما للاعتناء بطفلها، يمكنها أن تأتمنهما على النقود.

عندما أخذت في السابق مبلغًا كبيرًا من بعض الأشرار في نيو مكسيكو، أرسلت لدوريس وآل واشنطن حزمة من النقود لسد حاجتهم في المستقبل. كما هو الحال الآن، لم تكتب رسالة تفسر الأمر.

توجهت جين إلى صندوق البريد، ودسّت المغلفين فيه.

احتفظت بستين ألفًا من أموال أوفرتون لنفقات عملها، كانت تأمل أن تستفيد منها.

عندما اختارت أن تتوقف في سان خوان كابيسترانو بدلًا من أي بلدة أخرى، كانت تنوي إرسال مغلف واحد فقط، لدوريس، وتسليم الثلاثين ألف الأخرى إلى غافين وجيسي شخصيًا حيث كانا يقيمان على بعد ساعة من القيادة بالسيارة.

لكن في حالتها الحالية، لم تتجرأ على الذهاب إلى هناك. كانت متفائلة برؤية ابنها بعد فترة طويلة، وكانت أكثر من نصف مقتنعة بأن هذه ستكون فرصة لرؤية ابنها، لتقول له إنها تحبه، وكانت الرغبة في الذهاب إليه كبيرة. لكن ترافيس كان فتى حساسًا، وذكيًا مثلها. كان ليقرأ خوفها، ويعرف لماذا جاءت، وكانت لتتركه أكثر اضطرابًا مما كان عليه قبل زيارتها.

جلست في سيارتها، في مرأب السيارات، أمسكت بالقلادة التي أعطاها إياها، وفكّرت به كما اعتقدت أنه يفكر بها. لم تبكِ بسهولة، لكن للحظة ترقرقت عيناها بالدموع.

مسحت عينيها، ووضعت القلادة في جيبها، وشغّلت المحرك، واتبعت الاتجاهات التي كانت حصلت عليها من عامل في المكتبة. أدخلت العنوان الذي أخذته من أوفرتون في حاسوب، واستخدمت غوغل إيرث لإجراء دراسة سريعة لمزرعة شينيك في وادي نابا، وخاصة بوابة الدخول والمنطقة المحيطة بالمنزل.

من المكتبة، قادت سيارتها جنوبًا على الطريق السريع 5، لتصل إلى سان دييغو قبل الظهر.

# 4

بعد أن سافر ناثان سيلفرمان مسافة طويلة ولم يحظَ إلا بمقابلة قصيرة، عاد إلى مطار أوستن الدولي قبل ساعات من رحلة عودته إلى العاصمة، وجلس على مقعد بالقرب من بوابة الصعود، وعاود قراءة كتاب ريك لارسون *في حديقة الوحوش*، إنه كتاب يروي القصة الحقيقية لعائلة أميركية عاشت في برلين في الفترة التي تولى فيها هتلر السلطة، وسرعان ما اندمج ناثان بالرواية مجددًا.

في البداية لم يدرك أن الحديث كان موجهًا إليه: "هل هذا أنت؟ يا إلهي، هذا أنت حقًا". ظن أن الحديث موجه إلى الشخص الذي يجلس في مكان قريب منه. "ناثان؟ ناثان سيلفرمان؟"

للحظة، بدأ له الوجه غريبًا، قبل أن يتعرف إلى بوث هندركسون، الذي سبق له أن عمل عميلًا خاصًا لدى المكتب لأكثر من عقد من الزمن، حصل خلاله على شهادة في القانون، وبعدها انتقل إلى وزارة العدل، قبل ثلاث أو أربع سنوات.

"لا، لا، لا تقف من أجلي". قال بوث ذلك وهو يجلس على المقعد إلى جانب سيلفرمان. "لا تُعتبر أوستن نهاية أي مكان، ولكن لا بد أن العالم صغير جدًا ليلتقي فيه صديقين قديمًا من كوانتيكو في عاصمة ولاية لون ستار[1]".

تحلّى بوث هندركسون بطباع الشخص الأرستقراطي القادم من إنكلترا، والذي وُلِد وترعرع في فلوريدا، يشبه وجهه وجه صقر، بالرغم من أنه يجد نفسه يشبه الأسد.

---

(1) يُطلق على تكساس اسم "ولاية لون ستار" بسبب وضعها السابق كجمهورية مستقلة. (المترجم)

وبالمقارنة مع وضعه السابق كعميل لدى مكتب التحقيقات الفدرالي بدت ملابسه وحذاؤه باهظي الثمن.

بالرغم من أنهما كانا في المكتب نفسه، إلا أنهما لم يعملا دائمًا على القضايا نفسها. الآن، يتذكر سيلفرمان عدم التشابه بينهما: "تبدو بحال جيدة يا بوث. لا بد أنك مرتاح في وزارة العدل".

"إنها بمثابة دوامة طموح إن لم أقل بالوعة، ولكن في كلتا الحالتين أنا سباح ماهر". ارتسمت على شفتيه شبه ابتسامة جراء استهزائه من نفسه. "ولكن بالرغم من كل شيء لا يخلو الأمر من أشياء جيدة".

سأله ناثان: "ماذا تفعل هنا؟".

"كنت على متن الطائرة التي هبطت للتو، ورأيتك عندما كنت تنزل، بينما كنت متوجهًا لجلب حقائبي، إن لم تكن بقيت في مكان ما على الساحل الشرقي. إنني في إجازة، سأمضي بعض الوقت هنا، قبل أن أتوجه إلى سان أنطونيو. كيف حال ريشونا؟ أنا واثق أنها بخير".

"حسنًا، شكرًا لك. وكيف حال زوجتك؟" سأله سيلفرمان، وقد تعذّر عليه تذكر اسمها.

"لقد انفصلنا. لا تبدي أسفك، أنا من قدّم طلب الحصول على الطلاق، والحمد لله لم نُرزق بأطفال، كيف حال أولادك، ناثان؟ كيف حال غارب وليزبيث وشايا؟".

تعجَّب سيلفرمان كيف تذكّر بوث أسماءهم جميعًا. يحفظ بوث هذه الأشياء حتى يستعملها في مثل هذه اللقاءات القيمة، مثل لقائه مع سيلفرمان، وهذا يُشير ضمنيًا إلى أنه وجدها، في واقع الأمر، مثيرة للاهتمام ولا تُنسى.

"تخرجت ليزبيث من الجامعة في العام الماضي، والآخران لا يزالا يتابعان دراستهما، إنهم يعيشون بأمان وبصحة جيدة ويعملون جيدًا".

ضحك بوث أكثر مما يستحقه الأمر: "أنت رجل محظوظ، يا ناثان".

"هذا ما أُذكر به نفسي كل مساء وصباح".

أمسك بوث بكتاب إيريك لارسون الذي يحمله ناثان، وقال: "إنه كتاب رائع. قرأته قبل سنوات. إنه يجعلك تفكر".

"نعم، هذا صحيح".

كرر بوث: "يجعلك تفكر". ونظر إلى ساعته وانطلق مسرعًا. "عليّ الذهاب، سأحظى بأسبوع من التسلية والترفيه خالٍ من المكالمات". لوّح له بيده اليمنى ومرة أخرى أكثر مما يفترض به. وكرَّر قائلًا: "أنت رجل محظوظ". ثم اختفى.

شاهد سيلفرمان بوث هندركسون يختلط بالمسافرين في المبنى قبل أن يختفي عند المحطة.

لم يعد ناثان لقراءة كتاب لارسون، بل تساءل مستغربًا: أيذهب بوث هندركسون إلى عطلة مرتديًا بذلة من ثلاث قطع وربطة عنق؟

لم يشاهد بوث منذ ثلاث سنوات، ولم يكن واثقًا من أنه كان سيتعرف إليه من بعيد، إلا أن بوث سرعان ما تعرَّف إليه. ما لم يكن الرجل يمتلك ذاكرة أشبه بمجموعة من الحواسيب، والتي لم يكن يتمتع بها في الواقع، فمن الجيد ملاحظة أنه تذكر جميع أسماء أولاده. لا غرابة في تذكره لاسم ريشونا فقد سبق له أن التقى بها مرة أو مرتين. ولكنه لم يلتقِ بالأولاد أبدًا. *غارب وليزبيث وشايا*. نطق الأسماء بسهولة، كما لو أنه لم يمضِ على ذكره لهم أكثر من ساعة، ولاحظ أيضًا أنه عندما ذكر بوث أسماءهم، تغيرت نظرته واختلف صوته، وكأنه كان يحتفل.

لعل عمل سيلفرمان الطويل في مكتب التحقيقات الفدرالي جعله يشك في كل شيء، وربما ارتياب أنسيل هوك كان معديًا.

جميعهم يعيشون بأمان وصحة جيدة؟ قد يسأل معظم الأشخاص إن كان أولادك أصحاء وسعداء. ما مدى الغرابة التي قد يطرحها أي شخص في السؤال عما إذا كانوا بأمان.

تردد صوت بوث في رأس سيلفرمان وهو يقول: *يجعلك تفكر. يجعلك تفكر*. نظر سيلفرمان إلى الكتاب بين يديه.

لقد سأل بوث عن سبب مجيئه إلى أوستن، لكن بوث لم يسأله بالمقابل عن سبب مجيئه، وكأنه كان على علم بذلك.

# 5

تبين أن المطبخ المجاني الذي ذكره، وأراد أن يتبرع له بالأربعين دولارًا، التي أعطته إياها جين، مجرد شقة في سان دييغو حيث رآته قبل خمسة أيام. بحسب ما أخبرها أمين المكتبة عندما كان يرشدها إليه.

كان للمطعم لافتة جديدة وبسيطة وقد كتبت بالألوان الحمراء والزرقاء والبيضاء، وخشية أن يسيء أي شخص فهم أن المكان يقدم العشاء فقط، ذكر على اللافتة أنه يقدم ثلاث وجبات.

لم يتغير التصميم الداخلي عن الأيام التي كانت فيه الأخوية تديره. لا يزال البار في مكانه، بالرغم من أنه لم يعد مستخدمًا. وغرفة الطعام المصنوعة من الرخام وحلبة الرقص الخشبية أمام منصة العزف هُجرت منذ فترة طويلة. في الماضي، كان الرواد يتناولون الطعام على موائد مستديرة تحيط بها كراسٍ أنيقة التنجيد، أما الآن فهناك مقاعد قابلة للطي وطاولات مستطيلة بدون غطاء.

في الماضي، كان الغداء يقدم عند الساعة 11:30. أم الآن فيقدم عند الساعة 11:50، هناك ثلاثون أو أربعون شخصًا يتناولون الطعام الآن، معظمهم رجال شاحبو الوجوه، وربما يعانون من تشمع الكبد نتيجة شرب الكحول. جلست ثماني نساء متفرقات أو في ثنائيات، وبالرغم من أن واحدة منهن أو اثنتين كانت تشرب، إلا أن الأخريات بدون وكأنهن حزينات، ومتعبات، ومترهبات.

كان الغداء طبقًا مكسيكيًا، وكانت روائح البصل والفلفل والكزبرة واللايم وتورتيلا الذرة الدافئ تعبق في الهواء.

وصلت جين إلى نهاية الكافيتريا، ولكنها لم تجلس إلى طاولة لتتناول الطعام، بل قالت: "هناك رجل يتردد إلى هنا لتناول الطعام. أتساءل إن كان هنا اليوم. كانت تُمسك بصورة من صحيفة قديمة طبعتها في مكتبة وودلاند هيلز صباح يوم الجمعة. "إنه يُدعى دوغال تراهون. ولكنه لم يعد يبدو مثل الصورة".

قالت النادلة تشارلين: "يا إلهي، لم يعد يبدو مثل الصورة، لا بد أنه سقط من جرف عالٍ، وآثار ذلك واضحة تمامًا". حديثها هذا لفت انتباه النادلة الأخرى، فنظرت إلى الصورة التي بين يدي جين. "روزا، ألقِ نظرة على هذه الصورة".

هزَّت روزا رأسها بمزيجٍ من الفزع والتعجُّب: "لو عمل هذا الرجل الذي يبدو في الصورة في إعلانات التلفاز، كان ليبيع أي شيء بدءًا من العطور حتى السمك المجلد، كم عدد الحافلات التي يجب أن تدهس رجلًا مثله لتحول شكله إلى ما أصبح عليه؟".

سألتها تشارلين: "أتريدين رؤية دوغال".

"نعم. إذا كان بوسعك أن تعطيني أي معلومة عنه، سأكون ممتنة".

"هل يتوقع حضورك؟".

"سبق أن التقينا منذ فترة، ولكنه لا يتوقع حضوري".

"جيد. لأنه لو كان يتوقع حضورك كان لينتظرك عند الباب". وضعت تشارلين ملعقة الحساء جانبًا. "تعالي معي، عزيزتي. سآخذك إليه".

سألتها: "أهو هنا، أتمنى أن يكون هنا".

تبعت جين تشارلين عبر مطبخ المطعم المزدحم، ومن هناك توجّهتا إلى مكتب، بدا وكأنه مكتب المدير، لأنها رأت فيه حاسوبًا ورفوفًا مليئة بكتب الطهي. لسببٍ ما، طُليت نافذتاه باللون الأسود، ما أعطى الغرفة طابعًا وكأنها غرفة داخلية.

خلف المكتب، جلس الرجل الذي سبق لها أن رأته في المكتبة، بدا شعره أطول من السابق، ولحيته ذات الشعر الخشن الداكن يتخللها بعض الأبيض مثل عروس فرانكشتاين. عندما دخلت جين وتشارلين إلى الغرفة، توقف تراهون عن عمله وحدَّق إليهما، وبدا عابسًا.

قالت تشارلين: "هذه الشابة الجميلة تريد التحدث إليك".

تذمَّر تراهون قائلًا: "أخرجيها من هنا".

شعرت تشارلين بالإهانة أو تظاهرت بأنها كذلك: "أنا طاهية، ولست حمالًا ينقل لك الأشياء من مكان إلى آخر، أنا منهمكة في الطبخ، إن أردت إخراجها، فاحملها بنفسك والقِ بها خارجًا".

غمزت تشارلين لجين، وهي تغادر المكتب.

استنفد تراهون طاقته على التذمر، وسألها: "هل جئت إلى هنا لاسترداد الأربعين دولارًا؟".

"ماذا؟ بالطبع لا".

"ما الذي أتى بك إذن؟ لا يزال يفصلنا وقت طويل على الاحتفال بمناسبة الشكر".

أجابته باستغراب: "مناسبة الشكر؟".

"كل السياسيين والمشاهير يريدون العمل على تقديم الطعام يوم مناسبة الشكر، فقط من أجل التقاط الصور لتظهر في نشرات الأخبار".

"أنا لست سياسية أو مشهورة".

"ولكنك تبدين، بحق الجحيم، شخصًا مشهورًا".

"لم أكن أعلم أنني كذلك".

بعد الإحباط الذي شعرت به جراء عدوانية الرجل غير المبررة، وضعت صورته وهو حليق على الطاولة وسألته: "ماذا حل بهذا الرجل؟".

قلب تراهون الصورة حتى لا ينظر إلى صورته عندما كان شابًا، ونظر إلى جين: "لقد كان حكيمًا".

قالت: "لقد مُنحت وسام الصليب الموقر، الذي كان أدنى من وسام الشرف بدرجة، لقيامك بمهمة في غاية الخطورة، قمت بإنقاذ..."

تذمر قائلًا: "أخفضي صوتك، ما الذي تفكرين به، لماذا أتيت إلى هنا؟ ولماذا تتحدثين في أمور كهذه؟".

توجَّهت جين نحو الباب، وأغلقته. لم يكن هناك مقعد ليجلس عليه من يزور هذا المكتب، ولكنها رأت كرسيًا مطويًا مسنودًا إلى الجدار، فتحت جين الكرسي وقالت: "أرجو ألا تمانع ذلك". وجلست. "هل أنت نادم على الأشياء التي قد فعلتها؟ أتشعرك بالحرج؟".

بدا وكأن إله العهد القديم يستعد لإنزال العقاب الأعظم. "قد يصعب عليك فهم الأمر أيتها السيدة، ولكن في الحرب، على المرء القيام بالشيء الصحيح، مهما كلفه الأمر، وإذا خرج منها حيًا، فسيخرج وهو يعلم علم اليقين كم هو الموت سهل، لذا من الخطأ التفاخر بما قمت به، ولا يقوم بذلك سوى الحقراء. أنا لا أستخدم موقع فيسبوك. ولا أُغرد على التويتر. ولا أستخدم الإنستغرام، ولا أتحدث عن الماضي، إن تذكرك لموضوع الخدمة العسكرية يزعجني، كما يزعجني نجاحك بالحصول على هذه الصورة من الصحيفة".

ساد الصمت لفترة طويلة، وتلاقت نظراتهما، ثم بدأت تشعر بالفرح وقالت: "بالرغم من كل ذلك لا أظنك أحمق".

"أيفترض أن أهتم برأيك؟ وأنت التي أجهل اسمك، هذا إن كان لك اسم أصلًا، ربما كنتِ شبحًا يدخل حياة الناس ليعكر مزاجهم".

أخذت تبحث في حقيبة يدها، وأخرجت محفظة فيها خمسة تراخيص قيادة مزورة، وضعتها على المكتب. "لديّ الكثير من الأسماء، ولكن ما من اسم منها صحيح. اسمي الحقيقي جين هوك. أنا في إجازة من مكتب التحقيقات الفدرالي، ربما طردوني خلال الإجازة". ألقت شارتها على المكتب. "زوجي نِك من مشاة البحرية، وقد حصل على بعض الميداليات المهمة، بما في ذلك وسام صليب البحرية، وتقلَّد منصب العقيد في الثانية والثلاثين من عمره. قتلوه وحاولوا أن يجعلوا الحادثة تبدو انتحارًا، لم يكتفوا بذلك بل هددوني باغتصاب ولدي الذي يبلغ خمس سنوات وقتله، في حال لم أبتعد عن طريقهم، فخبأته في مكان آمن. سيقتلونني إن وجدوني لأني قتلت أحدهم، بعد أن عرفت أين يعيش رأس الأفعى الذي يدير أعمالهم الشريرة، ولكنني لا أستطيع الوصول إليه بمفردي، ولا يمكنني التواصل مع معارفي لأنهم سيكونون تحت المراقبة، أنا بحاجة إلى شخص يتمتع بالمهارة مثلك، هذا إن كنت محافظًا عليها".

راقبها وهي تجمع التراخيص المزورة وشارة مكتب التحقيقات الفدرالي، لتعيدها إلى حقيبة اليد. ثم قال: "لماذا ينبغي أن أهتم لذلك؟ لم أكن مع مشاة البحرية، كنت مع الجيش".

حدَّقت إليه، بصمت قبل أن تقول له: "استرخِ. إنني أمزح، لم أكن أعلم أنك قادر على التفكير بدعابة".

"إنها الدعابة الأولى منذ فترة". نظر إلى إحدى النافذتين المطليتين بالأسود، وكأنه ينظر من خلال الجزء الشفاف منها إلى شيء يثير المتاعب. "جئت إليّ لأنك يائسة أو مخادعة".

"لأنني يائسة".

"لا يمكنني القيام بأي شيء من أجلك".

"هناك ما تستطيع القيام به، إن كنت راغبًا".

"لقد خضت حروبي منذ زمن طويل".

"الحروب عبارة عن سلسلة متصلة لا تنتهي".

"لم أعد الرجل الذي كنته قبلًا".

"أي رجل كسب الصليب الموقر سيكون الرجل المناسب دائمًا، في مكان ما بداخله". التقت عيناه بعينيها: "هذا مجرد هراء. ربما تكون جنديًا في الجيش، ولكنك لست أرملة جندي من مشاة البحرية".

قال بعد صمت: "هل أنت دائمًا هكذا؟".

"ما هي الطريقة الأخرى التي ينبغي أن أكون عليها؟".

# 6

كانت القهوة التي احتستها جين خلال الساعة والنصف التالية الأكثر سوادًا والأفضل مذاقًا. بدا دوغال تراهون أقل وحشية مما كان عليه عندما دخلت جين مكتبه للمرة الأولى. كانت نظرته حادة مثل مبضع الجراح، وكان يمتلك تقنية استجواب خاصة معترفًا بها في كوانتيكو. لقد دوّن ملاحظات عما قالته، وبحث في القضايا التي ناقشتها مُسبقًا، لكي يرى ما إذا كانت قد ناقضت نفسها، نظر إليها وهي تروي قصتها، وبدا مقتنعًا أنها ليست مجرمة، قرأ تقرير تشريح الجثة الذي كتبته إيميلي روسمان، واستمع إلى رأي جين بما قالته لها روسمان.

استرقت النظر من أعلى كتف تراهون بينما كان يستخدم الهاتف الذكي الخاص بأوفرتون- وعنوان الوب المؤلف من أربعة وأربعين رقمًا وحرفًا- وذلك ليدخل الإنترنت المظلم، ويراجع الرسائل التي تعرضها أسباسيا لزائريها. لم يسبق له مشاهدة هذا من قبل، وشعرت بشيء من الراحة عندما أثبت وصف جيمي رادبورن كل شيء على الفور. بعد أن وصل بحثه إلى صفحة الفتيات الجميلات المنقادات تمامًا واللواتي لا يعتبرن أي رغبة متطرفة، واللواتي تم التأكد من أنهن سيصمتن إلى الأبد، تلفظ تراهون باللعنات. قال: "يبدو أن العالم أصبح عبارة عن زومبي، إنهم مجرد مجموعة من الحمقى مثل الموتى الذين يتحركون، ولكن عددهم يفوق عددنا".

عادت جين إلى كرسيها القابل للطي: "ماذا الآن؟".

أوقف تراهون تشغيل الهاتف الذكي: "لماذا لا تنتظرين قليلًا في صالة الطعام. ينبغي أن أتحدث مع بعض الأشخاص".

"أي أشخاص؟".

"لقد قدمتِ حجة مقنعة. لن أخذلك".

كررت جين: "أي أشخاص؟ في حال تحدثت خطأ إلى الشخص الخطأ، سينتهي بي الأمر وولدي مدفونين تحت التراب".

"قد أبدو مختلًا بعض الشيء، ولكنني لست كذلك. إمّا أن تثقي بي أو لا. إن لم تثقي بي غادري فورًا، ولننسَ أننا تقابلنا".

تبادلا النظرات مطولًا. وبعد فترة من الصمت قالت: "أنت فضولي لعين".

"ما الذي ترغبين فيه، الشخص الذي يضرب الحجر أو الذي يُضرب به؟".

لم تستطع التحرك باتجاه الباب: "سؤال واحد فقط. يوم الاثنين، في المكتبة، هل كنت تشاهد الأفلام الإباحية".

"ليس من أجل غرائزي. بل كناشط".

"هل يبدو هذا حقيقيًا بالنسبة إليك؟".

"اسمعي جيدًا، أعمل مع مجموعات مختلفة في المدينة، ونحن نحاول تحديد الأمور على نحو صحيح بقدر استطاعتنا. استغرقنا الأمر فترة طويلة، حتى منعنا المكتبات من تسهيل الوصول إلى المواقع الإباحية حتى لا يتمكن الأولاد من الوصول إليها. والآن، يقرر أمين مكتبة أو شخص ما أن هذه مشكلة حرية تعبير، ويتيح مجال الوصول إلى تلك القنوات. وقيل لي إن عمل المكتب في حالة تدهور. كان عليّ أن أرى ذلك بنفسي. واليوم، عاد كل شيء إلى مكانه، وحجبت المواقع الإباحية من جديد، وأصبح الأولاد آمنين".

تذكرت كيف كان ينظر إلى الفيديوهات الإباحية على شاشة الحاسوب بمزيج من الملل والحيرة، وليس بدافع الاهتمام. إذ سرعان ما جلس يشاهد فيديوهات عن الكلاب.

قالت: "هذا جيد. أنا ممتنة لسؤالي هذا".

"هل تريدين سؤالي إن كنت قد استحممت هذا الصباح؟".

"أعلم أنك فعلت ذلك. عندما كنت أنظر من خلف كتفك، شممت رائحة الشامبو".

# 7

خلال الساعة ونصف التي قضتها في مكتب تراهون، خفَّ اندفاع الناس لتناول الطعام. هناك رجلان وخمس نساء وثلاثة أطفال على وشك الانتهاء من وجباتهم على الطاولات الطويلة. وللحظة، عندما نظر الأطفال إلى جين، بدا وكأن وجه ترافيس مرسوم على وجوه هؤلاء الأطفال.

كانت تشارلين وروزا وسيدتين أخريين يُنظفن الجانب الآخر من الكافتيريا. عندما اقتربت جين من هذه النقطة، قالت تشارلين: "يا إلهي، انظري إلى هذا يا روزا. حتى أن حاجبيها غير معقودين".

قالت روزا: "ويبدو أن أسنانها لا تزال في مكانها".

ردَّت جين: "إنه يتذمر فقط ولكنه غير مؤذٍ، منذ متى وهو هنا؟"

"منذ أن اشترى المبنى. منذ متى يا روزا؟ خمس سنوات؟"

"ربما ست".

*منذ أن اشترى المبنى*. حفظت جين هذه الكلمات جيدًا.

قالت تشارلين: "لا يمكن أن تكون فتاة مثلك تبحث عن عمل في مثل هذا المكان. هل تريدين التطوع؟".

قالت روزا: "لا متطوعون كافون لهذا العمل".

قالت جين: "في الواقع، أحاول إقناعه بالتطوع في عمل ما".

أكدت لها تشارلين: "إنه سيفعل ذلك مهما يكن. فالسيد لا يعرف كيف يقول لا. إنه يشارك في كل شيء من احتياجات مآوي الحيوانات حتى توزيع الألعاب للأيتام في عيد الميلاد".

أضافت روزا: "وأيضًا برامج ما بعد المدرسة للأطفال والمنح الدراسية".

قالت تشارلين: "معظم وقته يصرف المال، لا أعرف متى يكون لديه الوقت الكافي لكسب المزيد منه".

عقّبت روزا: "في بعض الأحيان عندما يبدو شاحبًا أو متعرقًا، ولا يبدو أنه بخير، لا تقتربي منه".

"أهو مريض؟".

"لا، إنها مجرد ذكرى سيئة، ربما كانت من إحدى الحروب، وهو يتخلص من تلك الحالة بسرعة. هذا لا يعني شيئًا". عادت تشارلين وروزا إلى عملهما، وأغلقتا الموضوع.

# 8

عندما عادت جين من حمام النساء، لوحت تشارلين بيدها باتجاه مكتب الكافيتريا: "أيتها السيدة الشابة عودي إلى مكتب المدير. في حال كان قد نسي اسمك يا عزيزتي، لا تنزعجي، فذهنه مليء بأمور كثيرة، إلا أنه يتذكر اسم الجميع بعد فترة. بالمناسبة، ما اسمك؟".

قالت جين: "أليس ليديل".

"آمل أن نراك مجددًا، أليس. والآن، هل تتذكرين الطريق إلى مكتبه؟".

"نعم أتذكره. شكرًا لك".

أغلقت جين باب مكتب تراهون، ونظرت إليه، إنها تخشاه. صحيح أنه قام بأمور صالحة سابقًا، ولكنها تخاف أن يكون وباء الفساد المنتشر في البلاد قد أصابه. فكرت في ديفيد جيمس مايكل، الذي كان يُوصف على نطاق واسع باعتباره أحد أفضل المحسنين، وهذا ما أتاح له التعاون مع شينيك، على استقطاب الفتيات للعمل في أسباسيا.

قالت: "إذًا أنت ثري، أليس كذلك؟".

رفع حاجبيه غير المقصوصين اللذين يبدوان مثل شاربين: "هل الثراء تهمة؟".

"إنه يعتمد على الطريقة التي جمعت فيها ثروتك، لقد أمضيت اثني عشر عامًا في الجيش، ومن المعلوم أن مرتباته منخفضة".

شاهد تراهون البخار يخرج من كوبه. أمسك به، ونفخ عليه، ثم ارتشف منه بحذر، ربما جرحت كبرياءه، وربما يفكر بكذبة مقنعة.

قال: "بعد أن تركت الجيش، ورثت والدي الذي توفي قبل عام من تركي للجيش".

"كيف جمع والدك ثروته؟".

تجهم وجه تراهون، وبدا منكمشًا مثل القشر الذي يحيط بجذع شجرة بلوط وقال لها: "لا يجدر بمن في مثل وضعك وتحيط به المشاكل أن يرمي الحجارة بكلتا يديه".

لم يكن هذا الجواب الساخط هو ما سعت لسماعه.

قالت: "إن كنت قد نسيت، فيسرني أن أذكرك بأن ما وضعني في المشاكل، وأخرج حياتي عن مسارها الهادئ هم مجموعة من الأثرياء الذين يعتقدون أن بمقدورهم امتلاك كل الأشخاص، وقتل أولئك الذين لا يمتلكونهم .

"من غير المنطقي النظر إلى كل الأغنياء على أنهم أشرار .

لاحظت أن الناس يلجأون إلى وصم خصومهم بغير المنطقيين، وذلك لجعلهم يشكّون بأنفسهم، ويعتقدون أنهم مخطئون، بالرغم من أن المعنى المضمر في كلامهم يشير إلى أنهم يتفوقون أخلاقيًا عليهم. أيًا تكن غاية تراهون بوصمها بغير المنطقية، فلن تتيح له أن يشككها بنفسها، فسألته: "أتمضي أوقاتك مع مجموعة من الأغنياء؟ يبدو لي أن الأغنياء لا يمضون الوقت إلا مع هم أغنياء مثلهم .

قال وهو ينهض عن كرسيه، ويقف بطوله الذي يبلغ 190 سنتم وصدره المنتفخ الذي يشبه برميل نبيذ سعة خمسين غالونًا ووجهه الذي تلوّن بالأحمر من شدة الغضب: "إنني أمضي الوقت مع الأثرياء، والفقراء، والصالحين، والخطّائين وأي شخص أرغب بالتسكع معه. والآن ألا تريدين الجلوس؟

"أنا أنتظر أن تجيبني".

"أجيبك على ماذا؟".

"كيف جمع والدك ثروته؟".

أجابها قائلًا: "كان والدي مستشارًا استثماريًا وكان مستشارًا ناجحًا، لم يكن ثريًا، بالمعنى الفاحش للثراء، بل عدة مئات من آلاف الدولارات، لقد تركت الجيش في العام 2000 في مطلع الألفية، أظن أنك كنت وقتها طفلة تربط شعرها على شكل ذيل حصان، والحياة فرص. استثمرت ثلاثمئة ألف، وتبيّن أنني كنت أفضل من والدي في مجال الاستثمار".

سألته وهي لا تزال واقفة: "حقًا، ما الذي استثمرت فيه؟".

بتذمر لوّح بيديه الكبيرتين، وحرّك عينيه: "مخدرات، أسلحة، سواطير...". أخذ شهيقًا عميقًا، وأطلقه بقوة وتابع "عندما دمرت طائرتان برجي التجارة العالمية في الحادي عشر من أيلول، باع المستثمرون الهلعون أسهمهم، وعندما كانت الأسعار تهوي، أقدمت على عمليات شراء كبيرة. وهذا ما سبق لي أن قمت به في العامين 2008 و2009 مع أزمة الرهن العقاري، هذه ميزة أن تكوني في أميركا، هل التقطت الفكرة".

"هل أصبحت غنيًا لأنك راهنت على قوة الاقتصاد الأميركي؟".

"لطالما كان رهاني عليه مربحًا".

توجهت إلى الكرسي القابل للطي، وجلست عليه، لم يبدُ أنها راضية تمامًا على ما أخبرها به، ولكنها كانت مقتنعة أن سورة غضبه منها كانت حقيقية، وليست متصنعة.

"لقد أزعجتك بما فيه الكفاية، ولكن لا تنتظر مني اعتذارًا، فحياتي وحياة ابني على المحك، يجب أن أعرف من أنت، فمن الصعب أن تعرف حقيقة الناس في هذه الأيام".

مجددًا جلس خلف مكتبه: "أعتقد أن هذا الأمر يعمل في كلا الطريقين. اتصلت بشخص ربما كان يعرف زوجك. استرخي بالفعل. هل ستسترخين؟ هل ستمنحينني الفرصة هنا؟ حسنًا. هذا الرجل، في حال كان يتضور جوعًا على جزيرة صحراوية ولا يملك سوى كلب، فهو سيأكل ذراعه قبل أن يأخذ قطعة من ذاك الكلب. لقد اتضح أنه يعرف نِك، زوجك، وتحدث عنه مثلما يتحدث البابا عن يسوع. لم يسبق لهذا الرجل أن التقى بكِ، ولكنه كان يعمل مع نِك، ويقول إنه لم يكن يتوقع أن يتزوج نِك بامرأة مثلك، مهما تكن جميلة".

# 9

من غوغل إيرث، طبع دوغال تراهون مجموعة من صور الأقمار الصناعية للمناطق الرئيسية في مزرعة شينيك في وادي نابا التي تمتد على مساحة سبعين فدانًا، وقد بلغت سماكة كدسة الصور المطبوعة أكثر من نصف بوصة، وجمع الصور معًا بمشبك معدني.

جلست جين في مكتب تراهون، تتفحص الصور، في الوقت الذي عاد فيه ومعه حقيبة رياضية مملوءة بالكامل، وضعها على الأرض بجانب باب المكتب.

قالت: "أنت محق، لن تنجح طريقتي في تحقيق ما أصبو إليه".

"ولكن طريقتي ستنجح".

"ما هي طريقتك؟".

"سأخبرك ونحن على الطريق، كسبًا للوقت".

"إلى أين سنذهب؟".

"إلى لوس أنجلوس لرؤية شخص".

"من يكون؟".

"هل تثقين بي؟".

"نعم ولا في الوقت نفسه، إنني لا أثق سوى بثمانية أشخاص، وأنت لست واحدًا منهم بعد".

"كما تريدين. ربما هذا جيد بما فيه الكفاية في الوقت الحالي، ولكن عليك أن تقرري عما قريب، أسمعتِ ما أقوله؟".

أبعدت جين سترتها الرياضية كاشفة عن سلاحها: "إنه غير مرخص، فأنا في إجازة من العمل، ولكن إن كنت سأذهب إلى الجحيم، فلن يكون السبب لأنني أحمل سلاحًا غير مرخص".

ارتدى تراهون معطفه الأسود الكبير الجلدي المبطن وهو ذاته الذي كان يرتديه عندما رأته للمرة الأولى في المكتبة، ولم يكترث لقفل أزراره، بل أبعد جانبيه كاشفًا عن مسدسين. "عندما تتمتعين بعلاقات جيدة وسمعة طيبة في مجال الأعمال الخيرية، يمكنك الحصول على ترخيص لحمل مسدسين".

"هل تحملهما عندما تذهب لتوزيع ألعاب عيد الميلاد على الأيتام؟".

"في الغالب، أحمل واحدًا، فأنا أعرف وزراء، ومدرسين، وسيدات متقاعدات يحملونه إلى أي مكان يذهبون إليه".

عندما تحدث، نظر إلى النافذتين المطليتين ثم إلى النوافذ الأخرى.

سألته جين: "لماذا تطلي الزجاج؟".

"لا أحب أن يكون لدي نافذة خلفي حيث يمكن لأي شخص أن ينظر إليّ".

"ألا تنفع الستائر؟".

"ليست جيدة بما فيه الكفاية. الطلاء الأسود أكثر فعالية".

التقط الحقيبة الرياضية الصغيرة: "من الأفضل أن نذهب".

في الوقت الذي رأته يفتح باب مكتبه ويغادره، تساءلت جين إن كانت تقترب من الوصول إلى شينيك أم من الوصول إلى الفشل المضمون.

## 10

في الوقت الذي كانت فيه جين تشغل محرك الفورد، رمى تراهون حقيبته الصغيرة في صندوق سيارة الفورد إسكيب، وجلس في المقعد الأمامي، وأغلق الباب حاملًا صور الأقمار الصناعية بين يديه.

داخل السيارة، لم يبدُ أكبر حجمًا فقط، بل غريبًا أيضًا، يجلس منتعلًا حذاء بشريط وبنطالًا مموهًا وقميصًا أسود أسفل معطف من الجلد الأسود اللامع. بدا حينها وكأنه في الأربعين من العمر، ولكن بالرغم من حجمه وسنّه، إلا أنه كان في بعض الأحيان يتمتع بحس طفولي كبير. عندما نظرت إليه، من دون أن يدرك أنها تراقبه، بدا وكأنه تائه.

تذمر قائلًا: "ما الذي تنظرين إليه؟".

"هل تعرف ما نحن مقدمان عليه؟".

"التعدي، والكسر، وسجن الكاذب، والاعتداء، والاختطاف، والقتل".

"لقد التقيت بك منذ ساعتين فقط".

"أنت مقنعة. رأيت موقع أسباسيا على الوب. أنا أثق بك".

لم تحرك السيارة: "هذا كل ما أنا بحاجة إليه أن تثق بي".

"بل أكثر من ذلك. لقد كنت أنتظر مثل هذا الأمر طوال حياتي. لدي أسبابي الخاصة. ولا تسأليني عن أي منها، فكما قلت هي خاصة، لا يمكنك القيام بذلك بمفردك، ولن تجدي أي مكان آخر تذهبين إليه، وأنت محظوظة لأني وافقت على القيام بالأمر. هيا انطلقي".

# 11

منذ منتصف الصباح، كانت السحب تُبحر شمالًا، وعند الساعة 2:30 أظهرت الغيوم المنخفضة الرمادية احتمال هطول الأمطار، ولكنها لم تعد بالمطر بالفعل. دفعت الرياح السحب إلى الأعلى، بينما كانت المدينة هنا على مستوى الأرض تقف في سكون، وأغصان أشجارها بالكاد تتحرك، وأعلامها وراياتها ساكنة بلا حراك. يبدو أن هذه المدينة تنتظر شيئًا، وعلى الأرجح لم يكن شيئًا جيدًا.

على الطريق السريع، وفي طريقهما عبر الطريق السريع رقم 5، قال تراهون: "يجب أن نتحدث بهدوء".

"حسنًا".

"أحتاج إلى الهدوء لأفكر".

لم تجبه جين بأي شيء.

أغمض عينيه وجلس صامتًا، بدا مُسنًّا وغريبًا ومليئًا بالحيوية، وربما غير معروف. أثناء قيادتها السيارة، استرقت النظر إليه من وقت إلى آخر، وشعرت أنها محتارة؛ أهي مرتاحة أم منزعجة من وجوده.

عبرا خمسة وعشرين ميلًا، وقد أطبق عليهما الصمت تمامًا، باستثناء هدير المحرك، وطنين طائرة من دون طيار تحلق فوقهما. مرا بمحاذاة المحيط بينما كان يغمض عينيه، قال تراهون بفظاظة: "ليس لديّ أي اهتمام خاص بك".

فأجابته: "وأنا أيضًا". اندهشت من أنه شعر بالضرورة للتطرق إلى مثل هذا الموضوع.

أراد أن يتأكد من أنها فهمت ما أراد أن يقوله: "أنا كبير كفاية لكي أكون والدك، وأي شيء آخر أنا بعيد عنه تمامًا".

ذكّرته قائلة: "لم تمر فترة طويلة على ترملي، ولا أظن أنني سأفكر بأي علاقة في المدى المنظور".

"لم أقصد أنك لست جذابة، لأنك فعلًا جذابة".

"كن واثقًا أنني فهمت تمامًا قصدك".

"حسنًا، يسرني ذلك، لنثرثر قليلًا".

بالرغم من الرمادي الذي غطى السماء والجهة الغربية فوق المحيط والجهة الشرقية فوق التلال، موحيًا بسوداوية الأحداث القادمة، إلا أن ابتسامة لطيفة ارتسمت على شفتي جين، لكنها لم تحافظ عليها مطولًا.

## 12

بعد إلغاء رحلة عودته إلى مطار ريغان الدولي في واشنطن، حجز ناثان سيلفرمان على رحلة مباشرة من أوستن إلى سان فرانسيسكو، ومن هناك سيطير إلى لوس أنجلوس في رحلة مدتها ساعة. إذا لابد أن بوث هندركسون، بالنيابة عن المدعي العام أو أي شخص آخر في وزارة العدل، كان ينقل رسالة متعلقة بالعمل.

عند الساعة الثانية والنصف بعد ظهر السبت، في مطار سان فرانسيسكو الدولي، جلس بالقرب من البوابة المناسبة، في انتظار موعد صعوده إلى الطائرة، تلقى بريدًا إلكترونيًا من مكتب لوس أنجلوس الميداني. من خلال البحث في الفيديو المأخوذ من مكان ركن السيارات وبرنامج التعرف إلى الوجوه، تم التعرف إلى الرجل الذي يحمل حقيبتين، وربط بالونًا رماديًا إلى معصمه، إنه روبرت فرانسيس برانويك، المعروف باسم جيمي رادبورن، الذي يدير متجر فينيل، والذي كان واجهة لتنظيم الجرائم على الإنترنت. كان مكتب التحقيقات الفدرالي يراقب إلكترونيًا أعمال رادبورن تلك، حيث تم جمع بيانات حول قائمة عملائه تمهيدًا لسلسلة واسعة من الاعتقالات.

وكان الرجل الذي حاول فك السلسلة عند مدخل الفندق هو نورمان "كيب" غارنر. كان اسمه معروفًا بين وكالات الشرطة المختلفة، لأنهم يعتقدون أنه قناة للأموال المظلمة التي تأتي من بعض أنظمة للاستثمار الاستغلالية في المؤسسات الإجرامية في الولايات المتحدة، رغم عدم وجود أدلة كافية لتوجيه الاتهامات ضده.

عندما سمع نداء الصعود إلى الطائرة، انطلق سيلفرمان، لكنه لم يستطع تخيل ما الذي يمكن أن تحتويه هاتين الحقيبتين، نظرًا لمصدرهما، فهو لن يوجه التهم ضد جين. وبالنسبة لما حدث في لوس أنجلوس، فقد لا يتمكن من البقاء لمدة أطول قبل إبلاغ المدير عنها وفتح تحقيق رسمي.

لم يبلغ المدير عنها حتى الآن، لأنه يثق بها، ويثق بما أخبره به والدِنك بأن أشخاصًا هددوها بقتل ابنها.

## 13

على الطريق السريع رقم 405، في الوقت الذي كانت جين تقترب من طريق لونغ بيتش، بدأت حركة المرور تصبح أبطأ نتيجة الازدحام، فلجأت إلى القيادة التي لطالما أزعجتها عندما قام بها الآخرون، فغيّرت مسار طريقها بشكل متكرر لتدور حول مجموعة من المركبات، للاستفادة من طول الرصيف المفتوح على نحو 100 ميل.

كانت تفكر بجثة أوفرتون الملقاة في خزانة ملابسه الكبيرة منذ الليلة الماضية. في البداية، أقنعت نفسها أنه لن يُعثر على الجثة قبل الاثنين، ولكنها الآن تتخيل مجموعة من السيناريوهات التي قد تتركها فريسة للقلق طوال عطلة نهاية الأسبوع. فهي تخشى أن يزور أحد من فريق عمل مكتب المحاماة منزل أوفرتون ويكتشف مقتله، وعندها سيصبح شينيك أكثر حيطة وحذرًا.

في المقعد الأمامي، على مدار الساعة الماضية، كان دوغال تراهون يتمعن في صور الأقمار الصناعية عن كثب، ومن حين إلى آخر كان يخاطب نفسه بصوت مسموع، ولكنه لم يتحدث إلى جين قبل أن يصلا إلى إنغلوود. "انعطفي غربًا ثم شمالًا".

بعد فترة قصيرة، انعطفت جين نحو طريق الباسفيك السريع. واجتازا مرة أخرى حديقة باليساديس حيث تفوقت المتزلجة نونا على خصمها جيمي رادبورن، واختطفت منه حقيبتين يوم الأربعاء، بينما كانت تعبر الجانب المطل على المحيط كان باستطاعتها رؤية حديقة باليساديس إلى يمينها.

سألته: "والآن إلى أين؟".

أشار تراهون إلى عنوان في ماليبو، وفي النهاية شرح لها خطته للتخلص من حراس مزرعة غ ز.

بالرغم من أنها لم تتوقع منه الكثير، إلا أنها توقعت هذا بالتحديد. لقد كان طيارًا في الوحدات الخاصة، وهو أحد الأسباب التي دفعتها للذهاب إليه.

الشيء الآخر، بدا صعبًا بعض الشيء. لم تقل كل ما يخطر في ذهنها على الفور. فعليها أن تمعن النظر في الأمر جيدًا. لكنها بدأت تشعر بالقلق من أنه بالرغم من بطولته العسكرية، ومهاراته الاستثمارية والإدارية الواضحة في المطعم المجاني الذي أنشأه، إلا أن مشاكله النفسية قد جعلت منه شخصًا ضعيفًا من الناحية الإستراتيجية.

## 14

قبل ساعة تقريبًا من حلول الغروب، أوقف ناثان سيلفرمان سيارة المطار على بعد مبنى واحد من متجر فينيل، ودفع إجرة السيارة، واتجه نحو المتجر. لكن منظر سان فيرناندو فالي لا يزال جليًا في أفق السماء الرمادية خلف الشمس الساعية نحو بياتها الليلي.

طلب حارس عند الباب الأمامي لمتجر فينيل الاطلاع على شارة سيلفرمان قبل أن يسمح له بالدخول: "سيدي، الاجتماع في الطابق الثاني".

لا تزال الملصقات والصور القديمة المعلقة على الجدران كما كانت في السابق. واحتوت القاعة الخلفية على عدد أكبر منها. سمع سيلفرمان بعض الأصوات في الطابق الثاني. عندما صعد إلى الأعلى، وجد مجموعة كبيرة من الأثاث العتيق المهجور وطاولة عليها بعض الأطعمة. ولكن لم يكن ثمة حاسوب أو ماسحة ضوئية أو أي من المعدات التي تستخدم عادةً في الإنترنت المظلم، ولا حتى كبل أو سلك واحد.

حضر الاجتماع كل من جون هارو، مدير مكتب لوس أنجلوس، الذي كان يعرفه مسبقًا، واثنان من العملاء. بدا هارو، ببذلته الرمادية وطريقة بروز كتفيه إلى جانب سلوكه الحاد والحذر، كأحد قادة الجيش المتقاعدين، وبصفته رئيس القسم، فقد أشرف سيلفرمان على عمل خمس وحدات من بين أمور أخرى. أوصت الوحدة الثانية، التي تعالج قضايا الجرائم الإلكترونية وما إلى ذلك، بسجن جيمي رادبورن منذ أكثر من عام.

قال هارو: "ثمة كاميرا خفية موضوعة على المدخل الأمامي. وكنا نسجل التنصت تلقائيًا ونفحصه في وقت لاحق، بسبب الصعوبات في الميزانية لم يكن لدينا موظفون لتفحص التسجيلات على مدار الساعة، لكننا واظبنا على الاستماع بين الفينة والأخرى. لم يبدُ أنهم ناقشوا موضوع ترك المكان، هذا ما تبيّن لنا بعد أن راجعنا التسجيلات أكثر من مرة".

بدا سيلفرمان هادئًا عندما قال: "ولكن الجميع تركوا المكان سريعًا وبشكل سري".

قال هارو: "نعم، وكأنهم اكتشفوا أننا نجمعهم تمهيدًا للقبض عليهم". ثم انتظر قليلًا وقال: "يبدو أننا مخترقون؟".

لم يغفل سيلفرمان استخدام هارو لضمير المخاطب بدل ضمير الجمع. في هذه الأيام كان المكتب، كما كان دائمًا، الجميع يعملون بإخلاص، إلا ما ندر.

بدلًا من أن يجيبه، قال: "إن مهارة دماغ برانويك يقابلها غرور بالقدر نفسه، وهو مقتنع أن أحدًا لا يعرف هويته الحقيقية، باستثناء كيب غارنر".

"نعم، ولكن بشرط أن لا يعلمه أحد بحقيقة الأمر".

"هل أمسكت به؟".

"ليس بعد. منذ ساعة وضعنا مراقبة على منزل شيرمان أوكس. نحن نسعى إلى ملاحقة كل الفئران قبل أن تتفرق، وأيضًا حتى لا تتمكن من إبلاغ بعضها بعضًا".

"هل ستذهب مع فرقة العمليات الخاصة إلى منزل برانويك؟".

"نعم، لأن الجائزة الكبرى ستكون هناك، أظن أن ذلك سيكون مفيدًا جدًا لنا، فجميع الشجعان الذين يعملون في فريق القرصنة، سيتدافعون لبيع بعضهم بعضًاعندما يرون شارة الشرطة". نظر إلى ساعته. "سيحلّ الظلام قريبًا. لنتحرك فورًا".

قال سيلفرمان: "سأكون هناك".

"إذا عرف برانويك أننا اكتشفنا اسمه الحقيقي، واختبأ عندها ما من شك أنه مخترق لنا".

قال سيلفرمان: "ليس الأمر بهذه البساطة، يا جون"، آملًا ألا يضطر إلى التراجع عما قاله، على الأقل قبل عدة ساعات.

# 15

يمتد قصر ماليبو على نحو فدان واحد وربما ثلاثة فدادين، ولكنه لم يكن يشبه أي منزل، وجدت جين صعوبة في تقدير حجمه من خارج الجدار الزجاجي.

ارتدى حارس البوابة بنطالًا رماديًا وقميصًا أبيض وسترة قرمزية. وقد ظهر سلاحه المخفي من خلال سترته المفتوحة، وكان يتوقع حضور السيد تراهون وبرفقته

ضيف، ما إن دخل تراهون حتى أغلقت البوابة الكبيرة المغطاة بالنحاس الطريق المؤدي إلى الكوارتزيت.

كانت الأراضي المحيطة واسعة ومزروعة، وقد زرعت بأشجار النخيل وشتى أنواع السراخس وانتشرت الأزهار في كل مكان، وكانت المروج متساوية التشذيب. بدا المنزل أعجوبة من الجص الأبيض والزجاج وخشب الساج المنحني عند كل زاوية، مع سطوح بارزة.

ركنت السيارة وقالت: "ها نحن نبدأ من جديد".

سألها تراهون: "هل سبق لك أن أتيتِ إلى هنا؟".

"لا، أقصد ها نحن ذا من جديد مع الأثرياء. هل يوجد حدّ لهؤلاء؟".

"سيعجبك هذا الثري. فقد ولد في سان دييغو، وهو يتبرع بالكثير من أجل أي قضية أخبره عنها".

"إن نصف من يفعلون الخير في العالم هم من يسيئون التصرف".

كرر تراهون: "إنه يتبرع بالكثير من أجل أي قضية أخبره عنها، ولا يقبل أن أذكر اسمه، إنه فاعل خير".

مشت معه إلى الباب الأمامي. فتح رجل ينتعل حذاء أبيض، ويرتدي بنطالًا أبيض وقميصًا طبعت عليه رسوم لأشجار نخيل باللون الأزرق، الباب.

أخطأت جين بأنه صاحب المنزل، ولكنه كان مدبر المنزل. قال مدبر المنزل: "ينتظركما السيد في المرأب. سأوصلكما إليه".

قال تراهون: "لا تقلق يا هنري. أعرف الطريق".

ضمن هذه الغرف الواسعة ذات الأثاث الحديث الأنيق والمزين بالتحف الفنية الآسيوية، بدا دوغال تراهون بملابسه العادية وكأنه لا ينتمي إلى المكان، شأنه شأن سيارة الفورد إسكيب المتواضعة المركونة خارجًا. ولكنه بدا وكأنه يشعر أنه في منزله.

مرَّا عبر جدار زجاجي يحجب خلفه منظرًا خلابًا للبحر تحت السماء الرمادية، حيث تسير مجموعة من الأشخاص الذين يعتمرون القبعات نحو الشاطئ. استقلا المصعد متجهين إلى الطابق تحت الأرضي المكسو بالحجر الجيري حيث ركنت عشرون سيارة.

تفاجأت جين عندما رأت المالك في المرأب، إنه أحد أشهر نجوم السينما، طويل ووسيم وأسود البشرة، إنه صاحب ابتسامة تأسر قلوب الملايين في شتى أنحاء العالم. تعانق وتراهون، وعند تقديمه لجين، أخذ الممثل يدها بين يديه. "أي صديق لدوغال يكون موضع شك كبير، ولكنك مختلفة، ما هي الوكالة التي تمثلينها".

سارع تراهون إلى شرح ما قاله الممثل: "يقصد بالوكالة، وكالة مواهب". وقال للممثل: "لا علاقة لجين بالعمل، يمكنك وصفها بالمحقق الخاص".

"لقد سبق لي أن أديت دور المحقق الخاص أكثر من مرة، وكان عليّ الاستعانة بعدد من المحققين ليرشدوني لكن أيًا منهم لم يكن بسحرك، آنسة هوك".

كانت سيارة *غوركا آر بي في* المدنية مركونة وسط المرأب. وقد بدت وكأنها هائلة الحجم كالمركبات المدرعة التكتيكية، والمركبات رباعية الدفع المدرعة، والمركبات الخاصة التي تبيعها تيرادين، الشركة الكندية المصنعة لها، في مختلف أنحاء العالم. بارتفاع أكثر من ثمانية أقدام، وطول أكثر من عشرين قدمًا، مع قاعدة عجلات بحجم 140 بوصة. وإطارات كبيرة مسطحة. كان الفارق الواضح الوحيد بينها وبين النسخة العسكرية أنها لم تكن مزودة بالأسلحة.

قال الممثل، بلسان هواة جمع السيارات: "محرك ديزل سبعة لترات، بسرعة ثلاثمئة حصان، يبلغ وزنها الإجمال 17 ألف رطل عندما يكون خزانا الوقود فيها ممتلئين بأربعين غالونًا، ولكنها مريحة، ما يمنحك كل السرعة التي تحتاج إليها، الموجود في داخلها يشعر بالأمان ما لم يخطط راكبها لمواجهة دبابة".

سلَّم تراهون مغلفًا إلى الممثل: "شيك بقيمة أربعمئة وخمسين ألف دولار. أنا بحاجة إلى هذه السيارة".

قال الممثل: "دوغال، لا أفهم".

قال تراهون: "ما الذي تريد أن تفهمه؟ لا أستطيع الانتظار ريثما تزودني تيرادين بسيارة أخرى، وستكون في غضون الأشهر القادمة مشغولًا بتصوير فيلمين يمكن أن يحصد أي منها جائزة الأوسكار. لذا، يمكن أن تطلب غوركا جديدة وتحصل عليها عندما تعود إلى المنزل".

"ولكن يمكنك أن تستعيرها مجانًا".

قال تراهون: "لا أريد"، وهو يهز رأسه كثيف الشعر. "ربما أتعرض لمشكلة. لذا، أفضل أن أشتريها بدلًا من استعارتها".

سأله الممثل بدافع الفضول وليس القلق: "مشكلة! أي نوع من المشاكل؟".

أجابه تراهون: "شتى أنواع المشاكل"، كان التعبير الذي يعبر عنه قاسيًا وحادًا كما لو كان عرَّافًا بوسعه أن يرى أي مستقبل محتمل باستثناء المستقبل المظلم. "لن أقول أكثر من هذا، يمكنك أن ترفض، ولكن إن كنت مصممًا على رأيك، فأنت ستتركني عرضة للخطر".

ارتسم على وجه الممثل تعبير وكأنه يقول: لا سمح الله "لك ما تريد".

قال تراهون: "إن نجحت مهمتنا، يمكنك استرجاعها بعد حسم نفقات إصلاحها، وإلا سأحتفظ بها، ولكنني أحتاج إليها لليلة قد تكون طويلة، إنني بحاجة إلى هذه السيارة بقدر حاجتي إلى سماع قصصك التي لا تنتهي عن هوليوود".

نظر الممثل إلى جين: "إنه شخص غريب الأطوار".

وافقته الرأي: "إنه غريب فعلًا".

"أعتقد أنك تعرف الموضوع الذي أنت متورط فيه".

"نعم، أعتقد أنني أعرف".

## 16

عندما كان الشارع الطويل والمنحدر بين تقاطعين فارغًا، اجتازت سيارات المكتب مسارين، وهذا ما حال دون دخول السيارات إلى أي من طرفي المبنى الذي يسكنه برانويك.

وقف سيلفرمان والعميل الخاص هارو في الظلام تحت أشجار الشارع خلف سيارة من نوع روتو فان؛ وهي في الواقع سيارة سرية تستخدمها وحدة مكافحة المخدرات. في داخلها، انتظر ستة أعضاء من فريق العمليات الخاصة، الذين جهزوا أنفسهم بالدروع والأسلحة، استعدادًا لأمر الانطلاق.

لا تزال الليلة هادئة. مع نسيم خفيف من الغرب، عمل على تحريك أغصان الأشجار، التي أصدرت أصواتًا وكأنها تهمس. في المنزل المستهدف، لمعت الأضواء

عبر معظم غرف الطابق الأرضي إن لم يكن كلها، وبعض غرف الطابق الثاني. لم تكن الستائر مسدلة، وهذا ما أظهر أنها شاغرة.

في البداية، اقترب عميلان من منزل برانويك مرتديين ملابس مدنية تحتها صدريات مضادة للرصاص من دون حماية للرأس. لم يوحِ مظهرهما بأنهما من الشرطة.

صعد أحدهما الدرجات الأربع السوداء، وانتقل إلى الجدار بين الباب الأمامي والنافذة. أما الثاني فتوجه إلى الجهة الشرقية من المنزل، ودخل عبر البوابة الحديدية، ومشى بعيدًا عن الأنظار إلى نهاية المنزل.

وقف العميل في مقدمة المنزل إلى جانب النافذة، وألصق إلى زجاجها علبة بقطر بوصتين بداخلها مضخم للصوت عالي الحساسية، على الحزام المربوط على خصره، وُضِع معالج لتحليل الصوت بحجم علبة السجائر لتصفية التشويش الصادر عن مراوح تهوية الحمام، ومحركات الثلاجات، والأجهزة، ولكشف الأصوات غير المنتظمة للنشاط البشري بسهولة أكبر، ووضع على أذنيه سماعة تتيح له سماع ما يعتبره المعالج ذي صلة بالموضوع.

تُرسل الأصوات التي يلتقطها الجهاز إلى جهاز استقبال آخر بعيد، وهو الهاتف الذكي الخاص بسيلفرمان، الذي استمع هو وهارو لحوالي دقيقتين، وكان الهدوء الذي يعم المكان غريبًا لدرجة أنه في حال وجود أشخاص داخل المنزل، فلا بد أنهم نائمون.

عاد العميل الذي اختفى على طول الجانب الشرقي من المنزل إلى الظهور من جديد عبر البوابة الحديدية. واتجه نحو سياج نباتي وبالكاد بدا مرئيًا من خلاله بسبب ملابسه الداكنة. بعد لحظات، اهتزت سماعة هارو. أجرى المكالمة ثم قال لسيلفرمان: "من خلال نافذة، أرى جثة هامدة على أرضية المطبخ".

انتقل هارو إلى الجزء الخلفي للفان، وأعطى الأمر لفريق العمليات الخاصة باقتحام منزل برانويك. بدا هذا اليوم وكأنه مليء بالمفاجآت، وكل واحدة منها أكثر أهمية من التي سبقتها، وبدا جليًا على سيلفرمان أنه لا يريد أن يصدقها. إن كانت جين سقطت في فخ بالرغم من أنها لم ترتكب أي خطأ، فهذا يعني أن ابنها في خطر، صحيح أن

دوافعها نقية إلا أنها عالقة وسط شبكة من الظلام والشر، إنه يحبها ويثق بها ويفهمها، إلا أنه لم يعد يرى الصورة إلا بشكل مبعثر، وبالتالي لم يعد يستطيع أن يمد لها يد العون.

# 17

قادت جين سيارة الغوركا، بسرعة متجهة شمالًا على طريق 5، بناقل الحركة الأوتوماتيكي سداسي السرعات، لم تشعر بأي ضوضاء وهي تقودها، لأن السيارة المدرعة كانت عازلة للصوت. كانت لاس بادريس ناشيونال إلى يسارها، وغابة أنجلز ناشيونال إلى يمينها، انعطفت باتجاه جبال تيهاشابي، ومرت ببعض البلدات والمدن أسفلها حيث يقطن آلاف الأشخاص، أما كل ما تبقى أعلاها فكان عبارة عن ظلام دامس اختبأ فيه القمر والنجوم.

ركنت سيارة الفورد إسكيب في ماليبو، في مرأب الممثل، والتي ستسترجعها في يوم من الأيام في حال بقيت على قيد الحياة. جلس تراهون إلى جانبها في مقعد الراكب، بدا أصغر مما بدا عليه في سيارة الفورد، ولكنه بدا أكثر هيبة، وأدق وصف له أنه بدا مثل ثوري خطير يسعى لنسف البنوك والبورصة، بالرغم من تحدثه إلى نفسه من وقت إلى آخر بصوت منخفض إلا أنه لم يشرع في أي محادثة معها.

كانا على بعد أميال قليلة من ممر تيجون عندما قالت جين: "أخذ الشيك، ومنحك السيارة، ولم يرغب بمعرفة ما قد تفعله بها ولا بأي فوضى قد تقحم نفسك، الأمر الذي قد يلحق الضرر بصورته".

"نعم، أعلم هذا".

"كنت أسألك ولم أكن أخبرك".

"ما كان السؤال؟".

"لماذا فعل ذلك؟".

"إن للأمر علاقة بأشياء حصلت في الماضي".

"حسنًا، هذا يفسر كل شيء".

"جيد".

"كنت أسخر منك".

أخرج منديلًا من جيبه، وبصق البلغم فيه.

قالت: "أريد أن أستفسر عن ماضيك وحاضرك".

"الجميع يفعلون ذلك".

"حسنًا، لماذا فعل ذلك، وقد يتعرض للمساءلة؟".

"لن تتركي الأمر يمضي؟".

"أنا بحاجة أن افهم".

قال: "لا أحد يستطيع فهم أي شخص آخر. باختصار، كذب الرجل حول سنِّه للانضمام إلى الجيش في السادسة عشرة من عمره. وخدم أربع سنين، وثلاث سنين مع القوات الخاصة، خضنا بعض الصعوبات معًا".

"هل تقصد الحرب؟".

"أشياء تُشبه الحرب. إنهم لا يسمونها حربًا".

"ما هي الصعوبات التي خضتماها معًا؟ أخبرني بالتفصيل".

"لم يسبق لك أن سمعتِ بهذا".

"لم يسبق لي أن سمعت بماذا؟".

"يظن أنني أنقذت حياته".

"لماذا يظن ذلك؟".

"قتلت مجموعة من الأشخاص حاولوا قتله بالإضافة إلى مجموعة من رجال الوحدات الخاصة".

"ما عدد الأشخاص الذين قتلتهم لإنقاذ حياته".

"اثنا عشر، وربما أربعة عشر".

"من أجل هذا حصلت على ميدالية صليب الخدمة".

"حصلت عليها لسبب آخر، أيمكنك أن تصمتي قليلًا؟".

أجابت: "حسنًا".

عَبَرا ممر تيجون على ارتفاع أربعة آلاف ومئة قدم، وبدآ بالنزول إلى وادي سان خواكين، على امتداد آلاف الأميال المربعة التي عُدَّت في السابق من أكثر الأراضي الزراعية إنتاجية في العالم.

على جانبي الطريق السريع، عمَّ الظلام مساحات كبيرة من الأراضي في الجبال البعيدة التي كانت بجوار القمر الذي يظهر جزء منه فقط، وهذا ما جعل القمم تبدو بالصورة التي تظهر عليها القمم الغامضة في الأفلام. وانبعثت الأنوار من منازل المزارعين البعيدة والمنعزلة، بالإضافة إلى أنوار تجمعات المدن الصغيرة مثل مركز بومبكين ودوستين إيكرز وبتونيلو.

تساءلت جين إن كان الناس يشعرون بالأمان والسلام وهم نائمون في منازلهم، غير متأثرين بالضغوطات والهموم التي تحملها بلدان أخرى في العالم الحديث. وإذا كان هناك مثل هؤلاء الناس... كم من الممكن أن يعيشوا؟

# 18

بالرغم من الجرح العميق على وجهه والآثار الأولى لتحلل جثته، بدا بوضوح أن الرجل الميت المستلقي على الأرض هو روبرت برانويك، المعروف أيضًا باسم جيمي رادبورن، وعثر في محفظته التي أخرجت من جيبه على رخصة قيادة تؤكد هويته.

تضررت خزائن المطبخ جراء الرصاص، وبعد ارتدادها باتجاه الأسطح الصلبة، غطى الحطام الناتج الأرض.

قال جون هارو: "برانويك لا يملك سلاحًا".

أجابه سيلفرمان: "ربما امتلك واحدًا لكن القاتل سلبه إياه".

"لا أظن أن هذا ما حدث". وكان على سيلفرمان أن يوافقه في ذلك.

"إذا استعمل برانويك بندقية في مواجهة شخص يحمل مسدسًا، كان ليبقى على قيد الحياة، وكنا لنرى جثة حامل المسدس على الأرض بدلًا من جثة برانويك".

جلس سيلفرمان يتذكر ثلاثة مواقف سابقة: هذا الرجل الميت عندما كان حيًا، كان يحمل حقيبتين عندما عَبَرَ الحديقة... أخذتهما امرأة تركب على مزلاجين... خرجت هذه المرأة بصحبة جين من مرأب الفندق بعد إفراغ الحقيبتين في كيس قمامة كبير.

ربما كان هارو يتذكر الأحداث نفسها عندما قال: "أطلقوا النار على وجهه دون أن يظهر سلاحه، فلا يوجد آثار بقايا البارود على يده، فلو أثبت التقرير وجود مثل هذه الآثار،

سأفترض أنه كان يملك سلاحًا. وفي حال ظهرت نتيجة الفحص سلبية، فيكون قد أُعدم".

"دعنا ننتظر نتيجة المختبر".

غادر فريق العمليات الخاصة أماكنهم. وبقي عميل واحد في الممر. "شرطة لوس أنجلوس ووحدة تحقيق مسرح الجريمة على بعد خمس دقائق".

عندما تراجع العميل، سأل هارو سيلفرمان: "لقد انتحر زوج جين هوك".

"صحيح".

"وهي في إجازة".

"كانت في إجازة".

"ولكنها لم تعد الآن؟ إذا كانت تعمل على شيء ما في نطاق اختصاصي القضائي، فلماذا لم تخبرني بذلك؟".

"أمهلني بعض الوقت يا جون. سأفعل كل ما يلزم فعله غدًا. ثمة أجزاء من هذا الموضوع لا تدري بها، ولا أزال أحاول ترتيبها".

"ما أعرفه الآن هو أن عملية فينيل حصلت ضمن نطاق سلطتي، وها أنا أجد رجلًا ميتًا كانا يفترض بي أن ألقي القبض عليه حيًا".

"أفهم هذا. ولكنك حصلت على قائمة عملاء فينيل التي تجمعها منذ أشهر، وكان بإمكانك أن تتحرك وتقبض عليهم واحدًا تلو الآخر".

"من دون أن يدلي برانويك بشهادته".

"سيكون هناك بعض الجبناء ليدلوا بشهاداتهم أيضًا".

"هناك عواقب على التأخير".

وافق سيلفرمان قائلًا: "ثمة عواقب على التأخير، وثمة عواقب على العمل المتسرع، دائمًا هناك عواقب".

نظر إلى ساعة يده التي أشارت إلى الساعة 11:05 بعد الظهر بحسب توقيت الساحل الشرقي، كانت عيناه تلمعان فرحًا، وشعر أنه يبحث في الفراغ، ولم يعد بحاجة إلى أي شيء آخر هنا. كل ما هو بحاجة إليه هو الوصول إلى الفندق، وتناول الطعام، والنظر في أحداث اليوم ليرى في وقت لاحق إن كانت لها نفس الآثار المظلمة التي يبدو أنهم سيقوا إليها ومرّوا بها.

# 19

أرادت جين زيادة سرعة السيارة، لكنها خشيت أن تضبطها دوريّة الطريق السريع. كانت المركبة المدرّعة عبارة عن شيء لافت جدًا يجذب اهتمام رجال الشرطة. تراهون، المقاتل الذي يقذف القنابل من جهة لأخرى، لم يبدُ وكأنه شخص يمكن أن يدفع نصف مليون دولار لشيء يمشي على مجموعة من العجلات، وإذا طلب رجال الشرطة منه الخروج من السيارة، فمن المرجح أن يكتشفوا أنه يحمل سلاحًا، وإذا احتجزت هي، فلن يكون لديها أي شيء سوى انتظار العثور عليها من قبل أعدائها.

قدَّمت هذه السيارة جميع وسائل الراحة التي يوفرها أي فندق فاخر، بما في ذلك جهاز تشغيل موسيقى عالي الجودة، ولكن جين وتراهون، فضلا الصمت.

بعد قطعهما أكثر من مئتي ميل بحسب عدَّاد نظام تحديد المواقع، لا يزال أمامهما أكثر من خمسمئة ميل، غادرا الطريق السريع، ليتوقفا عند إحدى محطات الشاحنات. باستخدام بطاقة ائتمان تراهون، ملأ خزان الوقود الأساسي شبه الفارغ، واشترت جين أربع شطائر من لحم الحبش مع لحم مقدد وزجاجتي كولا سعة عشرين أونصة.

استلم تراهون القيادة، وتناول طعامه وهو يقود. عندما أنهى طعامه، أوقف السيارة، وعاد إلى مقعده، وشرعت جين بالقيادة مرة أخرى. اعتقدت أنه ينوي أن ينام على المقعد. ولكنه بدلًا من ذلك ظل مستيقظًا، وهو يحدق إلى الطريق السريع، بنظرة ثابتة، وكأنه دخل في غيبوبة.

شعرت جين بالتعب، وآلمها ظهرها ومؤخرتها، إنه أحد الأيام التي لا تنتهي، لقد قادت من لوس أنجلوس إلى سان دييغو ثم من سان دييغو طوال هذا الطريق، عشر ساعات على الطريق منذ الصباح. لم تكن قد نامت حتى الآن، ولكن إرهاقها البدني ترافق مع إرهاق ذهني، كانت المحادثة الحية تساعدها على البقاء في حالة تأهب، ولكن تراهون لم يكن يريد التحدث.

بعد القيادة لسبعين ميلًا شمالي محطة الشاحنات، كان الليل قد حلّ وترافق ذلك مع هطول غزير للأمطار، فتشكلت السيول على الطرقات. لم تعرف جين إن كان نظام الدفع الرباعي سيساعدها في مثل هذه السيول، لذا شغلته أثناء القيادة.

مع كل ميل يقطعانه بدا تراهون أكثر غرابة، والآن أصبحت الرحلة بالكامل غريبة ومريبة. شكلت الرياح والأمطار المتساقطة أشباحًا ذات أجنحة شاحبة خُيل إليها أنها تصاعدت من الطريق السريع، وبدا العالم خارج هذه الكتلة المدرعة يذوب بعيدًا، حتى لم يكن بالإمكان رؤية أي شيء سوى الظلام.

كسر تراهون صمته الطويل ليقول: "أتعتقدين أن الحرب هي من جعلني على هذه الحال، لكن اعتقادك ليس بمحله".

قررت أنه في حال كان بحاجة إلى قول شيء ما، فمن المؤكد أنه سيقوله وإن لم تعلق، كان يتكلم مع نفسه أكثر من تكلمه معها، وهو يحدق عبر الزجاج الأمامي.

قال تراهون: "في الواقع، كان الجيش أفضل شيء حدث لي على الإطلاق، فقد أشعرني بقيمتي، وأن ما أقوم به يستحق العناء، لطالما كنت خائب الأمل من نفسي".

اقتربت من المصابيح الخلفية لسيارة أمامها، فأبطأت سرعتها من سبعين إلى خمسين.

قال تراهون: "عندما كنت في العاشرة من عمري، استمعت إلى صوت أختي وهي تُقتل".

# 20

في اليوم السابق، وفي الدقائق الأخيرة قبل أن يغادر مطار أوستين، بحث ناثان عن غرفة، ولم تكن خياراته كثيرة، فقد حُجزت معظم الغرف في الفنادق حول مطار لوس أنجلوس الدولي، وكامل الغرف على الجانب الغربي من لوس أنجلوس. أما الخيار الآخر المتاح فتمثل بحجز جناح في بيفرلي هيلز مؤلف من غرفة جلوس، وغرفة نوم، وحمام فاخر.

الآن، وبعد دفع رسوم جناحه عند الساعة التاسعة، بدت اللمسات الهادئة المريحة، مثل طبق من الفاكهة الطازجة، تستحق كل بنس دفعه.

بالرغم من أنه نوى أن يكون في منزله في فرجينيا تلك الليلة، إلا أن أنأن سنوات عمله في المكتب عوّدته أن يسافر ومعه لوازم الاستحمام وبعض الملابس الجديدة، تحسبًا لأي طارئ قد يحدث.

كانت قائمة الطعام الموجودة في غرفته تشير إلى تشكيلة واسعة من الأطعمة، وكما هو الحال دائمًا عند السفر، فقد فضَّل تناول وجبته في جناحه.

في الوقت الذي انتهى فيه من الاستحمام، وارتدى رداء الحمام وفتح زجاجة بيرة، كان العشاء قد وصل.

من الواضح أن النادل جديد في عمله، فبالرغم من ملابسه الأنيقة وبالرغم من أن الطاولة المستديرة يغطيها مفرش مائدة أبيض، ووضعت عليها مزهرية صغيرة مليئة بالزهور، وأدوات المائدة، والمناديل، إلا أنه نقل الطعام إليه بطريقة خرقاء، ولكنه اعتذر بتهذيب، فما كان من سيلفرمان إلا أن أعطاه إكرامية جيدة، وكأنه يقول له: كل من في عمرك يكون مبتدئًا.

كان طبق فيليه السمك والأطباق الجانبية مثالية، وأرفق العشاء بطبق حلوى مكون من الفراولة والتوت البري مع الكريمة، وفنجان قهوة وإبريق خاص للحفاظ على سخونة الماء.

لقد استيقظ اليوم عند الساعة الرابعة، وأمضى نهارا شاقًا وطويلًا، وشك أنه سيستطيع الخلود إلى النوم، لأنه شعر بمخاوف كثيرة، وفكّر في كثير من الأسئلة التي لم يجد لها جوابًا، ولكن بالرغم من ذلك غط في نوم عميق، وعندما استيقظ وجد نفسه نائمًا على الكرسي.

شعر سيلفرمان بخوف عميق، حتى أنه عانى لتحريك قدميه، بدت الغرفة وكأنها تدور من حوله، وخيّل إليه أن الفندق سفينة في البحر، وجد صعوبة في الوصول إلى غرفة النوم، إلا أنه بلغها في النهاية، وتبين له أنه لن يعاني من ليلة من الأرق.

حلم بسهل تكساس الهائل والصامت، والعشب البري الذي يبلغ ارتفاعه ارتفاع ركبتيه، ذلك العشب الساكن الذي لم يتحرك إلا بفعل حركة ساقيه، وأشعة الشمس الحارقة تصلي رأسه، ومشى على هذه الحال أميالًا عدة، وبالرغم من أنه لم يشعر بأي تهديد إلا أنه كان خائفًا. جعلته السماء الشاسعة الخالية من الغيوم يشعر بالخوف، واعتقد أن شيئًا لم يسبق له أن رآه أو سمع عنه سينقض عليه ويزهق روحه.

باب مغلق، صوت واضح. توقف سيلفرمان، ثم نظر بزاوية 360 درجة، ولكن لم يكن هناك أي شيء على ذلك السهل الأزلي، ولم يكن هناك مكان له أبواب. نطق

رجل ما اسمه، *ناثان؟ هل تسمعني يا ناثان؟* ولكنه ظل وحيدًا تمامًا.

تابع ناثان الركض تحت السماء المشمسة وعبر مروج الأعشاب.

# 21

هطل وابل المطر مثل الرصاص، عندما قال دوغال تراهون: "اسمها جوستين كارتر، وكان والدها زوج أمي الأول، جوستين أختي من زواج سابق لأمي، وكانت في الرابعة من عمرها عندما ولدت، لقد كانت إلى جانبي طوال حياتي حتى...".

صمت لدقيقة، وكأنه قرر فجأة أن لا يبوح بألمه ويعبّر عن مشاعره.

شكَّت جين أنه لم يتحدث عن ذلك منذ سنوات عديدة، ربما لم يفعل منذ حدوثه أصلًا. لم تكن الأخت القتيلة جزءًا مما يمكن أن نقرأ عنه في الإنترنت، ببساطة لأن لقب أخته لم يكن ذا علاقة به، ولأن الجميع ممن شهدوا الحادثة لم يتجاوزوا عشرة أشخاص فقط، في فترة كان فيها الأطفال يتمتعون بحماية صارمة من فضول وسائل الإعلام.

تابع تراهون: "كانت جوستين رائعة وعطوفة ومرحة للغاية، وبالرغم من فارق العمر، كنا قريبين من بعضنا، لم يكن للتوأم أن يكونوا أكثر قربًا". اختلفت نبرة صوته. وقد وجدت الفظاظة التي يتمتع بها طريقها نحو الحنان، لكنه كان ممزوجًا بالحزن. عندما نظرت جين إليه، رأت أن وجهه الشاحب كان متوهجًا باستثناء الشعر الأبيض الذي تخلل لحيته، وسالت قطرات العرق من جبينه، ولم تبارح عيناه النظر إلى الطريق الذي يقودهما إلى المستقبل والذي ربما رأى فيه ماضيًا بعيدًا.

"كنت في العاشرة، وكانت في الرابعة عشرة، وكان اليوم سبتًا. والدنا... والدي، زوج والدتها... يعمل في الخارج. وكانت والدتنا تزور شخصًا مريضًا. لم يكن من أحد سوانا في البيت، عندما رُنَّ جرس الباب، ومن خلال العين السحرية للباب رأيت رجلًا عادي المظهر يحمل ورودًا، كنا نعرف أنه لا يجدر بنا فتح الباب، وبالرغم من ذلك فتحته قال الرجل: *مرحبًا أيها الصغير، معي هذه الورود لفتاة تُدعى جوستين*. قدَّم الورود، وما أن مددت يدي لأستلمها حتى رماها، ولكم وجهي. دخل المنزل، ودفع الباب بقوة، فأصبحت والورود على الأرض. لكمني مجددًا، ولم تُتح لي الفرصة لتحذير جوستين...".

بعد زيارتهما لمنزل الممثل في ماليبو، أخبرت جين تراهون بأنها تحتاج أن تفهمه. فقال لها: لا أحد يستطيع فهم أي شخص آخر. ربما كان من الأفضل في بعض الأوقات ألا تكون قادرًا على فهم الآخرين. تابع تراهون: "عندما أتذكر"، أصبح صوته أقل خشونة "أُصبح مقيدًا، ولا يمكنني التحرك على الإطلاق. أشعر بالألم. ويتورم وجهي. وأشعر بأن فمي مليء بالدم، وأسمع أصواتًا، ليست منطقية، وتصبح رؤيتي ضبابية، وأرى كل شيء مبهمًا".

امتزجت قطرات العرق على وجه تراهون الأبيض مع دموعه. وبسط يديه على فخذيه، ثم قبضهما، وكأنه كان يمسك بهما شيئًا.

"أنا مُلقى على الأرض في غرفة نوم جوستين. وبعد أن أخضعها، حملني إلى هناك. إلى غرفة نومها، وفعل أشياء بها". كان الرعب الذي لامس وجهه يكذب الشعور الهادئ الذي كان يتمتع به صوته. "توسلته أن يتوقف لكنه تابع. كانت تبكي. وتتوسل إليه، ولكنه لم يتوقف. نظر إليّ وأنا أستيقظ. طلب مني أن أشاهده. كلا. لن أفعل. أغمضت عيني بإحكام، لا يمكنني التحرك لمساعدتها، لا يمكنني التحرك. شعرت بيديّ وكأنهما مخدرتان، وقدمي أيضًا. لا يمكنني التحرك، ولكن لا يمكنني ألا أسمع. لا يمكنني أن أُصم نفسي. واستمر... لمدة ساعة. وأكثر. أنا مريض بالخوف والغضب... والكراهية". وهمس: "أريد أن أموت الآن".

لم يعد بوسع جين أن تتحمل أكثر لتلقي عليه نظرة سريعة، لكي ترى عمق معاناته، التي لا يمكن للوقت أو أي شيء آخر أن يشفيها. ركزت على الطريق السريع وعلى شلالات المطر والرصيف المتلاشي. كان بإمكانها التعامل مع المطر على الطريق السريع "أردتُ أن أموت، لكنه قتلها بدلًا من أن يقتلني، ما إن انتهى منها، ألقى بها جانبًا، وذبحها بسكينه".

لقد تحول صوته، من صوت رجل إلى صوت طفل، وانتقل من الهمس إلى التمتمة، ومع ذلك كانت كل كلمة واضحة للغاية. "بعد فترة قال، أيها الولد، انظر إلى هذا، ستكون أنت التالي".

في النهاية، لم تعد جين قادرة على تحمل القيادة في ظل المطر، فتوقفت إلى جانب الطريق، أسندت نفسها إلى المقعد، وأغمضت عينيها، واستمعت إلى الجنون الذي

يتفوه به تراهون المترافق مع صوت المطر. تابع تراهون بصوت أعلى من الهمس. "لم أرَ أمي عندما عادت إلى المنزل، وهو أيضًا لم يرها، يحتفظ أبي بمسدس في مكتبه بالأسفل. دخلت أمي الغرفة، وأردت القاتل برصاصة واحدة، صرخت أمي، صوبت المسدس عليه، وصرخت ليس لطلب المساعدة فقط، بل لأنه لا يمكنها إلا أن تصرخ، ظلت تصرخ حتى بح صوتها وأتت الشرطة، واستمرت بالصراخ. ولم تطلق عليه الرصاص مرتين، ولم تقتله، لا أعرف لماذا لم تقتله".

فتح تراهون باب السيارة وخرج إلى الهواء الطلق. وقف تحت المطر محدقًا إلى الوادي المظلم. انتظرته جين. لم يكن بوسعها سوى الانتظار. وفي الوقت المناسب عاد إلى السيارة، أغلق الباب، وجلس مغمورًا بمياه المطر. أرادت أن تبدي تعاطفها معه، لكن كل الكلمات التي كان بوسعها أن تقولها لم تكن غير كافية فحسب، بل كانت أيضًا مسيئة بعدم كفايتها.

قال: "كانت والدتنا شخصًا لطيفًا، ولم تكن قاسية أبدًا، ولكنها بعد ما جرى لم تعد كسابق عهدها، أصبحت يائسة، وبعد خمس سنوات توفيت وهي في الحادية والأربعين. تحررت خثرة دم من مكان ما في جسمها لتستقر في دماغها. أعتقد أنها تمنت لو حدث معها ذلك بدلًا من جوستين، أعتقد أن ذلك ممكن. كان القاتل يُدعى إيموري واين أوديل، ذات يوم رأى جوستين وهي عائدة إلى البيت من المدرسة، لذا راقب المنزل لمدة أسبوع. لا يزال على قيد الحياة. في السجن المؤبد، ولكنه على قيد الحياة، ولا يفترض به أن يكون على قيد الحياة، ولكنني أنا أيضًا لا أزال على قيد الحياة".

قالت جين: "يسعدني ذلك".

لم يكن ينتظر جوابها. جلس صامتًا حتى دخلت جين إلى السيارة، وعادت إلى الطريق السريع.

"لماذا يريد بعض الناس السيطرة على حياة الآخرين، وإخبارهم بما يجب عليهم القيام به، واستعبادهم إن أتيح لهم ذلك؟".

استشعرت أن السؤال لم يكن كلامًا فقط، وكأنه يهتم بما قد تقوله: "لماذا هتلر، لماذا ستالين، لماذا إيموري واين أوديل؟ لا أعلم. هل للشيطان دور في ذلك، أم أن

هناك خطبًا في عقولهم؟ لكن في النهاية، هل الإجابة مهمة؟ ربما المهم أن البعض منا لم يقع ضحية لهم، المهم أن نعمل جميعًا على إيقاف أشباه ايموري أوديل، وويليام أوفرتون وبيرتولد شينيك، قبل أن يتمكنوا من تحقيق كل ما يحلمون به".

إلى الشمال من ستوكتون، تضاءلت كمية الأمطار. وبعد ذلك بميلين، توقف هطول الأمطار تمامًا.

رغم مرور ساعة من الصمت، قال دوغال: "لو كان السلاح بحوزتي كنت لأطلق عليه مرتين، كنت لأفرغ رصاص المسدس برأسه، كنت لأقتله".

قالت جين: "وأنا أيضًا كنت لأفعل ذلك".

في ساكرامنتو، انتقلا من الطريق السريع رقم 5 إلى الطريق الغربي 1-80. وبعد ساعة، وصلا إلى ضواحي نابا عند الساعة 1:40 من يوم الأحد.

ثمّة لوحة مضيئة على جانب الطريق، إنه فندق يمكن الاستراحة فيه.

لتجنب التقاط كاميرات الأمن صورة للسيارة، ركنت جين السيارة على بعد مبنى واحد. ولأن منظر دوغال كان ليُثير شكوك الموظف الليلي، ظل في السيارة بينما توجهت جين إلى المكتب. باستخدام بعض النقود ورخصة سائق مزور، وقّعت جين على السجل باسم راشيل هارينغتون، وحجزت غرفتين لها، ولزوجها وطفلين وهميين. وفي نموذج التسجيل، حدّدت نوع سيارتها فورد إكسبلورير برقم ترخيص مزور.

بدا شعر الموظف الليلي أبيض كشعر الراهب. "هل تملكين حيوانات أليفة؟".

"كلا".

وأضاف: "نسمح بوجود حيوانات أليفة في الجناح الشمالي".

أجابته: "كان لدينا كلب، لكنه توفي قبل وقت ليس ببعيد".

"يؤسفني سماع ذلك. إن فقدان الحيوان الأليف، دائمًا ما يكون صعبًا على الأطفال".

قالت: "كان صعبًا عليّ وعلى والدهما أيضًا".

"من أي نوع كان؟".

"غولدن ريترايفر. كنا نسميه سكوتي".

"الغولدن ريترايفر من الكلاب الرائعة".

وافقته قائلة: "نعم. إنها الأفضل".

تركا سيارة الغوركا على بعد مبنى واحد، وخرجا إلى الفندق مع أمتعتهما. حمل دوغال حقيبته الصغيرة وحقيبة السفر الخاصة بجين. أما جين فحملت الحقيبة الثانية والمحفظة الجلدية التي بداخلها ستون ألف دولار.

قال: "كل ما سمعته على الطريق...".

أكدت له: "يبقى على الطريق".

"هذا جيد". وتوجَّه نحو غرفته، ثم التفت إليها من جديد. "لقد قلت شيئًا، ولكنك لم تقولي شيئًا".

"حسنًا من الجيد أن يكون لفتاة ما والد مثلك".

دخل إلى غرفته، ودخلت إلى غرفتها.

بعد ذلك، استلقت على سريرها في الظلام، واضعةً المسدس تحت الوسادة بجانبها، وأخذت تفكر بوالدها وكيف جعلها ما هي عليه الآن، ولم تفكر في ما قاله تراهون. ولبضع ساعات، نامت بعمق، لكنها مع ذلك لم تبدُ ببراءة الملائكة.

# 22

استيقظ ناثان سيلفرمان وهو يعاني من صداع، وشعر بطعم مرّ في فمه كطعم الخل والرماد. لفترة من الوقت، لم يعرف أين هو. ثم تذكر أوستن، وسان فرانسيسكو، ولوس أنجلوس، وروبرت برانويك الذي أُطلق النار على رأسه، والفندق.

شعر لوهلة بالدوار، وهو يحاول النهوض من السرير والوقوف على قدميه. كان يرتدي قميصًا وبنطالًا قصيرًا. وهناك رداء حمام مُلقى على الأرض، عبس وهو ينظر إليه، فهو لم يتذكر متى خلعه.

*ناثان؟ هل يمكنك سماعي، ناثان؟*

بحث في الغرفة، لكن الصوت كان بداخله، يذكره بـ... مكان ما.

كانت الخادمة قد جهزت السرير قبل أن يباشر سيلفرمان بتسجيل الدخول إلى الفندق، ولكنه نام على البطانية والغطاء العلوي بدلًا من أن ينام تحته.

نظر إلى الساعة بجانب السرير فأشارت إلى 8:16. نور الصباح يدخل من النافذة. لا بد أنه نام عند الساعة 10:30 مساءً، بعد تناوله العشاء. تسع ساعات ونصف؟ كانت أفضل الليالي بالنسبة إليه أن ينام سبع ساعات، وهو ينام في العادة ست ساعات.

كانت كل مصابيح الإنارة منارة، لقد تركها كذلك طوال الليل.

شعر كما لو أنه شرب أكثر مما ينبغي، وهو نادرًا ما كان يفعل ذلك.

في غرفة الجلوس، رأى الزجاجة الفارغة التي شرب كل محتواها. وطبق العشاء الفارغ. وفنجان القهوة الباردة. والمناديل على الأرض.

عند الباب المؤدي إلى الممر، وجد مقبض الباب مغلقًا كما تركه.

تساءل لماذا يعتقد أنه ربما تم فتح الباب. فقد كانت المفاتيح الاحتياطية بالكاد معلقة، لكنه لم يشك بذلك أبدًا لأنها كانت في الأساس بلا جدوى، وكان كسرها سهلًا، وضعتها الفنادق لأغراض نفسية إلى حد كبير، لضمان سلامة النزلاء على نحو مضاعف فقط.

أخذ زجاجة بيبسي صغيرة من بار الغرفة، وفتح الغطاء، وغسل بها الطعم المرّ الذي يشعر به في فمه.

في الحمام وبينما كان يتبول تفاجأ من أن لون بوله كان داكنًا على غير عادته، وتساءل ما الطعام الذي تناوله وجعل لون بوله على هذا النحو.

على المغسلة، غسل يديه، رأى كدمات حمراء صغيرة على ذراعه اليمنى. في وسط المنطقة هناك بقعة داكنة، كما لو أنها وخزة إبرة. فوق الوريد مباشرة. وكأن أحدهم سحب من دمه، رغم أن لا شيء من ذلك قد حدث فعلًا. افترض أن تكون لدغة حشرة ما. وقد بحث عن لدغات أخرى، ولكن لم يكن هناك أي شيء.

لطالما احتفظ بعلبة الأسبرين بين مجموعة أدواته التجميلية الخاصة. ابتلع حبتين مع البيبسي، وأعرب عن أمله بألا يعاني من صداع شديد لم يسبق للأسبرين أن ساعد بشفائه.

بعد فترة طويلة من الحمام الساخن، شعر أنه أفضل حالًا، وعلى طبيعته. انتظر ليجف جسمه، ثم ارتدى بنطالًا جديدًا، وبدأ يفكر بشأن حجز رحلة العودة إلى فيرجينيا.

رنَّ الهاتف. ثمّة هاتف في كل غرفة من الجناح، وكان في الحمام هاتف مثبت على الحائط.

"مرحبًا؟".

ردَّ بوث هندركسون: "صباح الخير يا ناثان. أتمنى أن تكون قد تصرفت بشكل مختلف حول ما أخبرتك به في مطار أوستن".

"بوث؟ كيف عرفت مكان إقامتي؟".

قدم بوث هندركسون اقتراحًا غير عادي.

"نعم، هذا صحيح". وقف سيلفرمان يستمع لبضع دقائق. ثم أنهى المكالمة.

شعر بالضعف. ثم جلس على أرضية الحمام، واستند إلى الحائط، فقد هزّه ما سمعه. وسرعان ما أفسحت الصدمة المجال للحزن المرافق للفزع من أن جين قد وشت به، وخانت الثقة، شعر بخيبة الأمل لأن تقييمه لها، سواء كعميل أو كشخص، لم يكن صحيحًا.

في النهاية، وقف على قدميه. وبينما كان يمشّط شعره الرطب أمام مرآة الحمام، رأى انعكاس الهاتف المعلق على الجدار المقابل، بجانب حامل المناشف.

التفت وحدَّق إلى الهاتف وهو يشعر بالحيرة، انتابه شعور غريب أن الهاتف سيرن مرة أخرى، وسيكون المتصل راندولف كول، مدير الأمن الداخلي.

انتظر لفترة، ولكن الهاتف بالطبع لم يرن. لم يسبق لأي شعور انتابه أن تحقق بالفعل، ولا حتى هذا.

كان كول قد اتصل قبل دقائق، عندما كان سيلفرمان يقوم بارتداء ثيابه ويفكر في حجز رحلة العودة إلى فرجينيا، ونظرًا للأخبار المدمرة التي تمحورت حول جين والتي أصدرها مدير الأمن الداخلي، فمن المؤكد أنه لا يوجد أي جريمة إضافية لإضافتها إلى قائمة الجرائم التي ارتكبتها.

بعد أن انتهى من تسريح شعره، شغّل آلة الحلاقة الكهربائية وبدأ الحلاقة محدقًا إلى المرآة. بدأ الحزن ينغرس بداخله، ثم بدأ يشعر بالغضب من حقيقة أن جين جعلت منه أحمق طيلة سبع سنوات.

بالرغم من أنه كان يوم الأحد، إلا أن سيلفرمان كان لديه عمل لا يؤجل. كان

يحتاج إلى القيام بشيء متعلق بجين هوك. فهي قررت دخول الجانب المظلم، وأن تصم المكتب بالعار، لذا كان عليه أن يوقفها.

أثناء ارتدائه ملابسه، ارتدى حزامًا لتعليق المسدس أسفل الإبط قبل أن يرتدي معطفه الرياضي.

احتوى الدرج على مسدس ثانٍ. ولم يكن هو من وضعه هناك، ولم يسبق له أن رآه، وكان داخل قرابه.

مدهوشًا، أخرج المسدس من الحافظة في الدرج. مسدس من نوع كيمبر بمخزن من ثماني رصاصات، لم يكن يزن أكثر من رطل ونصف، فهو مصنع ليسهل حمله.

على نفس القدر من غرابة وجود المسدس، كان الغريب أنه سرعان ما تقبل ضرورة وجوده، وربط القراب بحزام خصره، وأدخل المسدس.

استمر بالتفكير بالأمر: يريدني راندولف كول أن أحصل على السلاح الثاني. ولم يكن كول من قادة المكتب ولا يملك سلطة على سيلفرمان، كان يحمل مسدسًا غير مرخص بشكل نظامي، وهو بذلك ينتهك قواعد مكتب التحقيقات الفدرالي، ولكن لسبب ما لم يعر الأمر أهمية، في غضون دقيقة من عثوره على المسدس، لم يمانع سيلفرمان ذلك ولم يعد يشعر بالقلق أو الفضول.

ارتدى سترته الرياضية، ونظر إلى نفسه عبر المرآة الطويلة الملصقة على ظهر باب الخزانة، وقرر أنه يجب عليه إخفاء المسدس.

القسم السادس

# آخر الأيام الجيدة

# 1

بعد أن غلبها النعاس قبيل الساعة 2:00 فجرًا، استيقظت جين من كابوس عند الساعة 6:10، بالرغم من أنها لم تحصل على كفايتها من النوم لتكون قادرة على تحمُّل ما ينتظرها لاحقًا، إلا أنها لم ترغب بالنوم مجددًا.

استحمَّت وارتدت ملابسها، وجلست على كرسي ذي ذراعين، وأمسكت بين يديها قلمًا ودفتر ملاحظات والهاتف الذكي الخاص بويليام أوفرتون. بعدما تركت المحامي ميتًا في خزانة ملابسه ليلة الجمعة، شعرت بصدمة عاطفية وبدنية قوية منعتها من استخدام الهاتف لدى عودتها إلى غرفتها في الفندق، منذ صباح السبت، كانت تحاول التخفي. ولكن الآن، وبواسطة كلمة المرور التي أعطاها إياها أوفرتون، استطاعت الدخول إلى دفتر عناوينه، وبحثت فيه، ودوّنت على دفترها بعضًا من الأسماء والأرقام.

استطاعت التعرّف إلى بعض الأسماء، منهم بعض أصحاب السلطة داخل النظام القانوني، فضلًا عن النظام السياسي، ووسائل الإعلام الإخبارية، والتمويل، والترفيه، والفنون، والرياضة، والموضة. لم تعتقد أنهم جميعًا أعضاء في أسباسيا، ولكن معظمهم على الأقل. كان من بينهم ديفيد جيمس مايكل، الملياردير والمستثمر في سيليكون فالي، وبالطبع، بيريتولد شينيك. كانت مجموعة الأسماء والأرقام قليلة جدًا بالنسبة إلى رجل كانت حياته مليئة بالمشاكل والتعقيدات مثل أوفرتون، وهذا يعني، على الأرجح، أن هذه القائمة لها أهمية بالغة، وهو بالتأكيد احتفظ بنسخة أخرى منها في مكان آخر.

تحت اسم شينيك، بالإضافة إلى عنوان الوب المؤلف من أربعة وأربعين رقمًا وحرفًا والذي سبق لها أن قامت بزيارة ميدانية له، ذكر أربعة عناوين في واشنطن، ونيويورك، وسان فرانسيسكو، ولوس أنجلوس، وكان عنوان لوس أنجلوس هو العنوان ذاته لأسباسيا الذي سبق لها أن زارته.

عندما انتهت من تدوين محتويات دفتر عناوينه، قارنت بينها وبين الأرقام التي حصلت عليها لبيريتولد شينيك. وجدت أيضًا رقمين في بالو ألتو: خط الهاتف الرئيسي، وآخر باسم كليف كارستيرز، مدير المنزل، الذي قررت الاتصال به.

ردَّ رجل ذو لهجة بريطانية وقال، وهو يتفقّد كاشف الأرقام خاصته: "صباح الخير سيد أوفرتون".

سألت جين: "هل أنت السيد كارستيرز؟".

أجابها: "هذا أنا".

"أُدعى ليزلي غرانغر، وأنا مساعدة السيد أوفرتون. لكن لم يسبق لنا أن تحدثنا".

"صباح الخير آنسة غرانغر، سررت بمعرفتك، أرجو ألا يكون قد حدثت مشكلة مع الآنسة نولان".

في أعلى قائمة العناوين على جهاز أوفرتون، بحثت جين باستخدام قائمة الاتصال السريع، فوجدت الاسم الكامل، كوني نولان.

"كوني بخير. أنا مستجدة في هذه الوظيفة، وبما أنها منشغلة مع السيد أوفرتون، طلبت مني التواصل معك في غضون ذلك، يريد السيد أوفرتون أن يرسل طردًا للدكتور شينيك، وأرادني أن أتأكد إن كان موجودًا في بالو ألتو".

قال كارستيرز: "من الجيد أنك اتصلت، سيبقى الدكتور والسيدة شينيك في مزرعتهما في وادي نابا حتى يوم الخميس".

"حسنًا، سأرسل الطرد فورًا إلى هناك".

ربما كذب أوفرتون، ولكن تأكيد مكان وجود شينيك يعني أنها ودوغال سيلاحقانه اليوم.

سأل كارستيرز: "هل يفترض بي إعلام الدكتور بشأن الطرد؟".

"لا أعلم، ولا يمكنني التواصل الآن مع السيد أوفرتون. حسنًا، الطرد عبارة عن هدية للدكتور وزوجته، لقد دفع السيد أوفرتون مبلغًا كبيرًا مقابلها، وأعتقد أنه يريد مفاجأتهما بها".

"حسنًا، سأتصرف وكأني لم أسمع شيئًا منك".

"شكرا سيد كارستيرز، شكرًا لمساعدتك".

بعد أن أنهت جين الاتصال، أخذت الهاتف إلى الحمام، ووضعته على الأرض، وداست عليه حتى انكسر.

في تمام الساعة 8:20، استيقظت جين، كان الصباح باردًا والسماء ملبدة بالغيوم، والهاتف المكسور لا يزال بيدها. بالنظر إلى الأغصان المورقة لشجر القطلب الأحمر الذي شَغَلَ مساحة كبيرة من واجهة الفندق، بدت الطيور الغاضبة تطلق أصواتًا مزعجة بشكل يتناسب مع كآبة هذا اليوم.

أمام المطعم الخاص بالفندق، رمت هاتف أوفرتون في سلة المهملات ذات الغطاء المقبب المفصلي. توجهت إلى المطعم، واشترت دونات وفنجان قهوة كبيرًا، ونسخة من صحيفة نيويورك تايمز. عندما عادت إلى غرفتها، تناولت الدونات، وشربت القهوة، وبدأت بقراءة الصحيفة لتعرف المزيد عن أخبار الفوضى التي تعمّ العالم فهي لم تقرأ أي صحيفة منذ أسبوع.

## 2

شعر سيلفرمان بسيل من الغضب وبرغبة عارمة بالانتقام، كان سيلفرمان شخصية سريعة الغضب، ولكنه اليوم حوّل غضبه السريع إلى رغبة في الانتقام لأنه يشعر بألم الخيبة.

بعد تغيير ملابسه، استخدم هاتف الغرفة الموجود في الفندق والذي يعمل على مدار الساعة واتصل بجون هارو، المسؤول عن مكتب التحقيقات في لوس أنجلوس.

عندما أجاب هارو على الاتصال، قال سيلفرمان: "جون، لديّ أخبار مهمة، لدينا عميل خائن من المكتب، ويبدو أنه يفترض بك التعامل معه. العميل هو جين هوك".

"يؤسفني سماع هذا، أعتقد علينا أن نلتقي، ونخطط بشأن الطريقة التي سنمضي بها قدمًا".

"يجب أن نعمل بأسرع ما يمكن، إنها تعمل ضمن فريقي، وأريدك أن تساعدني لنسيطر على الأمر بأسرع ما يمكن".

"بالطبع يا ناثان".

"احصل على صورتها من المكتب، عندما كان شعرها أشقر وطويلًا، وقارنها بصورة أخرى من سانتا مونيكا، التي تظهر فيها بشعر قصير داكن، وأرسل الصور إلى جميع المكاتب مع أوامر بالقبض عليها".

"ما التهم الموجهة إليها؟".

"استخدام شارة مكتب التحقيقات الفدرالي بطريقة غير شرعية، وانتحال شخصية عميل فيدرالي، والابتزاز، والاعتداء على ضابط فدرالي، والقتل".

"يا إلهي، ناثان، ما المعلومات الذي حصلت عليها ولم تكن بحوزتك بالأمس؟".

"اتصل بي راندولف كول. لديه بعض الأخبار عنها".

"كول من الأمن الداخلي؟".

"أخبرني أن هؤلاء السّاعين وراء المجد لن يعترضوا طريقنا مرة أخرى، تأكدت من أنهم سيمنحوننا بعض الوقت للسماح لنا بحلّ هذه المشكلة".

سأل هارو: "لمَ كل هذا؟ ما الذي فعلته حتى يتدخَّل الأمن الداخلي؟".

"في الوقت الحالي، أنا... سوف...". وقد ساوره بعض الشك والريبة، لكنه صمت على الفور، وتابع سيلفرمان: "سأخبرك بكل شيء بالتفصيل بمجرد أن يسمح لي بوث بذلك".

"بوث؟ من بوث؟".

تجهَّم وجه سيلفرمان. "كنت أقصد كول. بمجرد أن يخبرني راندولف كول بكل شيء سأخبرك".

"عادةً، نتعامل مع مثل هذه الأشياء فيما بيننا فقط".

"إنها مسألة خطيرة للغاية. لذا أرسل نسخة للمركز الوطني لقاعدة بيانات الجرائم".

سيوزع المركز الوطني لقاعدة بيانات الجرائم اسمها وصورتها أمام مجتمع العدالة الجنائية برمته، من المدن الكبرى إلى وكالات الشرطة في المدن الصغيرة.

سأله هارو: "هل تقصد قائمة أوامر القبض المُعلَّقة؟".

"نعم".

"هل لدينا أمر بالقبض عليها؟".

"سيُصدره القاضي عما قريب".

# 3

انتظر دوغال تراهون حتى الساعة العاشرة قبل أن يتصل بغرفة جين، وبعد أن طلب الإذن منها، أتى إلى غرفتها لمناقشة أمر ما معها.

قال: "يمكن أن أموت اليوم".

"وأنا أيضًا".

"لا أريد الموت بهذه الطريقة".

تساءلت إذا كان يفكر بالانسحاب بعد أن وصلا إلى هذه النقطة، فسألته: "عن أي طريقة تتحدث؟".

أشار إلى انعكاس وجهه على المرآة المعلقة على باب الخزانة وقال: "هذه الطريقة".

أعطاها قائمة التسوق وبطاقة ائتمانه: "هل يمكنك أن تشتري هذه الأشياء؟".

قالت وهي تقرأ القائمة: "لماذا لا نذهب معًا؟".

"لا أعرف. لقد استيقظت للتو وأنا أشعر...".

"بماذا تشعر؟".

تجهَّم وجهه، وقال: "أشعر بوعي ذاتي؟".

"حول ماذا؟".

أشار إلى انعكاسه على المرآة مرة أخرى: "هل ستبتاعين لي هذه الأشياء، أم أنك ستستجوبينني كما يفعل المحققون؟".

"استرخ أيها السيد بيغفوت".

"لديكِ حس دعابة مثل تشارلين".

"إنها طيبة. أمهلني ساعة من الوقت. ولكن هل أنت واثق مما طلبت؟".

"بالتأكيد، سأنتظر في غرفتي".

"اترك لافتة -عدم الإزعاج- على بابك حتى لا تُصاب الخادمة بالفزع". أعادت له بطاقة ائتمانه. "بحوزتي ما يكفي من المال".

بدا منزعجًا نوعًا ما: "لا يجدر بك أن تدفعي شيئًا".

"لقد دفعتَ حوالى نصف مليون دولار أميركي للحصول على تلك السيارة التي أوصلتنا إلى هنا".

عندما عودتها من التسوق، بدآ بقصّ شعره. فقد ابتاعت قطعة قماش لتغطية أرضية الغرفة، وضع كرسيًا على قطعة القماش وجلس عليه، واستخدم مناشف الحمام ليصنع رداء حلاقة مؤقتًا فوق ملابسه.

اشترت أيضًا مقصًا ومشطًا مُسننًا فولاذيًا: "لن تكون هذه أفضل مرة تقص فيها شعرك".

"كل النساء الرائدات يحلقن شعور أفراد عائلاتهن، هيا باشري".

بدأت بتحديد المناطق التي يجب حلاقتها، وبدأت تقصها بقوة ثم ترميها أرضًا.

باستخدامها الحقائق حول مزرعة غ ز (غراوند زيرو) التي حصلت عليها جين من ويليام أوفرتون إلى جانب صور الأقمار الصناعية التي طبعها دوغال، وضعا خطة للدخول إلى المزرعة، ثم إلى المنزل، والخروج على قيد الحياة، لكنهما لم يناقشا بعدْ قضايا مهمة أخرى.

بينما كانت تقص شعره، سألها دوغال: "ما هي المعلومات التي ستستخلصينها من شينيك لتقود هذه المهمة إلى النجاح؟".

"لا يمكننا الدخول إلى مختبرات مينلو بارك مباشرةَ. لكن عندما يعمل من مزرعته، سيكون لديه وصول لأبحاثه وملفاته الأخرى المخزنة على حواسيبه في مينلو بارك. أريد منه أن يقوم بتنزيل مواصفات الزرعات النانويّة، وكل عملية تكرار للتصميم من اليوم الأول حتى النقطة التي يتم فيها الحقن وعملية التجميع الذاتي بشكل موثوق".

"هل سيكون هذا كافيًا للإيقاع به؟".

"ربما، لكنني أريد المزيد. قال أوفرتون إن شينيك يحتجز حيوانات القيوط في مزرعته بعد أن يعدلها، كما قلت لك، لذا لا بد وأنه يحتفظ بزجاجات محلول الحقن في المنزل. تُحفظ آلاف الأجزاء المتناهية الصغيرة لآلية التحكم عائمةً في سائل بارد، وهي مصممة بحيث لا يمكنها التجمع ذاتيًا قبل أن تصبح في بيئة تبلغ فيها درجة الحرارة ما لا يقل عن ست وتسعين درجة فهرنهايت، وتُحفظ لمدة ساعة على الأقل".

قال دوغال: "أي داخل حيوان ثديي حيّ".

مع سقوط كمية أكبر من الشعر المقصوص من رأس دوغال، قالت جين: "إن الأجزاء النانويّة من آلية التحكم مخصصة للوسط الدماغي، وخاصة مع تركيزات

الهرمونات المنتجة في الوطاء، عندما تعبر الشعيرات الدموية داخل نسيج الدماغ، تصبح في بيئة دافئة لبدء عملية التجميع الذاتي. سأحاول الاستيلاء على أكبر عدد ممكن من تلك الزجاجات. يُفضل واحدة من كل نوع - تلك الزجاجات التي تقلل من مستوى الوعي لدى الفتيات في أسباسيا، وتلك التي تحمل الأشخاص إلى الانتحار والقتل - بقدر ما يوجد من أنواع. يتعيّن علينا أن نسلمها للسلطات لتحليلها... في حال استطعت إيجاد سُلطة ما أثق بها".

"كم من الوقت قد يستغرق كل هذا؟".

"ليس طويلًا حالما يبدأ بالتعاون معي".

"ماذا لو لم يقبل؟ كيف سترغمينه على ذلك؟".

قالت: "سأرغمه".

"وإن لم ينجح الأمر؟".

"هذا يعتمد على حجم الألم الذي يستطيع تحّمله".

"أنت تتحدثين عن التعذيب، صحيح؟".

أدركت أنه كان يراقب انعكاسها على مرآة الخزانة. أجابت: "تعذيب من أجل مستقبل حرّ، ألسنا ساعين وراء وقف استعباد الملايين من البشر، وقتل الملايين غيرهم؟ إنه لأمر جليّ أن شينيك مثل إيموري واين أوديل".

من الواضح أن اسم قاتل أخته أزعجه: "أنا لا أقول إن التعذيب ليس مبرّرًا على الإطلاق. إنني أتساءل فقط... هل أنت متأكدة من أنك قادرة على فعل ذلك؟".

نظرت إليه عبر المرآة قائلةً: "قبل الذهاب إلى أسباسيا لم أكن قادرة، لكن بعدها تغيرت قناعاتي، أصبحت مستعدة للقيام بأي شيء من أجل وضع حدّ لهذا الأمر المرعب".

## 4

من هاتف الغرفة، اتصل سيلفرمان بمكتب الاستقبال، ومدد حجز جناحه لليلة أخرى، وهذه المرة باستخدام بطاقة ائتمان خاصة بالمكتب. أخبره حدسه أنه أيًا يكن الشيء الذي وُجدَ داخل الحقيبتين، ومهما يكن السبب الذي ربط جين بفينيل وروبرت برانويك، فقد انتهى عندما سقط برانويك على أرضية مطبخه ميتًا.

رجح أنها لا تزال في وادي سان فرناندو أو على الأقل في مكان ما في لوس أنجلوس الكبرى. أراد سيلفرمان أن يكون حاضرًا عندما يمسكون بها، بينما كان على وشك الخروج لتناول وجبة فطور متأخرة أو وجبة غداء مبكرة، رنَّ هاتفه.

إنه جون هارو: "هل تتذكر الليلة الماضية، في المطبخ في منطقة شيرمان أوكس، حيث وجدنا قلمًا على الأرض، ومفكرة على الطاولة؟".

"رأيت المفكرة لكنني لم أرَ القلم".

"أظهر مختبر الأدلة الجنائية وجود آثار كتابة محفورة بقوة على رأس صفحة المفكرة، ربما كتبها برانويك، ولكن يبدو أنه ضغط بقوة بالقلم كأنما كان مُكرهًا على ذلك".

"بمسدس مصوّب إلى رأسه".

"نعم، وبما أننا لم نعثر على الصفحة التي كتبها، فهذا يرجح أن أحدهم أخذها، وأعتقد أنه الشخص الذي أرغمه على كتابتها في الأصل".

استخدم العاملون في مختبر الأدلة الجنائية تقنية الإضاءة المائلة لإظهار الكلمات المكتوبة على المفكرة، إذ تتم طباعة تلك الكلمات وتعديلها على شكل صورة.

قال هارو: "أولًا، ثمَّة كلمة أو اسم هو أسباسيا". هجأها.

"وتحت ذلك، كُتب اسم ويليام سترلنغ أوفرتون".

"لماذا يبدو هذا الاسم مألوفًا؟".

"إنه محام لامع، متكبر، من الأشخاص الذين يرون أنفسهم وكأنهم سادة الكون، يبدو أن اسمه موجود على قائمة الأشخاص المتعاملين مع برانويك عندما كان يحمل اسم جيمي رادبورن، إننا نسعى الآن للحصول على أمر قضائي يتيح لنا تفتيش منزله، سيمنحنا القاضي أمر التفتيش. إنه في الكنيسة وسيوقعه هناك. إنه الأحد، هل كنت تعلم أن القضاة يذهبون إلى الكنيسة؟".

"سمعت بعض الشائعات".

"يعيش أوفرتون في بيفرلي هيلز، أنت موجود بالقرب منه، وأنا في طريقي إلى هناك، هل تريد أن آتي لاصطحابك من الفندق؟".

قال سيلفرمان: "سأكون بانتظارك أمام الفندق".

# 5

بعدما أفسدت جين شعر دوغال، عادت إلى غرفتها في الوقت الذي كان فيه يشذب لحيته، بواسطة آلة الحلاقة الكهربائية التي اشترتها له.

أثناء انتظارها له، جلست تبحث في صور غوغل إيرث الخاصة بمزرعة غ ز (غراوند زيرو)، عن أي ثغرة. بعد وقت قصير، اتصل دوغال ليقول إنه قادم إليها، ويفضّل ألا تُطلق عليه الرصاص.

عندما دخل غرفتها، بدا شعره أفضل من شعر كلوي، موظفة الفندق، التي قابلتها جين صباح يوم الجمعة، عندما طلبت منها جين التحقق من وجود شخصية شهيرة، كانت حيلة ابتكرتها لمعرفة ما إذا كان ويليام أوفرتون في المدينة. لن يقوم أحد بسؤال دوغال عن اسم حلاقه، ولكن في هذا العصر الذي تكثُر فيه تسريحات الشعر الجديدة، لن يلفت الانتباه إليه.

لقد استبدل بنطاله المُمَّوه، ببنطال جينز، وبدلًا من القميص ذي المربعات، ارتدى بلوزة زرقاء ذات عنق، وسترة سوداء لامعة مبطنة. لكنه لا يزال ينتعل حذاء ذا رباط. لم يبدُ بمظهر متألق من شأنه أن يدفع الناس إلى التقاط فيديو له ومشاركته عبر اليوتيوب.

قالت جين: "تبدو وسيمًا مثل الممثل جون واين".

في الواقع، من دون لحية، بدا دوغال، وكأنه أكبر بما لا يقل عن عشرة أعوام من عمره البالغ ثمانية وأربعين عامًا. كان حزينًا، وبالرغم من ذلك، ابتسم على مجاملتها، لكن وجهه لم يبدُ كذلك. في الواقع انطوت ابتسامته نفسها على شيءٍ من الأسى، بدا وكأن جسده بالكامل يعاني من الحزن والأسى منذ حوالى أربعين سنة. وابتسامة واحدة، وربما عشرة آلاف منها، لن تمحو شيئًا من الكآبة التي يشعر بها.

قال دوغال: "لا تجامليني. فأنا أبدو وكأن أجزائي جُمِّعت في مختبر، ونمت بعد أن عُرضت للضوء، لنخرج من هنا، ونتناول الغداء، بعدها سنقابل رجلًا لنتناقش معه بشأن مروحية".

# 6

في انتظار هارو أمام الفندق، لم يكن ناثان سيلفرمان قادرًا على فهم نفسه.

استمر في التفكير في ما قاله أنسيل هوك في تكساس: *جاؤوا إلى منزلها وهدَّدوها باغتصاب ترافيس وقتله، إذا لم تنسَ الموضوع.* وقد أكَّد ذلك ادّعاء غلاديس تشانغ أن جين أرادت بيع المنزل بسرعة، بغض النظر عن السعر، لأنها كانت تخشى أن يُصاب ابنها بمكروه، إلى جانب التهديد الضمني في حديث بوث هندركسون في مطار أوستن. حتى فترة قريبة، كان سيلفرمان مقتنعًا بأنها ضحية، وليست مجرمة.

كيف تسببت مكالمة هاتفية من راندولف كول من الأمن الداخلي في دفعه إلى قبول إدانة جين بارتكاب سلسلة من الجرائم؟ بالرغم من أن كول كان يتمتع بسمعة طيبة، إلا أن سيلفرمان لم يسبق له أن غيّر رأيه تجاه أي شخص بناءً على معلومات غير مؤكدة.

رغم ذلك، اتصل بجون هارو، وطلب تنفيذ إجراءات المكتب القاسية ضد جين. لماذا؟ هناك أيضًا حقيقة مزعجة وهي أنه لم يكن يتذكر بالتفصيل دليل كول عن التهم الموجهة ضدها.

بسبب حركة المرور السريعة على شارع ويلشاير بوليفارد، شعر سيلفرمان بالغثيان. شعر بالضياع كما لو أنه خرج من الفندق متوقعًا وجوده بمدينة أخرى على بعد ألف ميل من بيفرلي هيلز. أسند يده إلى عمود الإنارة ليتوازن، وشعر بشيء يشبه مما شعر به في تكساس، عندما وقف على شرفة منزل عائلة هوك محدقًا إلى مساحة هائلة من العشب البري تحت سماء بدت كبيرة وكأنها مقلوبة، وبأنه سوف يسقط من الأرض إلى السماء.

في حالته تلك، هناك سبب لما يشعر به: هذا الأفق غير المألوف الذي كان واسعًا جدًا إلى الحدّ الذي عزّز داخله شعورًا بمدى ضآلته مقارنة بسائر الأشياء. ولكن الآن، كانت المدينة وأصوات سياراتها تحاصرانه.، لذا يبدو أن ما من سبب خارجي مُقنع لما يشعر به. انقضى شعوره بالغثيان والتعب بسرعة، لذا أبعد يده عن العمود.

ربما ما كان ينبغي له تصديق ما ادعته غلاديس تشانغ بأن جين كانت خائفة على ابنها. على كل حال، إنه شخص غريب، كان معجبًا بها، إلا أنه لم يكن سببًا يدعو إلى الاعتقاد أنها كانت تراقب الناس.

لم يكن أنسيل هوك غريبًا بالنسبة إلى سيلفرمان فحسب، بل كان بعيدًا كل البُعد عنه، فقد بدا مرتاحًا وهو ينظر إلى السهول، التي بدت له مختلفة كل الاختلاف عن واشنطن والإسكندرية وكوانتيكو. بالإضافة إلى ذلك، لم يعرف أنسل إلا ما أخبرته به جين، ولم يستطع التحقق من صحة قصتها. لقد كذبت على مديرة الفندق في سانتا مونيكا، وادَّعت أنها عميلة تتابع قضية ما، ومن المؤكد أنها كذبت على برانويك وطاقمه، لأن الأكاذيب والخداع كانا من ضمن عملها. لذا في حال كذبت على بعض الأشخاص، فلا يوجد سبب يستدعي استبعاد فكرة أنها لم تكذب بسهولة على الجميع، وعلى والد زوجها، وعلى سيلفرمان كما هو الحال مع مديرة الفندق.

من جديد شعر بشيء من السخط الذي شعر به في وقت سابق وخيبة أمل كبيرة من جين، ولكن بشكل أكثر حدة وأكثر مرارة، شعور يُعكّر مزاجه وذاكرته بألوان داكنة.

وصل جون هارو بسيارة من المكتب، جلس سيلفرمان في مقعد الراكب الأمامي وأغلق الباب.

"سيلاقينا راموس وهوبرت عند المنزل مع مذكرة التوقيف".

كان سيلفرمان يعرف راموس وهوبيرت: "جيد. إذا أجبرت برانويك على إعطاء اسم أوفرتون لها تحت تهديد السلاح، فمن الأفضل أن نتوقع الأسوأ".

بدا هارو مندهشًا: "هل تأكدتم أنها من كان في منزل برانويك؟".

قال سيلفرمان: "آمل أن نكون مخطئين، ولكنني أشك في ذلك".

## 7

لم تكن تلك الزيارة الأولى لسيلفرمان إلى المنطقة، لكن انتابه شعور مختلف هذه المرة. منازل كبيرة، وحدائق واسعة، وأشجار ضخمة تتدلى أغصانها فوق الشارع. في بعض الأفنية، كانت أشجار الجاكرندا في طور الإزهار؛ زهور زرقاء تتسابق عبر الأغصان كألعاب نارية وسط مشهد مذهل، ولو كان الطقس مشمسًا، لكان منظرها أكثر سحرًا.

لكن في ظل الضوء الكئيب الناتج عن سماء ملبدة بالغيوم، بدا الشارع الجميل جنائزي المظهر، كما لو كان كل هذا - بما في ذلك المحيط العام - في فترة الغسق،

وكأن شيئًا جديدًا مزعجًا قد يأتي ليحلّ مكانه. لذلك، حتى عندما تكون الشمس مشرقة ذات يوم، فإن المشهد سوف يكون رماديًا وكئيبًا.

ركنا السيارة أمام منزل أوفرتون، وفي غضون دقائق، سلمهما راموس وهوبيرت المذكرة القضائية التي تتيح لهم التفتيش نظرًا لضرورة الحفاظ على حياة أشخاص من تهديد وشيك.

لم يكن ثمَّة سبب يدعو للافتراض أن مواطنًا مثل أوفرتون قد يشكل تهديدًا جسديًا لرجال الشرطة، بغض النظر عن الأعمال غير القانونية والقبيحة التي كان يرتكبها بصحبة روبرت برانويك. فهو محامٍ لامع يتخذ من النظام سلاحًا له وهو ذاته استخدمه ضد النظام، ولم يكن بحاجة للجوء إلى العنف، لذا لم يكن من الضروري الاستعانة بفرقة العمليات الخاصة.

بعد أن رنَّ هارو جرس الباب عدة مرات ولم يجب أحد، تجوَّل راموس وهوبيرت في أرجاء المنزل بحثًا عن أدلة تشير إلى أن شخصًا ما موجود في الداخل، إلا أنهما لم يجدا أحدًا.

باستخدام ملقط لوك آيدز لفك الأقفال، استطاعا فتح قفل الباب الأمامي، وعندما فتح هارو الباب، لم يسمع صوت الإنذار، وهذا ما أشار إلى وجود شخص ما في المنزل.

صرخ هارو بصوت عالٍ معرفًا عنهم بأنهم من مكتب التحقيقات الفدرالي، وأنهم دخلوا بموجب مذكرة تفتيش طارئ، لكن أحدًا لم يجب.

توهجت الأضواء في جميع أنحاء المنزل، كانوا بحاجة إلى شيء من الإنارة في هذا اليوم الغائم، لكن هذه الإنارة كانت تلائم الليل.

ساد الصمت المكان، وكان ثقيلًا لدرجة أنه كبت أصوات أقدام مفتشي الشرطة وهم يبحثون عن أي شيء على الأرض مع حرصهم على عدم لمس أي شيء. ظلَّ راموس واقفًا عند الدرج، بينما صعد الثلاثة الآخرون.

في الوقت الذي تَبِعَ فيه سيلفرمان هارو وهوبيرت إلى الطابق الثاني، بدا الصمت أشد وطأة، ومن خلال التجربة والحدس وربما الإدراك غير الواعي بوجود رائحة كريهة، شعر سيلفرمان أن هذا الصمت هو صمت الموت الذي يلف هذا البيت الأنيق، وتخيل أن يجد شخصًا مرتخي الفك عاجزًا عن الصراخ.

عندما دخلوا غرفة النوم الرئيسية، كانت الرائحة الكريهة لاذعة. ملابس ممزقة، وأربطة مقطوعة، ورأوا قطرات دم على أرضية الحمام المجاور، لم يكن ما رأوه مبشرًا بالخير بالنسبة إلى مصير ويليام أوفرتون.

في غرفة خزانة الملابس التي ظلت فيها المصابيح مضاءة منذ فترة طويلة، أصبحت الرائحة الكريهة نتنة. كانت الجثة ملقاة، وقد نزفت على سجادة باهظة الثمن، قد تكون هذه جثة أوفرتون، لكن يجب أن يتم تحديد الهوية من قبل الطب الشرعي.

بالنظر إلى مقدار التعفن؛ تَغيُّر لون أسفل البطن إلى الأخضر، وتغيُّر لون الرأس والرقبة والكتفين بصورة أقل، إلى جانب تورُّم الوجه، وانتباج أوردة الضحية لتعطي مظهر الرخام، يمكن القول إنه ميت منذ أكثر من ستة وثلاثين ساعة.

إن صح أن روبرت برانويك قُتل مساء الخميس، كما تشير حالة جثته، فقد قُتل أوفرتون في الساعات الأربع والعشرين التي تلت مقتل برانويك.

عادوا إلى بهو الطابق العلوي حيث اتصل هارو بشرطة بيفرلي هيلز للإبلاغ عن جريمة قتل. قال سيلفرمان: "هناك كاميرات مراقبة في الممرات".

"نعم. يجب أن نجد جهاز التسجيل".

قال سيلفرمان: "ثم سنعلم أنها الجانية". وقد تساءل لماذا لم يقل، ثم سنعلم إذا كانت قد فعلت ذلك أم لا.

لا بد وأنه قال ذلك بشكل بديهي، إنه واثق أنها هي، وكأن دناءة جين كانت العقيدة الأساسية لديانة جديدة نزلت عليه، وتشكلت بالكامل من وحي إلهي. سابقًا، كانت تنتابه مشاعر الإعجاب والعاطفة عندما يفكر بها. لكن الآن، يتخيلها قابعة في هالة مظلمة، والشر يملأ وجهها. سمع صوتًا يتحدث إليه، صوتًا داخليًا غير صوته، يصفها *بأم الأكاذيب*.

## 8

تقدم شركة فالي إير للمروحيات خدمات بيع وتأجير المروحيات للشركات والأثرياء، وتمتلك الشركة أيضًا مروحية خاصة بالإسعاف تعمل بموجب عقد مع عدة مستشفيات في مقاطعتي نابا وسونوما، ومروحيات مجهزة لخدمة رش المحاصيل أيضًا.

انتظر صاحب شركة فالي إير، روني فوينتس، في مكتبه الأمامي، بالرغم من أن اليوم كان يوم أحد. روني في أواخر العشرينات من عمره، بدا أنه يتحلى بثقة رجل مسنّ وسلوك شاب يافع.

صاح فوينتس عند رؤيته دوغال قائلًا: "لقد جهزت طلبك سيدي، هل تخطط لإعادة تجنيد الناس؟".

"هذا مستحيل، أيها الصغير، سأُعتبر شخصًا فظًا وفقًا لمعايير الجيش اليوم".

عندما قدَّم دوغال جين على أنها صديقته ومساعدته، أحنى فوينتس كتفيه قليلًا ومدّ يده: "إن الصداقة مقدسة في نظر الضابط تراهون كما الله مقدس في نظر كاهن طيب. لذا، يشرفني لقاؤك".

بدلًا من تزيين الجدران بصور لطائرات الشركة، اختارت الإدارة تعليق صورة كبيرة لآلات عسكرية وناقلات الجنود وفرق طبية وهي في المعارك حيث الفوضى.

قال دوغال: "إذًا، ذهب والداك في رحلة بحرية إلى جزر الكاريبي؟".

"نعم يا سيدي، بمناسبة الذكرى الخامسة والثلاثين لزواجهما، هل سمعت بذلك، تحدثت إليه أمي قبل عام حيث كانا يأخذان دروسًا في الرقص قبل الرحلة؟".

"كيتو فوينتس على حلبة رقص! لا بد أن يوم الحساب أصبح قريبًا".

قال روني: "إنها المرة الوحيدة التي كانت فيها دفاعاته ضعيفة، ادّعى أن من الفظاظة القول عن ضابط أنه يعرف الرقص".

"ربما رقص البريك دانس".

"إنهما يرقصان بشكل جيد يا سيدي. يجب أن تراهما وهما يرقصان الفالس والتشاتشا والفوكستروت". نظر إلى جين. "بالرغم من أن والدي لن يسمح لزميله القديم أن يراه وهو يؤدي ما يسميه *خطوات الصبي الراقي*".

بعد عدة دقائق، عندما بدآ النقاش حول الموضوع، قال دوغال: "يمكنك رفض ما أطلبه، أعدك بألا يتغير شيء بيننا، هل هذا واضح؟".

"فالي إير تفي دائمًا بشعارها". أجاب روني فوينتس وردد عبارات من أغنية قديمة لجو كوكر قائلًا: "نرفعك عاليًا في السماء إلى حيث تنتمي". بينما تظاهر دوغال بالألم.

لم يرفض فوينتس أيًا من مطالب دوغال، بالرغم من أنهما تناقشا بشأن المال، ولكن فوينتس أصرَّ على عدم المطالبة بأي أجر، في حين ألحَّ دوغال على دفع مبلغ كبير.

# 9

في منزل أوفرتون، أشرف عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي على عمل شرطة بيفرلي هيلز، إذ أكَّد رجال الشرطة على سلطتهم هناك، ولم يكن من الممكن أن يخفي اهتمامهم المبالغ فيه الإحباط الذي ارتسم على وجه كل شخص كان في المنزل.

كانت السماء فوق المدينة ملبدة بالغيوم، وكان أوفرتون هدفًا للتحقيق مع مكتب التحقيقات الفدرالي، ولكن لم تُوجَّه إليه أي اتهامات. من وجهة نظر قسم شرطة بيفرلي هيلز، فقد اعتُبرت هذه الحادثة جريمة قتل مواطن ليس إلا - إذ لا يشارك المكتب في التحقيق بقضايا القتل ما لم تكن الجرائم عابرة للولايات أو في حال قتل شخص فدرالي.

شعر سيلفرمان بأنه من الأفضل السماح للشرطة المحلية بالمضي قدمًا في عملية التحقيق، من أجل تسريع البحث عن أدلة أو ربما عن دليل يرشدهم إلى المكان الذي ذهبت إليه جين.

بالرغم من قناعته أنها قتلت برانويك وأوفرتون، إلا لم يمتلك حتى الآن سوى بعض الأدلة المقبولة التي تدعم إدانتها، وعلى نحو مماثل، كان يفتقر إلى نظرية الدافع والنوايا المستقبلية.

واصل سيلفرمان التفكير في مكالمة راندولف كول، والتي اعتبر بعدها جين خائنة بشكل رسمي. كان قد أخبر جون هارو بأن أمر القبض عليها سيصدر من القاضي بناءً على طلب من الأمن الداخلي في ما يتعلق بمسائل الأمن القومي، لكن عندما حاول أن يتذكر بقية ما قاله كول، بدت ذاكرته، التي كانت فيما سبق قلعة من الغُرف المضيئة، وكأنها انهارت لتصبح كهفًا صغيرًا مظلمًا.

بسبب ذاكرته المظلمة، والقلق غير العادي الذي يشعر به، اعتقد سيلفرمان أنه قد أصيب بشيء ما. لكن في كل مرة يشكّك بنفسه، كان ينتعش بشعور قوي من الثقة

بالذات إلى الحد الذي يبدو وكأنه محرض كيميائيًا. بالإضافة إلى انزعاجه من تقلبات مزاجه الحادة هذه.

كان راموس هو من لاحظ عدم عثورهم على أي هاتف محمول حتى الآن، ونظرًا لطبيعة حياة ويليام أوفرتون المهنية والشخصية، فإنه كان ليحمل هاتفه بالقدر نفسه من الحميمية التي قد يُحمل بها رضيع بين يدي أمه.

اقتصر اهتمام المحققون في البداية على الخزانة التي يرقد فيها الرجل الميت، والحمام الذي قُيّد فيه الضحية لفترة، وغرفة النوم. فُتشت كل الأدراج بعناية، وفُحصت محتوياتها بالنظر فقط دون تخريبها، خشية العبث بالأدلة قبل وصول وحدة التحقيق في مسرح الجريمة، ولم يُعثر على هاتف.

قال راموس: "في حال دخل المنزل من خلال باب المرأب، ربما ترك هاتفه في المطبخ".

اقترح هارو: "أو نسيه في السيارة".

ترك سيلفرمان هوبيرت في الجناح الرئيسي، ونزل بصحبة راموس وهارو إلى الطابق الأرضي، ولكن بحثهم لم يثمر عن أي شيء. انتهى الأمر بخروجهم إلى الفناء الخلفي، المُطل على الصالة الرياضية وحوض السباحة الهائل، وأخذوا يبحثون بين الكراسي والطاولات، في حال أمضى أوفرتون بعض الوقت هنا عندما عاد إلى المنزل. لكنهم لم يعثروا على الهاتف.

خمّن هارو: "لقد أخَذَته، لا بد أنه كان يحتوي على المعلومات التي تسعى للحصول عليها".

قال سيلفرمان: "إن كان الهاتف بحوزتها منذ ليلة الجمعة، فلا بد أنها استخلصت منه المعلومات التي تسعى إليها، وتخلصت منه".

قال راموس: "ربما لا. ربما ظنت أن أحدًا لن يجد أوفرتون قبل الاثنين، فظنت أن لديها متسعًا من الوقت".

وافق هارو على ذلك بقوله: "لنأمل أن يكون هذا صحيحًا، إذ يتضمن هاتف برانويك أسماء وأرقام هواتف زبائنه، بما في ذلك أوفرتون. إذا كان الأمن الداخلي يسعى للحصول على مذكرة باعتقالها، بإمكاننا الوصول إلى موقع هاتف أوفرتون

الحالي إن قدموا لنا شيئًا من المساعدة. إن احتفظت بالهاتف فسنقبض عليها".

في وقت سابق، وجدوا جهاز تسجيل كاميرات المراقبة مخبأة في خزانة المرأب، ولكن سبق لجين أن أزالت القرص والدليل على وجودها في المنزل. توقع سيلفرمان أن لا تكون جين أقل حذرًا بشأن هاتف الرجل الميت، ولكن الأمر يستحق تعاونًا مشتركًا بين الوكالات في هذا الشأن.

# 10

بعد تسجيل الخروج من الفندق قبل القدوم إلى فالي إير، تركت جين حقائبها وملف تقارير تشريح الجثة مع روني فوينتس، بالإضافة إلى محفظتها التي تحتوي على ستين ألف دولار، فالنقود ستكون عائقًا في المكان الذي سيذهبان إليه.

وكذلك ترك دوغال حقيبته مع فوينتس، بعد أن أخذ منها بندقية موسبرغ عيار 12 بالإضافة إلى علبتي ذخائر. وضع البندقية والذخيرة في المقعد الخلفي من سيارة الغوركا.

سألته جين وهي تغادر شركة فالي إير: "هل خدم والد روني، كيتو، تحت قيادتك في القوات الخاصة؟".

"لا. أنا من خدم تحت قيادته. كان الملازم الأعلى رتبة مني".

"وأنقذت حياته".

"انسِ الأمر، ما من شيء مهم بخصوصه".

"حسنًا. لكنك فعلت ذلك".

قال بتذمر: "لا تظنني بطلًا، فقد أنقذ كيتو حياتي مرتين قبل ذلك. ما زلت مدينًا له".

# 11

أجرى سيلفرمان مكالمة هاتفية مع وكالة الأمن القومي عندما كان يمشي بجانب مسبح أوفرتون البالغ طوله مئة قدم. نشرت الرياح بتلات نبات الجهنمية القرمزية على المياه رمادية اللون، فبدت مثل العظاءة، حيث بدا انعكاسه المموه وكأنه يلاحقه في كل خطوة كالشبح.

إن المنظمات غير العسكرية التي تتعامل مع الإرهاب والأمن القومي - وكالة المخابرات المركزية، ووكالة الأمن القومي، والأمن الداخلي، ومكتب التحقيقات الفدرالي - كانت منذ فترة طويلة تشعر بالحذر من التعاون المفرط بعضها مع بعض خشية التنازل عن بعض من سلطاتها. ولكن الهجمات الإرهابية المروعة في أوروبا وأمريكا الجنوبية في العام السابق، إلى جانب أربعمئة حالة وفاة في سياتل، شجعت مختلف الوكالات على التعاون معًا.

باعتباره رئيس قسم وحدات تحليل السلوك داخل مكتب التحقيقات الفدرالي، اتصل سيلفرمان بنظيره في وكالة الأمن القومي، موريس موما، لطلب تحديد عاجل لموقع الهاتف الذكي الخاص بويليام أوفرتون، وكان قادرًا على إعطائه الرقم.

قال موما: "لا مشكلة، في ما يتعلق بعملية الدفع، كل ما عليك فعله أن تُرسل إليّ أفضل موظف في قسم الموارد البشرية ومعه ستون مليون دولار".

متظاهرًّا أنه مستمتع بالدعابة البيروقراطية، قال سيلفرمان: "نحن بصدد التخلص التدريجي من العملاء في مكتب التحقيقات الفدرالي، وعلى أية حال لم يبقَ بحوزتي سوى ثلاثة دولارات من ميزانية هذا العام".

قال موما: "أنا ممتن لك امتنانًا أبديًا، سأعاود الاتصال بك قريبًا يا نايت".

عندما بلغ نهاية المسبح، توقف سيلفرمان وراح يحدق إلى المنزل. أما هارو وراموس فجلسا على مقاعد الفناء. بالرغم من أن الطقس كان غائمًا، إلا أن هارو كان يضع نظارة شمسية، وكان راموس يدخن سيجارة.

ناظرًا إلى هذا المشهد، شعر سيلفرمان بنذير شؤم، بالرغم من أنه لم يكن قادرًا على تفسير السبب، فهو يشعر بمزيد من القلق غير المبرر، إلا أن قلقه لم يكن له علاقة بجين.

في هذه الأثناء، كان موريس موما على اتصال بشخص من مركز بيانات يوتا، الذي بناه الأمن القومي واستُكمل العمل به في العام 2014، إنه بناء مسقوف يمتد على مساحة أكثر من مليون قدم مربعة. ومن بين أمور أخرى، كُلف مركز البيانات بمهمة رصد كل مكالمة هاتفية أو رسالة نصية، فضلًا عن عمليات الإرسال الرقمية الأخرى، وتخزينها لتحليل بيانات التعريف فيها.

لم تقتضِ مهمة وكالة الأمن القومي التنصت إلى المكالمات أو قراءة الرسائل النصية، لكنها امتلكت القدرة على فحص إكسابايت من البيانات الواردة بحثًا عن كلمات رئيسية من المحتمل أن تُشير إلى نشاط إرهابي وتحليل الإشارات من أصل أجنبي للاطّلاع على نوايا أعداء الأمة.

مثل السيارات المزودة بنظام تحديد المواقع العالمي، يحتوي كل هاتف ذكي على نظام تحديد الموقع ذي تعريف خاص، إذ يمكن تتبعه عبر الأقمار الصناعية بسهولة حيث يمكن للهاتف إرسال الإشارات وتلقيها، سواء كان قيد التشغيل أم لا. حتى في حال أخذت جين ما تريده من هاتف أوفرتون ثم تخلَّصت منه بعيدًا، سيكون بالإمكان معرفة موقعها عندما فعلت ذلك.

بعد إحدى عشرة دقيقة من اتصاله بموريس موما، رن هاتفه.

"الهاتف موجود في فندق يقع على مشارف نابا، كاليفورنيا". ثم أعطى سيلفرمان العنوان المفصل.

# 12

باتجاه مزرعة شينيك، وبعيدًا عن صخب الحشود في لوس أنجلوس، ظهر بسرعة جمال نابا الريفي الأنيق. شعرت جين كما لو أنها كانت تقود السيارة من الواقع - أو من الواقع كما عرفته - إلى الخيال، إلى مملكة يحكمها الظلام، وحيث تُلقى التعويذات التي لا توصف، وحيث يخدم الموتى الأحياء أسيادهم الأحياء.

يتفرع الطريق إلى مسارين يعبران السفوح، ظهر وادي الكروم الأسطوري إلى اليسار. أما غابات السنديان والبلوط الشاسعة فظهرت إلى اليمين خلف سياج ذهبي، عند اقترابهما من طريق ترابي موحل ذي مسار واحد، قال دوغال: "انعطفي يسارًا".

"هل أنت متأكد؟".

هزَّ كدسة صور الأقمار الصناعية في حضنه: "لقد حفظت هذه الصور عن ظهر قلب. هذا هو الطريق".

انعطفت جين إلى المسار الضيق. وقد طحنت عجلات سيارة الغوركا الحصى الموجودة على الطريق لترتطم بالهيكل السفلي للسيارة.

قال دوغال: "تُدعى التفرُّد".

"ما هي التي تدعى التفرُّد".

"النقطة التي ستندمج فيها الذكاءات البشرية مع ذكاءات الحواسيب بمساعدة تقنية النانو، عندما ينصهر البشر والآلات في الخطوة التطورية التالية. هناك العديد من الكتب التي تناولت هذا الموضوع".

"التفرُّد. يبدو هذا شيقًا".

"يقولون إنها ستغدو يوتوبيا، وأن الذكاء البشري بمساعدة الذكاء الآلي سيجعلاننا أكثر ذكاءً بألف مرة، ومن خلال الآلات النانوية الموجودة بالآلاف داخلنا والتي تزيل باستمرار اللويحات العصيدية في شرايين الجسم ومراقبة صحة الأعضاء وإصلاح الأذيات، سنعيش لقرون، وربما إلى الأبد".

"من هم الذين يقولون؟".

"مجموعة من الأشخاص فائقي الذكاء".

"حسنًا".

"أذكى مني. لقد واجهوا خمسة عشر اعتراضًا على متابعة العمل في مجال التكنولوجيا النانوية، ودحضوا كلا منها. يعتقد بعض النقاد أنه ليس ممكنًا، وهو إهدار للموارد، ويقول آخرون إن الأمر خطير، إن بدأت آلات النانو بنسخ الكتلة الحيوية لكوكب الأرض ستستهلكها بالكامل في غضون أسابيع".

قالت: "الفيديو الذي عرضه شينيك، الخاص بالفئران، يعرض تقنيات نانوية غير مستنسخة".

"لدى الأشخاص الأذكياء إجابات مقنعة لمنتقديهم".

تساءلت جين: "هل من بين تلك الاعتراضات الخمسة عشر ما يفسر كيفية ضمان ألا تُستخدم هذه التكنولوجيا القوية في خدمة الشر؟".

"لا، هذا ليس إحدها".

"آه، حسنًا".

"يبدو أنهم يعتقدون أنه كلما ازداد ذكاء البشر، نقص شرّهم".

"آه، حسنًا".

لفترة من الوقت، بدت الغابات أصغر، وبدت الأشجار متزاحمة. لقد سرقت الغيوم أشعة الشمس، ونسجت الأشجار على فاير رود خيطًا من الكآبة ولم تكن الظلال مفيدة.

كانت الغزلان تتجول على هذه التلال، لذا خفّفت جين سرعتها للحفاظ على سلامة الغزلان. في حال اصطدمت سيارة مُسرعة بوعل أو حتى ظبي فستتحطم بالكامل، لكن سيارة الغوركا المُدرعة هذه ستكمل طريقها فوق جسد ذلك الحيوان مباشرة، من دون أن يلحق بها ضرر.

لم يكن القلق بشأن السيارة هو السبب الذي دفعها لتخفيف سرعتها. هناك شخصان قتلا، حتى ولو كانا خبيثين كثعابين سامة بهيئة إنسان، ومن المؤكد أن مزيدًا من القتل قد يحدث، وربما تُقتل هي نفسها. لذا، لم تشعر بالرغبة في الخروج من السيارة لتطلق رصاصة الرحمة على أيل مشلول، كانت لديها قناعة غريبة بأن مثل هذه اللحظة ستحرك عاطفتها بخلاف أي شيء آخر.

قال دوغال: بعد قرابة ميل، ستنتهي الغابات، وسنرى أراضي مفتوحة، وتلالًا منحدرة، وبعد ذلك بميل أيضًا، ستنعطفين ناحية الغرب".

نظرت جين إليه، بدا أكبر من عمره، محطّم ومطارد، لكنه مع ذلك قوي، ومستعد، ومطمئن. لم تستشعر فيه أي خوف، بل ترقبًا سارًّا وهذا ما جعل الابتسامة تظهر وتختفي على شفتيه بين الحين والآخر.

"كنت بانتظار حدوث شيء كهذا".

حدّق إليها بنظرة شرسة، وتخيلته كم سيكون شرسًا في أرض المعركة من دون أن يكون قاسيًا، يتعامل مع الموت السريع دون تردد، لأنه كان يعرف أن هناك فرقًا كبيرًا بين القتل والجريمة.

"المطبخ المجاني، وبرامج ما بعد المدرسة، ومنع الأفلام الإباحية من المكتبات، كل ما قمت به عبارة عن تعامل مع النتائج وليس مع الأسباب، ولكنني الآن في حالة تتيح لي التعامل مع السبب وليس النتيجة".

# 13

بعد أن عَلِمَ من موريس موما أن هاتف أوفرتون المسروق كان في فندق ما في نابا، اتصل سيلفرمان لطلب استئجار طائرة نفاثة خاصة من شركة تأجير تعمل في مطار فان نويز. لقد سبق له أن تعامل مع هذه الشركة سابقًا. قد يواجه بعض المسائلات بشأن النفقات، خاصة مع وجود رسوم إضافية على الحجز في اللحظة الأخيرة، ولكن إن كانت هذه النفقات في سبيل القبض على عميل خائن، فلن تكون النفقات عائقًا كبيرًا.

باستخدام خطاف النافذة، ثبّت جون هارو مصباح التحذير، وأطلق صافرة الإنذار بشكل مستمر، وقاد ومعه سيلفرمان وراموس السيارة من بيفرلي هيلز إلى فان نويز عبر سانتا مونيكا بوليفارد وهوليوود فريواي، أي حوالى 24 ميلًا خلال 31 دقيقة ضمن حركة مرور مخيفة شبيهة بظهيرة يوم الأحد، بالرغم من مواجهتهم نداء دعم جرّاء حادث وقع بين ثلاث سيارات إلا أنهم لم يستجيبوا له.

عندما وصلوا، وجدوا بانتظارهم طائرة سيسنا سيتايشن إكسيل، وهي طائرة نفاثة متوسطة الحجم ذات ثمانية مقاعد، وبالرغم من أن الطيار كان على متنها، إلا أنهم اضطروا للانتظار أربع عشرة دقيقة حتى وصول الطيار المساعد. كانوا على متن الطائرة بعد ساعة واحدة فقط من تبلغهم من وكالة الأمن القومي المعلومات حول موقع هاتف أوفرتون، وفي غضون ذلك توجَّه أربعة عملاء من مكتب ساكرامنتو الميداني التابع لمكتب التحقيقات الفدرالي لمراقبة الفندق.

تضمنت مهام سيلفرمان حضور اجتماعات إدارية وسياسات بيروقراطية مملة أكثر من وجوده ميدانيًا. لذا عادةً ما كان يعمل بنشاط وبمعنويات عالية عندما يعمل بالخارج في خضم المعركة.

عندما تلاشت خلفهم ضواحي وادي سان فرناندو المتنامية، ازداد قلقه سوءًا، وبالرغم من أن كل خطوة خطاها حتى الآن كان يفترض به أن يخطوها، وبالرغم من كل ما احتاج لفعله، إلا أنه شعر أنه لا يسيطر على نفسه، كما لو كان عليه أن ينزلق بسرعة أكبر من أعلى منحدر زلق. لدى وجوده في تكساس في اليوم السابق، ولَّدت المساحات الشاسعة هناك شعورًا بداخله بأنه قد يطفو على تلك السماء الغامرة، واستعاد هذا الشعور عندما بدأت الطائرة بالارتفاع. أحس وكأنه أخف وزنًا خلال

دقيقة، وانتظر أن يتحرر من الجاذبية، بينما تخترق الطائرة الغلاف الجوي للأرض متجهة نحو الخلود، وتتوقف محركاتها عن العمل في فراغ الفضاء.

سأله جون هارو الجالس إلى جانبه: "هل أنت بخير؟".

"ماذا؟ آه. نعم. أنا بخير. أدركت للتو أنني نسيت الاتصال بزوجتي هذا الصباح، ومساء أمس".

نصحه هارو قائلًا: "من الأفضل لك أن تفكر بعذر ما، ولا تَعدْ إلى المنزل من دون أن تشتري لها شيئا ثمينًا".

"لا أعتقد هذا، لأن ريشونا ليست من هذا النوع. إنها متفهمة إلى أبعد الحدود".

"أنت رجل محظوظ يا ناثان".

أجابه سيلفرمان: "هذا ما أُذكّر به نفسي مطلع كل نهار". ولو أن كلماته بدت غير صادقة. كان قد بدأ يشعر مثل لاعب الروليت الذي لم يسبق له أن حصل على اللون الصحيح قطّ، سواء كان مراهنًا على الأحمر أو الأسود.

## 14

انتهى طريق فاير رود، وكشفت الغابات عن تلال ومروج خضراء كما ذكر دوغال. داخل سيارة الدفع الرباعي، خففت سيارة الغوركا من وعورة المنطقة، ثم على بعد ميل، مرًّا بضفة نهر كان واضحًا على صور غوغل إيرث. من المحتمل أن يكون مناخ هذا العام جافًا، ولكن في تلك الأثناء كانت المياه تجري فوق حصى صُقِلت بمرور الزمن. هنا، انعطفت جين غربًا، وتابعت القيادة إلى أن أخبرها دوغال بالتوقف في منتصف منحدر طويل.

خرجا معًا من سيارة الغوركا، وتابعا طريقهما سيرًا على الأقدام عبر مرج مغطى بالعشب تُزينه مجموعة متنوعة من براعم أزهار الزنبق، قفزت الأرانب من بين العشب هربًا منهما ربما لتراقب عبورهما، وترافق ذلك مع صوت الحشرات، ومنظر الفراشات ذات الأجنحة البرتقالية المُبقعة باللون الأسود.

بالقرب من القمة، تقدمت جين ودوغال على ركبتيهما بدلًا من السير على الأقدام، ثم أكملا الطريق زحفًا باتجاه القمة. على بعد مئة ياردة في الأسفل، يقع المبنى

الرئيسي في مزرعة غ ز (غراوند زيرو)، وهو كبير وقليل الارتفاع، مبني من الزجاج والفولاذ على الطراز الحديث.

على بُعد مسافة قصيرة، اختبأ جين ودوغال بين الأعشاب البرية ومعهما منظاران ثنائيا العدسات غير عاكسة كي لا يُكشف أمرهما. مسحت جين المنزل، الذي سبق لها أن رأته على شكل سطح وعدة طوابق عبر صور غوغل إيرث. ثمَّة طريق طويل في الجهة الجنوبية الغربية من المنزل الرئيسي يمتد إلى طريق المقاطعة البعيدة. في نهاية هذا الطريق الخاص، هناك منزل الحراسة، وهو المنزل الأصلي قبل شراء شينيك الأرض: منزل من الطراز الفيكتوري مكون من طابقين مع بعض الأثاث الخشبي البسيط. وفقًا لأوفرتون، يعيش ستة أشخاص ملقبين بالريشوس في ذلك المنزل، وهم من يقوم بالتنظيف والإشراف على أعمال الصيانة لكامل العقار، ولكن وظيفتهم الأساسية هي الحراسة.

كانوا رجالًا مثل الفتيات في أسباسيا، ولكن مستوى وعيهم خُفِض إلى مستويات أدنى، وتضاءل شعورهم بأنفسهم إلى حدّ كبير، وهم خاضعون بشكل كامل لأوامر سيديهم، بيريتولد شينيك وزوجته، *إنهم مبرمَجون*.

لم تكن هذه المزرعة مخصصة للعمل. ولم تعش فيها أي حيوانات، وبالتالي لم تكن مُسوّرة. تم تركيب مستشعرات الحرارة والحركة حول محيط المزرعة الذي يبلغ سبعين فدانًا مربعًا، وهي لا تصدر إنذارًا ما لم يتجاوز طول الدخيل ثلاثة أقدام، مع حرارة جسم واسمة تُشير إلى وزن إجمالي يبلغ مئة رطل أو أكثر. أدَّى هذا إلى منع الإنذارات الزائفة من قِبَل الذئاب وغيرها من المخلوقات التي لا تتطابق والمواصفات التي وضعت للدخلاء، بالرغم من أن الغزلان أحيانًا قد تُنبِّه عمل المستشعرات ما يؤدي إلى مجيء الريشوس مدججين بالسلاح للتحقق من الأمر. قال دوغال وهو مستلقٍ بجانب جين على القمة، ينظر إلى المنزل في الأسفل: "إذًا، تُدعى الشخصية في الرواية ريموند شو".

"في كتاب *المُرشح المنشوري*[1]. نعم. الكتاب والفيلم".

"لم أقرأ الكتاب، ولم أشاهد الفيلم".

---

(1) المرشح المنشوري رواية بقلم ريتشارد كوندون، نُشرت للمرة الأولى عام 1959. (المترجم)

"شو، هو أسير حرب في كوريا؛ غسل الشيوعيون دماغه، ثم أُعيد إلى الولايات المتحدة لاغتيال شخصيات سياسية، لم يكن على علم بما حصل لدماغه، لذا عند تنشيطه، يبدأ بالقتل ثم ينسى أنه فعل ذلك".

"إن آلية السيطرة هذه مُطبقة على كل هؤلاء الرجال، إذ تُمحى معظم ذكرياتهم، ويُبرمجون على القتل، يُطلق شينيك عليهم اسم ريشوس[1]. يا له من وضيع مختل. إنه ليس فقط خبيثًا وشريرًا. بل هو وغد".

متذكرةً دفاع أوفرتون عن شينيك لتسمية المزرعة باسم غ ز (غراوند زيرو)، قالت جين: "إنه مُعجب بدعاباته الصغيرة. ووفقًا لأوفرتون، فإن شينيك معجب بالكتاب والفيلم منذ أن كان في الرابعة عشرة من عمره. لم يكن معجبًا بالبطل أو بريموند شو، بل إن فكرة غسيل الدماغ هي التي أثّرت فيه فعلًا".

# 15

بعد ساعة من الطيران، هبطت طائرة سيسنا ستايشن إكسيل من بين الغيوم، وحطَّت في مدرج مطار نابا كاونتي. لم يشعر سيلفرمان بالارتياح لأنه عاد مجددًا إلى الأرض، ربما تركته المهمة القادمة يشعر بالفراغ بقدر فراغ تلك السماء الباهتة المرتفعة التي حلَّقوا عبرها شمالًا. مع اقترابهم من ضالّتهم، كان من المفروض أن يشعر بالرضا التام، والإثارة العالية، لكنه لم يشعر بأي من ذلك. إنه بحاجة إلى العثور على جين هوك، وهذا ما سيفعله، ولكنه لن يستمتع بالقبض عليها، فمع الاتهامات الموجهة إليها والمتضمنة الشروع بالقتل، ستتصدى له.

ذات يوم، تخيل أنه من المستحيل أن ترفع المسدس في وجهه، لكنه الآن يتخيل أنها قد تفعل أي شيء. فقد تخَّوف من أنها قد تفتعل شيئًا يضطر فيه إلى استخدام العنف ضدها، أو إطلاق النار عليها، على هذه الفتاة، التي يُحبَّها كما لو كانت ابنته.

بينما ترجَّل سيلفرمان من الطائرة ليعبر مدرج الإقلاع بصحبة هارو وراموس متوجهين نحو سيارة تابعة لمكتب ساكرامنتو الميداني، بدا عازمًا على شيء ما، وهو

(1) ريشو هو دمج بين الاسم الأول والثاني لريموند شو الشخصية التي تتحدث عنها رواية المرشح المنشوري.

القرار الذي فاجأه في البداية ثم تجاهله. لكن عندما استقلّوا السيارة متوجهين نحو الفندق الذي عثر فيه على هاتف أوفرتون، فكّر سيلفرمان في الاستقالة من منصبه حتى لا يضطر للرد على مقاومة جين بالقوة المميتة إذا ما تتطلّب الأمر ذلك. فهي قد خانته في نهاية المطاف، وخانت المكتب، وخانت بلادها. ففي حال اختارت في لحظة ما قبل النهاية أن تُقتل على يد شرطي، فإنه سيقيدها خوفًا من تأنيب الضمير. فهي لم تعد الشخص ذاته الذي عرفه، بل أصبحت غريبة وتُشكّل خطرًا على المجتمع وتهديدًا للأبرياء. في حال توجَّب عليه أن يسحب الزناد ويضغط عليه، فسوف يفعل ذلك دون تردد. إن عمله يقتضي ذلك. ولم يسبق له أن كان سهلًا على الإطلاق.

## 16

لو أن هذا الكون حيٌّ بالفعل، كما يؤمن البعض، ولو أن الأرض هي أم البشرية، لا بد أن قلبها بارد كالثلج، فالأرض كانت باردة حيث استلقت جين على العشب عند قمة التل، وامتصت تربتها الدفء من جسدها وعظامها. كان اليوم لطيفًا على الأرض، والشتاء يضمحل أمام قدوم الربيع، ومع ذلك فقد أصابتها السُّحب الرمادية بالقشعريرة، حتى أن صورة منزل شينيك عبر المنظار كانت تتأرجح كالسَّراب بينما اخترقت الرعشات جسدها.

سألها دوغال: "هل ترين شيئًا؟".

"لا".

قبل أن يبدآ بشنّ هجومهما، كان عليهما التأكد من وجود بيريتولد وإنغا شينيك في المنزل.

لم يتحرك شيء على طول السبعين فدانًا، باستثناء العشب والأشجار التي حرَّكها نسيم خفيف، ولدقائق بدا هذا المشهد وكأنه نهاية الحضارة، حيث هناك أشكال بشر ولكنهم ليسوا في الحقيقة بشرًا.

ثم... ظهر جسم خلف جدار زجاجي. في البداية لم يكن له شكل محدد، مثل ظلّ مُبهم مخيف في منزل مهجور. قرَّبت العدسة نحو النافذة، بدت وكأنها غرفة جلوس، امرأة ترتدي بنطالًا أبيض، وبلوزة بيضاء طويلة ورقيقة، تقف وكأنها على منصة لعرض الأزياء.

قالت جين: "في الطابق الأول، إلى اليسار".

قال دوغال: "إنني أراها".

"لكن أين هو؟".

اختفت المرأة خلف جدار الغرانيت... ثم ظهرت من جديد في المطبخ. قالت جين: "إذا كانت هناك، فبإمكاننا الافتراض أنه هناك أيضًا".

"إن أثرنا صخبًا، ولم يكن موجودًا، لن يكون لدينا فرصة ثانية".

"لديّ هاتف غير مُعرَّف. ومعي رقم هاتف المنزل. في حال أجاب على الهاتف، سأنهي المكالمة، وننطلق".

"وإن أجابت هي؟".

"حينها، سأدّعي بأني ليزلي غرانغر مرة أخرى، مساعدة كوني، سكرتيرة السيد أوفرتون، ولدّي سؤال موجَّه للسيد شينيك".

قال دوغال وهو يشعر بالارتياب: "في كلتا الحالتين، إذا ساورتهما الشكوك حول الأمر، فقد يمنحهما هذا دقيقة من الوقت لأخذ احتياطاتهما".

## 17

يتميز مكتب استقبال الفندق بوجود رفوف من الكُتيبات الترويجية التي ترشد السياح في نابا فالي إلى العديد من مناطق الجذب، وأغلبها معامل نبيذ. بدا المكتب مُرتبًا وتنبعث منه رائحة ذكية، كان عبارة عن مكان بسيط، لكنه مريح.

كان تيو باريرا، المدير العام، يعمل في مكتب الاستقبال في وردية تلك الليلة. مشهد عرض شارات مكتب التحقيقات الفدرالي جعلت أوردته تنبض وأمكن رؤية ذلك بالعين المجردة. أعطى سيلفرمان سجل الفندق والذي ذُكر فيه أن ضيفة أقامت في الفندق خلال الأربع وعشرين ساعة الماضية، ودفعت نقدًا مقابل الحجز. كانت تُدعى راشيل هارينغتون، ويفترض أنها من فورت واين في ولاية إنديانا، وقدَّمت رخصة قيادة صادرة عن ولاية إنديانا، وقد تأكدت موظفة الاستقبال الليلية من رقم الترخيص بالإضافة إلى العنوان. طلبت حجز غرفتين.

سأل جون هارو: "غرفتان؟ هل أتى معها أحد؟".

سأل سيلفرمان: "أمازالت هنا؟". رغم معرفته بأنها قد دفعت لليلة واحدة فقط، بحث باريرا في درج المفاتيح، وقال: "لا، لقد سلما مفتاحي غرفتيهما".

كرَّر هارو سؤاله: "هل أتى معها أحد؟".

لم يكن باريرا على معرفة بالجواب. عاش فيل أولني، الموظف في مناوبة الليلة الماضية، بالقرب من الفندق. استدعاه المدير عبر مكالمة هاتفية، ووصل أولني في غضون خمس دقائق، وهو ممرض متقاعد كان يعمل لدعم معاشه التقاعدي من خلال عمله في الفندق، بدا شعر رأسه الأبيض، وكأن مكالمة باريرا الهاتفية قد أصابته بصدمة كهربائية.

عندما عرض سيلفرمان صورة لجين بشعر أسود قصير، قال أولني: "نعم، إنها هي، يا لها من سيدة جميلة".

سأله سيلفرمان: "لماذا حجزت غرفتين؟".

"من أجل زوجها وولديهما".

سأله هارو: "هل رأيت أيًا منهم؟".

"لا، كانوا في السيارة".

قال سيلفرمان، موجهًا حديثه نحو سجل الحجز: "سيارة فورد إكسبلورير".

"هذا صحيح".

قرأ سيلفرمان بصوت عالٍ رقم لوحة الترخيص التي أعطتها للفندق، ما من شك أنه مزيف كعنوانها في فورت واين، دوَّن العميل الخاص راموس كل ذلك في دفتر ملاحظاته ذي السلك اللولبي الذي كان يحمله بيده.

سأل هارو فيل أولني: "هل رأيت سيارة الفورد إكسبلورير؟".

"لا يا سيدي. ولكنها كانت سيدة لطيفة، ولم تكن لتكذب، بدت الغصة في صوتها واضحة وهي تتحدث عن كلبها".

"عن ماذا؟".

"كلبها سكوتي، من نوع غولدن ريترايفر. مات منذ فترة قصيرة".

سأل سيلفرمان باريرا: "هل تم تنظيف الغرفتين؟".

"نعم، بالطبع. قبل ساعات".

"هل وجدت عاملة التنظيف هاتفًا جوالًا أو هاتفًا ذكيًا في أي من الغرفتين؟".

بدا باريرا متفاجئًا من السؤال، وقال: "لا. لكن الأمر مضحك. لقد عثرت عاملة تنظيف أخرى على جهاز آيفون في سلة المهملات في المطعم".

"أين هو؟".

"الهاتف؟ إنه محطم".

"ولكن أين هو يا سيد باريرا؟".

"أعتقد أنه لا يزال في حوزة عاملة التنظيف".

## 18

رأتها عبر النافذة العريضة عند المغسلة، مرتديةً اللون الأبيض الناصع، بوجهها الشاحب وشعرها الأشقر المرفوع والمُثبت، بدت إنغا شينيك كائنًا سماويًا غير ملائم لأعمال المطبخ.

حتى مع خاصية التكبير الزائد الذي يوفرها المنظار، لم تستطع جين إدراك ما تفعله تلك المرأة، ربما كانت تغسل الخضار أو الفاكهة.

قال دوغال: "الطابق الأرضي، إلى اليسار".

تبعت جين إرشاداته، فرأت شخصًا آخر يعبر جدار الأبواب الزجاجية بين الشرفة الخلفية وغرفة العائلة، من شبه المؤكد أنه رجل، ولكنه كان بعيدًا عن الزجاج، فلم تستطع حسم الأمر.

"أهذا شينيك أم أحد الريشوس؟".

اختفى الرجل وراء جدار الغرانيت، ثم ظهر في المطبخ. عانق إنغا من الخلف، وضمَّ ثدييها بين يديه، ودفن وجهه في رقبتها.

مالت برأسها إلى الوراء قليلًا كي يتسنى له ملامسة عنقها بالكامل. بعد أن دفعها، رفع رأسه؛ إنه بيريتولد شينيك.

## 19

تبلغ بيلار فيغا ثلاثين عامًا، إنها سيدة جميلة وقوية الشخصية، ولم تكن تشعر بالإهانة بسبب وظيفتها أو زيّ عاملة التنظيف الذي ترتديه، أو لكونها محط اهتمام

مكتب التحقيقات الفدرالي. زعمت أن الشرطة قد جاءت أثناء تنظيفها الغرفة رقم 36، بعد تسجيل خروج متأخر، إذ اشتبهوا بها خطأً كشخص دخيل غير قانوني.

قالت بفخر: "لطالما كنت *مقيمة* شرعية. منذ عام واحد فقط، أصبحت *مواطنة*".

قال سيلفرمان: "لسنا مهتمين بموضوع شرعية هجرتك يا سيدة فيغا".

"أملك الحقوق نفسها التي تمتلكونها، لا يمكنكم أن تسلبوني إياها".

لو لم يكن رئيسها تيو باريرا حاضرًا لطمأنتها، ربما احتاج سيلفرمان وهارو فترة أطول لتخفيف شكوكها حول دوافعهما.

قال سيلفرمان: "ما يهمنا هو الهاتف الذي عثرتِ عليه في سلة المهملات صباح اليوم".

قالت بيلار فيغا، وهي تشعر بالإهانة جراء هذا الاتهام: "لم أسرقه". ورفعت رأسها وذقنها عاليًا وأظهرت عينيها تحديًا، وتابعت: "أنا لستُ بسارقة".

قال سيلفرمان محبطًا، لكنه أدرك أن صبره هذا سيحقق نتيجة أسرع مما لو لجأ للترهيب: "لا يساورني أدنى شك في نزاهتك يا سيدة فيغا".

استغرق تيو باريرا وقتًا أطول لتخفيف حدِّة المرأة هذه المرة. وأخيرًا، بدت وكأنها صدقت أنهم يعتبرونها مصدرًا للمعلومات الهامة، وليس هدفًا.

"أتيت باكرًا إلى العمل، كنت أجلس في سيارتي خارج المطعم، أشرب القهوة. أتت امرأة ورمت شيئًا ما في سلة القمامة. بدا لي وكأنه هاتف محمول، ثم دخلتْ إلى المطعم".

أظهر لها سيلفرمان صورة جين.

"نعم، إنها هي. خرجت مع فنجان قهوة كبير وكيس بداخله شيء ما. بعد أن ابتعدت، نظرت إلى سلة المهملات، واتضّح لي أنه هاتف بالفعل".

قال سيلفرمان: "أتصور أنك لا تزالين تحتفظين به".

"إنه محطم".

"نعم، ولكنك تحتفظين به؟".

"لقد رمته، وهو ملكي الآن".

"ولكن، بما أنه مُحطم...".

"ربما يمكن إصلاحه، أعرف شخصًا يُصلح الهواتف".

قال هارو: "سيدة فيغا، هذا الهاتف مرتبط بجريمة".

"أي جريمة؟".

"جريمة قتل".

"من هو القتيل؟".

"لا يمكننا أن نُصرِّح بذلك، لكن يجب أن نحصل على الهاتف".

"لم تبدُ المرأة التي رمت الهاتف وكأنها قاتلة".

وافقها سيلفرمان قائلًا: "صحيح، هي ليست كذلك، لكن الهاتف دليل يا سيدة فيغا".

على مضض، أخرجت بيلار فيغا الهاتف من جيب تنورتها الخاصة بزيها الرسمي، وسلمته إياه.

هناك انبعاج على الغلاف الخارجي وكسر طفيف، لكن يبدو أن الشاشة لم تتلف بالكامل. عندما حاول تشغيله، ظهرت بقعة من الضوء الرمادي الباهت من أعلى الشاشة إلى أسفلها، مرة واحدة فقط، لكن لم تظهر الشاشة.

قال هارو: "لقد فسدت بطاريته".

قال سيلفرمان: "لم يعد هذا الجهاز هاتفًا، ولكن من الواضح أن نظام تحديد المواقع لا يزال يعمل".

رن هاتفه الخاص.، فأعطى الآيفون الخاص بأوفرتون إلى هارو وأجاب على الهاتف.

"سيلفرمان يتحدث".

"لنشغل المنشوري معًا، ناثان".

"نعم، حسنًا".

"معك راندولف كول من الأمن الداخلي، هل أنت بمفردك كي نستطيع التحدث؟".

كان المتحدث هو بوث هندركسون من وزارة العدل، رغم أن سيلفرمان كان يعلم أنه صوت بوث، وليس كول، فقد سمع نفسه يقول: أمهلوني لحظة.

ثم قال لهارو: "إنه الأمن الداخلي. ينبغي أن أتكلم على انفراد".

دخل الحمام، وأغلق الباب خلفه، وشغّل ماسورة الماء في الحوض ليحجب صوته عن الأشخاص الموجودين في غرفة الفندق المجاورة. وقال: "نعم يا سيد كول". وهو يشعر بالارتباك بسبب الأمر الذي دفعه لخوض هذه اللعبة مع بوث بهذه الطريقة.

"أخبرني بالمستجدات يا ناثان، هل حددت مكان جين؟".

"نحن نقترب منها، لقد قتلت رجلًا يُدعى ويليام أوفرتون في منزله في بيفرلي هيلز، ومن الواضح أنها قتلته ليلة الجمعة".

"أوفرتون؟ سترلينغ أوفرتون، المحامي؟".

"نعم. ويليام سترلينغ أوفرتون".

"يا إلهي. كيف تمكنت تلك الوضيعة من الوصول إليه؟".

"عن طريق روبرت برانويك، الاسم المستعار لجيمي رادبورن".

قال بوث هندركسون: "لا أعرف من هذا. لماذا لا أعرفه؟".

"رجل يعمل في الإنترنت المظلم، كنا نراقبه قبل أن نقبض عليه. تركناه يعمل لنرى إلى من سيقودنا، ولنعرف الأشخاص المتورطين معه، لقد استخدمه أوفرتون ليخترق ملفات شخص ما، لكن برانويك اخترق ملفات أوفرتون أيضًا. هل حقًا أنت السيد كول أم أنت بوث؟".

بعد صمت قصير، قال بوث: "لنشغل المنشوري معًا، ناثان".

"نعم، حسنًا".

سأله راندولف كول: "من أنا يا ناثان؟".

قال ناثان: "من أنت؟".

شعر بالحيرة من حقيقة أن رئيس الأمن الداخلي قد يسأل مثل هذا السؤال.

"أنت راندولف كول".

"قلت إنك على وشك أن تقبض عليها، أخبرني كيف سيحصل ذلك؟".

"عثرنا على الفندق الذي أقامت فيه ليلة أمس، نحن فيه الآن. لقد جلبت معها هاتف أوفرتون، وحصلت منه على ما تريده، ثم رمته في القمامة".

قال كول: "هل تعتقد أنه أطلعها على كلمة السر؟".

"بالنظر إلى الحالة التي وجدناه عليها، أعتقد ذلك، فقد أذاقته الأمرّين".

"أين يقع الفندق حيث أنت الآن؟".

"خارج نابا مباشرة".

"يا إلهي! إنها تسعى وراء شينيك".

"من؟".

أعطاه كول عنوانًا خارج المدينة، وقال: "هذا عنوان المكان الذي ستذهب إليه. اذهب الآن يا ناثان. اقتلها، اقتلها. يجب أن أجري مكالمة".

أنهى بوث المكالمة.

"كول. كول".

أنهى المكالمة.

سمع سيلفرمان صوت اندفاع. وكأن شيئًا ما يندفع نحوه. لا. إنه صوت الماء المندفع في الحوض. أغلق الماسورة.

لكنه لا يزال يشعر بشيء سريع يندفع نحوه.

# 20

بينما كان بيريتولد يسكب كأسين من نبيذ بينو غريغيو ليضعهما على لوح التقطيع بجانب حوض المطبخ، رنَّ الهاتف المُثبت إلى الحائط. سبق للهاتف أن رنّ عدة مرات قبل ذلك، لكنه لم يرغب بالمقاطعة. كما المرات السابقة، ترك الهاتف يرن حتى تحولت المكالمة إلى المجيب الصوتي.

نظرت إنغا إلى كأسها وابتسمت، لكنها تابعت غسل البطاطا. وقف بيريتولد يراقبها، حاملًا كأس النبيذ، هناك شيء مثير في الطريقة التي تداعب فيها درنات البطاطا بيديها الأنيقتين.

عادةً ما يقوم أحد الريشوس المُبرمجين بتحضير ألف وصفة ووصفة لإعداد الغداء والعشاء لآل شينيك عندما يأتيان إلى المزرعة. لكن في هذه الزيارة، كانت إنغا مقتنعة أن الريشوس لا يحافظون على نظافتهم الشخصية بالشكل المطلوب، وعلى

وجه الخصوص الشخص الذي يطهو، فهو لا يغسل يديه كفاية، وربما لمس أماكن غير نظيفة في جسده أثناء إعداد الطعام، ونتيجة لذلك، أصرَّت على إعداد وجباتهما ريثما يدرس بيريتولد المشكلة ويجد حلًا لها.

لكن بيريتولد لم يقتنع بأن الريشوش في طريقهم للتحول إلى حيوانات صغيرة قذرة، على حدّ وصف إنغا التي لاحظت انحرافات بسيطة في سلوكهم، الأمر الذي يمكن أن يُنبأ بكارثة وشيكة. إن إصرارها على صحة استنتاجها هذا وتذمرها حول الأمر برمته كان مزعجًا.

مجددًا رنَّ الهاتف المعلق على الجدار القريب، وبما أن الرقم لم يكن مدرجًا في قائمة اتصالاتهما، فقد تركاه يتحول إلى المجيب الصوتي. لقد صدعا بالمكالمات الهاتفية الأوتوماتيكية للذين يسوقون لكل شيء، من منازل الرحلات المشتركة الملكية إلى شرائح اللحم.

كونه طالبًا في فرع التاريخ، اعتقد لفترة طويلة أن الرجل الذي يسعى إلى الوصول إلى أوج القوة من المرجح أن يحقق طموحاته في حال كان لديه زوجة لا تقل طموحًا أو قوة عنه. فمهما يكن الرجل بارعًا، فإن شريكته التي تشاركه سعيه في الحصول على السلطة ستجلب معها إلى المؤسسة رؤية أنثوية ماكرة لا يُستهان بها.

ويا لتلك الميزة الإضافية في إنغا، بالإضافة إلى تعطشها غير المنتهي للحصول على مزيد من الثروة والمزيد من القوة، فإنها مثيرة بشكل لا يُصدق. العيب الوحيد في هذه الزوجة هو سعيها الدائم وراء تلبية رغباتها وملذاتها الخاصة، وهذا يستهلك وقته وطاقته.

في بعض الأحيان، اعتقد أن فتاة من أسباسيا يمكن أن تبرمج لتكون قوية ونشطة في مساعدة زوجها للوصول إلى القمة، ومع ذلك يمكن أن تبقى خاضعة له بشكل غير مباشر بحيث لا يضطر إلى إرضائها فيما يتعلق بمخاوف وهمية من قبيل أن الريشوش لا يغسلون أيديهم بشكل كافٍ.

سمع ضجيجًا، وهو ينظر إليها تُقشر البطاطا الأمر الذي بدا له أقل إثارة من غسلها، عندها نظر إلى السماء خلف النافذة.

في البداية، بدا الصوت أشبه بصوت المروحيات التي تنقل المغادرين من سيليكون فالي إلى منازلهم على هذه الأرض المليئة بالنبيذ والزهور.

رن الهاتف المثبت على الحائط، ثم رن مرة أخرى. رفع بيريتولد السماعة بصبر نافد: "من الأفضل ألا يكون المتصل أحد المسوقين عبر الهاتف".

قال بوث هندركسون، صديقهم الطيب في وزارة العدل: "إنها قادمة إليك".

كانت تلك الكلمات مُحيرة في البداية، لكن سرعان ما أدرك بيريتولد معناها، وأن الضجيج في الخارج لا يشبه صوت المروحية.

استفاض بوث بكلامه قائلًا: "الوضيعة جين هوك، إنها في طريقها إليك".

سألته إنغا: "ما الذي يحصل بحق الجحيم".

غيّر بيريتولد انتباهه من السماء نحو الأرض، حيث رأى تحركات على المرج الطويل المنحدر خلف المنزل تتجه نحوهما من بين الأعشاب وشجيرات الخردل البري، وهذا ما جعل أسراب الفراشات تطير هاربة. ما رآه بدا له نصف سيارة رياضية ونصف دبابة.

أسقط بيريتولد الهاتف من يده بينما أسقطت إنغا البطاطا والسكين، لأنه بدا وكأن السيارة المدرعة قد تصطدم بالنافذة والجدار، وتسحقهما على حوض المطبخ والخزائن لتصل إلى الغرفة الرئيسية، لم يكن بوسع آل شينيك الدخول في معركة منصفة، وخلال لحظة حاسمة فقدا القدرة على التفكير بسبب تغلغل الذعر فيها. ركض نحو اليمين وركضتْ نحو اليسار، ارتطما ببعضهما، واختلّ توازنهما، حيث بدا الأمر وكأنهما سيتعرضان للدمار الوشيك بدلًا من الهروب منه. أيًا كانت وجهتهما، فقد أصابهما هذا الهجوم المفاجئ بالشلل، إذ بدت هذه الكتلة المندفعة وكأنها غضب إلهي لا مفر منه نزل من السماء، أكثر من كونها سيارة.

بعد ذلك، انحرفت السيارة عن المطبخ، ومرت بين الحديقة والتراس لتخترق الجدار الخارجي، فهزت المنزل بالكامل، واخترقت غرفة الجلوس فتطايرت شظايا الزجاج اللامع، وبدت مثل وحش ليفايثان البحري الذي ينبثق من الزبد، مع ذلك، لم يبدُ الأمر بهذا السوء. كان باستطاعة هذه السيارة العملاقة أن تهدم الأرض لتصل إلى القبو لو كان هناك قبو في الأصل، لكن المنزل بُني فوق سطح صخري. بدلًا من ذلك، أخذت تنجرف إلى الأمام، تقذف جانبًا ما تعجز عجلاتها عن سحقه تحتها وهي في طريقها نحو غرفة الطعام والمطبخ، أصبحت أرضية الطابق أشبه بطريق للسيارات المشتركة.

يضم المنزل غرفة أمان موصودة بأبواب سرية وجدران من ألواح الصلب ولها إمدادات خاصة للهواء والكهرباء بحيث يمكن لبيريتولد وإنغا أن ينتظرا بأمان أثناء أي هجوم على المنزل، ولكن هناك مدخلين فقط لها، الأول في غرفة الجلوس والثاني في الجناح الرئيسي، ولكنهما عجزا عن الوصول إلى أيٍّ منهما أثناء اجتياح المركبة الضخمة غرفة الطعام ساحقةً زوجًا من كراسي الباليتشيك ومحولةً إياهما إلى نثرات، توقفت المركبة وأصدر محركها صوتًا أشبه بزفير نمرٍ من إحدى أساطير الكونغو.

فُتح باب الراكب الأمامي، وخرج رجل طويل يحمل رشاشًا، وجهه ملائم للأفلام السوداء[1]، وملامحه قاسية. حدق إليهما بعينيه الرماديتين.

لكن المرأة التي ترجَّلت من باب السائق هي من منحت بيريتولد سببًا للمرة الأولى كي يأخذ أمر موته بالحسبان. للحظة، تبادر لذهنه أنها لابد أن تكون فتاة من أسباسيا، وأن ذكاءها وشخصيتها ناجمان عن فشل آلية السيطرة لديها، إذ رمقته بعينيها الزرقاوين بنظرة متقدة مثل نار الانتقام التي أضرمتها سنوات المعاناة. لكنه تذكر كلمات بوث عن هوك الوضيعة والتي لم يدركها تمامًا في خضم الفوضى. إنها قادمة الآن، وهو يعلم مقدار الضراوة التي قاتلت بها خلال الشهرين الماضيين وسببت باستنفار جحافل من الباحثين، إنه يعرف أنها زوجة ذلك العسكري الذي كان ليصبح سياسيًا بعد تقاعده من الجيش، لو أن الحاسوب لم يحدده على أنه شخص قد يسبب المشاكل، ويحمله على الانتحار، هذه المرأة تمكنت قبل أن تبدأ حرب انتقامها من إخفاء ولدها عن الجحافل التي تلاحقها.

كانت جين تحمل بيديها مسدسًا، وتمد ذراعيها إلى الأمام أثناء تقدمها نحوه، تخيل بيرتولد أنه سيموت قبل أن يتمكن الريشوس من الوصول إليه وإنقاذه.

قالت جين: "إن لم تكن قد وضعتني على قائمتك السوداء (قائمة هامليت)، كان يفترض بك أن تفعل لأنني وضعتك على قائمتي".

---

(1) الأفلام السوداء: أسلوب في صناعة الأفلام الذي يتميز بعناصر مثل الأبطال المتهكمين، وتأثيرات الإضاءة الصارخة، والاستخدام المتكرر للذكريات، والمؤامرات المعقدة، والفلسفة الوجودية. (المترجم).

# 21

تحت السماء الواسعة والمظلمة، تسابقت سيارتا سيدان شرق الطريق السريع، إلى منطقة يقلّ فيها الجيران. انزلقت السيارتان في حركة دائرية قاسية على الطريق الخاص، وتوقفتا فجأة أمام بوابة ريفية صممت من قضبان حديدية قطر الواحد منها ثلاث بوصات. ترجل سيلفرمان وهارو وراموس من السيارة الأولى بينما بقي السائق في السيارة، وهو عميل في فرع ساكرامنتو. كان في السيارة الثانية ثلاثة رجال آخرين من مكتب ساكرامنتو الميداني.

في الخلف بعيدًا داخل المزرعة وأعلى التل، تحت رعد بدا وكأنه يقصف باتجاهه، هناك منزل كبير فائق الحداثة تطل شرفاته على الوادي، يبدو مثل سفينة زجاجية جرفها فيضان إلى هذا المكان.

بالقرب من البوابة هناك منزل متواضع فكتوري الطراز.

قبل أن يتمكن سيلفرمان من ضغط زر الجرس، فتحت البوابة الأمامية للمنزل الأقرب، وتقدم رجلان إلى الشرفة الأمامية، طويلا القامة، متينا البنية، حليقا الرأس، وجهاهما عديما التعابير، عيونهما يقظة كعيون كلاب دوبرمان مدربة للحماية والدفاع.

تقدم أحد الرجلين نحو البوابة في حين بقي الآخر على الشرفة الأمامية. أشهر سيلفرمان شارة مكتب التحقيقات الفدرالي: "نحن بحاجة لرؤية الدكتور شينيك على الفور".

"أنت لست مدرجًا ضمن قائمة الحضور".

سأله هارو: "من أنت؟".

بدلًا من تقديم اسم، قال الرجل: "الأمن".

كانت نظرة الحارس مباشرة بل حتى جريئة، لكن سيلفرمان لم يلحظ أي مشاعر فيه، تمامًا كما لو كان من دون مشاعر البتة، لم تكن نظرة شك كالتي تتطلبها وظيفته، ولا نظرة عدائية كامنة كالتي تدفع بعض الرجال إلى تولي هكذا وظيفة تقدم لهم عذرًا لارتكاب العنف بين الحين والآخر.

قال هارو: "اتصل برئيسك، نحن بحاجة إلى رؤيته على الفور، إنها مسألة حياة أو موت. حياته أو موته".

من مكان ما وراء المنزل الرئيسي، صدر صخب محرك سيارة، التفت الحارسان نحو الضوضاء.

قصف الرعد حاجبًا صوت المحرك، لكنه اختفى وسُمع دوي السيارة غير المرئية مرة أخرى.

بالإضافة إلى حجمهما وسلوكهما، فقد لفت انتباه سيلفرمان قدرتهما على المراوغة. بدا مظهرهما الرهيب والأسلوب المباشر أشبه بقناع، ودورهما كموظفين أمنيين ادعاء لا أكثر.

ارتفع صوت المحرك البعيد ليصبح هديرًا، تقدم رجل ثالث على شاكلة الرجلين الآخرين نحو الشرفة الأمامية، وخرج من الباب الأمامي المفتوح، نظر إلى أعلى التل باتجاه المنزل الرئيسي، ثم إلى هارو، ثم إلى سيلفرمان، بدا سلوكه أشبه بالآلة.

فجأةً، استشعر سيلفرمان أن قناعهم كان مجرد غطاء شفاف، وأن خلف القناع لا يوجد رجل مختلف بل محض فراغ. كان يعرف هذا لأنه رأى نفسه فيهم، كما كان في بعض الأوقات خلال هذا اليوم الغريب في فندق بيفرلي هيلز عندما استيقظ في حيرة، وعندما وجد المسدس الثاني داخل درج المنضدة، وعندما عانى من الغثيان أثناء وقوفه أمام الفندق بانتظار جون هارو، وعندما سَمِعَ صوتًا داخليًا ينادي جين باسم *أم الأكاذيب*، وعندما حلَّقت الطائرة من مطار فان نويز وبدأ يفقد الشعور بالجاذبية. في بعض الأوقات من هذا اليوم شعر بالضياع، وبدا حراس الأمن هؤلاء كأنهم يشعرون مثله، يشعرون بالضياع تحت أقنعة الطاعة والكفاءة. فكَّر بعلامة وخز الإبرة في وريده، والتي اعتقد أنها لدغة حشرة، وبراندولف كول الذي كان يتحدث بصوت بوث هندركسون، وبفكرة أنه نسي الاتصال بريشونا مرتين والتي كان على انسجام معها.

في لحظة بصيرة، فكَّر بأن هؤلاء الحراس الثلاثة كانوا بلا شك خاوين من الداخل، شكلًا من دون بُنية، ظلًّا بلا لون، وبأنه مثلهم إلى حدٍّ ما. لو أنه كان فارغًا من الداخل، وكان بوسعه أن يصبح شخصًا لم يكن عليه قطّ، إذًا فمن الممكن أن يحدث أي شيء. في الواقع، من الممكن أن يحدث المستحيل منذ الآن فصاعدًا. مع اكتشافه لحجم الرعب، تراجع مبتعدًا عن بوابة المزرعة وعن الحراس.

قال راموس: "ما الخطب؟".

قال جون هارو: "ناثان؟".

بينما تراجع سيلفرمان نحو سيارة السيدان والبوابة، توقف صوت المحرك من جهة المنزل الرئيسي إثر تصادم هائل، وصدر صوت لا ريب أنه ناجم عن تهشم ألواح الزجاج.

بينما كان البرق يلمع خلف الغيوم كضوء مصابيح سفينة ضخمة يمر عبر حبال الصاري، دخل جون هارو من البوابة الصغيرة، وصرخ بوجه أقرب حارس بأن يسمح بدخول السيارتين. لكن بينما تعاقب الرعد والبرق، عدا هارو مُسرعًا نحو البيت الرئيسي، وسرعان ما سحب الرجلان اللذان كانا على الشرفة مسدسيهما من تحت سترتيهما، وأطلقا النار على ظهره.

# 22

بموافقة دوغال على مرافقة جين، ربما هربًا من الماضي أو أملًا بإصلاحه، غامرت للقضاء على أحلك مستقبل شهده التاريخ. سمعت نبض قلبها لكنها تجاهلته، وتذوقت مرارة الخوف وابتلعتها.

عبر زجاج الجدار المهشم، وقعقعة الكرسي الخشبي المُحطم، هاربًا من رصاصات المسدس نحو الدرج ليصعد إلى الطابق الثاني، مشى بيريتولد شينيك مرتعشًا على ساقيه الواهنتين مثل خنفسة الروث التي انسلخت عن هيكلها الخارجي. بعد أن بدأ بتغيير العالم وحكمه من خلال القتل الجماعي واستعباد الناس، بدت عليه الشجاعة عندما خالف القوانين ودمَّر ألفي عام من الإجماع الفلسفي حول القيمة المتساوية لكل حياة بشرية معرضًا نفسه لخطر كبير. ولكن ما بدا، وكأنه شجاعة تبين أنه عجز في المنطق السليم، وإفراط في أهمية الذات، وقوة هائلة في الإيمان بعبقريته وعظمته. لكن لم يكن للأمر صلة بالشجاعة لا من قريب ولا من بعيد بل كان أعمالًا طائشة من شخص عادي نرجسي عاجز عن تصور فكرة فشله. فقد كان غزو منزله وقُربه من نيران الأسلحة كافيًا لتحويله من أسد إلى فأر مرتعد.

من جهة أخرى، مشت إنغا شينيك على الزجاج، وصعدت الدرج غير مكترثة لإطلاق النار عليها من الخلف، بدت وكأنها غير مرتبكة لما آلت إليه الأمور، بل بدا أن ثقتها بنفسها تعززت في ظل هذه النكسة.

"أنتما لا تعلمان مع من تتعاملان وما الذي تقحمان نفسيكما فيه، في حال قررتما المضي قدمًا في هذا، فستنتهي بكما الحال في غرفة عميقة، في عالم من الألم، ستُسلخان قطعة تلو قطعة، ما تقدمان عليه لا يمكن وصفه سوى بالغباء، وستدفعان ثمن غبائكما هذا، وستتوسلان من أجل الموت، سوف يتجاوز التاريخ الحثالة من أمثالكما. فنحن المستقبل، سنعيد كتابة التاريخ، ولن تُذكرا فيه، أنتما سقط متاع بشري عديم الفائدة".

في الطابق الثاني، سحب دوغال منضدة الرواق بعيدًا عن الحائط، وسدّ أعلى الدرج بها، واتخذ وضعية دفاع خلف الأثاث. مفترضًا أن الريشوس أوشكوا على الوصول.

تحت تهديد السلاح، سارعت جين إلى شينيك وتوجهّا إلى المكتب. هناك أمرته بالجلوس، وتشغيل حاسوبه.

أشارت إلى كرسي جانبي وقالت لإنغا: "خذيه إلى الركن هناك، واجلسي عليه، أديري وجهك إلى الحائط وظهرك إلينا".

زمَّت المرأة فمها في مزيج من السخرية والكراهية، وأمسكت الكرسي من ظهره، وكانت نواياها جليّة كما لو كانت قد أفصحت عنها.

حذرتها جين قائلة: "يجب أن تأرجحي الكرسي قبل رميه، ولكنك ستجدين نفسك في الجحيم قبل أن تفلته يدك".

وعدتها إنغا قائلة: "عندما تموتين، سأتبول على جثتك".

رمقتها جين باحتقار وقالت: "يا له من فم قذر، اذهبي إلى الركن أيتها الباربي الوضيعة".

بينما جلست إنغا على الكرسي، وظهرها إلى الغرفة، قصف الرعد في السماء من جديد معلنًا أن عاصفة أوشكت أن تهب، بينما تعالت أصوات إطلاق نار من مسافة قريبة. كان الريشوس يطلقون النار، ولكن على من؟

## 23

سقط هارو إلى الأمام فوق بقعة من الدم النازف من جرح في صدره، بسرعة طار سرب من الغربان عن الأشجار المجاورة ساخطًا من أولئك الذين عكَّروا صفو الهدوء، صفّقت الغربان بأجنحتها السوداء في السماء الرمادية.

في تلك الأثناء، شهر راموس وأقرب حارس أمن أسلحتهما في وقت واحد، لكن راموس كان الأسرع والأمهر تصويبًا، واضعًا رصاصة في وجه الحارس البارد، ونجا من موت وشيك متفاديًا رصاصة مرتدة أطلقها الحارس كرد فعل قبل أن يموت.

مع وجود سيارة السيدان التابعة للمكتب الآن بينه وبين المنزل، رأى سيلفرمان قاتلي هارو يقفزان من الشرفة ويتجهان صعودًا نحو المنزل الرئيسي، كما ظهر حارسان آخران من جانب المنزل الفيكتوري، أحدهما يحمل بندقية صيد والآخر يحمل بندقية من طراز عوزي.

انحنى سيلفرمان على الأرض ليحتمي خلف السيارة، تمامًا كما فعل السائق، الذي حرّك سيارة السيدان بالاتجاه المعاكس، إما لأنه نسي وجود سيارة خلفه وإما لأنه افترض أن السائق الآخر سيتراجع نتيجة هذا الموقف الصعب. تصادمت مصدات السيارتين، وتحطمت المصابيح الخلفية والأمامية للسيارتين، واستلقى سيلفرمان على الأرض خلف أول سيارة سيدان بينما بدأ الريشوس بإطلاق النار. تحطم زجاج نوافذ السيارتين، وتمزقت اللوحة المعدنية بسبب الرصاص الغزير، وتشقّقت اللدائن المدعمة بألياف زجاجية، وانفجرت الإطارات. صرخ الرجال بألم، ولكن لفترة وجيزة.

وجد سيلفرمان نفسه تحت سيارة السيدان من دون أن يتذكر كيف احتمى هنا، ثم نظر باتجاه المنزل. تراءى له راموس، وقد فقد جزءًا من رأسه، طالبًا مساعدة سيلفرمان بعينين شاخصتين بيضاوين تمامًا أشبه بعيون الأشباح.

رغم أن جزءًا من شخصيته السابقة لا يزال قابعًا في مكانٍ ما داخله، لم يشارك سيلفرمان بتبادل إطلاق الرصاص، لأن ضميره لم يحمله على التصرف بأخلاقية، وإدراكه السابق بالأمانة والإخلاص كان مشوشًا. فقد رأى انعكاس نفسه في الرجال الفارغين الذين يحرسون المزرعة.

للوهلة الأولى، بدا فراغهم مُرعبًا، لكن سرعان ما أصبح جذابًا بشكل سوداوي، جحيم روحي، لكنه أيضًا إنقاذ من اتخاذ الخيارات والسعي إلى القيام بالشيء الصحيح. بعد هدوء سيل الرصاص، بقي سيلفرمان في مكانه تحت السيارة. وسمع في داخله صوتًا خافتًا يهمس بأن هناك شيئًا واحدًا يحتاج إلى القيام به، وهو التعامل مع

من خانت بلدها، وخانت المكتب، وخانته. لا يوجد غموض أخلاقي، ولا يتطلب الأمر أي تبرير معقَّد لتصحيح الموقف. أنجزْ مهمة واحدة فقط، لتصبح خاليًا من الشك، خاليًا من الخوف الذي سيدوم مدى الحياة والذي يُدعى الهاجس، خاليًا من الندم. مهمة واحدة. *اقتلها. اقتلها. اقتلها.*

اضطر للخروج من مكانه بسبب صوت قطرات البنزين ورائحته من تحت سيارة السيدان قبل اندلاع حريق. ساد صمت كامل في أعقاب الأحداث الدموية إلى الحد الذي جعل المزرعة أشبه بديوراما[1] معروضة في صندوق زجاجي.

دوى الرعد بشدة في ذاك اليوم، وانهمر المطر.

سقط سائق السيارة الأمامية ميتًا خلف المقود، كذلك سائق السيارة الثانية. خرج عميلان آخران تابعان لمكتب ساكرامنتو من السيارة على قيد الحياة، وبسرعة هاجما حراس شينيك الذين نقص عددهم أيضًا. إذ أضحى الرجلان اللذان رآهما سيلفرمان يحملان بندقية صيد وأخرى من نوع عوزي إلى جانب الحارس الذي أرداه راموس مجرد جيف تنتظر عودة الغربان. من بين العملاء الستة الذين وصلوا إلى مزرعة غراند زيرو، لم ينجُ سوى سيلفرمان.

لم تُغضبه أو حتى تحرك مشاعره تلك المذبحة، كما كان ليشعر سابقًا، فقد بدا له الأمر مجرد حدث، وليس هناك من جدوى في التفكير به. وقف تحت المطر، بانتظار معرفة ما يجب عليه القيام به.

على بعد خمسين أو ستين ياردة من بوابة المزرعة، سارع حارس أمن آخر، سيرًا على الأقدام، إلى طريق السيارات الطويل باتجاه المنزل الرئيسي، من دون أن يعرف إن بقي أحد من رفاقه على قيد الحياة. حاملًا بيده ما بدا وكأنه بندقية أخرى من نوع عوزي.

بينما شاهد سيلفرمان الحارس وهو يتحرك بعيدًا عن الأنظار بين المطر الأشبه بالملاءات الفضية، رن هاتفه.

أنصت ثم أجاب: "نعم، حسنًا".

---

(1) الديوراما هو مشهد مصغر يستعاد على نحو ثلاثي الأبعاد عن طريق الاستعانة بالأضواء والألوان وما إلى ذلك. (المترجم)

# 24

كان جزء من القاعة العلوية عبارة عن صالة عرض مفتوحة على غرفة الجلوس والردهة في الأسفل. يصل بين الطابقين درج لولبي ذو درجات معلقة مع درابزين على الجانبين، وهذا ما أتاح لدوغال تراهون رؤية واضحة لجانبي الدرج من خلف اللوح الجانبي الذي وضعه أعلى الدرج، جلس دوغال ومعه بندقيتين ومسدس. وكان يعتقد أنه في موقع جيد ومُسلَّح بشكل كامل، ومع ذلك فقد أربكه تبادل الرصاص القادم من جهة البوابة.

هطل المطر بغزارة، بدا صوت المطر وكأنه حشد مؤلف من آلاف الأشخاص ينشدون على المسرح، الأمر الذي منعه من سماع الأصوات التي قد تصدر عن الريشوس لدى اقترابهم منه.

حتى مع مثل هذه الظهيرة الكئيبة، وجد النور الكافي سبيله إلى هذا المنزل قليل النوافذ، ولم يكن هناك مصابيح مضاءة في الطابق الأرضي، على خلاف المطبخ. الآن لفَّت العاصفة العالم، وكأنها ستائر من الخيزران، وانهمر الضوء الخافت عبر الغرف المفتوحة، حيث لم يحجب الأشياء فقط بل شوهها أيضًا.

في الأسفل، وللحظة فقط، بدا مصباح أرضي خلف كرسي في غرفة الجلوس، وكأنه رجل يعتمر خوذة، في الوقت الذي أصبحت فيه الرؤية أكثر صعوبة، أصبح من السهل الاعتقاد بأن الأشكال التي تنذر بتهديد تتحرك في الظلال منتظرةً الفرصة السانحة للهجوم.

في الواقع، لا يحتاج الريشوس إلى أعداد كبيرة لشنّ هجوم فعّال، لأنهم لا يخافون، فهم بمثابة كتيبة من الآلات التي لا تشعر بالألم، ولم يكن تراهون يعلم أنهم مستعدون للتضحية بأنفسهم كما لو أنهم ساموراي.

بدأ الهجوم عندما لمع البرق عبر السَّحاب المتجمد الأشبه بتلافيف الدماغ وعبر الغرف السفلية وأيضًا عبر النافذة العلوية فوق الدرج. من بين هذه الومضات المضيئة الشاحبة، ظهر أحد الريشوس في الردهة متجسدًا كنجمة خماسية، رجل طويل يحمل مسدسًا. حدَّق إلى دوغال، الذي رفع رأسه قليلًا أعلى المنضدة ليراقب الوضع في الأسفل. تحرَّك الريشوس المُسلَّح دون حذر نحو الدرج، وكأنه مستعد لتلقي

الرصاصة، جرأته جعلت دوغال تراهون يتردد، لأنه ظن أن مثل هذا التصرف يهدف إلى جعله يكشف موقعه، ليصبح هدفًا أسهل للريشوس.

## 25

انحرف مسار بيريتولد شينيك عن بلوغ السلطة، وسُلبتْ منه اليوتوبيا التي حلم بها. انحرفت إلى مسارات مختلفة. إنه يعيش الآن لحظة ليس فيها للعبقرية أي أهمية، وحيث لا يصلح المال أو العلاقات لأي شيء، ولا يستطيع العِلم إنقاذه، لم يعد قادرًا على تصنُّع الكبرياء. المسدس على بعد قدمين من رأسه، وجين تضع إصبعها على الزناد. قالت له إنها إذا لم تتمكن من تدميره وإذلاله علنًا، وسوقه إلى السجن، فستقتله بطريقة تحرص فيها أن يعاني إلى أقصى حدّ. لم يشك في صدق أقوالها، فلم يسبق له أن تعامل مع امرأة مثلها، إنها مجهولة بالنسبة إليه، وكأنها مخلوق من مجرة أخرى، لكن الشيء الذي يعرفه تمام المعرفة هو أنها تمتلك قوة الموت البغيضة وهي مستعدة لاستعمالها من دون أي تردد.

كان شعور الرعب الذي يملأه الآن، شعورًا جديدًا بالنسبة إليه، وهو الرعب الذي يحوله إلى حيوان تحركه غريزة البقاء. بينما كانت جين تطلعه على ما تتوقع منه أن يسترده من ملفات مشروعه ونسخها على الأقراص المحمولة التي أحضرتها معها، كان الخوف يستحوذ على بيرتولد وهو يفكر في الوقت الذي سيبقى فيه المسدس موجهًا نحو رأسه. لذلك لم يجرؤ على إخفاء حقيقة أن جلَّ ما تريده موجود بالفعل على الملفات المنسوخة على الأقراص المحمولة والمخبأة في المنزل. في أي لحظة، يمكن للريشوس أن يصلوا، وعندما تدرك أنهم سيمنعونها من الحصول على ما تريده، ما من شك أنها ستقتله.

شرح لها بصوت يبدو ضعيفًا ومرتعشًا للغاية لا يكاد يشبه صوته أبدًا وقال: "لقد أمضيت حياتي على هذا المشروع، لذا لديّ ملفات احتياطية أخرى في مواقع أخرى آمنة وليس هنا فقط".

بينما كان يدلي بهذه المعلومات، حاولت إنغا إسكاته وهي جالسة على الكرسي وتنظر إلى الركن، واصفةً إياه بالأحمق.

عندما تغضب إنغا لسببٍ ما، لا يوجد أحد يضاهيها بابتكار سيل من الشتائم. لكن كلامها لم يزعج بيرتولد بل الأرملة هوك، التي قالت: "اخرسي أيتها الوضيعة! لا أحتاج إليك مثل حاجتي إليه، إذا تفوهت بكلمة أخرى سأفجر دماغك".

في بعض الأوقات، رغب بيريتولد بتوجيه نوع من هذا التهديد لزوجته، ولو أن العواقب المحتملة كانت سببًا في ردعه عن القيام بذلك. وحتى مع شعوره بالرعب الآن، إلا أنه يشعر ببعض الارتياح لأن إنغا مثل أفعى مجلجلة واقعة في شرك، لم تتحدث بكلمة أخرى.

إن حصلت على ملفات المشروع الخاصة به، فيجب أن تحصل أيضًا على عينات المنتج النهائي. لذلك سألته الأرملة هوك عن الأمبولات التي تحتوي على مختلف أنواع آليات الأوامر. فقال بيريتولد: "إنها داخل إحدى الثلاجات الصب زيروز[1] في المطبخ على الرف العلوي".

مُخبَّأ خلف رفوف الكتب التي تمتد من الأرض إلى السقف بعرض 6 أقدام، وله قفل تعريف صوتي يستجيب لأمرين فقط. قال بيريتولد، بينما كان البرق ينبض في السماء مشكلًا ظلالًا لحظية عبر الغرفة: "تبدو الأمور كما أراها"، فبدأت الرفوف تُفتح كاشفةً عن لوح من الفولاذ المقاوم للصدأ، بعدها قال: "وقُل: إنها على غيتاري الأزرق". فارتفعت الألواح نحو السقف.

## 26

تسبب هطول المطر الغزير على السقف بصوت أشبه بطنين جنائزي مشؤوم، بينما صعد أحد الريشوس بسرعة، مراوغًا من اليسار إلى اليمين ومن اليمين إلى اليسار، وهو أقرب ما يستطيع الوصول إليه بهذه الطريقة المتعرجة من الدرج. لم يتمكن القاتل من تصويب الهدف بدقة وهو يتقدَّم بمثل هذه الطريقة؛ ولكن بدا من الغريب أنه لم يُطلق الرصاص، وكأنه جاء ليُقتل وليس ليَقتل.

برز دوغال من خلف المنضدة، وأطلق الرصاص من البندقية التي ارتدت نحو كتفه بعنف.

---

(1) أجهزة Sub-Zero أدوات كهربائية جيدة الأداء، والتصميم، والموثوقية.

أصابت الرصاصات الريشوس في صدره وبطنه. أسقط مسدسه، وانحنى على ركبتيه من دون أن يصدر صوتًا، كما لو أنه لم يتلقَ أي ضربة بل كأنه مريض استدعته الحاجة الفجائية للركوع والصلاة. في الوقت ذاته، وبشكل عجيب، وقف على قدميه، لكن بحركة متخلخلة، واستند على المنحنى الداخلي للدرج والدرابزين، ربما كان يرتدي سترة خفيفة مقاومة للرصاص تحت ملابسه كافية لردع معظم الرصاص أو ربما لم يشعر بأي خوف أو ألم.

خرج دوغال من وراء المنضدة وأطلق رصاصة، ألقت به إلى الخلف مقطوع الرأس، ترنح جسده في كل خطوة كفزاعة محشوة بالقش منزوعة من عصيِّها المتصالبة ومرمية نحو الأرض.

محتميًا بالمهاجم الأول، ركض المهاجم الثاني نحو الدرج، لكن هذه المرة لم يكن بقصد القتال. وقف عند المنحنى الخارجي للدرج، مجتازًا الجثة المُنهارة. كان بوسعه إطلاق بضع رصاصات أثناء تحركه، ثم الانحناء لحماية نفسه آملًا بإصابة أدق، لكنه لم يُطلق.

مرة أخرى خرج دوغال لمسافة أكبر مع اقتراب القاتل المفترض، وأطلق الرصاص، فقتله.

في صدى هدير البندقية، سمع صوت سلاح أوتوماتيكي. ظهر رجل ثالث، كان من المفروض أن يُشتت انتباه دوغال، بينما كان جاثمًا في الأماكن غير المضاءة في غرفة الجلوس، ويحمل بندقية من نوع عوزي وأخذ يندفع نحو الدرج، أما دوغال فقد سقط على الأرض وسط اندلاع ألم متوهج حجب المشهد أمامه ثم انحسر ليصبح بقعة من الضوء وسط ظلام دامس، وسَمِع نفسه ينادي باسم أخته الراحلة، "جوستين".

## 27

بحسب تعليمات جين، بقي الزوجان مكانيهما بينما توجهت جين إلى الخزنة، ووجدت الصندوق البلاستيكي الشفاف الذي يحتوي على الأقراص المحمولة الستة داخل ست فتحات مصنفة. اعتقدت جين أنها حصلت على ما تحتاج إليه، لأنه لم يكن من المرجح أن يضع العالم أقراصًا فارغة في الخزنة في محاولة لخداعها في حال قررت

الهجوم على المنزل. فضلًا عن ذلك، وفي أوج هذه الأحداث، أثبت هذا الرجل - صانع العالم الجديد - الذي امتلك صفات رجل قاسٍ كالحجر أنه رخو وهش كالزجاج.

احتوت الخزنة أيضًا على حزم من النقود، مثل خزنة أوفرتون في بيفرلي هيلز، بالإضافة إلى ذلك، احتوت على حقائب بلاستيكية فيها مئات القطع من الذهب بحجم أونصة، وجهاز تسجيل لحفظ الفيديو الذي تلتقطه كاميرات الأمن المنزلية. تجاهلت النقود وأونصات الذهب، واكتفت بسحب القرص المضغوط من جهاز التسجيل.

اعتقدت جين أن الجمل التي استخدمها شينيك في نظام التعرُّف إلى الصوت لفتح الخزنة لا بد وأنها أبيات شعر، لكنها لن تمنح ذاك اللعين أدنى فرصة للشعور بالرضا وسؤاله عنها.

بينما كانت تضع الأقراص المضغوطة وقرص الفيديو في جيب سترتها، حجبت طلقة رصاص صوت المطر على الفور، ثم طلقة ثانية، وثالثة، تلاها صوت رصاص سلاح أوتوماتيكي. صرخ شينيك فزعًا، وانزلقت زوجته من كرسيها لتذهب وتجلس خلفه في الركن.

هرعت جين إلى باب القاعة المفتوح، وعندما توقف إطلاق الرصاص، انحنت إلى الأسفل، وأخذت تبحث هنا وهناك، نحو اليمين، حيث كان دوغال مُلقى عند أعلى الدرج ساكنًا كرجل بانتظار نعشه.

سمحت جين لنفسها بالشعور بقليل من الحزن، لكن دون أن تسمح للحزن أن يضعفها. تراجعت إلى غرفة المكتب، وقفت بجانب الباب المفتوح، وظهرها باتجاه الجدار. أخرجت هاتفًا مؤقتًا من جيب سترتها الداخلية، وأدخلت الرقم الذي حفظته، ثم ضغطت زر إرسال.

أثناء وقوفه أمام شركة فالي إير، أجاب روني فوينتس: "هذا أنا". أبقت جين صوتها منخفضًا.

"الطقس سيئ".

انطلق صوت رصاصة أخرى، واحدة فقط هذه المرة.

قال روني: "ما لم يكن هناك من رياح فلا مشكلة".

"لقد سقط أرضًا".

"هل مات؟".

"لا أعرف".

"ست دقائق كأقصى حدّ".

وانقطع الاتصال.

تساءلت إن كان أحد الريشوس قد أطلق رصاصة الرحمة على دوغال.

وضعت الهاتف في جيبها.

وقفت وظهرها إلى الجدار، أمسكت جين المسدس بكلتا يديها، موجهةً فوهته نحو السقف، في انتظار ما قد يحدث بعد ذلك.

راقبها بيريتولد شينيك بعينين جاحظتين.

بعد أن حلَّلت معنى كلام جين من المحادثة الهاتفية، وقفت إنغا شينيك على قدميها من مكانها في الزاوية: "حسنًا، أنتِ وحدك الآن".

همست جين بوحشية قائلة: "عودي واجلسي على ذلك الكرسي".

فعلت إنغا ما طلب منها، لكنها جلست وكانت تنظر إلى الغرفة وليس إلى الركن، وهي تبتسم ابتسامة حادة كالسكين.

# 28

وسط انهمار المطر، تقدم سيلفرمان من غرفة الجلوس المحطمة إلى الجزء الأمامي من المنزل بعينين ميتتين كضحية أُغرقِت حتى الموت ثم انبعثت من قبرها المائي عازمةً على انتقام شيطاني. ترك مسدس خدمته في قرابه، وبدلًا من ذلك سحب مسدس كيمبر 45 من حزامه. وقف خلف الرجل الخاوي الذي يحمل بندقية عوزي، وعندها فقط لفظت بندقيته رصاصتها الأخيرة.

أخفض الرجل الفارغ سلاحه، وأخرج المخزن، ووقف يحدق إلى أعلى الدرج، وهو يخرج مخزنًا جديدًا من تحت سترته. بضربة من كفِّه، أدخل المخزن في بندقية العوزي، واستعدَّ للإطلاق.

أطلق عليه سيلفرمان النار في مؤخرة الرأس، واجتاز الرجل الميت تاركًا بندقية العوزي على الأرض.

بقي معه سبع رصاصات لإنهاء المهمة التي كلَّفه بها بوث - كول راندولف هندركسون، بوث هندركسون، راندولف كول، عندما رنَّ هاتفه قبل دقائق أثناء وقوفه بين القتلى عند البوابة الأمامية.

ساد الصمت باستثناء قرقعة المطر الغزير. بدا المنزل مغمورًا تحت ضغط المطر الشديد، وكأنه غواصة تتجاوز العمق الأقصى الذي صُممت من أجله. انبثق الضوء على نحو مائي ورمادي عبر النوافذ، وبدت الظلال مبلَّلة كعشب البحر الذي حركته تيارات بحرية هادئة. أثناء صعود سيلفرمان الدرج، شعر بثقل الهواء يزداد مع كل شهيق.

# 29

جين في مكتب شينيك، ظهرها إلى الحائط والباب المفتوح إلى يمينها. جلس العبقري إلى مكتبه واضعًا يديه على وجهه، مثل الطفل الذي يعتقد أن الوحش القابع في الخزانة سيتركه دون أن يلمسه طالما أنه لم ينظر إليه. إنغا في الركن، تراقب بحماسة، وشعرها مُتلَّبد بلون ذهبي فاتح كشعر إحدى إلهات معبد حجري ما على هيئة نصف بشر ونصف لبوة.

لمع البرق وقصف الرعد. لكن بالنسبة إلى قلب جين المُثقل، كان الصوت الوحيد الذي تسمعه هو صوت المطر الذي بدا وكأنه مثل أصوات أقدام مليون شخص يمشون باضطراب على السطح.

سُمع صوت من الممر: "مكتب التحقيقات الفدرالي. مكتب التحقيقات الفدرالي. لقد انتهى الأمر الآن. جين؟ جين هوك؟ هل أنت هنا؟ هل أنت على ما يُرام؟".

على بُعد ثلاثة آلاف ميل من كوانتيكو، وأربعة أشهر من الحياة التي سُلبت منها، سمعت صوت ناثان سيلفرمان، فشعرت بالارتياح، ابتعدت عن الحائط. ثم حذرت نفسها من أنه أثناء الأحداث السريعة، يجب أن يحكُم العقل على العاطفة، ثم تراجعت عن الخطوة التي خطتها، وألصقت ظهرها بالحائط مجددًا.

ظهر ناثان عند المدخل ونظر إليها، لم يسبق لها أن رأته أكثر كآبة وشحوبًا وصمتًا مما هو عليه الآن. قال لها: "جميعهم موتى، الرجال الفارغون وجميع العملاء المرافقين لي. كلهم موتى. هل أنتِ على ما يرام؟".

كان يحمل مسدسًا موجهًا إياه نحو الأرض، وليس مسدس الخدمة التقليدي الذي وضعه في قرابه، ثم مضى من أمامها باتجاه الغرفة. قال: "بيريتولد شينيك؟ إنغا شينيك؟".

ومع استدارته على كرسي مكتبه، ارتكب العالِم خطأً في خفض يديه عن وجهه، فأرداه ناثان برصاصة واحدة. نهضت إنغا على قدميها، وركلت الكرسي التي جلست عليه في الزاوية، احتاج ناثان إلى رصاصتين للإجهاز عليها. بصرف النظر عن طبيعة الوضع البائس، فلم يكن ثمَّة أي بروتوكول صادر عن المكتب يسمح بقتل المشتبه بهم العُزَّل.

بينما رفعت جين مسدسها من طراز هكلر أند كوش، أدار ناثان وجهه نحوها والمسدس في يده، ووقفا وجهًا لوجه، أقل من ست أقدام كانت تفصل بينهما.

سبعة أعوام من الاحترام والإعجاب، وسنوات عديدة من الصداقة منعتها من الضغط على الزناد، رغم علمها أن الشخص الوحيد الذي سيحظى بفرصة البقاء هو الذي سيُطلق النار أولًا.

انهمر المطر بغزارة، وردَّد البيت صدى الصوت، مرَّت ثوانٍ، ثم نصف دقيقة، حتى أصبح الوقت والرجل غريبان تمامًا عنها لدرجة لا تُحتمل.

قال: "لم يعد أحد بحاجة إليهما بعد الآن". انتظرته ليشرح ما قاله.

بعد صمت قصير، قال: "هناك آخرون لإكمال العمل، أقل تملقًا وأكثر مصداقية".

لقد كان ناثان سيلفرمان بلا شك، رئيس القسم، وليس مجرد شبيه له، عرفته جين كما عرفه الجميع، زوج ريشونا، وأب لابن وابنتين. لكنها خلصت إلى أن أمره قد انتهى، أصبح في الجانب المظلم.. إلا في حال حدوث أمر أسوأ له.

سألت: "كيف هو جارب؟". مستفسرةً عن ابنه. بقي وجهه عديم التعابير دون أن يجيب. "كيف هي شايا؟ أما زالت تحب هندسة الحدائق؟ لقد كانت موهوبة بذلك".

كانت عيناه مظلمتين كفوهة مسدسه، مثبتتين إلى عينيها بطريقة أكثر حدة من مبارزة التحديق.

سألته جين: "ليزبيث؟ هل حددتْ وبول موعدًا لحفل زفافهما؟".

تحرك فمه محاولًا نطق أفكاره، لكن لم ينبس ببنت شفة، ومع ذلك كان ليتحدث لو لم يعلم أنه وصل إلى الحد الذي تعجز فيه الكلمات عن استرجاع الماضي أو تغيير

المستقبل، وراح يبحث في عينيها كما لو أنه قد فقد شيئًا ما يمكن أن يجده فيهما.

"ابني.. ابني وابن نِك، ابننا في الخامسة من عمره". قالت وهي تجاهد للحفاظ على ثبات صوتها، لكنها فشلت في ذلك، وتابعت: "أنت تتذكر ترافيس. يريد مهرًا صغيرًا. راعي البقر الصغير".

أبعد مسدسه عنها. سمعت أزيز الرصاصة تمر قرب أذنها اليسرى لتثقب الجدار المتصدع، كادت أن ترديه، لكنها تمالكت نفسها فقط لأنها لاحظت أنه أخطأ الإصابة عن عمد. أطلق النار مجددًا، بمسافة تبعد إنشات عن الهدف وأعلى قليلًا، لكن بعد ذلك وجّه الفوهة نحوها حتى تراءت لها نظرة الموت في عينيه.

أيًا يكن ما أصبح عليه، فإن آلية التحكم خاصته كانت مختلفة عن تلك التي أمرت نِك أن ينتحر، هذا الحل كان أمرًا مستنكرًا بالنسبة إلى ناثان سيلفرمان. في النهاية، انهار وجهه الجامد بتعبيرٍ تلفّه المعاناة، انهمرت دموعه كسيلٍ من البؤس، واستطاع إيجاد كلمة لينطقها، كانت الكلمة اسمًا، والاسم كان ريشونا.

تمزق شيء ما داخل جين عندما فعلت ما يلزم فعله، ما كان يطلبه منها وعاجز عن إنجازه، لو أن شيئًا بغيضًا كهذا يمكن أن يكون بدافع الحب، فقد كان كذلك من جهتها، كي تحرره من جحيم العبودية، من استغلاله من قبل رجال غير جديرين بنطق اسمه لارتكاب أعمالهم القذرة. في جزء الثانية الفاصل بين الشعور والفعل، رأت في وجهه اليقين والراحة بأنها ستمنحه ما يريده. بثمن فادح ستدفعه من رصيد حبها له، أطلقت عليه الرصاص مرتين، وعندما هوى أرضًا، أطلقت مرة ثالثة حرصًا على أن تكون الشباك المنسوجة حول دماغه ومن حاك تلك الشباك عاجزين عن التحكم به بعد الآن.

# 30

عند نهاية الدرج، خلف منضدة الرواق المثقّبة بالرصاص، استلقى دوغال تراهون نازفًا وفاقدًا للوعي، نبضه ضعيف ومتسارع، لكنه لا يزال على قيد الحياة.

دفعت جين المنضدة جانبًا، واندفعت أسفل الدرج وسط القتلى الذين مزقهم الرصاص، لم تسمح لنفسها أن تأبه بما تصارعه خلال نزولها الجنوني.

فتحت الباب الأمامي على مصراعيه، وخطت خارجًا بينما كانت المروحية تحوم على ارتفاع منخفض قادمة من الجهة الجنوبية الغربية، وأجنحتها الدوارة تنسف المطر وماسحات الزجاج تمسح الماء عن زجاج مقصورة الطيار. كانت المروحية متوسطة الحجم ذات محرك ثنائي تتسع لتسعة ركاب لو أنها لم تُعدّل لخدمة الإسعاف الجوي التي تعاقدت من خلالها شركة فالي إير مع مستشفيات من مناطق عدة.

لو كان المطر مصحوبًا برياح قوية، كانت المروحية لتسقط، بالرغم من أن روني فوينتس شخصيًا كان يقودها عازمًا على القيام بكل ما يرغب به دوغال تراهون، لو لم تكن جين أو دوغال قد أصيبا بجراح خطيرة في ذلك الهجوم، ما كانا ليطلبا مجيء المروحية إلى المزرعة. الآن حطت المروحية، لم يكن بمفرده على متنها بل برفقة شقيقته البكر نورا، وهي طيّارة أيضًا وطبيبة سابقة في الجيش، وشريكة في شركة فالي إير.

كان دوغال رجلًا كبير الحجم. تطلَّب تثبيته وإخراجه من المنزل إلى المروحية مساعدة جين لنورا وروني. لم يُصدم الأخوان فوينتس من المذبحة داخل المنزل، ولم يُبديا أي رد فعل، واستمرا بالمناورة حول القتلى وكأنهما يتنقلان حول أثاث مُبعثر.

بينما كان دوغال على متن المروحية، وأثناء اعتناء نورا به، نظرت عبر الباب المفتوح نحو جين الواقفة في المطر. "هل انتهت الأمور بشكل سيئ؟".

"لا، لقد أنجزنا ما أتينا من أجله".

"أنا لا أسعى لمعرفة ما الذي أتيتما لأجله".

"أنت لا تسعين".

"هل أنت بخير أيتها الفتاة؟".

"سأكون بخير. لكن أرجو الله أن يكون دوغال بخير".

شُغِّل المحركان بالتتابع، وشرع الجناح الدوار بالالتفاف، وأغلقت نورا الباب.

تراجعت جين بعيدًا لمشاهدة المروحية ترتفع.

لم يكن بوسعهما أن ينقلا دوغال إلى المستشفى، لأنهم سيعلمون عاجلًا أم آجلًا بتورطه بالحادث الدموي في مزرعة غ ز (غراوند زيرو). وهذا من شأنه أن يعرّضه لخطر الإدانة بالقتل، والأسوأ من ذلك أنه سيثير انتباه ديفيد جيمس مايكل، الملياردير الذي موَّل مخطط شينيك، والذي ربما يموّل الآن آخرين تبنوا المهمة نفسها.

عندما يصلون إلى فالي إير، سيُنقل دوغال إلى منزل نورا، أملًا منها بإبقائه بحالة مستقرة ريثما يصل الطبيب الرصين والجدير بالثقة، بورتر واتكينز، بالسيارة من سانتا روزا، على بعد خمسين ميلًا تقريبًا؛ واتكينز، طبيب متقاعد في الجيش انتقل إلى ممارسة المهنة بشكل خاص، وقد أُعطي زمرتي الدم الخاصة بكل من جين ودوغال، في غضون فترة وجيزة، كان بوسعه أن يحصل على كمية كافية من الدم لعملية نقل دم كبيرة.

وقفت جين في المطر بينما كانت مروحية الإسعاف تُحلِّق فوق عشب الحديقة، متسائلة كيف حدث أن العالم قد انزلق إلى مثل هذا الظلام الحالي، لدرجة أن ثمَّة أشخاصًا، مثل فوينتس وبورتر واتكينز اللذين وثقا يومًا بالقانون، لا يزالون يأملون بإصلاح كامل له، لقد أدركوا هذا الواقع الجديد المشؤوم وباتوا مستعدين للمشاركة في نوع من المقاومة السرية عندما يُطلب منهم ذلك.

مع تسارع المروحية إلى الجنوب الغربي، هرعت جين إلى المنزل.

# 31

في غرفة الجلوس، التقطت بندقية العوزي. فحصت المخزن لتجده محشوًا بالكامل. كان ذلك سلاحًا متطرفًا، لكن هذه كانت أوقاتًا متطرفة أيضًا. رغم أنها أمِلَت ألا تحتاج إلى المسدس، إلا أنها احتفظت به.

أخذت وسادة مزخرفة من إحدى الأريكتين، فتحت سحَّاب غطائها، وأخرجت الحشوة الإسفنجية. صعدت إلى الطابق الثاني، عائدةً إلى مكتب العبقري، رغم أنها كانت تفضل التَّوجُّه مباشرةً إلى سيارة الغوركا عائدةً عبر الطريق ذاته الذي سلكته إلى المزرعة. لكن في هذا العالم الجديد، نادرًا ما يمكنك القيام بما تفضله بدلًا من القيَام بما عليك فعله.

لم تنظر إلى الجثث الثلاث، بل شقَّت طريقها مباشرةً نحو الخزنة المفتوحة حيث حَشَت غطاء الوسادة الفارغ بحزم من الأوراق النقدية من فئة مئة دولار. ألقت بعض العملات الذهبية فيها. إنها في خضم حرب الآن، ولطالما كانت الحروب باهظة التكاليف.

في الطابق السفلي، عندما دخلت إلى المطبخ، وجدت أن حيوانات القيوط قد غزته.

# 32

أبناء عم الذئاب، كانت لتبدو وسيمة في البرية. إنها تشبه الكلاب جدًا. لكن، في محاولة لعبور المطبخ خلسة، خطت فوق الزجاج المكسور بحذر شديد، كانت القيوط هزيلة ومكسوة بفرائها المطرية الرثّة، بعيون مضيئة وسط ظلام العاصفة، تستكشف بأنوفها اللامعة وألسنتها المتدلية، مثل الموتى العائدين من الجحيم مُطلقين العنان لأنفسهم نحو نهاية العالم. عندما رأتها القيوط، كانت شفاهها السوداء قد انسلخت عن أسنانها التي تهشّم العظام للحصول على النُّقي، وقد استقبلتها بأصوات زمجرة وخرخرة مهددة آملةً بسدٍّ جوعها.

أسقطت غطاء الوسادة المزخرف، واستلّت بندقية العوزي بيديها، وأطلقت النار حول سيارة الغوركا بنيّة قتل أحد القيوط على أمل أن تكون حكيمة كفاية لإدراك قوة متفوقة عليها أو أن تشعر بالخوف من الطلق الناري كي تهرب بعيدًا. في الواقع، هرعت القيوط متدافعة – خمسة وستة وسبعة منها – نحو غرفة العائلة عبر الفجوة التي أُحدِثت في الجدار الزجاجي.

عندما قفزت ودوغال من المركبة المدرعة لمواجهة شينيك، تركا الأبواب مفتوحة. التقطت غطاء الوسادة واتجهت نحو مقعد الراكب، ووضعت المال عليه، وأغلقت الباب.

في الفناء الخلفي، بدت القيوط وكأنها في خضم معركة شرسة مع شيء ما، كانت جين تراقب عن كثب الطريق إلى غرفة العائلة بينما تتجه نحو مقعد السائق في سيارة الغوركا. عندما فتحت الباب الخلفي لوضع بندقية العوزي، واجهت الوحش المتبقي الذي اجتاح السيارة في وقت سابق.

رفعت سلاحها العوزي عاليًا في الهواء، ليس بهدف إطلاق النار عليه بل لاستعماله كأداة للضرب، قفز القيوط نحوها مرعوبًا ليس بدافع الهجوم بل لإثارة الشغب ثم الهرب. سمعت أحد القيوط متجهًا نحوها من الخلف وسمعت صوت أسنانه ينهش مخزن السلاح بقوة، وشعرت بقدميه تخدشان سترتها، وشمّت رائحة فرائه القذرة قبل أن يركض مبتعدًا.

مرتعشة ولاهثة، تساءلت عما إذا كانت تلك اللحظة قد تحولت إلى شيء خارق للطبيعة، وعما إذا كانت مزرعة غراند زيرو ستكون مكان دفنها، أرادت الخروج من هناك بسرعة.

لكنها اضطرت إلى تحديد مكان الأمبولات التي تحتوي على آليات التحكم. كانت الأمبولات في الثلاجة الثانية على الرف العلوي، حيث أخبرها شينيك. كان هناك ست عشرة أمبولة كبيرة مصفوفة في حافظة إسفنجية، وكانت قد صُنفت بالترتيب.

توجّب عليها أن تحفظها في مكان بارد.

استمرت المعركة الشرسة في الفناء الخلفي. رُسمت في مخيلتها صورة للقيوط تتنازع مع دُب رمادي، بالرغم من أن هذه الدببة لم تعد تعيش في كاليفورنيا. تساءلت كيف لها الحفاظ على الأمبولات باردة؟

احتفظ بها شينيك بدرجة حرارة منخفضة عندما أحضرها إلى هنا من المختبر في مينلو بارك. ربما وضعها في مُبرِّد الستيروفوم، أو في ترمس تبريد، أو شيء من هذا القبيل.

تنبَّهت إلى عودة القيوط إلى الشيء الذي تتقاتل عليه، وجدت المُبرِّد في حجرة المؤن لذا ملأته بالثلج ثم وضعت الأمبولات داخله.

وضعت المُبرد وبندقية العوزي في خلفية الغوركا، فتحت الباب بقوة، وقفزت لتجلس خلف المقود، ثم أغلقته بقوة أيضًا، شغَّلت المحرك، وقادت بالعكس خارج المطبخ. تقدمت بالسيارة الأشبه بدبابة فوق الأثاث المُدَّمر وقادتها خارج المنزل عبر الشرفة إلى الفناء. لا يوجد دب رمادي. كانت القيوط تتنازع مع بعضها تحت المطر. وكان اثنان منها يأكلان أحد القيوط الذي قتلاه.

لو لم يفقد العالم صوابه، كان يفترض بالعيش في هذا الجزء منه أن يكون استراحة، ولكن الشخصين اللذين كانا يعيشان هنا، أفسدا الحيوانات وحولاها إلى مفترسة كما أفسدا الطبيعة ونفسيهما أيضًا.

قادت السيارة خارج الحديقة نحو الحشائش البرية إلى أعلى المنحدر الطويل حيث القمة التي راقبت منها برفقة دوغال المنزل بمنظاريهما. ركنت السيارة هناك ونظرت إلى الوراء. لم تتبعها القيوط لأنها كانت منغمسة في حربٍ ضد بعضها البعض.

لاحظت آثار دماء على يدها اليمنى. لم يسبق لها أن شعرت أنها مجروحة. بلغ طول الجرح نحو إنشين وكان سطحيًا، لم يكن بوسعها أن تتخيل إلا أن هذا الجرح ناجم عن ضربة سريعة بمخلب أحد القيوط.

حدَّقت ساكنة إلى الجرح لفترة طويلة. لم يكن هناك شيء يمكن القيام به في الوقت الحالي. كان الجرح سطحيًا. والنزيف خفيف جدًا، ولم يكن جرحًا كبيرًا. باستخدام الهاتف المؤقت، اتصلت بروني فوينتس مرة أخرى. كانت مروحية فالي إير قد هبطت، وكانا في سيارة نورا الخاصة من طراز رينج روفر ومعهما دوغال، على وشك ركن السيارة في المرأب.

قالت جين: "اتصل بالطبيب واتكينز. في حال لم يخرج بعدْ من سانتا روزا، اطلب منه أن يحضر بالإضافة إلى وحدات الدم التي يحتاج إليها دوغال، لقاحًا لداء الكلب".

"هل تعرَّض الرقيب للعضّ؟ ممن؟".

"ليس دوغال. بل أنا، وهو مجرد جرح سطحي".

بعد أن وجدت طريقها إلى الخلف عبرت المروج والغابات المفتوحة، وعندما وصلت إلى الطريق المعبد، خرجت واستبدلت لوحتي ترخيص السيارة التي كانت ودوغال قد أزالاها في الطريق إلى المزرعة.

توقف هطول الأمطار عند انتهائها من المهمة، ثم بدأ الليل ينقشع وراء الشفق تحت الغيوم الملبدة.

عند دخولها الطريق السريع وإنارتها المصابيح الأمامية، اعتقدت أنها سمعت صوتًا، وعندما أنزلت نافذة السيارة، كانت أصوات صفارات الإنذار التابعة للشرطة تخترق الهواء الصافي. إنها تعلم إلى أين هم متجهون، لكن ذلك لم يعنِ لها شيئًا، فطريقها كان بعيدًا عن طريقهم وفي اتجاه مختلف.

## 33

في العادة، تكون حظائر المروحيات ومدرجات الهبوط في شركة فالي إير قليلة الحركة أيام الآحاد، أما في الأيام الماطرة والعاصفة فتكون معدومة الحركة.

في الحمام المجاور لمكتب روني فوينتس، فحص الطبيب بورتر واتكينز جين بلطف وهي تغسل جرح يدها. رغم أنها كانت قد نظفته في وقت سابق، إلا أن واتكينز أصرَّ على أن تغسله مرة أخرى، تحت إشرافه، أولًا باستخدام الصابون والماء ثم بمحلول يود البوفيدون.

مرتديًا سترة رياضية مرقعة عند المرفق، وقميصًا مخططًا، وربطة عنق مصنوعة يدويًا، وبنطالًا مع حمَّالات، ويضع نظارة قراءة ذات نصف إطار مثبتة على نهاية أنفه حتى يمكنه النظر من فوقها، بدا واتكينز كأستاذ جامعي لمادة الشعر من عقد الستينيات أكثر من كونه طبيبًا.

قالت: "يجب أن تكون مع دوغال".

"حالته مستقرة. إنه واعٍ، سينجو. لقد نزف لكن لا يوجد ضرر واضح في أي من أعضائه. تستطيع نورا أن تراقب الوضع حتى عودتي. حسنًا، أصبح نظيفًا بما يكفي الآن، جففيه".

باستخدام حقنة تحت الجلد، حقن أضداد الغلوبولين المناعية البشرية ضد السعار، مسربًا كمية كبيرة حول الجرح في يدها، وحقن الكمية المتبقية باستخدام حقنة عضلية في الجزء العلوي من ذراعها.

"والآن حقنة أخرى. لقاح الخلية الضعفانية البشرية ضد السعار، في ذراعك الأخرى هذه المرة". أشعرها الترياق بالحرارة عندما انتشر عبر العضلة الدالية.

"يتعيّن أخذ اللقاح مرة أخرى. إنه ضروري. ثلاث مرات أخرى. الأربعاء. ثم مرة أخرى يوم الأحد المقبل. ويوم الأحد الذي يليه. أفضّل الإشراف على ذلك بنفسي".

"هذا مستحيل أيها الطبيب، فأنا بالكاد أملك الوقت للقيام بالكثير. سيتعين عليّ حقن نفسي".

"لا أفضل ذلك".

"أنا أعرف الطريقة".

"كنت قد غادرت سانتا روزا بالفعل عندما اتصل بي روني ليخبرني بالأمر. حصلت على هذا اللقاح من طبيب هنا. وصلاحيته شارفت على الانتهاء".

قالت: "لكنني لست كذلك".

"جميعنا كذلك يا سيدة هوك. أراك يوم الأربعاء. لأخذ الجرعة التالية".

"لا مجال للحديث المنطقي معي يا دكتور واتكينز. أنا أقدر المخاطر التي تتعرَّض لها، لكني عنيدة. سأقوم بحقن نفسي".

أعطاها حقيبة زيبلوك تحتوي على ثلاث أمبولات من اللقاح وثلاثة محاقن تحت الجلد في عبوات معقمة.

بينما كان يلف الشاش على جرحها، قال: "هل تعرفين أعراض السعار؟".

"أُراهن أنك كتبتها لأجلي".

"هناك قائمة بها إلى جانب أمبولة الترياق".

"ربما لست مصابة".

"هذا لا يهم. فقط تابعي أخذ هذه الحقن".. أمسك بحقيبة الطبيب الخاصة به وقال: "لقد أُعلمت أنني لن أقوم بأي شيء خاطئ مع أي صديق للسيد تراهون".

"أتمنى أن يكون هذا صحيحًا في حالتي يا دكتور. هل لي أن أسأل...".

"ماذا؟".

"لماذا تخاطر بالقيام بهذا العمل غير القانوني؟".

"أنا أشاهد الأخبار يا سيدة هوك".

قالت: "هذا يُفسِّر الأمر".

عندما غادر الطبيب واتكينز، ارتدت جين سترتها الرياضية، وانضمت إلى روني في المكتب المجاور، حيث عُلقت على الحائط صور للمروحيات العسكرية.

قدَّم لها زجاجة من البيرة. احتست رشفة باردة طويلة منها.

"كنتِ أول من سأل عنه دوغال عندما استيقظ".

قالت: "أخبرني أن من نعم الله عليه أنني ابنته، أخبره بأني فخورة جدًا لكوني كذلك".

ساعدها روني على حمل حقيبتها وحقيبة تقارير التشريح وحقيبتها الجلدية التي تحتوي على ستين ألف دولار. ثم قاما بتحميل كل شيء في سيارة الغوركا.

بينما قادت السيارة بعيدًا، نظرت عبر المرآة الخلفية. كان يُراقبها حتى وصلت إلى نهاية طريق فالي إير وابتعدت عن الأنظار.

# 34

عند أول محطة للشاحنات على الطريق السريع 5، زودَّت السيارة بالوقود، واشترت شطيرة من لحم الحبش والجبن وزجاجة من الكولا. جلست في سيارة الغوركا، فصلت أجزاء مسدس الهيكلر أند كوش بعضها عن بعض، ذلك المسدس الذي التي قتلت بواسطته كلا من روبرت برانويك، وويليام أوفرتون، وحررت روح الغالي ناثان سيلفرمان.

عبَّأت مسدس كولت 45 الذي أخذته من خزنة أوفرتون ليلة الجمعة، والذي سيكون الآن سلاحها. ينبغي عليها إيجاد مكان آمن لإطلاق النار مئة مرة حتى تعتاد على المسدس.

توجَّهت جنوبًا عبر سان خواكين فالي الشاسع والمنعزل، تذكرت دوغال في صمته الفظّ قبل اعترافه حين قادا شمالًا قبل أقل من أربع وعشرين ساعة، وقبل أن تسمع اسم أخته، جوستين.

كل خمسين ميلًا أو نحو ذلك، كانت تتوقف على جانب الطريق، حيث تخف زحمة السير، وتلقي قطعة من المسدس المُفكك في أحد الحقول، باستثناء مرة واحدة حيث رمت قطعة في بركة من المياه.

في آخر هذه المحطات، لاحظت أنها تركت السماء الملبدة بالغيوم خلفها. كان الوادي الواسع متوجًا بالنجوم، وأضاء قمر الغروب واعدًا بنور الغد. كشف الليل الصافي كزجاج الكريستال عن أضواء بعيدة للمنازل الريفية، تلك المجتمعات الصغيرة التي يعيش فيها الناس حياةً يعتبرها أصحاب النفوذ مضجرة إن لم تكن بائسة. كان كل هذا أعظم من قدرتها على الوصف إذ كانت مليئة بالروائع والإمكانيات. كانت ثمينة، تستحق الموت من أجلها.

بعد منتصف الليل، كانت قريبة من بوتونويلو، انعطفت عن الطريق إلى محطة أخرى للشاحنات. ركنت السيارة، واشترت الثلج للمُبرِّد، ثم نامت بأمان في المقعد الخلفي خلف النوافذ المعتمة. غفت قليلًا مُمسكةً القلادة التي أعطاها إياها ترافيس، وبقيت هكذا لساعات بعد أن استيقظت عند بزوغ ضوء الصباح. لم يكن بوسعها التأكد من أن الحجر الأملس قد جلب لها الحماية من الكوابيس التي حلمت بها. لكنها بالفعل حلمت بآلاف الكوابيس دون أن يوقظها أيٌ منها.

في مرأبه الضخم في ماليبو، ساعدها الممثل في نقل كل شيء من سيارة الغوركا إلى الفورد إسكيب.

قالت: "اعتقدنا أنها سوف تتلقى الكثير من النيران، لكنها لم تتلقَّ حتى رصاصة واحدة. مع ذلك، من الجيد الحصول على نوافذ مضادة للرصاص".

وجد بندقية العوزي أكثر غرابة أو أكثر إثارة من الحقائب، لكنه لم يبالِ بأيٍّ منها. كان سعيدًا لمعرفة أن رقيبه القديم لا يزال حيًا ومن المرجح أن يبيعه السيارة المدرّعة، لكنه لم يسأل عن الإصابة التي تهدد حياة دوغال والتي يتعافى منها حاليًا.

عندما كانت جين جاهزة للمغادرة، قال الممثل: "أولًا، لديّ شيء يجب أن تريه، وشخصًا يجب أن تلتقيه".

قالت: "جدولي مزدحم".

"جارِني بهذا يا سيدة هوك. فأنت مدينة لي بالقليل".

لم تعارض جين هذا بالتأكيد، بل رافقته إلى مسرح منزلي يحتوي على أربعة وعشرين مقعدًا كجزء من عملية إعادة إنتاج واسعة لدار سينما بأسلوب الآرت ديكو. لم تجلس، بل وقفت وسط الظلام الفاخر بينما كان يُشغِّل فيديو مسجل لتقرير من أخبار الصباح معروض على الشاشة الكبيرة. رأت صورة لها بشعرها الأشقر، ثم صورة لها كما تبدو عليه الآن، سمعت أنها تُوصف بعميلة مكتب التحقيقات الفدرالي الخائنة، مجرمة قاسية متهمة بجرائم وحشية ومشتبه بها في جريمتي قتل.

عندما دخل ناثان سيلفرمان إلى مكتب شينيك في نابا فالي، علمت بأن شيئًا كهذا ربما سيحدث، حتى الآن كانت تفكر في الوسائل التي قد تساعدها على البقاء حرة طليقة لفترة كافية حتى تتمكن من الوصول إلى ديفيد جيمس مايكل.

لم يفاجئها شيء عن التقرير باستثناء عدم وجود أي إشارة إلى وقوع حدث عنيف في مزرعة نابا فالي. ربما شعروا بأن ربط وفاة بيريتولد شينيك بها سيثير انتباه وسائل الإعلام الإخبارية، ويوجهها لاستنتاج روابط أخرى بين شينيك وفار هورايزونز، وبين فار هورايزونز وديفيد جيمس مايكل وملياراته، حتى يتوصل شخص ما في نهاية المطاف إلى أن تجارب الفئران التي تبدو غير ضارة تنطوي على إمكانات أكثر شرًا مما

قد تجلبه عمليات ازدراع الدماغ لدى الحيوانات.

عندما انتهى التقرير وأُشعِلَت أضواء المسرح قالت للممثل: "نعم، كان هذا أمرًا عليّ أن أراه، وأنا متأكدة من ذلك. والآن، أخبرني بأن الشخص الذي يجب أن ألتقي به لن يقبض عليّ".

رمقها بنظرة وقار وهيبة أقرب لأن تكون نظرة مدعٍ عام أو مستشار حكيم أو بطل خارق. "أنت لم تنتهي بعد مما عليكِ القيام به، أليس كذلك؟".

"لا".

"ولن تهربي إلى المكسيك".

"لا".

"يبدو أن هناك مجموعة من الأشخاص تطاردك، ولا يبدو أن هؤلاء الأشخاص جيدون، أليس كذلك".

"لا".

"هل لديك فكرة عن الفرص المتاحة أمامك؟".

"لا شيء تقريبًا".

حدَّق إليها مطولًا في حين لم تُبعد ناظريها عنه ثم قال: "عليك أن تلتقي بشقيقتي".

# 36

كانت شقيقة النجم السينمائي كريسيدا تمتلك سلسلة من محلات التجميل الراقية، وخطًا ناجحًا في مجال مستحضرات التجميل، لكنها ادَّعت، وهي تضحك، أنها لا تتمتع بأي خلفية في تنفيذ القانون، باستثناء أنها كانت ممن يخترقونه لفترة وجيزة في شبابها.

في حمام الضيوف، مع مجموعة من المواد الكيميائية وما أسمته المعدات ذات الجودة العالية، أزالت الصبغة السوداء عن شعر جين، واستبدلتها باللون الأشقر، ثم أضافت ما يكفي من التموجات لتظليل العين للاعتقاد بأنها امرأة مختلفة.

في وقت لاحق، في المرأب، بجانب سيارة الفورد إسكيب، قدَّم الممثل نظارة ذات إطار عريض لجين، فقالت: "نظري حاد كالصقر".

"سيبقى كذلك عندما تضعينها. إنها إكسسوار استخدمتها في أحد الأفلام وعدسيها مجرد زجاج. اشتري قبعات مختلفة واعتمريها. لا ترتدي دائمًا سروال الجينز وسترة رياضية، احصلي على ملابس متنوعة. فكّري بشخصيات وأدوار مختلفة يمكنك أن تؤدي دورها أو تقلديها بشكل ثابت، لا يتطلب الأمر سوى القليل، لمنع الأشخاص من التعرّف إليكِ على أنك بوني عشيقة كلايد التي يشاهدونها على شاشات الأخبار".

أعطاها بطاقة عليها هاتفه الخلوي. "لا يسعني إلا أن أقدم إليك نصائح بسيطة. لقد أديت دور عميل خائن في مكتب التحقيقات الفدرالي، لكنني لم أكن كذلك بالفعل. هل لديك مال".

"نعم".

"مال كافٍ".

"أكثر من كافٍ".

"أنت تعلمين أنه بإمكانك العودة إلى هنا في أي وقت، أليس كذلك؟".

لقد أدركت جيدًا أن الناس لا يَعُون دائمًا سبب أفعالهم، حتى عندما يعرفون دوافعهم الحقيقية، فإنهم في الغالب يكذبون على أنفسهم بشأن هذه الدوافع. لكن بالرغم من ذلك كان عليها أن تسأل: "لماذا تفعل هذا؟ لديك الكثير لتخسره، فلماذا تخاطر؟".

"من أجل رقيبي القديم".

"فقط".

"لا".

"حسنًا، لماذا؟".

"عندما تؤدين دور الرجل الجيد الذي يظهر في الوقت المناسب في عدة أفلام، ستصلين إلى مرحلة تفرض عليكِ إمّا أن تحاولي فيها مزامنة حياتك الحقيقية مع الدور الذي تلعبينه أو الاعتراف بأنك من أكثر الأشخاص زيفًا على الإطلاق".

أخيرًا، ابتسم لها ابتسامة القاتل الشهيرة. وهذه المرة رأت فيها أضعف حالات الحزن، وأدركت أنها السبب وراء نشوة الملايين وكسر قلوبهم في الوقت ذاته.

## 37

ركنت السيارة في مخزن تجاري في سانتا مونيكا حيث استخدمت هاتفًا مؤقتًا للاتصال برقم والدها غير المُدرج في القائمة. لكن الاتصال تحول إلى البريد الصوتي، كما توقعت. لم تتحدث معه منذ وقت طويل؛ والآن تركت له رسالة وهي على يقين بأنه سيسارع لتشاركها مع السلطات.

"أنا آسفة إذا كانت هذه الأخبار السيئة ستؤثر في مبيعات التذاكر لجولة حفلاتك الحالية، لكن هذا أقل ما يثير قلقك. كلانا يعرف حقيقة ما حدث منذ زمن بعيد، وكلانا يعرف أني بهذا الوقت القليل المتاح أمامي، آخر ما أردت فعله هو أن أجلب عواقب تلك الليلة الوخيمة إليك مباشرة".

في بعض الأحيان، تكون الطريقة الوحيدة لضمان سلامة هدفك الحقيقي هي التضليل.

رمت الهاتف في مصرف مياه.

## 38

على الطريق مرة أخرى، وباستخدام هاتف مؤقت آخر، اتصلت بغافين وجيس واشنطن، لإعلامهما بأنها قادمة، لكن أيضًا لتحذيرهما من أنها لا تملك الوقت الكافي لزيارتهما. كانت حياتها الآن كمزلقة بطول ألف ميل، أشبه بمنحدر غدَّار وعميق لدرجة تجعل نجوم التزلج الأولمبيين يتوسلون للخروج من السباق. لم تكن تريد إحباط ترافيس بزيارة تستغرق ساعة واحدة فقط، الأمر الذي سيوقد حنينه إلى لمّ شمل دائم.

بعد حلول الظلام، توقفت جين عند رأس الطريق الخاص بمنزلهما، بعيدة عن أنظار المنزل وراء صفوف من أشجار بلوط كاليفورنيا. عند الساعة 9:40، خرج غافين إلى السيارة ليخبرها بأن الصبي نائم. وعادا معًا إلى المنزل، حيث انتظرت جيس على أحد الكراسي المتأرجحة على الشرفة، وجلس الكلبان بجانب قدميها.

دخلت جين المنزل وحدها.

كما اعتاد سابقًا، نام والمصباح مُضاء، يا لهذه البراءة في ظل هذا الفساد، صغير وضعيف البُنية للغاية في هذا العالم الصلب المحكوم بقبضة القوة العدوانية.

عندما حملته في بطنها، لم تكن تتصور أنه بحلول الوقت الذي سيكون فيه قد بلغ الخامسة من عمره، سيكون العالم الذي جلبته إليه مظلمًا إلى هذا الحدّ. فالأطفال هم العالم كما يُراد منه أن يكون، وهم بمثابة الضوء في العالم. لكن مقابل كل ضوء، هناك شخص ما عاقد العزم على إخماده.

يُقال إنه إذا ألحق شخص ما الأذى بطفل، سيكون من الأفضل لو أن حجرًا ثقيلًا قد عُلِّق حول رقبته ليغرق في أعماق البحر. رغم الصلابة التي اكتسبتها خلال المهمة، لا تزال جين قادرة على توفير الحنان، وتحرير كمية كبيرة من الحب عندما تسنح لها الفرصة بذلك، والحاجة الماسة لتربية هذا الطفل، ففي هذه الحالة، جميع الأطفال هم أطفالها. سبب الانفصال عنه حزنًا عميقًا. رغم كل الموت الذي حدث، فإن أي يوم ينتهي بفرصة لرؤية هذا الصبي كان يومًا جميلًا. أملت بألا يكون هذا آخر يوم جميل لها. ولكن أيًا ما كان آتيًا، فستتصدى للخطر الذي اختارها رغمًا عنها، وستعلق بيديها الحجارة الثقيلة حول أعناق الملعونين.